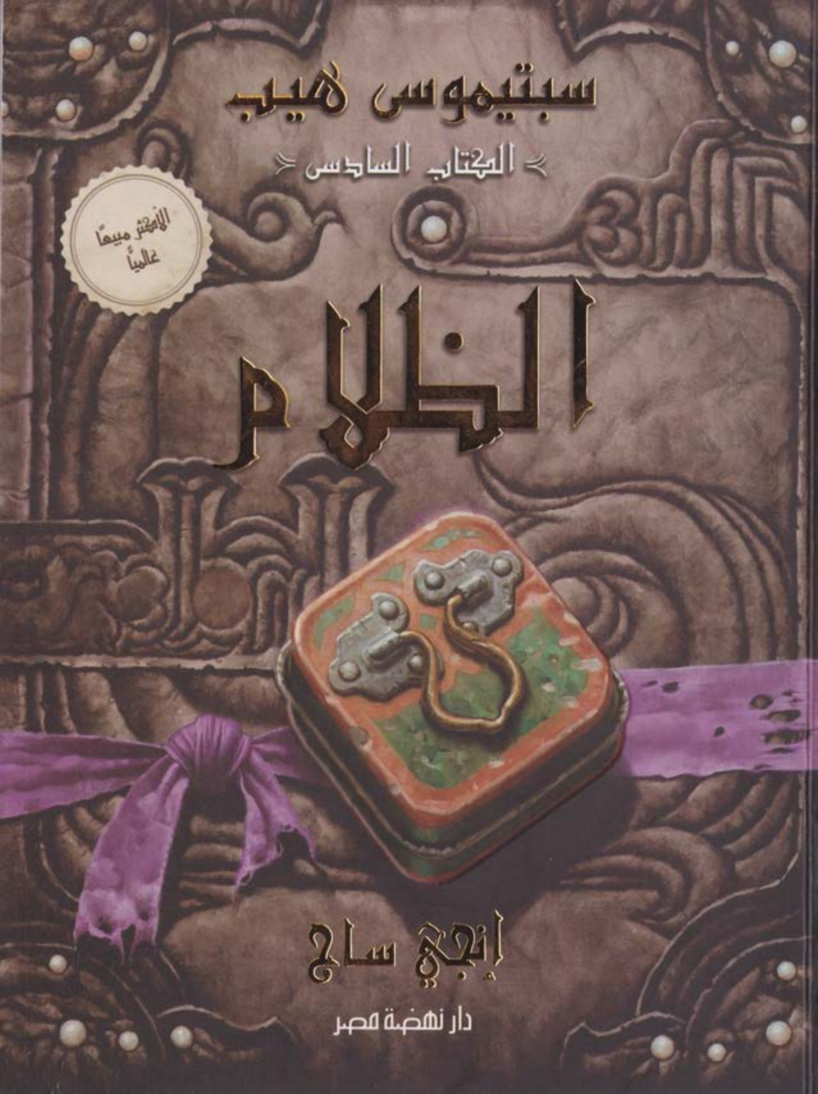

سبتيموس هيب
الكتاب السادس
الأكثر مبيعًا عالميًا
الظلام
أنجي ساج
دار نهضة مصر

سبتيموس هيب

الكتاب السادس



مكتبة | 595

العنوان: سبتيموس هيب: الظلام

تأليف: إنجي ساج

رسوم: مارك زوج

ترجمة: داليا لويس نصيف - عواطف علاء الدين عمر

مراجعة: إدارة النشر والترجمة بدار نهضة مصر للنشر

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

Original English title: SEPTIMUS HEAP - Darke

ترجمة كتاب SEPTIMUS HEAP - SYREN
تصدرها دار نهضة مصر للنشر
بترخيص من شركة HarperCollins Publishers

ساج، إنجي، 1952

الظلام، سبتيموس هيب / إنجي ساج

رسوم: مارك زوج، ترجمة: عواطف علاء الدين عمر

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم

الجيزة: دار نهضة مصر للنشر / 2018

640 ص ، 18 سم.

تدمك: 9789771456612

1- القصص الإنجليزية. أ- زوج ، مارك (رسام)

ب- عمر، عواطف علاء الدين (مترجم). جـ- العنوان

الترقيم الدولي: 978-977-14-5661-2
رقم الإيداع: 14798/ 2018
طبعة: يناير 2019



تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02
خدمة العملاء: 16766
Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com

21 شارع أحمد عرابي - المهندسين - الجيزة

مكتبة | 595

سبتيموس هيب

الكتاب السادس





إنجي ساج

رسوم: مارك زوج

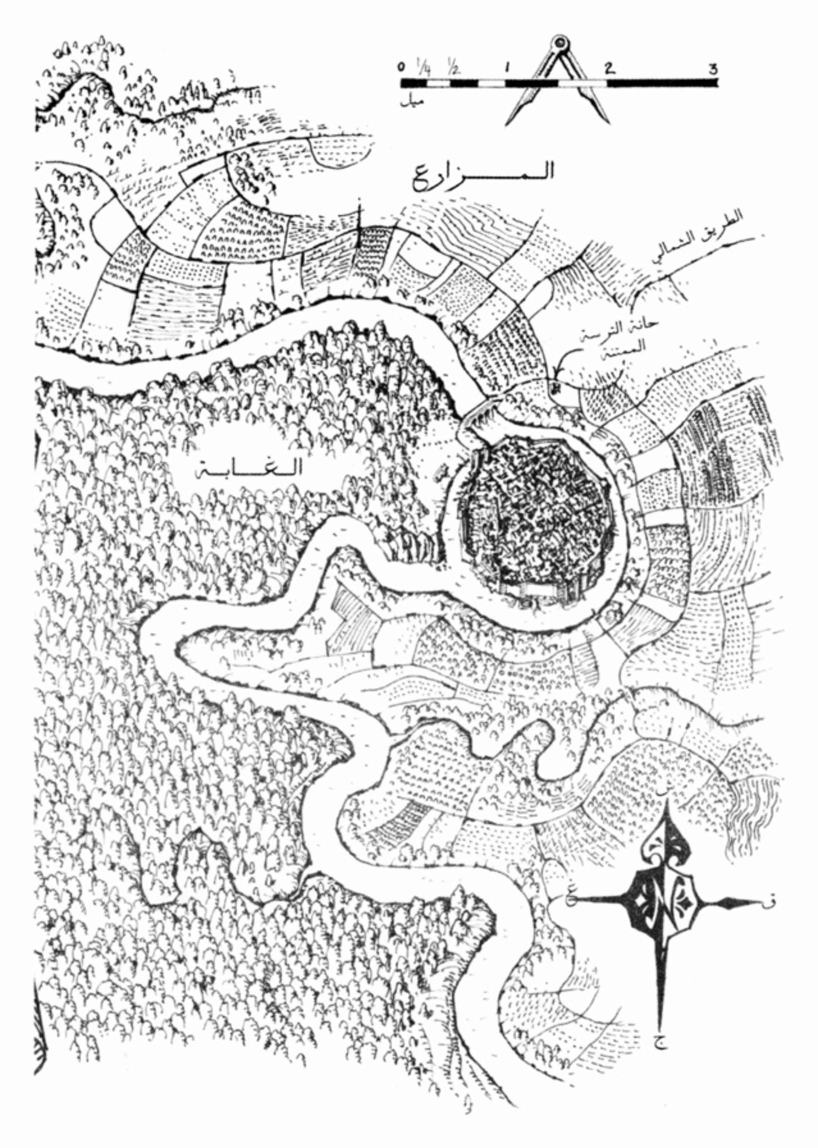


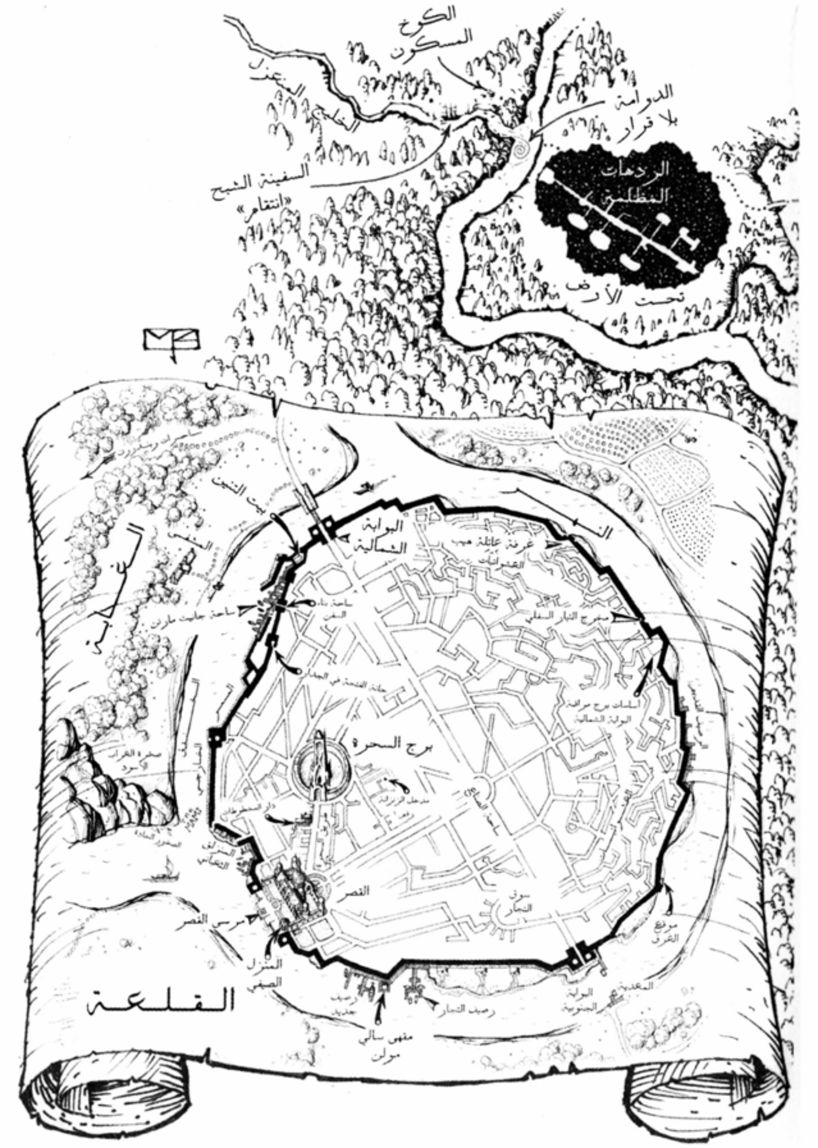
إلى أبي وأمي

شكرًا لكما

++ محتوى الكتاب ++

الظلام


0 1/4 1/2 1 2 3
ميل
المزارع
الطريق الشمالي
حانة الترسة
الغابة
ش
ق
ع
ج



الكوخ المسكون
الدوامة بلا قرار
السفينة الشبح «انتقام»
الردهات المظلمة
تحت الأرض
بيت التنين
البوابة الشمالية
برج السحرة
القصر
سوق التجار
مرسى القصر
المنزل الصيفي
رصيف جديد
مقهى سالي مولن
رصيف التجار
البوابة الجنوبية
المعدية
موقع الغرق
القلعة

تمهيد:
المنفي



ليلة معتمة وعاصفة، تتدلى سحبها السوداء فوق القلعة، فتلف الهرم الذهبي أعلى برج السحرة، وتخفيه بضباب مظلم. أما أسفل القلعة، في تلك البيوت البعيدة، كان صوت الرعد يُقلق نوم الناس، ويلقي بالكوابيس عليهم من السماء. وكمانعة صواعق عملاقة، يعلو برج السحرة شاهقًا فوق سطح القلعة؛ ليداعب السطح المصقول بأضواء **سحرية** زرقاء وبنفسجية اللون.

وداخل برج السحرة كان ساحر العواصف المناوب ساهرًا، يصول ويجول أثناء نوبته داخل بهو القلعة الكبير؛ ليتابع **شاشة العواصف**، ويراقب **النافذة الخائفة** التي تُصاب بالذعر أثناء العواصف. إن الساحر متوتر بعض الشيء؛ فالعواصف لا تصيب قلعتهم بسوء، لكن جميع السحرة يعرفون قصة البرق العظيم الذي حدث قديمًا، وجرَّد برج السحرة من **سحره**، وأحرق غرف الساحر الأعظم. لا أحد يريد لهذا الأمر أن يتكرر، وبخاصة ساحر العواصف المناوب!

كانت مارشا أوفرستراند حينَها في سريرها ذي الأعمدة الأربعة أعلى البرج؛ فالسرير هو الشيء الوحيد الذي لم يمسه الحريق. كانت مارشا تئن من كابوس يتكرر ويزعجها أثناء نومها. تشق فرقعة البرق السحب فوق البرج، وتنطلق نحو الأرض، لتُحدث أزيزًا غير مؤذٍ؛ بفضل **مانعة الصواعق** التي كان ساحر العواصف يستحضرها بسرعة. وهنا، تجلس مارشا متجمدة في مكانها بخصلات شعرها المموج الداكن في سجن الكابوس، لكنها تفتح عينيها الخضراوين فجأة، لترى شبحًا أرجوانيًّا يخترق الحائط، ويستقر إلى جانب السرير، فتطلق مارشا صرخة مكتومة: «ألثر! ماذا تفعل؟» إنه شبح طويل القامة، شعره أبيض طويل، ومربوط على شكل ذيل حصان.

يقول لاهثًا: «كم أكره هذا! لقد اخترقني البرق».

«آسفة جدًّا يا ألثر» -هكذا ترد مارشا بضيق- «لكنني لا أجد سببًا لتأتي وتوقظني كي تقول هذا. قد لا تحتاج للنوم، لكنني أحتاجه قطعًا. على أية حال، أنت تستحق ما حدث لك. لا أجد سببًا لما تفعله.. آااه!».

فرقعة أخرى تضيء زجاج نافذة الغرفة البنفسجي، جاعلة من ألثر مخلوقًا شفافًا تقريبًا.

«صدقيني يا مارشا، أنا لم أخرج للتسلية» - هكذا يرد ألثر بضيق أيضًا- «لقد جئت لمقابلتك حسب طلبك».

«حسب طلبي؟» هكذا تتساءل مارشا بعينين يغشاهما النعاس؛ فلم تزل تعيش كابوس الزنزانة رقم واحد الذي لايزال يزعجها حين تداعب العواصف قمة برج السحرة.

يقول ألثر: «لقد طلبتِ - أو بالأحرى أمرتني- بمطاردة تيرتيوس فيوم، وإبلاغك حين أجده».

تستيقظ مارشا فجأة وتقول: «حقًّا؟».

«حقًّا يا مارشا».

«هل وجدته؟».

بدا الشبح فخورًا بنفسه، وقال: «نعم».

«أين؟».

«أين في اعتقادك؟».

تلقي مارشا الأغطية، وتخرج من سريرها، وتضع رداءها الصوفي؛ إذ يجعل هبوب الرياح الجو باردًا أعلى برج السحرة. ترتعش مارشا أثناء ارتدائها خفها الصوفي على شكل أرنب بنفسجي اللون، والذي أعطاه لها سبتيموس في عيد ميلادها.

«آه! بحق السماء يا ألثر، لماذا أسألك إن كنت أعلم؟».

«إنه في الزنزانة رقم واحد» هكذا يرد ألثر بهدوء.

تجلس مارشا على سريرها فجأة وتصرخ: «آه! إنه مزعج» فلا يزال الكابوس يُعيد نفسه في عقلها بسرعة رهيبة.

بعد مرور عشر دقائق، يظهر شبحان أرجوانيان يهرولان في طريق السحرة، إذ يحاولان الهروب من قسوة الأمطار التي تكسح الطريق، لتغرق الشبح الأول وتغمر الثاني. وفجأة ينحدر الشبح الأول نحو زقاق صغير، ويلحق به الثاني مسرعًا.

الزقاق الصغير مظلم، وكريه الرائحة، لكنه آمن من هذه الأمطار الغزيرة على الأقل.

«أواثق أنت أنه موجود هنا؟» هكذا تتساءل مارشا وهي تنظر خلفها؛ فهي لا تحب الأزقة.

يبطئ ألثر السير، متراجعًا نحو الخلف؛ كي يسير بجوار مارشا. يجيب ألثر بابتسامة: «لقد نسيتِ أنني دَرَجت على المجيء هنا منذ زمن ليس ببعيد».

مارشا ترتعش؛ فهي تعلم أنه لولا زيارات ألثر المخلص لها، لما بقيت على قيد الحياة في الزنزانة رقم واحد.

يتوقف ألثر عند مبنى مخروطي الشكل، قد اسودّت جدرانه، وبدا مشابهًا للكثير من السجون المهملة المنتشرة حول القلعة. تنضم مارشا للشبح رغمًا عنها؛ لقد جف حلقها، وصارت تشعر بالغثيان: فهذا هو المكان الذي يبدأ منه كابوسها.

وأثناء شرود مارشا، يبدأ ألثر في فتح الباب الحديدي الصغير الذي يعلوه الصدأ.

يقول ألثر بحزن: «أمر صعب يا مارشا، أليس كذلك؟ ليتني أستطيع فتح هذا الباب. يبدو أنكِ ستقومين بفتحه».

تفيق مارشا من شرودها، وتعود لوعيها قائلة: «آسفة يا ألثر» وتخرج مفتاح القلعة الكوني الضخم من حزامها الخارق. لا يوجد من هذا المفتاح سوى ثلاثة، ومارشا لديها اثنان منها، أحدهما ملك لها بصفتها الساحرة العظمى، والآخر في عهدتها، حتى تعود چينا هيب وتصبح ملكة.

أما عن المفتاح الثالث، فمفقود. تحاول مارشا جاهدة تثبيت يدها، وتضع المفتاح الحديدي في القفل، وتديره. ينفتح الباب مُحدثًا صريرًا يُذكرها بتلك الليلة المخيفة حين كان الثلج يتساقط، وألقت كتيبة من الحراس القبض عليها، وطرحتها في غيابات السجن. وهنا تنبعث رائحة كريهة في طرقة الزقاق؛ إنها رائحة

لحم مُتعفن ويقطين مُحترق، ويُسمع صياح ثلاث قطط ضالة أثناء عودتها إلى مأواها. تتمنى مارشا أن تعود للبرج، لكنها تتحسس التميمة الزرقاء المعلقة في عنقها، والتي تمثل رمز قوة الساحر الأعظم ومصدرها، فتشعر بالارتياح لوجودها، بعكس المرة الأخيرة التي دخلت فيها من هذا الباب، فتستعيد شجاعتها وتقول: «حسنًا يا ألثر». يشعر ألثر بالارتياح؛ لاستعادة مارشا رباطة جأشها، ويزمجر: «لننتقم منه، اتبعيني». الزنزانة رقم واحد عبارة عن مدخنة مظلمة عميقة، وفيها سلم طويل يتصل بنصفها العلوي الداخلي، أما عن النصف السفلي للمدخنة، فليس متصلًا بالسلم. إنه مُثبت بطبقة من العظم والطين.

يندفع ألثر بجسده الأرجواني أسفل السلم، بينما تهبط مارشا كل درجة بحذر شديد، مرددة تعويذة إبعاد الأذى كي تحيط بألثر، وتحميه وإياها؛ فحتى الأشباح ليست بمأمن من دوامات الظلام التي تدور حول القاعدة السفلية للزنزانة رقم واحد.

يهبط ألثر ومارشا ببطء شديد في ظلام الزنزانة الدامس ورائحتها النتنة؛ غير أنهما يهبطان لأبعد مما تخيلت مارشا. ورغم أن ألثر قد طمأنها بقوله: «لا تخافي يا مارشا؛ إن هدفنا مختبئ عند قمة المدخنة» فإن مارشا كانت قلقة، وبدأت تخشى وجود فخ، فتهمس: «أين هو؟» وهنا تنطلق ضحكة ماكرة جوفاء، تجعل مارشا على وشك السقوط من السلم. «ها هو! إنه هناك»، هكذا

يقول ألثر، مشيرًا إلى أعماق المدخنة السحيقة، حيث ترى مارشا وجه تيرتيوس فيوم الجريء ينظر إليهما شزرًا بعينين غريبتين تلمعان في الظلمة.

يقول ألثر بطريقة المعلم لتلميذته السابقة: «أنت ترينه؛ يمكنك إلقاء تعويذة النفي عليه من مكانك.. أعلم أن المدخنة ستجعلها أكثر قوة».

ترد مارشا بغضب: «اسكت يا ألثر أرجوك».

تبدأ مارشا في إنشاد الكلمات التي تخشاها الأشباح جميعًا؛ فمن شأن تلك الكلمات إلقاؤهم في الردهات المظلمة إلى الأبد: «أنا مارشا أوفرستراند ..». يبدأ شبح تيرتيوس فيوم الأخضر اللون الصعود تجاههم. «أنا أحذرك يا مارشا، أوقفي تعويذة النفي الآن». يصيب تيرتيوس فيوم مارشا بالهلع، لكنه لا يثنيها عما تفعله؛ إذ تواصل إنشاد كلماتها التي يجب أن تستغرق دقيقة بالتمام والكمال، وأن يتم ذلك دون تردد، أو تكرار، أو تغيير. مارشا تعلم أن أقل تلعثم سيجعلها تبدأ من جديد، وهو ما يعلمه تيرتيوس فيوم كذلك. لكنه يواصل الاقتراب منهما، سائرًا بجوار الحائط مثل العنكبوت، ممطرًا كلًّا منهما بوابل من الإهانات، والتعاويذ المضادة، والأغنيات الغريبة؛ كي يشتت انتباه مارشا، لكنه لا يثنيها عما تفعله، بل تكمل بإصرار، متجاهلة الشبح. لكن إذ بمارشا على وشك تلاوة المقطع الأخير: «لقد انتهت حياتك على هذه الأرض، ولن ترى السماء أو الشمس بعد اليوم» تلمح بطرف

عينها شبح تيرتيوس فيوم وقد اقترب منهما جدًّا. وهنا يصيبها القلق وتتساءل: «ماذا سيفعل؟».

حين تصل مارشا للسطر الأخير في التعويذة، تجد الشبح على بُعد خطوة منها ومن ألثر. يتطلع إليهما بشغف وصل لحد التهلل. مارشا تردد الكلمات المرعبة: «بحق قوة السحر، إلى تلك الردهات المظلمة، أقوم أنا بـ..». لكن مارشا لم تصل للكلمة الأخيرة، إذ بتيرتيوس فيوم يمد يده وقدمه الكبيرة نحو ألثر الذي تراجع، لكن الوقت كان قد فات. «**أنفيك!**» فجأة تجد مارشا نفسها وحيدة في مدخنة الزنزانة رقم واحد. لقد تحقق الكابوس، وتصرخ: «أين أنت يا ألثر؟» لكن لا أحد يرد عليها. لقد نُفيَ ألثر.

I

الزيارة

أخيرًا وجدت لوسي جرينج مكانًا على سفينة الفجر، فدفعت بنفسها بين شاب يحمل دجاجة مشاكسة وامـرأة نحيفة مرهقة قد لفت نفسها في شال من الصوف.

رمقـت المـرأة النحيفة لوسي بنظرة مـزعجـة بعينيها الزرقاويـن المزعجتين، ثم أشاحت بوجهها بعيدًا.

وضعت لوسي حقيبتها بين قدميهـا، وراحـت تبحث عـن مكانها؛ فلم تكن مستعـدة لقضـاء الرحلة إلـى القلعـة وهي واقفة..

كان على المرأة ذات العينين الزرقاوين أن تتعود على الزحام. التفت لوسي، ونظرت نحو الرصيف، ورأت سايمون هيب وقد وقف وحيدًا ومبتلًا على حافته، فابتسمت له ابتسامة خفيفة.

كان صباحًا كئيبًا وباردًا، تنذر فيه السماء بهطول الثلج. كان سايمون يرتجف من البرد، وحاول أن يبادل لوسي الابتسام. وفي وسط ضربات المجداف المصاحبة لإبحار السفينة، رفع سايمون صوته قائلًا: «اعتني بنفسك يا لو!».

فردت لوسي، وهي تحاول إبعاد الدجاجة عنها: «اعتنِ بنفسك أيضًا. أعدك أن أعود في اليوم الذي يلي «أطول ليلة»!» فأومأَ سايمون، ثم نادى قائلًا: «هل تحتفظين بخطاباتي؟».

فردت لوسي: «بالطبع». ثم التفتت لوسي للفتى المسؤول عن جمع أُجرة الركوب، وسألته: «كم تريد؟». فقال: «ست بنسات يا فتاتي!» فردت لوسي بغضب: «لا تناديني بفتاتي!» ثم راحت تبحث عن النقود في حافظتها، ووضعت حفنة من العملات المعدنية في يده الممدودة وقالت: «أستطيع أن أشتري سفينة خاصة بهذا المبلغ». هز الفتى كتفيه، وأعطاها تذكرة، ثم توجه إلى امرأة متسخة الثياب بجوارها، والتي ظنتها لوسي غريبة قد وصلت الميناء لتوها.

أعطت المرأة الفتى قطعة نقود فضية كبيرة من فئة النصف كرونة، وانتظرت بصبر ريثما يعطيها الباقي. حين شكرته المرأة بأدب، لاحظت لوسي أنها تتحدث بلكنة غريبة تذكرها بشخص

لم تتذكر اسمه. لقد كانت لوسي تشعر ببرودة شديدة لدرجة جعلتها لا تستطيع التفكير؛ وكانت قلقة أيضًا. لقد ابتعدت عن الوطن لفترة طويلة، والآن كانت في تلك السفينة المتجهة إلى القلعة، وهو ما أخافها بعض الشيء؛ فلم تكن مطمئنة لاستقبال الناس لها، ولم ترغب في ترك سايمون.

بدأت السفينة الإبحار. راح اثنان من عمال الميناء يدفعان السفينة الطويلة الضيقة بعيدًا عن الميناء، وأخذ الفتى جامع الأجرة يرفع شراعها الأحمر المتهرئ. لوحت لوسي لسايمون بيدها بحزن، بينما تحركت السفينة بعيدًا عن رصيف الميناء بسرعة تجاه وسط النهر ذي الأمواج السريعة. وبين الحين والآخر، كانت لوسي تنظر إلى سايمون الذي وقف وحيدًا على الرصيف، بشعره الأشقر الطويل الذي راح يتحرك بفعل نسيم الصباح، ومعطفه الصوفي الباهت الذي جعله الهواء يتطاير كأجنحة الفراشات.

راح سايمون يرقب السفينة حتى اختفت في الضباب الخافت، متجهة نحو مستنقعات مارام. وحين اختفى آخر أثر للسفينة، راح سايمون يحرك قدميه حتى يدفئهما، ثم اتجه إلى تلك الشوارع المزدحمة التي ستقوده إلى غرفته في العليَّة (الدور العلوي) لمكتب الجمارك.

وفي أعلى الدرج المؤدي إلى مكتب الجمارك، فتح سايمون الباب العتيق، ودخل غرفته. حينئذ اعتراه برد شديد لدرجة جعلته

يحبس أنفاسه، فعرف أن الأمور لم تكن على ما يُرام؛ لقد كانت العليَّة باردة، لكنها لم تكن بهذا البرد. كان هذا برد **الظلام**. أُغلق الباب بعنف، وسمع سايمون صوت المزلاج ينزلق في القفل كأنه يأتي من نفق طويل بعيد، ليصبح سايمون سجين غرفته. كان سايمون يسمع خفقان قلبه، لكنه أجبر نفسه على النظر إلى أعلى. كان قد قرر عدم استخدام **المهارات الظلامية** القديمة التي يملكها. لكن بعضها فرض نفسه عليه بحكم ما تعلمه؛ كانت الرؤية في **الظلام** هي إحدى هذه المهارات. من ثم، وبعكس الكثيرين الذين لا يستطيعون أن يروا سوى خيال الشيء أو بقاياه - إذا بحظهم العثر يقودهم لذلك - كان سايمون يستطيع أن يرى **الشيء** بأدق تفاصيله، وهو جالس على السرير الصغير، ينظر إليه بعينين ضيقتين، والذي أصابه بالتقزز.

«مرحبًا» هكذا قال الشيء، مخاطبًا سايمون بصوت متوعد ملأ أرجاء الغرفة، وأصاب سايمون بالقشعريرة. «أ... أحم.» هكذا قال سايمون متلعثمًا.

شعر **الشيء** بالسعادة بعد أن رأى الرعب في عيني سايمون الخضراوين، فعقد رجليه الطويلتين النحيلتين، وراح يمضغ أحد أصابعه المتقشرة، وهو يرمق سايمون بنظرة شريرة متوعدة.

لم تكن تلك النظرة تعني شيئًا لسايمون في الماضي؛ فأثناء إقامته في مرصد أرض الشر، كان يقضي وقت فراغه في التحديق

في «**الأشياء**» التي كان **يستدعيها**، أما الآن، فلم يعد سايمون يحتمل أن ينظر إلى تلك الحزمة من الخرق البالية والعظام الجالسة على سريره، ناهيك عن نظرته تلك. لاحظ الشيء نفور سايمون منه، فبصق مسمارًا أسود ملوثًا على الأرض. وهنا مر بذهن سايمون ما يمكن أن تقوله لوسي إذا رأت شيئًا كهذا على الأرض، الأمر الذي شجعه قليلًا على الكلام.

فهمس: «م.. ماذا تريد؟».

رد الصوت بلا مبالاة: «أنت».

«أ.. أنا؟».

نظر الشيء إلى سايمون باحتقار، ورد باستهزاء: «أ... أنت».

«لماذا؟».

«لقد جئت لأحضرك حسب الاتفاق».

«اتفاق... أي اتفاق؟».

«الاتفاق الذي أبرمته مع معلمنا الراحل، فلا زلت **ملزمًا** به».

«ماذا؟ لكن... لكنه مات. دومدانيال مات».

ردد الشيء: «لم يمت صاحب الخاتم ذي الوجهين».

لم يكن سايمون يفترض أن صاحب الخاتم ذي الوجهين هو شخص آخر غير دومدانيال، وهو ما قصده **الشيء**، الأمر الذي أصابه بالفزع.

«ألم يمُت دومدانيال؟».

لم يجب الشيء عن سؤال سايمون؛ بل ظل يردد تعليماته: «إن صاحب الخاتم ذي الوجهين يطلب حضورك، وعليك السمع والطاعة».

شل الخوف حركة سايمون، وشعر أن كل محاولاته لترك الظلام وبدء حياة جديدة مع لوسي قد باءت بالفشل. فوضع رأسه بين يديه، وراح يفكر في مدى حماقته حين ظن أنه يستطيع الهروب من **الظلام**، حتى سمع طقطقة أحد الألواح الخشبية التي تغطي أرضيات الغرفة، فنظر لأعلى. وهنا رأى سايمون الشيء يتقدم، مادًّا يديه النحيلتين العظميتين نحوه. فانتفض سايمون واقفًا. لم يكن يعبأ بما سيحدث، لكنه قرر ألا يعود إلى **الظلام**. أسرع سايمون إلى الباب، وحاول جذب المزلاج، لكنه لم يتحرك.

اقترب الشيء منه، وصار خلفه مباشرةً؛ لقد اقترب لدرجة جعلت سايمون يشتم رائحة العفن ويشعر بمرارته في حلقه. فنظر نحو النافذة، فإذا الطريق للأسفل طويل.

كان عقله في حالة صراع، لكنه تراجع تجاه النافذة. ربما إن قفز سيصل إلى الشرفة الواقعة على بعد طابقين أسفل العليّة، وقد يتمكن من الإمساك بأنبوب التصريف، أو التعلق بالسطح.

نظر إليه الشيء بغضب: «أيها التلميذ! هل ستأتي معي أم سأضطر لإحضارك؟» ملأ صوت الشيء جنبات الغرفة الضيفة بالوعيد.

قرر سايمون أن يمسك بأنبوب الصرف، ففتح النافذة على مصراعيها، وتسلقها بجهد، حتى تمكن من الإمساك بالأنبوب الأسود السميك الذي كان يمتد حتى أسفل الجدار الخلفي لمكتب الجمارك. سمع صرخة غضب خلفه، وعندما حاول إخراج قدميه من حافة النافذة، شعر بقوة صعبة المراس تجذبه نحو الغرفة. لقد ألقى عليه الشيء تعويذة الإحضار. ورغم علم سايمون بأن تعويذة **الإحضار** غير قابلة للمقاومة، حاول التشبث بالأنبوب، بينما بدت قدماه وكأنهما تُجذبان بحبل كما يحدث في سباق شد الحبل. وفجأة، لم يجد سايمون سوى صدأ الأنبوب في يديه.

واندفع إلى داخل الغرفة مرة أخرى، ليرتطم بجسم الشيء العظمي الأملس، فشعر بالتقزز، وسقط على الأرض. لم يستطع سايمون الحركة، ورقد على ظهره ناظرًا لأعلى.

قال الشيء بابتسامة مصطنعة: «اتبعني».

رفع الشيء سايمون ليقف على قدميه، وقد بدا كالدمية المكسورة. خرج سايمون يترنح، وراح يهبط الدرج الطويل الضيق كالآلة، بينما راح الشيء ينزلق أمامه. وحين وصلا إلى رصيف الميناء، صار الشيء ظلًّا غير واضح، لدرجة أنه حين أطلت مورين العاملة بالمخبز والميناء من المصاريع، لم تر سوى سايمون يسير كالمُخدَّر على الرصيف، متجهًا نحو ظلمة الشارع الرابع. مسحت مورين عينيها؛ فلا بد أن بعض التراب قد دخل فيهما كما تصورت. لقد بدا كل شيء حول سايمون غائمًا بشكل غريب. لوحت مورين

لسايمون بابتهاج، لكنه لم يرد عليها. فابتسمت وفتحت آخر مصراع. يا لغرابة سايمون! فقد كان دائمًا إما منكفئًا على كتاب سحر أو يتلو تعويذة. هتفت مورين: «سأنتهي من إعداد الفطير خلال عشر دقائق. سأحتفظ لك بواحدة بالخضار واللحم!» لكن سايمون اختفى في شارع جانبي، ولاح الرصيف الخالي لمورين بوضوح.

حين تُتلى تعويذة الإحضار على شخص، لا يمكن إيقافها، أو تأجيلها، حتى يصل الشخص المُستحضر إلى المكان المراد إحضاره. وعلى مدى يوم ونصف ليلة، خاض سايمون المستنقعات، عابرًا سياجًا من الشجيرات، ومتعثرًا في الطرقات الحجرية، حتى بلله المطر تمامًا، وضربته الرياح، وجمده التساقط الشديد للثلج، لكنه لم يستطع التوقف، فواصل المشي، حتى حل فجر اليوم التالي، فراح يسبح في مياه النهر المتجمدة، ثم سحب نفسه خارجها، ومشى يترنح في ندى الصبح، ثم تسلق حائطًا من اللبلاب. وفي أعلى الحائط، جُذب من نافذة علية، وراح يزحف نحو غرفة معدومة النوافذ. وحين أُوصد الباب خلفه وتُرك بمفرده، انبطح سايمون على الأرض غير المفروشة؛ فلم يكن أحد يعلم أو يعبأ بمكانه أو هويته.

⇸ 2 ⇷

الزوار



كان الليل قد أوشك على الحلول وأخذ الرذاذ البارد يتساقط بسرعة، بينما تقترب السفينة من الرصيف الجديد، وهو رصيف صغير للسفن بُني مؤخرًا أسفل مقهى سالي مولين للشاي والجعة. راح الركاب المرهقون ينهضون من مقاعدهم بصعوبة بصحبة أطفالهم، ودواجنهم، وأمتعتهم، ثم يترنحون على سلم السفينة. كان كثيرون منهم يسيرون بتثاقل في الممر قاصدين المقهى؛ بهدف الاستدفاء بموقده.

كانوا يريدون سد جوعهم ببعض الوجبات التي تعدها سالي خصيصًا في الشتاء مثل مشروب الربيع الحلو الساخن، وكعكة الشعير الساخنة المتبلة. أما الآخرون التواقون للعودة إلى ديارهم للاستدفاء فيها، فقد ساروا مجتازين الطريق الموحل أعلى التل المجاور لمرفق التخلص من القمامة وراء القلعة بجوار بوابتها الجنوبية التي تظل مفتوحة حتى منتصف الليل. لم تكن لوسي ترغب حتى في التفكير في صعود هذا التل؛ وبخاصة لأنها كانت تعلم أن السفينة ستمر بوجهتها. نظرت لوسي للمرأة الجالسة بجوارها، بعد أن قضت النصف الأول من الرحلة في محاولة تجنب نظراتها الغريبة، لكن بعد أن سألتها المرأة بتردد عن مكان القصر الذي كان الوجهة الأولى للوسي، قضت المرأتان النصف الثاني من الرحلة في تجاذب أطراف حديث مفعم بالحيوية. نهضت المرأة متثاقلة لتلحق بباقي الركاب، فهتفت لوسي: «انتظري دقيقة! والتفتت إلى جامع الأجرة قائلة: «لدي فكرة... عفوًا» «نعم يا فتاتي؟». اجتهدت لوسي لتجاهل كلمة فتاتي، وسألته: «أين سترسو السفينة الليلة؟».

فرد الصبي قائلًا: «سنرسو في ميناء جانيت مارتن؛ بسبب الرياح الشمالية. لماذا؟».

فابتسمت لوسي رغمًا عنها، وقالت: «أريد أن أعرف ... أريد أن أعرف إن كنت تستطيع إنزالنا على رصيف ميناء في طريقك.

فالليلة بــاردة ومعتمة جدًّا». كانت لوسي ترتجف بشدة، ونظرت للفتى بحــزن بعينيهـــا العسليتين الواسعتين. شرد الصبي، وقــال: «بالطبع نستطيع يا فتاتي. سأخبر سكيب. أين تريدين النزول؟» «على رصيف القصر من فضلك». فتعجب الفتي وقال: «القصر؟ أواثقة أنتِ يا فتاتي؟» قاومت لوسي رغبتها في الصياح، وقالت: «لا تناديني بفتاتي أيها الشقي!» ثم قالت: «نعم من فضلك، إن لم يثقل هذا عليكم». فرد الفتى الشقي قائلًا: «أنت لا تثقلين علينا يا فتاتي؛ لكن لو كان الأمر بيدي، لما أنزلتك عند القصر». لم تعرف لوسي كيف ترد عليه: «ها؟» «أجل. فالرصيف مسكون. ألا تعلمين هذا؟» فهزت لوسي كتفيهــا، وقالــت: «هذا الأمــر لا يزعجني، فأنــا لا أرى أشـباحًا». تركــت السفــينة الرصيــف الجديد. ودارت في الجانب الواسع من النهر، وراحت تمخر عباب الماء، وتتأرجح بين الأمواج التي تحركها الرياح بخفة. ولكن حين اقتربت من اتجاه مجرى النهر، هدأ كل شيء؛ وبعد مرور عشر دقائق، عرجت نحو رصيف القصر، فقال جامع الأجرة وهو يلقي حبلًا حول أحد المراسي: «ها قد وصلنا يا فتاتي. تفضلي!». فشكرته لوسي باقتضاب، ونهضت، ثم مدت يدها للمرأة الأخرى وقالت: «لقد وصلنا». ابتسمت المرأة للوسي بشكر، ونهضت متثاقلة، وتبعت لوسي نحو الرصيف. راحت السفينة تبتعد عن الرصيف وصاح الفتى: «إلى اللقاء!» فتمتمت

لوسي: «أنا لا أريد لقاءك» ثم التفتت إلى رفيقتها التي كانت تتطلع إلى القصر بدهشة. لقد كان منظره جميلًا؛ بناية كبيرة، غير مرتفعة، مصنوعة من حجر قديم مصقول، نوافذها طويلة وأنيقة تطل على مروج تنحدر نحو النهر. ولاحت من بعيد شموع تتراقص خلف النوافذ كأنها ترحب بزائري القصر، وتشع في الغسق ببريق سحري. فقالت المرأة بصوت رخيم: «هل تعيشين هنا؟».

أومأت لوسي بسرعة، فقد كانت متلهفة إلى الذهاب. بدأت السير في الممر الواسع المؤدي إلى القصر. لكن رفيقتها لم تكن تتبعها؛ بل ظلت واقفة على الرصيف، تتحدث إلى الهواء. تنهدت لوسي وقالت في نفسها: «لماذا يصادفني غريبو الأطوار؟» لكنها لم ترغب في مقاطعة حديث المرأة، الذي كان من طرف واحد. واصلت لوسي السير نحو الأضواء المضيئة في القصر.

لم تكن لوسي على ما يرام؛ فقد كانت تشعر بالتعب، والبرد، بل والتوتر أيضًا حيال الطريقة التي ستُقابَل بها في القصر. وضعت يدها في جيبها، ووجدت خطابات سايمون، فأخرجتها، وألقت عليها نظرة خاطفة، وقرأت ما كتبه سايمون بخطه الكبير المتعرج: سارة هيب، وچينا هيب، وسبتيموس هيب. لكنها أعادت الخطاب الموجه لسبتيموس هيب إلى جيبها، وأبقت الاثنين الموجّهَيْن لچينا وسارة. تنهدت لوسي؛ فكل ما كانت تتمناه هو أن تعود بسرعة إلى سايمون،

وتسمعه يقول لها: «كل شـــيء على ما يرام يا «لو». لكن سايمون قد طلب منها أن توصل الخطابـــات لوالدتـــه وأختـــه، وقد قـــررت أن تفعل هذا مهما كان رأي سارة هيـــب فيهـــا. أمـــا الآن، فقـــد أخـــذت رفيقتهـــا تهـــرول خلفهـــا، لتقول لها: «آسفة يا لوسي؛ لقد سمعت لتوي قصة مُحزنة من شبح سيدة. إنها لمحزنة حقًّا. لقد نُفي حبيب حياتها ومماتها خطأ. كيف يفعل أي ساحر هذا الخطأ؟ يا للبشاعة!». هزت المرأة رأسها. أما لوسي فقالت: «أمر بشع فعلًا. أظنها أليس نيتلز. أخبرني سايمون أنه قد سمع أن شيئًا فظيعًا قد حدث لألثر، نعم. أليس وألثر. قصة مُحزنة للغاية..». ليس لدى لوسي وقت كافٍ للأشباح؛ فالأشباح بالنسبة لها أموات. وكل ما يهمها هو أن تكون مع من تحب وهي على قيد الحياة. هذا هو ما أتى بها إلى القلعة الآن لترتجف من قسوة رياح الشمال التي تهب على النهر، وتشعر بالإرهاق، وتتمنى لو عادت لتنام في فراشها الدافئ. «هلا واصلنا المسير؟». هكذا تساءلـت لوسي: «أنا لا أعـرف ما تشعريـن بـه، لكنني أكاد أتجمـد من البرد». أومأت المرأة الطويلة النحيفة، وسارت بردائها الصوفي السميك الملفوف حولها بشكل يحميها من البرد، سارت بخطوات حذرة، وعينين لامعتين ترقبان المكان. فبعكـــس لوسي، لم تكـــن تـــرى ممـــرًّا كبيرًا وخاليًا.

فالبنسبة لها، كان الممر والمروج المحيطة به أماكن مملوءة بالأشباح؛ فها هم خدم القصر يهرولون، والأميرات الصغيرات يلعبن المسّاكة، وصغار الخدم، والملكات القديمات يتجولن بين الشجيرات الخفية، وبستانيو القصر يجرون عرباتهم السحرية. تقدمت المرأة بحرص؛ حيث إن رائي الأشباح يعاني من مشكلة عدم ترك الأشباح له؛ فهم يرونه شبحًا مثلهم حتى **يخترقهم**، وهو ما يغضبهم جدًّا. لكن لوسي لم تكن تشعر بوجود الأشباح على الإطلاق، فاجتازت الممر بسرعة. لقد كان بعض الأشباح يعرفون لوسي بخطواتها السريعة وحذائها الكبير، لذلك كانوا يبتعدون عن طريقها بذكاء. وحين بلغت لوسي قمة الممر الذي يحيط بالقصر، نظرت إلى الخلف لتطمئن على رفيقتها التي كانت تسير ببطء خلفها لترى أغرب شيء على الإطلاق؛ فقد كانت المرأة ترقص مع نفسها على أصابع قدميها، وتتمايل إلى الأمام وإلى الخلف، وكأنها تشارك في إحدى رقصات القلعة القديمة. هزت لوسي رأسها، فلم يبشر هذا بالخير. أخيرًا، وبعد أن أصابها الاضطراب والإرهاق، انضمت المرأة للوسي، وانطلقت لوسي دون أن تنبس ببنت شفة. فقد قررت أن تسير في الممر المحيط بالقصر، وأن تتجه للباب الرئيسي الأمامي؛ حتى لا تخاطر بأن لا يسمع أحد طرقها أبواب المطبخ والأبواب الجانبية الكثيرة.

كان القصر بناية واسعة تقع على بعد عشر دقائق سيرًا على الجسر الخشبي الأفقي الذي يعلو الخندق الكبير. وحين اقتربت لوسي ورفيقتها، فتح ولد صغير الباب الليلي، وهو الباب المؤدي إلى الأبواب الرئيسية المزدوجة.

قال بارني بوت بصوت كالصفارة: «مرحبًا بكما في القصر». بدا بارني متألقًا في سترته الرمادية وسرواله الأحمر، وقال: «من الذي تريدان مقابلته؟».

همت لوسي بالرد عندما علا صوت من الداخل بالنداء: «بارني! ها أنت ذا. عليك أن تخلد للنوم؛ فستذهب للمدرسة غدًا».

امتقع وجه رفيقة لوسي، ونظر بارني إلى الداخل وهتف: «لكنني أحب أن أفتح الباب. أعطني خمس دقائق». «لا يا بارني. اخلد إلى النوم». «سنوري؟» لقد كان هذا الصوت المتقطع لامرأة. ثم جاءت فتاة طويلة، بعينين زرقاوين فاتحتين، وشعر أشقر فاتح، وأطلت برأسها من الباب الليلي، ونظرت خلسة، ثم وجهت نظرها نحو لوسي وراحت تلهث: «أمي!».

«سنوري... يا سنوري» هكذا هتفت ألفرون سنوريلسن.

ألقت سنوري سنوريلسن بنفسها بين أحضان أمها، فابتسمت لوسي بحنين، معتقدة أن هذا فأل حسن. فربما في ساعة متأخرة من تلك الليلة، قد تطرق البوابة الشمالية، وتكون والدتها سعيدة أيضًا بلقائها.

++ 3 ++

ليلة عيد الميلاد

لكن لوسي لم تذهب إلى البوابة الشمالية في تــلك الليــلة، فلم تكن ســارة هيب لتسمــح بهــذا. قالــت ســـارة: «أنـــت مرهقة ومبتلة جدًّا يـــا لوســـي، ولـــن أتركك تتجولــين في الشـــوارع ليلاً بهذه الحالة؛ ستموتـين من الـــبـــرد. أنــت تحتاجيـن لنــــوم طويل في فـراش دافئ. وأنا أريد أن أعرف كل شــيء عــن سايمــون. سأعد لكِ العشاء..».

وافقت لوسي بامتنان. غير أن ارتياحها لترحيب سارة بها جعل عينيها تدمعان، فسمحت لنفسها أن تذهب عبر الردهة الطويلة مع سنوري وألفرون، وأن تجلس بجانب النار في غرفة الجلوس الصغيرة الخاصة بسارة هيب في مؤخرة القصر. لقد كانت أكثر غرف القصر دفئًا في تلك الليلة التي كان يتساقط الثلج فيها زخات. وضعت سارة على المنضدة بقايا السجق، الذي اشتُهرت بعمله، ووعاء به فول ساخن. واجتمع الجميع حول النار المشتعلة يشربون شاي الأعشاب، وجلسوا ملاصقين لبعضهم؛ فها هم آل هيب: سارة، ولوسي، وجينا، وسبتيموس ونكو بجوار آل سنوريلسن، سنوري، وألفرون اللتين جلستا بقرب بعضهما يتحدثان في هدوء، وكانت ألفرون متشبثة بيد سنوري. جلس نكو بعيدًا عن سنوري بعض الشيء، وراح يتحدث إلى چينا. أما عن سبتيموس، فقد لاحظت سارة أنه صامت ينظر إلى النار. وها هي مجموعة متنوعة من الحيوانات، الفهد الكبير المدعو أولر الذي جلس عند قدمي ألفرون، وماكسي الكلب العجوز كريه الرائحة الذي أخذ يزمجر برفق أمام النار، وإيثيل البطة السمينة، معدومة الريش ترتدي صدرية جديدة مشغولة.

بدت إيثيل رائعة وهي تجلس في حضن سارة وتقضم قطعة من السجق بهدوء. كانت چينا غير راضية عن البطة؛ فقد لاحظت أن وزنها زاد، وكانت تشك أن سارة قد نسجت لها صدرية جديدة بعد

أن ضاقت القديمة عليها. لكن سارة كانت تحب إيثيل حبًّا شديدًا لدرجة جعلت چينا تُعجَب بالخطوط الحمراء والزرائر الخضراء في ظهر الصدرية، ولا تتحدث عن سمنة إيثيل. كانت سارة هيب سعيدة؛ فقد كانت تمسك بخطاب سايمون في يدها الذي قرأته عدة مرات، حتى حفظت ما فيه عن ظهر قلب. لقد استعادت سارة سايمون الطيب الذي كان كعهدها به. سارة تعد لحفل عيد ميلاد چينا وسبتيموس الرابع عشر. لقد كان هذا اليوم علامة فارقة بالنسبة لچينا أميرة القلعة، وكانت سارة ستحقق لها آخر أمنية، وهي أن تحتفل بعيد ميلادها وسبتيموس في القصر، لا في برج السحرة. نظرت سارة للساعة القديمة المعلقة أعلى المدفأة، وكتمت شعورها بالقلق على سايلاس الذي لم يصل بعد. لقد ادعى سايلاس الانشغال مؤخرًا، ولم تصدقه سارة . تنهدت سارة، وتمنت لو كان سايلاس موجودًا ليشاركها لحظة وجود الجميع معًا.

لكن سارة توقفت عن التفكير في سايلاس، وابتسمت للوسي التي ستصبح زوجة لابنها. لقد أشعرها وجود لوسي أن سايمون حاضر معهم؛ فقد أتت لحظات كانت طريقة لوسي في الكلام مشابهة لسايمون في حماسه وانفعاله، وتخيلت أن سايلاس سيكون معهم ذات يوم، وأنها ستُحاط بجميع أولادها رغم عدم تأكدها من اتساع الغرفة لهذا العدد الكبير! كان سبتيموس أيضًا

ينظر إلى الساعة، وفي تمام الثامنة والربع، استأذن. رأت سارة ابنها الأصغر الذي صار طويل القامة ونحيفًا في الأشهر الأخيرة ينهض من مكانه المرتفع على يد الكرسي القديم، ويشق طريقه بين الناس وأكوام الكتب، متجهًا نحو الباب. تطلعت سارة لابنها بفخر؛ إذ كان يضع شرائط التلميذ الأول الأرجوانية اللامعة على حافة كم سترته الخضراء. لكن ثقته بنفسه الهادئة والتلقائية كانت هي السبب الأهم لسعادتها. كانت تتمنى لو مشط شعره أكثر من ذلك، لكنه أصبح شابًّا وسيمًا؛ فأرسلت له قبلة في الهواء. ابتسم بشيء من العصبية كما ظنت، وخرج من الغرفة المريحة إلى برد الردهة الطويلة الممتدة بطول القصر، وتسللت چينا هيب وراءه.

هتفت چينا: «انتظر لحظة يا سِب» فأبطأ سبتيموس الذي كان يسير بخطى واسعة، وقال: «عليّ أن أعود في التاسعة».

«إذن، لديك متسع من الوقت» هكذا قالت چينا وقد لحقت به، وراحت تحاول تقليد خطواته الواسعة بأخرى أصغر وأسرع. «أتذكر يا سِب ما قلته لك عن الجو الذي كان مخيفًا بجوار العليَّة؟ إنه لا يزال مرعبًا، بل أسوأ. حتى أولر يرفض الذهاب هناك. انظر، هذه الخربشة هي الدليل». وهنا ثنت چينا كمها الذهبي لتظهر لسبتيموس أثر خربشة قط في معصمها. «لقد حملته إلى أعلى وأصيب بالذعر».

لم يتأثر سبتيموس بما سمعه. «أولر من القطط التي ترى الأشباح؛ وقد يفزع أحيانًا بسبب كل هذه الأشباح الموجودة في المكان».

لكن چينا لم تتوقف عن الكلام، وقالت: «ليست هذه أشباحًا يا سِب. على أية حال أنا أرى معظم أشباح القصر، بل الآلاف منهم».

أومأت جينا بلطف لما بدا لسِبتيموس أنه الهواء، وكأنها تريد إثبات وجهة نظرها. وقال سبتيموس في نفسه: «إنها إيماءة أميرة حقيقية».

«ها هم. لقد رأيت لتوي الطهاة الثلاثة الذين سممتهم مدبرة المنزل الغيورة».

فقال سبتيموس وهو يسرع الخطى: «شيء جميل». اضطرت چينا أن تهرول كي تلحق به. سار الاثنان بسرعة في الردهة الطويلة، عابريْن من الأضواء المتراقصة للشموع الرفيعة إلى الظلمة، ثم إلى المزيد من الأضواء.

تابعت چينا حديثها بإصرار: «لو كان هناك أشباح لعرفت. لكن لا توجد أشباح هنا، فهم يتجنبون التواجد في هذا الجزء من الردهة، وهذا يدل...». سأل سبتيموس بعصبية: «علام يدل؟».

«أن هناك شيئًا سيئًا يحدث. لا أستطيع أن أطلب من مارشا التحقق من ذلك؛ لئلا تغضب أمي. لكنك تجيد عمل هذا مثل مارشا يا سِب، أليس كذلك؟ أرجوك، تعالَ وتحقق».

«ألا يستطيع أبي عمل هذا؟».

«أبي يقول: إنه سيلقي نظرة، لكنه لا يفعل؛ فهو دائم التغيب. أنت تعرفه».

كانا قد وصلا في ذلك الحين لبهو المدخل الكبير، حيث كانت مجموعة كبيرة من الشموع تلقي بضوئها على السلم الأنيق والأبواب العتيقة الضخمة. كان بارني بوت قد نام أخيرًا وكان بهو المدخل خاليًا. توقف سبتيموس والتفت إلى چينا وقال: «اسمعي يا چين، لا بد أن أذهب. لدي الكثير من المهام».

فردت چينا باستياء قائلة: «ألا تصدقني؟».

«بلى». «لكن ليس بما يكفي لتأتي وتتحقق من الأمر».

لكن سبتيموس نظر لها نظرة من يريد إنهاء الحديث. كانت چينا ترى هذه النظرة كثيرًا في الشهور الماضية؛ وكانت تكرهها؛ فكلما رأت هذه النظرة في عيني سبتيموس الخضراوين اللامعتين، شعرت أن شيئًا يبعده عنها. قال لها: «إلى اللقاء يا چين. يجب أن أمضي. فغدًا يوم حافل». اجتهدت چينا لتخفي شعورها بخيبة الأمل؛ فلم تكن تريد أن يمضي سبتيموس متضايقًا. وقالت: «أعلم. عيد ميلاد سعيد يا سِب».

ظنت چينا أن الدهشة تبدو عليه. «نعم.. شكرًا». فقالت وهي تشبك ذراعها بذراعه رغمًا عنه وتصطحبه إلى بوابة القصر: «سيكون غدًا يومًا ممتعًا. شيء رائع أن نحتفل بعيد ميلادنا في نفس اليوم وكأننا توءمان.

وفي أطول ليلة، اليوم المميز الذي تضاء فيه جميع أنوار القلعة وكأنها مُضاءة خصيصًا لنا».

قال سبتيموس وهو شارد الذهن: «نعم. عليّ أن أمضي يا چين. أراكِ غدًا في المساء».

«سأصطحبك إلى البوابات».

«آه. حسنًا» لم يكن سبتيموس متحمسًا لذلك. شق سبتيموس وچينا طريقهما، وكان سِبتيموس يسرع الخطى، بينما كانت چينا تهرول بجواره. قالت چينا وهي لاهثة الأنفاس: «سِب».

رد سبتيموس بحذر: «ماذا؟».

«أبي يقول: إنه ترك الدراسة حين كان في سنك وفي نفس المرحلة الدراسية التي تدرس بها».

«مم. يُفترض هذا».

«ويقول: إن أحد أسباب تركه الدراسة هو أنه كان مشغولًا ببعض مهام الظلام التي لم يشأ إحضارها إلى المنزل».

أبطأ سبتيموس الخطى، وقال: «هناك العديد من الأسباب لترك أبينا الدراسة يا چين؛ فقد عرف الرحلة مبكرًا، وكان من الصعب على أمي أن تتولى الأمور وحدها؛ لأنه كان سيعمل ليلًا ونهارًا، وسيؤدي مهام كثيرة».

«إنه **الظلام** يا سِب. هذا ما قاله لي».

«ها! هذا ما يقوله الآن».

«إنه قلق عليك. وأنا كذلك». فقال سبتيموس بعصبية: «حسنًا. لا يجب أن تقلقا».

«لكن يا سِب»..

كان سبتيموس قد نال كفايته منها، فأزاح ذراع چينا بنفاد صبر وقال: «أرجوكِ يا چين اتركيني وحدي؛ فلدي مهام أقوم بها. أراكِ غدًا». وأسرع سبتيموس بالذهاب وتركته چينا يمضي.

راحت چينا تسير على العشب، وقدماها تحتكان بالثلج المتناثر. كانت تغالب دموعها؛ فلم يتمنَّ لها سبتيموس عيد ميلاد سعيدًا. مضت بحزن إلى القصر وهي تفكر فيه. لقد شعرت مؤخرًا أنها من الغرباء المزعجين الذين يريد إخفاء أسراره عنهم. ولكي تعرف المزيد عن سبتيموس اضطُرت چينا لسؤال سايلاس عن تدربه على يد ألثر منذ زمن بعيد، ولكن الرد لم يَرُقْ لها في كثير من الأحوال. لم ترغب چينا في العودة إلى مجموعة السعداء الملتفين حول مدفأة سارة، فأخذت شمعة مضاءة من إحدى مناضد الردهة، ومضت نحو السلم العريض المصنوع من خشب البلوط المحفور والممتد من مدخل القصر إلى الطابق الأول. سارت ببطء عبر الممر بخطى هادئة، وكانت تومئ لمجموعة الأشباح الذين كانوا يظهرون حين يرون الأميرة. تركت چينا الممر العريض المؤدي إلى غرفة نومها، وقررت أن تلقي نظرة أخرى على سلم العليَّة. لقد جعلها سبتيموس تشك ما إذا كان هناك سبب وجيه لقلقها.

كانت هناك شمعة صغيرة مضاءة أسفل السلم، وهو ما طمأن چينا؛ فقد كان التطلع إلى أعلى السلم الخشبي الذي يتوارى في الظلمة يصيبها بالرعب. راحت چينا تطمئن نفسها قائلة؛ إن سبتيموس كان على حق، ولم يكن هناك شيء تقلق منه، وراحت تصعد السلم. وقالت لنفسها أيضًا: إنها إذا صعدت السلم ووجدت أن كل شيء على ما يُرام، ستنسى الأمر برمته؛ لكنها توقفت بعد أن صعدت درجة واحدة؛ فقد بدت الظلمة وكأنها تتحرك وتتنقل كلما تطلعت إليها، وكأن الحياة قد دبت فيها. كانت چينا في حيرة من أمرها. فرغم خوفها، كانت تشعر بالبهجة. وتولد لديها إحساس غريب، فقد شعرت أنها إذا تقدمت نحو الظلمة، فستستطيع رؤية كل ما تريد أن تراه، بما فيه والدتها الحقيقية الملكة سيريس. وكلما زاد تفكيرها في رؤية والدتها، زال عنها الشعور بالخوف، وتاقت للتقدم نحو الظلمة التي اعتبرتها أحسن مكان في العالم؛ المكان الذي لطالما بحثت عنه. وفجأة شعرت چينا بنقر على كتفها، وتلفتت لترى شبح المربية الذي سكن القصر؛ ليبحث عن أميرتين مفقودتين. كان شبح المربية يحدق بها ويصرخ: «ابتعدي يا أزميرالدا! ابتعدي!» ولكن النقر على كتف چينا أرهق الشبح، فاختفت ولم تظهر لسنوات منذ ذلك الحين. لكن رغبة چينا في التقدم نحو الظلمة كانت قد انتهت، فانعطفت وراحت تركض في

صخب وتهبط كل درجتين من السلم مرة واحدة. ولم تكف عن الركض إلا بعد أن وصلت إلى الردهة الكبيرة المضيئة، ورأت وجه السير هيروارد، الحارس الودود، ذلك الشبح العجوز الذي كان يحرس أبواب غرفتها المزدوجة. هب السير هيروارد واقفًا ليؤدي لها التحية قائلًا: «عمتِ مساءً أيتها الأميرة. أرى أنكِ ستخلدين للنوم مبكرًا؛ فغدًا يوم حافل».

وقال مبتسمًا: «عيد ميلادك الرابع عشر مناسبة لا تتكرر».

فردت بحزن قائلة: «كلا».

فقال السير هيروارد وهو يضحك ضحكة مكتومة: «إنها متاعب التقدم في السن. لكن دعيني أخبرك بأن الرابعة عشرة لا تدعو للقلق يا أميرتي. فلي مئات من أعياد الميلاد. لقد نسيت عددها في الواقع، وها أنا على ما يُرام».

لم تُقاوم چينا الابتسام. لم يكن الشبح على ما يرام مُطلقًا؛ فكان مُتسخًا وباهتًا، وكان درعه متآكلًا، وأحد ذراعيه مفقود. كان لديه بضعة أسنان. وقد لاحظت چينا أنه خلع خوذته مؤخرًا، علاوة على فقدانه أذنه اليسرى وجزء من رأسه. يضاف إلى هذا وذاك أنه كان ميتًا. غير أن كل هذا لم يضايق السير هيروارد. قالت چينا لنفسها: إنها يجب أن تتوقف عن الشعور بالحزن وأن تستمتع بحياتها. سيتغلب سبتيموس على مشكلاته كافة وستستقر الأمور مرة أخرى؛ فغدًا سوف تذهب إلى آخر أيام السوق وتشتري له

شيئًا يضحكه في عيد ميلاده، شيء أكثر مرحًا من كتاب التاريخ الكامل للسحر الذي كانت قد اشترته له من متجر ويفالد لكتب السحر. فقال السير هيروارد بإشراقة: «هذا أفضل. سترين يا أميرتي أن عيد ميلادكِ الرابع عشر سيكون يومًا ممتعًا».

«ها هي أُحجية لطيفة ستخفف عنك. كيف تضعين زرافة في خزانتك؟».

«لا أعرف يا سير هيروارد».

«ستفتحين باب الخزانة، ثم تضعينها، ثم تغلقين الباب. كيف تضعين فيلًا في خزانتك؟».

«لا أعرف. كيف تضع أنت فيلًا في خزانتك؟».

«ستفتحين الباب، ثم تُخرجين الزرافة، ثم تضعين الفيل بالداخل. ها ها». ضحكت چينا وقالت: «هذا ساذج للغاية يا سير هيروارد»!

فقهقه السير هيروارد وقال: «أليس كذلك؟ أعنى أن الخزانة قد تتسع للاثنين إن حاولتِ باجتهاد».

«نعم... حسنًا. طابت ليلتك يا سير هيروارد. سأراك غدًا». فانحنى الشبح العجوز، وفتحت چينا باب غرفتها المزدوج الكبير ودخلت. وحين أغلقت الأبواب، عاد السير هيروارد لمكانه؛ ليحرس الباب وهو في غاية اليقظة. فكل أشباح القصر تعلم أن أعياد الميلاد قد تكون مناسبات خطرة على الأميرات. لذلك كان السير هيروارد حريصًا على ألا يصيب الأميرة شيء أثناء نوبة حراسته.

لم تستطع چينا أن تهدأ حتى حين دخلت غرفتها؛ فقد شعرت أن بداخلها مزيجًا غريبًا من البهجة والحزن. فاتجهت إلى إحدى النوافذ الطويلة بعصبية، وأزاحت الستائر الحمراء الكبيرة لتنظر إلى النهر؛ فقد كانت مشاهدة النهر من الأمور التي كانت تحب عملها ليلًا منذ صنع لها سايلاس سريرًا صغيرًا على شكل صندوق في خزانتها فى منطقة العشوائيات. وكان يحتوي على نافذة صغيرة تطل على المياه مباشرة. غير أن چينا تعتقد أن منظر النهر من نافذة القصر الكبيرة أقل جمالًا من منظره في بيتهم القديم في العشوائيات؛ حيث كانت تستطيع رؤية منظر المد والجزر الرائع. لقد درجت مراكب الصيد الصغيرة على التواجد هناك. كانت تُربط بحلقات ضخمة في الحائط بأسفل، وكانت تشاهد الصيادين ينزعون أحشاء ما يصيدون من أسماك، ويصلحون شباكهم. لكن كل ما تراه هنا هو بعض المراكب البعيدة التي تمر ذهابًا وإيابًا، وضوء القمر وهو منعكس على الماء. وفي تلك الليلة، لم يكن هناك قمر، وكانت چينا تعلم أن هذه هي آخر ليالي القمر، وأنه لن يطلع إلا مع اقتراب شروق الشمس. وغدًا، في ليلة عيد ميلادها، سيظهر الجانب المظلم من القمر، وسيختفي الجانب المضيء. ومع ذلك، كانت السماء جميلة دون قمر واختفت السحب، مُفسحة المجال للنجوم لتلمع بوضوح.

أزاحت چينا الستائر الثقيلة وراءها، فصارت في فضاء معتم بين الستائر والنافذة. وقفت ساكنة؛ حتى تعتاد عيناها على الظلمة.

وأخذت أنفاسها الدافئة تكسو النافذة بالبخار، فمسحت الزجاج ونظرت إلى النهر.

في أول الأمر، بدا النهر مهجورًا، لكن چينا لم تتعجب من ذلك؛ فقد كانت المراكب قليلة في تلك الليلة. ثم لمحت شيئًا يتحرك بجوار الرصيف. مسحت النافذة مرة ثانية، محدثة صريرًا، وراحت تحدق النظر إلى الخارج. لقد كان هناك شخص على رصيف الإنزال: إنه سبتيموس. بدا كأنه يتحدث لشخص ما رغم عدم وجود أحد. عرفت چينا فورًا أنه يتحدث لشبح أليس نيتلز. مسكينة أليس نيتلز! لقد فقدت ألثر للمرة الثانية. ومنذ هذه الخسارة البشعة، اختفت أليس، واعتادت التجول حول القلعة لتبحث عن ألثر. لقد كانت هي مصدر الصوت المجهول الذي كان يوسوس أحيانًا في آذان الناس قائلًا: «أين ذهب؟ هل رأيتموه؟ هل رأيتموه؟» وضعت چينا يديها حول أنفها لتحمي النافذة من أنفاسها، وحدقت في ظلمة الليل. رأت سبتيموس ينهي حديثه، ويسير بخفة مسرعًا الخطى بمحاذاة النهر، متجهًا صوب الباب الجانبي الذي يقوده إلى جانب طريق السحرة.

كانت چينا تتوق لفتح النافذة والنزول على اللبلاب، كما فعلت عدة مرات من قبل، والجري عبر المروج، وقطع الطريق على سبتيموس، وإخباره بما حدث أعلى سلم العليَّة. كان سبتيموس القديم سيعود معها فورًا، لكن سبتيموس صارت لديه أشياء أكثر أهمية وأكثر سرية، الأمر الذي أحزن چينا.

فجأة، شعرت چينا ببرودة شديدة، فانسلت من خلف الستائر، وذهبت إلى المدفأة الحجرية القديمة، حيث كانت ثلاثة جذوع خشبية ضخمة تشتعل. فمدت يديها نحو النار؛ كي تدفئهما، وراحت تفكر فيما كان يقوله سبتيموس لأليس، وكانت تعرف أنه حتى إذا سألته، فلن يخبرها.

وراحت تفكر بحزن في أليس معتقدة أنها ليست هي الوحيدة التي فقدت شخصًا عزيزًا.



⸭ 4 ⸭

التلاميذ

جاء صباح عيد الميلاد الرابع عشر. استيقظ سبتيموس قبل حلول الفجر، وقام بتنظيف المكتبة الهرمية وترتيبها بسرعة، كما تعود أن يفعل كل صباح، حتى في يوم عيد ميلاده. وللمفاجأة ، فقد وجد هدية مفتوحة من مارشا مخبأة تحت كومة الكتب المُزمَع رصُّها. كان الطرد يحوي **عدسة مكبرة** صغيرة ولكن جميلة، مصنوعة من الذهب والفضة. وكانت هناك بطاقة أرجوانيــة مرفقــة بهـــا، مكتوب عليهـــا: «إلى سبتيمـوس. فــي يــوم ميلادك الرابع عشر: عيد ميلاد **سحــري** ســعــيد. مـــع حبـــي. مـــارشـا».
ابتســم سبتيمـوس، ووضــع **العدسـة** فـي جيبـه. فليس من عادة مارشـا أن توقع باسمها وتكتب عبارة «مع حبي».

بعد مرور بضع دقائق، انفتح الباب الأرجواني المحيط بغرف الساحر الأعظم، واتجه سبتيموس نحو السلم الفضي الحلزوني في نهاية منبسط الدرج، وقد عقد العزم على القيام بزيارة اعتاد أن يقوم بها منذ عودته من جزر الحورية. وانتهز فرصة أن السحرة لا يكونون متواجدين في مثل هذا الوقت المبكر، وضبط السلم على وضع الطوارئ، ونزل بسرعة إلى الطابق السابع. كان سبتيموس يشعر بالدوار والبهجة في نفس الوقت؛ فليس هناك شيء أفضل من وضع الطوارئ لإيقاظ المرء من نومه. ترك سبتيموس السلم وسار بشيء من الترنح في الممر المُعتم تجاه باب مكتوب عليه «حجرة الرضى» (حجرة المرضى) بعد أن مُحي حرف الميم؛ بسبب تعويذة أخطأ أحد التلاميذ العاديين في النطق بها. انفتح باب الغرفة، ودخل سبتيموس. إنها غرفة معتمة ومستديرة بها عشرة أسرَّة مرصوصة مثل الأرقام على واجهة ساعة الحائط. كانت الأسرَّة كلها خالية، ما عدا اثنين رقدت عليهما ساحرتان، إحداهما قد سقطت من سلم برج السحرة وانكسر إصبع قدمها، والأخرى مسنة شعرت بشيء غريب منذ يوم أمس. وكان هناك مكانان خاليان في واجهة الساعة مخصصان للأبواب، دخل سبتيموس من أحدهما والآخر - الذي كان يحتل مكان الساعة السابعة- يقود إلى خارج حجرة المرضى. وفي منتصف الحجرة

وُضع مكتب مستدير جلس خلفه الساحر المناوب، وروز التلميذة الجديدة المسؤولة عن حجرة المرضى. لوت روز شعرها البني الطويل خلف أذنيها، وانشغلت كالعادة بتدوين بعض الأمور في دفتر الواجب الخاص بها، وابتكار تعاويذ جديدة.

اقترب سبتيموس، فابتسمت له روز والساحر المناوب بود، فقد كانا يعرفانه جيدًا؛ إذ كان يزورهما كل يوم، ولكن ليس في هذا الوقت المبكر كما فعل اليوم.

همست روز: «لم يتغير شيء».

أومأ سبتيموس بعد أن يئس من سماع أي شيء جديد.

نهضت روز من مقعدها؛ فقد كانت وظيفتها هي اصطحاب الزوار إلى غرفة فك السحر. تبعها سبتيموس إلى الباب الضيق بداخل الحائط الذي يحتل مكان الساعة السابعة. كان لواجهته طابع متغير؛ بسبب تأثير السحر القوي الذي يصنعه برج السحرة. وضعت روز يدها على سطحه وسحبتها بسرعة، تاركة بصمتها الأرجوانية، فانفتح الباب، ثم دخل سبتيموس إلى حجرة الانتظار، وأُقفل الباب خلفهما. كررت روز نفس العملية مع باب آخر أمامهما، فانفتح أيضًا. في هذه المرة، سار سبتيموس وحده ودخل غرفة خماسية الشكل يغمرها ضوء أزرق داكن. همست روز: «سأتركك الآن. ناديني إذا احتجت لشيء أو... حسنًا، إذا حدث أي تغيير».

أومأ سبتيموس.

كانت رائحة السحر القوية تملأ الغرفة، وتحمل معها قوة فك السحر الناعمة التي تتحرك بحرية في المكان. كانت القوة تدور عكس عقارب الساعة، وشعر سبتيموس بدفء سريانها في جلده وتنميل يشبه جفاف الملح بعد الاستحمام في مياه المحيط. وقف ساكنًا، وراح يتنفس بعمق لبضع دقائق؛ كي يستعيد اتزانه. فالبنسبة لمن يحملون السحر بداخلهم، يصبح فك التعاويذ شيئًا غريبًا حين يقتربون منه. لذلك، شعر سبتيموس بدوار شديد في المرات القليلة الأولى التي دخل فيها هناك. ولكن الآن، وقد تعود سبتيموس على المكان، استمر شعوره بالدوار لبضع لحظات فقط. مع ذلك، كان جزء منه لا يريد التعود على رؤية شرنقة فك السحر ذات الشكل الغريب. إنها أرجوحة شبكية مصنوعة من الصوف غير المنسوج التي تبدو وكأنها تسبح في الهواء رغم أنها مثبتة بشرائط الغابة الخفية، التي اخترعها الساحر الأعظم الذي رحل منذ زمن بعيد.

اقترب سبتيموس من الشرنقة ببطء -وهو يشعر وكأنه يسير تحت الماء- مقاومًا دوامات فك السحر. كان هناك جسم غير مادي ملفوف بالصوف، يكاد لا يظهر لدرجة جعلت سبتيموس يخشى اختفاءه في أية لحظة. لكن سايرا سايارا ساكنة الشرنقة ظلت تقاوم الاختفاء رغم كونه أحد مخاطر فك السحر المعروفة، وكلما تكررت تلك العملية، زاد الخطر.

تطلع سبتيموس إلى وجه سايرا الأزرق الذي كان يعكس ضوء الحجرة، فبدا شفافًا. كان شعرها البني مضفرًا بعناية، ليعطيها شكل دمية عتيقة أنيقة، وهو مختلف عن شكل سايرا الوحشي التي قابلها سبتيموس للمرة الأولى في جزيرة الحورية. قال سبتيموس بهدوء: «مرحبًا يا سايرا. هذا أنا، سبتيموس». لكن سايرا لم تحرك ساكنًا، لكن سبتيموس كان يعلم أن هذا لا يعني بالضرورة أنها لا تسمعه؛ فكثيرون ممن نجحوا في الخروج من غرفة فك السحر سردوا قصصًا عن محادثات دارت هناك. وأردف سبتيموس قائلًا: «لقد أتيت مبكرًا اليوم. لم تشرق الشمس بعد. أريد أن أخبرك بأنني لن أستطيع المجيء لرؤيتك في الأيام القليلة القادمة». توقف ليرى تأثير كلامه، لكن لم تكن هناك استجابة، فشعر ببعض الاستياء، وتمنى لو لاحٍ بصيص من خيبة الأمل على وجه سايرا. وأردف سبتيموس قائلًا: «إني مقبل على أسبوعي المظلم و... أريد أن أخبرك بما سأفعله. لأنك مررت بهذه التجربة من قبل، وعرفتِ مدى الرعب الذي ينتاب أي شخص قبل أن يذهب ... ولا أستطيع أن أخبر أي شخص آخر. أعني أنني لا أستطيع أن أخبر من لم يكمل التدريب على يد أحد السحرة الأعظمين، ولهذا لا يبقى الكثيرون، لا يبقى سواك أنت ومارشا فقط في حقيقة الأمر. بالطبع كان من الممكن أن أخبر ألثر لو كان ما زال هنا.

لكنك تعرفين ما حدث. أعلم أنه شبح، وأن هناك الكثير من السحرة الأعظمين والأشباح التلاميذ لكن ألثر... أعني أنه كان مختلفًا. كان يبدو حقيقيًا، وكأنه لم يزل على قيد الحياة. آه يا سايرا. إنني حقًّا أفتقد ألثر. هذا ما أردت أن أخبرك به. سأعيد ألثر. نعم سأفعل. مارشا لا تريدني أن أفعل هذا، لكنني اخترت أن أفعل، وهي لا تستطيع أن توقفني؛ فمن حق كل التلاميذ أن يختاروا ما سيفعلون في أسبوعهم المظلم، وقد اخترت هذه المهمة. سأنزل إلى الردهات المظلمة». صمت سبتيموس؛ فقد ظن أنه قال أكثر من اللازم لسايرا؛ وإن كانت قد فهمت كل ما قاله، فسوف تقلق عليه. لكن سبتيموس قال في نفسه: إنه يجب ألا يكون سخيفًا.

فلم يكن اهتمام سبتيموس بما حدث لسايرا يعني أنها تهتم به بنفس القدر، فقد قال لنفسه: إنها إذا كانت تشعر بزياراته ففي الغالب ستكون سعيدة بفكرة التخلص منه لبعض الوقت. ابتسم سبتيموس وهو يشعر بشيء من الأسى. وتذكر شيئًا قالته له چينا أكثر من مرة مؤخرًا: «ليست كل الأشياء تدور في فلكك يا سِب».

شعر سبتيموس بشيء من الحرج، فأنهى زيارته. «حسنًا. إلى اللقاء. سأكون بخير و... أرجو أن تكوني كذلك أيضًا. أراكِ حين أعود». كان سبتيموس يود لو أعطى قبلة وداع سريعة لسايرا، لكن، لم يكن هذا ممكنًا؛ فلا يجب أن يتصل الشخص المشارك في فك السحر بأي شيء على الأرض. لذلك كانت شرائط الغابة شيئًا

خارقًا للعادة؛ فقد كانت تحل الرابطة بين الشخص وبين الأرض بشكل سحري، حتى يسري مفعول فك السحر معظم الوقت. خرج سبتيموس، وتوجه إلى حجرة الانتظار، ثم إلى غرفة المرضى. لوّحت روز له بود، فرد عليها بسرعة، فقد كان يشعر بالحرج، ثم ترك غرفة المرضى، وعاد إلى الممر وهو يقول في نفسه: «الدنيا لا تدور في فلكك وحدك، أيها الأناني».

لكن في ذلك اليوم، حين كان سبتيموس في برج السحرة، دارت الدنيا في فلكه وحده، سواء أكان أنانيًّا أم لا. إن عيد الميلاد الرابع عشر مناسبة خاصة لأي تلميذ؛ لأن العدد «14» هو ضعف العدد «7» السحري، وبطبيعة الحال كان جميع ساكني برج السحرة يريدون أن يتمنوا لسبتيموس عيد ميلاد سعيدًا، وبخاصة لأنه لم تكن هناك وليمة عيد ميلاد يتطلعون لحضورها ذلك المساء؛ فقد أحدث قرار سارة هيب بتواجد سبتيموس في القصر في ذلك اليوم اضطرابًا في برج السحرة.

مع ذلك، حين خرج سبتيموس لأداء بعض المهام الصباحية؛ مثل توصيل التعاويذ والتمائم المطلوبة لمختلف السحرة، أو البحث عن نظارة مفقودة، أو مساعدة أحد الموجودين في الطابق الرابع في فك تعويذة معقدة، شعر بنبرة حزن في أصواتهم حين تمنوا له عيد ميلاد سعيدًا. لقد اشتهر برج السحرة بالنميمة، ويبدو أن كل ساحر كان يعرف أن سبتيموس كان مقبلًا على أسبوعه المظلم؛ ذلك

الأسبوع الذي يفرق بين التلميذ العادي والتلميذ الخارق. كان كل هذا معروفًا رغم أن توقيت الأسبوع المظلم كان سريًّا. من ثم، لم يتمنَّ سكان البرج لـسبتيموس عيد ميلاد سعيدًا فحسب، بل صاحب هذه التهاني خالص تمنياتهم بعمر طويل مديد. وأثناء تجوله، أعطوه مجموعة من الهدايا المتنوعة، كلها مفتوحة بحسب تقاليد السحرة؛ حتى يتجنبوا إخفاء المخلوقات، وهي حيلة من حيل الظلام كانت قد سببت إزعاجًا لمارشا في الماضي. ومن الهدايا التي قبلها سبتيموس: زوج من جوارب الحظ الأرجوانية، وحقيبة مليئة بعلكة الموز التي تجدد نفسها، وثلاث فرش شعر مسحورة. لكن أغلب الهدايا كانت تعاويذ آمنة رفضها سبتيموس بأدب. أثناء هبوط سبتيموس الدرج تجاه برج السحرة؛ كي يؤدي آخر مهامه، شعر بتوتر من نبرة الحزن المصاحبة لأمنيات وتهاني عيد الميلاد. كان الأمر غريبًا؛ فقد شعر وكأن شخصًا مقربًا منه قد مات أو أوشك على الموت. مشى سبتيموس ببطء على الأرض السحرية الناعمة، وراح يقرأ البطاقات التي لم تحتوِ فقط على عبارة «عيد ميلاد سعيد أيها التلميذ». كانت تحتوي أيضًا على عبارة «انتبه لنفسك أيها التلميذ». تنهد سبتيموس؛ فقد كانت الأرض السحرية تقول نفس العبارة. طرق سبتيموس باب غرفة الساحر المناوب المبنية بجوار الأبواب الفضية الضخمة المؤدية إلى خارج برج السحرة، ففتحت له هيلدا جارد بيجون، وهي امرأة ترتدي ثياب مساعد الساحر الساطعة. ابتسم سبتيموس؛ فقد كان معجبًا بشخصية هيلدا جارد.

حيته هيلدا جارد قائلة: «عيد ميلاد سعيد».

«شكرًا».

«إنه يوم حافل؛ عيد ميلادك الرابع عشر. وهو عيد ميلاد الأميرة چينا أيضًا».

قال سبتيموس: «نعم» وهو يشعر بشيء من الذنب؛ لقد نسي إحضار هدية لچينا.

«السيدة أوفرستراند قالت: إننا سنقابلها في وقت لاحق، حين ينتصف اليوم تقريبًا. لكنها لم تبدُ سعيدة».

فقال سبتيموس وهو يفكر في سبب عدم إخبار چينا له بزيارتها لبرج السحرة: «مارشا ليست سعيدة بأي شيء الآن».

شعرت هيلدا جارد أن الأمور ليست على ما يرام. «إذن... هل تقضي يومًا طيبًا؟».

«حسنًا، نعم على ما أعتقد. لقد كنت في غرفة فك السحر للتو. أظن أنك سعيدة بأنك لست هناك الآن».

ابتسمت هيلدا جارد وقالت: «حقًّا. لكنها أدت وظيفتها. وستؤدي وظيفتها مع سايرا أيضًا. لا تقلق».

«أرجو هذا، لقد جئت لآخذ حذائي».

«حسنًا، انتظر لحظة». دخلت هيلدا جارد غرفة صغيرة وخرجت تحمل صندوقًا كُتبت عليه عبارة: «تيري تارسال. حسب

الموعد» بحروف ذهبية. لقد قام تيري مؤخرًا بتحديث صورته.
رفع سبتيموس الغطاء ونظر داخل الصندوق، وبدا عليه الارتياح.

«عظيم. لقد أصلح حذائي القديم. لقد هددت مارشا بأنها ستجعله يصنع زوجًا جديدًا أخضر برباط أرجواني».

فابتسمت هيلدا جارد وقالت: «يا إلهي. لن يكون جميلًا».

«لن يكون جميلًا على الإطلاق». ثم أعطته هيلدا جارد ظرفًا مبللًا ومجعدًا، وقالت: «هناك خطاب لك أيضًا».

نظر سبتيموس للخطاب، ولم يستطع التعرف على الخط، رغم أنه بدا مألوفًا بشكل غريب. لكنه سرعان ما عرف السبب. لقد كان الخط مزيجًا من خطه وخط والده.

قاطعت هيلدا جارد أفكاره وقالت: «سبتيموس».

«نعم».

«لا داعي أن أذكرك أن هذا سري للغاية، ولكن، حسنًا وددت أن أتمنى لك حظًّا سعيدًا وأنني سأفكر فيك».

«شكرًا لك يا هيلدا جارد. شيء طيب منكِ.

احمرت وجنتا هيلدا جارد قليلًا، ثم عادت إلى غرفة الساحر المناوب.

أما سبتيموس، فوضع الصندوق تحت ذراعه، وانطلق تجاه السلم الفضي الحلزوني، ممسكًا بالخطاب. وحين وصل إلى غرفته في الطابق الحادي والعشرين

في برج السحر أغلق الباب بإحكام، وفتح الخطاب وراح يقرأ ما ورد فيه:

عزيزي سبتيموس، أتمنى لك عيد ميلاد سعيدًا. أنا متوقع أن تندهش من استلامك خطابًا مني، لكنني أود أن أعتذر عما فعلته بك. ليس لدي عذر سوى أن أقول: إنني لم أكن أعي ما أفعل وقتئذ، وأعتقد أن علاقتي **بالظلام** قد أصابتني بالجنون. لكنني مسؤول عن هذا. وفي ليلة الاحتفال ببدء تدربك، ذهبت إلى **الظلام**، وهذا خطئي. أتمنى أن تسامحني يومًا ما. أعرف أنك متقدم في التدريب، وستحصل على الكثير من العلم والمعرفة. مع ذلك أرجو أن تسمح لأخيك الأكبر أن يسدي لك نصيحة: احترس من **الظلام**.

مع أطيب التمنيات.

سايمون هيب.

جلس سبتيموس على سريره وهو يزفر بصوت منخفض؛ فقد شعر بالفزع، فحتى سايمون كان يعرف أخبار أسبوعه الظلامي.

5

الهاربان

بينما راح سبتيموس يقرأ الخطاب، كان الرسول الذي قام بتسليمه يعاني من نوبة توتر أصابت قدميه بالبرودة؛ فرغم ارتداء لوسي جرينچ زوجين من الجـوارب المخططة التي اعتـادت ارتداءهـا في الشتاء، لم تشعر بأي تحسن أثناء خروجها عند الفجر من البوابة الشمالية، فقد كانت تحاول أن تستجمع شجاعتها لتعلـن لأمهـا عن حضورهـا. وصلت لوسـي إلى بـيـت حــارس البوابــة مبكــرًا.



كانت تريد التحدث مع أبيها أولًا قبل أن تخرج أمها له بكوب الكاكاو الصباحي؛ فرغم أنه كان يبدو قاسيًا، كانت لوسي تعلم أنه سيسعد برؤيتها. لقد أخبرت سايمون قبل أن تذهب أن أباها حنون، وأن أمها ستحتد عليها.

لكن خطة لوسي حادت عن مسارها، عندما ظهر أمامها فجأة كوخ صغير متداع بالقرب من بيت حارس البوابة بجوار الطريق المؤدي للجسر. فقد رأت لافتة تشير إلى أن هذا الكوخ هو مقهى لاجرينچ الذي كانت تنبعث منه رائحة حساء أمها الذي لا يُنسى - لسوء الحظ - مصحوبة بأصوات أمها وهي تطهو الطعام التي لا تستطيع أن تخطئها؛ سواء كان رنين أغطية القِدر الصغيرة، أو صوتها وهي تسب وتلعن، أو أصوات الارتطام أو التحطم. وقفت لوسي في الظلال تفكر فيما ستفعله. ولكن في النهاية، جعلتها رائحة الحساء الكريهة تتخذ قرارها. انتظرت لوسي حتى نظرت والدتها في إحدى القدور العميقة، ثم رفعت رأسها ومشت بسرعة مارة بمقهى لا جرينچ، حيث كانت السيدة جرينچ تفكر في ما إذا كان أحدهم سيلحظ الفأر الصغير الذي سقط ليلًا في القدر ومات مختنقًا، فلم تنظر إلى أعلى.

كان جرينچ رجلًا ممتلئ الجسم، حليق الشعر، يرتدي سترة جلدية ضيقة ومشحّمة. وكان يجلس في كوخ حارس البوابة

ليحتمي من الرياح الباردة التي تهب على الخندق، والأهم من ذلك أنه كان يحتمي من رائحة الحساء. لقد كان يومًا حافلًا، فكل سكان القلعة كانوا إما في آخر يوم لسوق التجار الذي استمر فترة أطول هذا العام، أو مشغولين بالاستعداد لاحتفالات «أطول ليلة» حين تُضاء الشموع أمام جميع نوافذ القلعة. أما جرينچ، فبجانب جمع الجمارك من بعض تجار الشمال الكسالى في بداية النهار، لم يكن هناك ما يفعله أفضل من تلميع بعض قطع النقود التي جمعها، وهي وظيفة تولاها بدلًا من زوجته التي صارت مهووسة بطهي الحساء كما كان يشكو دائمًا.

وحين نظر جرينچ إلى أعلى، أبصر شخصًا غريبًا لم يعرف في بادئ الأمر أنه ابنته. لقد ظن أن هذا الغريب سيعطيه المزيد من المال، ليضيفه إلى نقوده القليلة. في البداية لم يتعرف على ابنته، فقد كبرت الفتاة التي ظلت صغيرة، وربما صارت أصغر، في ذاكرة والدها المحب. نظرت لوسي إلى والدها بعينيها البنيتين الواسعتين، وابتسمت بتوتر. وحتى حين هتفت: «أبي!» وعيناها تدمعان، راح جرينچ ينظر إليها بذهول، حتى بدأ عقله المتجمد الضَجِر يعمل، فهبَّ واقفًا وضم لوسي بقوة، ورفعها إلى أعلى وصاح: «لوسي! لوسي! لوسي!»

شعرت لوسي براحة تسري داخلها، فسيكون كل شيء على ما يرام.

وبعد مرور ساعة، كانت لوسي جالسة مع والديها في الغرفة التي تعلو بيت حارس البوابة، بينما راح عامل الجسر يعتني بالجسر والحساء يعتني بنفسه. وكانت لوسي تعيد التفكير في رأيها؛ سيكون كل شيء على ما يرام فقط إذا توخت الحذر، ولم تحاول إغضاب والدتها كثيرًا.

كانت السيدة جرينچ تتحدث بحماس شديد وتروي للمرة الألف تلك القائمة الطويلة بأخطاء لوسي مثل: «هروبها مع ذلك الفتى البشع هيب، وعدم اهتمامها بوالديها، وغيابها لمدة عامين دون إرسال خطاب ..».

احتجت لوسي قائلة: «لقد أرسلت لكما خطابات، لكنكما لم تردا».

فقالت السيدة جرينچ بحدة: «هل تعتقدين أنه كان لدي وقت للرد على الخطابات؟ فلدي منزل أديره، وحساء أطهوه. إني أقوم بكل هذا بمفردي».

«لكن يا أمي..».

نظرت السيدة جرينچ إلى لوسي وزوجها بحدة. لقد أصبح زوجها، لسوء حظه، مدرجًا في قائمة أخطاء لوسي. تدخل السيد جرينچ بسرعة، وقال: «على رسلك يا عزيزتي. لقد كبرت لوسي الآن، وأصبح لديها اهتمامات أفضل من العيش مع والديها العجوزين».

فقالت والدتها بغضب: «عجوزين؟!».

«أنا لم أقصد.»..

«لا شك أنني أبدو عجوزًا؛ بسبب قلقي عليها. فمنذ كانت في الرابعة عشرة، ظلت تلاحق ذلك الفتى هيب، وتخرج معه سرًّا، بل تحاول الزواج به. إنها تزج بنا في متاعب كبيرة مع «أصحاب البيت» بحق السماء! وماذا كانت تفعل بعد أن نُعيدها بسبب طيبة قلوبنا؟ إنها تهرب مرة أخرى دون أن ترسل لنا حرفًا واحدًا!» أخرجت السيدة جرينچ منديلًا مغطى ببقع الحساء، وانخرطت في البكاء.

لم تتوقع لوسي أن يكون الأمر بهذا السوء، ونظرت إلى والدها الذي قال: «اعتذري».

«أ... أمي».

«ماذا؟» هكذا قالت الأم بصوت خشن.

«آ... آسفة». فنظرت السيدة جرينچ لأعلى وقالت بدهشة: «حقًّا؟»

«نعم. آسفة». «آه».

وراحت السيدة جرينچ تفرغ أنفها بصوت مرتفع.

«أبي. أمي. أنا وسايمون نريد الزواج».

فقالت أمها بنبرة اتهام: «ظننت أنكما قد فعلتما بالفعل».

فهزت لوسي رأسها وقالت: «لا. بعد أن هربت للبحث عن سايمون، وجدته.».. وهنا أحجمت لوسي عن قول «حيث».. كما تعودت أن تقول، وقالت: «حسنًا، بعد أن وجدته عرفت أنني أرغب في أن نتزوج بطريقة مناسبة. أريد لزفافي..».

«زفافك؟».

«نعم. هذا ما أريده. وأريد أن تحضري أنت وأبي، وكذلك والدا سايمون. وأريدكما أن تكونا سعيدين وراضيين عن هذه الزيجة».

فقالت السيدة جرينچ بمرارة: «سعيدين؟».

«أنصتي إليَّ يا أمي أرجوكِ. لقد عدت لأطلب حضورك وأبي زفافنا».

راحت الأم تفكر فيما قالت لوسي لبرهة، بينما راحت الفتاة وأبوها ينظران إليها بترقب. «أحقًّا تدعيننا لحضور زفافك؟».

«نعم يا أمي».

أخرجت لوسي بطاقة مجعدة عليها شريط أبيض من جيبها، وأعطتها للسيدة جرينچ التي راحت تنظر إليها بريبة. وفجأة هبت واقفة واحتضنت لوسي، وصاحت «ستتزوجين يا طفلتي!» ونظرت إلى جرينچ وقالت: «سأحتاج قبعة جديدة».

وفجأة سُمع صوت ارتطام حذاء على السلم المؤدي إلى الغرفة، ودخل عامل الجسر، وسأل: «ما هي رسوم عبور حصان؟».

بدا الضيق على جرينچ، وقال: «أنت تعلم الرسوم. لقد تركت لك القائمة. الحصان وسائقه ببنس من الفضة. الآن، اذهب وخُذ المال قبل أن يملوا ويمضوا لأن غبيًّا مثلك جاء يطرح أسئلة تافهة». فسأل الصبي بإلحاح: «لكن ماذا إن كان حصانًا فقط؟»

«ماذا؟ حصان هارب؟».

أومأ الصبي.

فقال جرينچ وهو ينظر إلى السماء: «حصّل من الحصان كل ما يحمله في حافظة نقوده، أو احتفظ بالحصان ريثما يأتي صاحبه ليلحق به. ما رأيك؟».

فقال الصبي: «لا أدري. لهذا أتيت لأسألك».

تنهد جرينچ تنهيدة طويلة، وقال وهو ينهض: «من الأفضل أن أذهب لأتدبر هذا الأمر».

فقالت لوسي: «سأساعدك يا أبي»؛ لأنها لم تكن تريد أن تُترك وحدها مع أمها.

فقال جرينچ: «هذه هي ابنتي!».

وجد لوسي وجرينچ حصانًا أسود مربوطًا بحلقة في سور بيت حارس البوابة. نظر الحصان إلى لوسي، ونظرت إليه وشهقت وقالت: «رعد!».

قال جرينج وهو ينظر إلى السحب: «كلا. يبدو أن الثلج سيسقط».

فقالت لوسي وهي تربت على شعر الحصان: «أقصد الحصان؛ إنه رعد، حصان سايمون». «إذنْ فهكذا أتيتِ هنا».

«لا يا أبي. لقد أخذت السفينة».

«حسنًا. لقد قلقت بعض الشيء. فليس عليه سرج أو أي شيء. ليس مأمون الركوب بهذا الشكل».

اعترت الدهشة لوسي، وراحت تربت على أنف الحصان، وراح الحصان يدفع أنفه تجاه كتفها. «مرحبًا يا رعد. ماذا تفعل هنا؟».

نظر رعد إليها. تمنت لوسي أن تفهم ما يدور بخلد الحصان. كان سايمون سيفهم؛ فقد كان سايمون والحصان يفهمان بعضهما. وفجأة فهمت لوسي: «لقد حدث شيء لسايمون، ورعد جاء ليخبرني!».

بدا القلق على جرينج، وراح يقول في نفسه: «المزيد من المتاعب. كانت زوجتي على حق. فمنذ قابلت لوسي هذا الصبي هيب، ظهرت المتاعب». ونظر لوجه ابنته القلق، وللمرة الألف تمنى لو كانت قد تعرفت على أحد أبناء القلعة اللطفاء المستقيمين.

وقال برقة: «حبيبتي لوسي. قد لا يكون رعد. هناك الكثير من الأحصنة السوداء في المنطقة. وحتى لو كان هو، لا يعني هذا أن مكروهًا قد حدث. ربما تكون صدفة، ربما يكون الحصان قد أفلت من زمامه، وجاء عبر المزارع ولم يستطع أحد سرقته، فاتجه نحو القلعة ووجدك الآن. إنها معجزة». بذل جرينج جهدًا كبيرًا

ليطمئن لوسي، وراح يبتسم ليشجعها. «اطمئني يا حبيبتي؛ سنبحث عن سرج وكل ما يلزم الحصان؛ كي تمتطيه وتعودي إلى الميناء؛ فهو أفضل من السفينة كريهة الرائحة على أية حال!».

ابتسمت لوسي بتردد. فقد كانت تود أن يكون كل شيء على ما يرام أيضًا.

قادت لوسي الحصان النافر إلى الإسطبل الملحق ببيت حارس البوابة، حيث وضعت له بعض التبن الطازج والماء، وغطته ببطانية الخيل، وربطته، وخرجت. حاول رعد أن يتبعها. لكن لوسي أغلقت النصف الأسفل من باب الإسطبل. أخرج رعد رأسه الضخم من باب الإسطبل العلوي المفتوح، ونظر إليها بعتاب.

همست: «أرجوك يا رعد، قل لي إن سايمون بخير».

لكن رعد لم يقل شيئًا.

وبعد بضع دقائق، نزلت السيدة جرينچ لتطمئن على الحساء، وحين وصلت، كانت لوسي تهرول مُسرعة نحو المنطقة المزدحمة المتاخمة لجدران القلعة. كانت السيدة جرينچ مقتنعة أن لوسي قد فرت هاربة مرة أخرى، فسارت ببطء نحو أقرب قدر، ودفعته بغضب، لكنها كانت مسرورة لأن الفأر قد سقط في ماسورة الصرف.

في تلك الأثناء، لم تكن لوسي تفر هاربة، ولكنها كانت في طريقها إلى الممر الذي يعلو جدران القلعة والمؤدي إلى البرج المُطل على البوابة الشرقية، حيث مكتب خدمة الفئران الرسل الذي يديره ستانلي وأبناؤه الأربعة، الذين كبروا الآن، وبعض أصدقائهم، ورفاقهم. وبينما كانت لوسي تسير بسرعة بمحاذاة الجدران، راحت تفكر فيما ستكتب لسايمون. لقد فكرت في رسائل متنوعة. وصلت لوسي إلى الباب الصغير لبرج البوابة الشرقية، وهي تلهث، وتوجهت إلى مكتب خدمة الفئران الرسل؛ إذ كانت قد قررت أن ترسل رسالة قصيرة، وبسيطة، ورخيصة كذلك هذا نصها: «رعد هنا. هل أنت بخير؟ أرجو الرد. (لو). قبلاتي».

وبعد مرور نصف ساعة، كان ستانلي قد ركب سفينة منتصف النهار. لم يكن واثقًا إذا كان يشعر بالزهو أم الضيق؛ لأن لوسي أصرت ألا تثق بأي فأر سواه في توصيل رسالتها. وبعد أن قضى ساعة في محاولة الاختباء في سلة سمك؛ لتجنب قطة السفينة، قرر أنه يشعر بالضيق. فهل قطع كل هذا الطريق إلى الرصيف كي ينقل نشرة أخبار الطقس؟ كما لاحظ للتو أن المُرسل إليه هو سايمون هيب أحد أفراد عائلة هيب التي تمارس السحر. لقد كان ستانلي يفكر بنفس طريقة السيدة جرينچ التي باتت تعتقد أن سحرة عائلة هيب لا يجلبون سوى المتاعب.

6

الاختيـار



أثناء بحث جرينچ عن أغراض الخيل، كان سبتيموس -على حد تعبير مارشا- في مؤتمر. لقد كان في غرفة جلوس مارشا، جالسًا على مقعد صغير بجوار المدفأة، واضعًا مفكرة التلاميذ الخاصة به ذات الغلاف الجلدي باللونين الذهبي والأزرق على ركبتيه. وكانت مفتوحة على الصفحة المعنونة: **الأسبوع الظلامي**.

لطالما خافت مارشا من **الأسبوع الظلامي**. رغم معرفتها أن **السحر** شديد القوة - الذي سيستخدمه

سبتيمــــوس فـــــي المرحلــة القادمــة مـــن تدريــبــه- يحتاج لبعض التواصل المباشر مع **الظلام**، إلا أن هذا كان يخيفها. كان بعض السحرة الأعظمين يتعاملون مع **الظلام** بكل أريحية، وكانوا يجيدون الحفاظ على التوازن الدقيق بين **السحر والظلام** (السحر الأبيض والسحر الأسود)، ويجيدون ضبطه كما يفعل المهندس الخبير بماكينة. وحين يفعلون هذا، كانوا يستغلون كل ذرة من ذرات سحرهم. لكن مارشا كانت تفضل استخدام أقل قدر من سحر الظلام، معتمدة في ذلك على قوة السحر الخاصة بها. من ثم، قد يعتبرها بعض المُدققين ممارس سحر غير متوازن، لكنهم لم يواجهوها بهذا قط. ومع ذلك، ففي الحقيقة كان معظم السحرة الأقوياء يستطيعون أن يحققوا هذا التوازن الرائع؛ وهذا هو الهدف من **الأسبوع الظلامي**. فالأسبوع الظلامي هو وقت يحصل التلميذ الخارق فيه على خبرة شخصية في **الظلام** تمكنه من اكتساب مهارة سحرية متناغمة مع الكون بأسره، بما فيه الظلام. كان لدى مارشا سبب آخر للتخوف من أسبوع سبتيموس الظلامي؛ فقد لاحظت مؤخرًا أن برج السحرة يتطلب سحرًا أكثر من المعتاد كي يسير بنظام تام. وكانت هناك سلسلة من الأعطال البسيطة: فقد توقف السلم لمدة يوم دون سبب، وبدأت الأرضيات تعرض رسالة غريبة ومضطربة. في الأسبوع الماضي، اضطُر السحرة لتعقيم المكان بالبخار؛ بسبب هجوم عدد كبير من عناكب

الظلام عليه، وقبلها بيوم، أعادت مارشا ضبط كلمة المرور الخاصة بالأبواب. لو كان الحدثان قد وقعا منفردين، لم تكن مارشا لتجزَع. فمن شأن تلك الأمور أن تحدث بين الحين والآخر. لكن التأثير التراكمي لهذه الأحداث جعلها عصبية. لهذا السبب، راحت تقول لتلميذها: «أعلم أن هذا اختيارك يا سبتيموس، لكنني كنت أُفضل ألا تبدأ **أسبوعك الظلامي** الآن».

جلست مارشا متململة في آخر الأريكة، فقد كان هناك رجل نحيل ذو ذقن مدبب جالسًا على جزء كبير من الأريكة، وقد لوى نفسه كالقطة النائمة، واستقرت أصابعه الطويلة الرشيقة على قطيفة الأريكة الناعمة التي كان لونها متباينًا بشكل واضح مع ردائه الأصفر وقبعته الطويلة التي كان يرتديها على رأسه، والتي كانت تشبه كومة من فطائر الدونتس المتناقصة بشكل مستمر. كان هذا الشخص الغريب النائم هو جيم ني الجني الخاص بسبتيموس الذي كان قد دخل في البيات الشتوي، فقد بدأ النوم منذ أربعة أسابيع عندما حدث الانقلاب الشتوي. كان يتنفس ببطء وانتظام، لكنه راح يُشخر من آن لآخر. لم تكن مارشا مرحبة بمشاركته لها أريكتها، لكنها كانت تفضل نوم جيم ني على يقظته. تجاهلت مارشا شخيره المفاجئ، وفتحت كتيب التلميذ وهو كتاب كبير وعتيق مغلف بجلد، كان لونه أخضر زاهيًا في الماضي. راحت تحاول وضعه بشكل متوازن على ركبتيها، وراحت تقلب أوراقه

النفيسة ببطء، حتى وجدت ما كانت تبحث عنه، فنظرت إلى النص المكتوب بحروف متشابكة بنظارتها الذهبية الصغيرة، وقالت: «من حُسن حظك أنك أصبحت تلميذًا في وقت كنت حرًّا فيه لاختيار متى تفعل هذا. لديك سبعة أسابيع بعد عيد منتصف الشتاء لتأخذ فيه أسبوعك الظلامي. أليس هذا صحيحًا يا مارسيلوس؟». كانت مارشا تحدق النظر فيه وتوجه الكلام إلى رجل يجلس قبالة سبتيموس في مقعد مستقيم، وتتحداه أن يعارضها. كانت هذه هي المرة الثانية التي تدعو فيها مارشا مارسيلوس باي إلى غرفتها في برج السحرة؛ لقد فعلت هذا إعمالًا لتقليد قديم؛ ففي الماضي، كان كيميائي القلعة (الوظيفة التي كان يشغلها مارسيلوس في يوم من الأيام) يُستشار بخصوص توقيت الأسبوع الظلامي. فالوقت الذي يذهب فيه التلميذ بمفرده إلى عالم الظلام وقت مهم، والكيميائيون مشهورون باتصالهم **بالظلام**، ناهيك عن هوسهم بالتوقيت الملائم. وكانت استشارة الكيميائي قد زالت بزوال الكيمياء من القلعة. لكن اليوم -وللمرة الأولى منذ مئات الأعوام- صار هناك كيميائيٌّ حقيقيٌّ هو مارسيلوس باي، وقد قررت مارشا إشراكه في النقاش بعد تفكير عميق. لكنها الآن نادمة على هذا القرار؛ فهناك شيء بداخلها أخبرها أنه سيسبب لها المتاعب.

بدا مارسيلوس باي متألقًا في ضوء نار المدفأة، فقد ارتدى سترة سوداء طويلة مصنوعة من القطيفة ومبطنة بالفراء، وهو ما أظهر مجموعة من الأربطة الذهبية الشديدة اللمعان. لكن أكثر شيء مميز به هو حذاؤه. كان حذاؤه طويلًا مدببًا، ومصنوعًا من الجلد الأحمر الناعم، وبه مجموعة من الأربطة الجلدية التي يبلغ طولها ثلاثة أقدام، وتنتهي بشرائط سوداء مربوطة أسفل ركبتيه؛ حتى لا يتعثر فيها بشكل دائم. إن اجتهد المشاهد أن يغض بصره عن حذائه للحظة، فسيرى أنه تحت شعره الداكن الممشط فوق جبهته - بطريقة قديمة الطراز - كان يرتدي أيضًا نظارة ذهبية صغيرة. كان مارسيلوس يحمل كتابًا أصغر من مجلد مارشا على ركبتيه، وكان هو مؤلف هذا الكتاب؛ وقد سماه: «أنا مارسيلوس».
راح مارسيلوس باي يراجع القسم الأخير بدقة وعنوانه:
الكتيب، قبل أن يجيب عن سؤال مارشا، وقال: «قد يكون هذا صحيحًا بالنسبة لتقويم التلاميذ... لكن...».

قاطعته مارشا بعصبية قائلة: «لكن ماذا؟».

سُمع صوت شخير عالٍ: «خخخخخخخخخخخخ».

«يا إلهي. ما هذا الضجيج؟».

« إنه جيم ني يا سيد باي. لقد أخبرتك من قبل أنه يُشخر. أتمنى أن تستمع».

«جيم ني؟».

«قلت لك: إنه الجني الخاص بسبتيموس. تجاهله. فهذا ما أفعله».

«نعم. حسنًا. كما كنت أقول قبل أن يُقاطعني، وطبقًا لكُتيبي الذي يحتوي على المزيد من التفاصيل الدقيقة والذي يساعد تلميذي في...» قالت مارشا بعصبية: «تعني تلميذك السابق؟».

رد مارسيلوس بعصبية مماثلة قائلًا: «أنا لم أُبطل عهوده يا مارشا؛ فأنا أعتبره تلميذي أيضًا».

انحرف مسار الحديث بشكل مزعج.

زجرته مارشا قائلة وقد رفضت أن ينحرف الحديث عن مساره: «لا معنى لهذه العهود، لم يكن لدى سبتيموس وقت ليصبح تلميذًا لك. فقد كان يتدرب على يدي».

رد مارسيلوس بابتسامة خفيفة جعلت مارشا تشعر بالاستياء قائلًا: «أظنه كان تلميذًا لي قبل أن يصبح تلميذًا لكِ؛ قبلها بخمسمائة عام».

فردت مارشا قائلة: «أما عن سبتيموس، فقد تتلمذ على يديك مؤخرًا. إن سبتيموس هو المهم؛ فهو سبب وجودنا معًا الآن، إذ تهمنا سلامته، أليس كذلك يا سيد باي؟».

قال مارسيلوس باي بتصنع: «نعم بالطبع».

«إذن دعني أكرر ما قلته في البداية -إذا كنت قد نسيت- لدى سبتيموس فرصة سبعة أسابيع يبدأ خلالها أسبوعه الظلامي، وأنا قلقة من ذهابه الليلة؛ فالليلة غير مقمرة كما أوضحت..».

قاطعها مارسيلوس قائلًا: «ليفعل ما يشاء».

«إنــــه يريد هذا لأنك اقترحته عليه يا سيد باي. لا تظن أنني لست أعلم. إذا بدأ سبتيموس **أسبوعــه الظــــلامي** الليلة، فسيكون في خطر أكبر من أية ليلة أخرى. من الأفضل أن ينتظر حتى يكتمل القمر خلال أسبوعين؛ فسيكون هذا أقل خطرًا عليه وعلى...» وهنا هدأ صوت مارشـــا؛ فقد كانت قلقة من بدء سبتيموس أسبوعـــه الظـــلامي في هذا التوقيت. فمن شأن هذا أن يخل بتوازن السحر في البرج بشكل أكبر. لكنها لم تشأ أن تصرح لمارسيلوس باي بمخاوفها، فلم يكن هذا من شأنه.

وهنا تساءل مارسيلوس بارتياب: «أقل خطرًا عليه وعلى ماذا؟». كان يعلم أن مارشـا تخفي شيئًا عنــه. فــردت مارشـــا: «لا يوجد ما تقلق منه يا مارسيلوس».

شعر مارسيلوس بالضيق، فأغلق كتابه بعنف، ونهض، وانحنى انحناءة تقليدية، وقال: «لقد أبديت رأيي كما طلبتِ أيتها الساحرة العظمى. آسف لأنه لم يلقَ قبولًا لديك، لكن دعيني أكرر كلامي: ليس ظلام القمر بالوقت المناسب لبدء سبتيموس أسبوعه الظلامي. لكنه مناسب؛ لأنه يرى ذلك كما فهمت. لقد بلغ الرابعة

عشرة اليوم على ما أعتقد». ابتسم مارسيلوس لسبتيموس وقال: «أعتقد أن الرابعة عشرة سن مناسبة لاتخاذ القرارات الخطيرة يا مارشا. أعتقد أنه يجبَ عليَّ احترام هذا. ليس لديَّ ما أُضيفه. طاب يومكما». انحنى مارسيلوس مرة أخرى، ولكن أطال الانحناء هذه المرة، ثم اتجه إلى الباب الأرجواني الكبير. هب سبتيموس واقفًا، وقال: «سأحضر لك السلم».

كان مارسيلوس يواجه مشكلة مع السلم؛ فحين وصل إلى غرفة مارشا، كان أشعث ومصابًا بالدوار.

اصطحب سبتيموس مارسيلوس باي عبر منبسط الدرج إلى السلم. في تلك الأثناء، راح مدرسه العجوز ينظر إلى الخلف؛ خشية أن تكون مارشا قد أرسلت وراءه مخلوقًا ليتنصت عليه، لكنه لم ير شيئًا، فقال لسبتيموس بصوت منخفض: «أرجو أن تفهم يا سبتيموس أنني لم أكن لأشير عليك بالذهاب إلى الظلام هذه المرة إذا لم يكن لديَّ شيء أعرف تمامًا أنه سيحميك». وهنا ثبت مارسيلوس عينيه البنيتين العميقتين على تلميذه. «ليس مهمًّا من تنحاز له؛ فأنا أهتم بك تمامًا كما تهتم السيدة أوفرستراند». احمر وجه سبتيموس قليلًا، وأومأ.

أردف مارسيلوس قائلًا: «لم أذكر هذا لمارشا؛ لأنني أعتقد أن هناك أشياء يجب أن تبقى سرًّا على مجتمع السحرة؛ فهم لا يكفون عن النميمة والثرثرة. ولكن، لكونك تلميذي في

الكيمياء، فالأمر مختلف؛ تعالَ إليَّ بعد الظهر؛ فهناك شيء سأعطيه لك». أومأ سبتيموس وقال: «شكرًا يا مارسيلوس. سأراك لاحقًا». رافق سبتيموس مارسيلوس حتى السلم، ثم قام بضبطه على وضع النزول ببطء، والذي يستخدمه السحرة المُسِنُّون والآباء الزائرون، وراح يراقب مارسيلوس باي الذي يبدو صغير السن - شكلًا فقط - وهو يختفي. ابتسم سبتيموس؛ فلم يظهر سن مارسيلوس على حقيقته إلا عن كثب. عاد سبتيموس إلى مكانه بجوار المدفأة، ليجلس مع مارشا في صمت لم يقطعه سوى كلام مارشا: «أنا لا أريد أن أخسر تلميذي. الأكثر من هذا يا سبتيموس هو أنني لا أريد أن أخسرك».

رد سبتيموس قائلًا: «لن تخسريني. أعدك بذلك».

ردت مارشا قائلة: «لا تعد بما لا تثق أنك ستفي به».

وفجأة ساد صمت قطعه شخير جيم ني: «خخخخخخخ!»

همهمت مارشا وهي تنظر إلى الجني بعصبية: «بحق السماء! أنا لم أشأ أن أقول هذا أمام السيد باي يا سبتيموس، لكنني قلقة بسبب الخلل الذي يتكرر في البرج. الذهاب إلى الظلام سلاح ذو حدين؛ فقد يفتح الباب للظلام ليأتي إلينا أيضًا».

قال سبتيموس: «أعلم هذا؛ لذا، فقد تدربت على تعاويذ التحصين طوال الأسبوع الماضي».

«نعم أعلم أنك فعلت. لـكنه خطر، وبخاصة حين يظلم القمر، أريدك أن تعيد التفكير في قرارك، وأن تذهب حين يكتمل القمر».

فقال سبتيموس: «لكن مارسيلوس يقول: إن هذا هو أفضل توقيت لاستعادة ألثر، بل قد تكون فرصتي الوحيدة».

فقالت مارشا بغضب: «ما الذي يعرفه مارسيلوس؟» ولكنها تعرف أن هذا ليس عدلًا. لذا قالت: «ألثر كان سيتفق معي».

رد سبتيموس بحسم: «كيف تعرفين ما يفكر فيه ألثر؟ أنت لا تعرفين ما إذا كان يستطيع التفكير مجددًا».

اعترضت مارشا وقالت: «لا تقل هذا يا سبتيموس، أنت لا تعلم كم أتمنى لو كنت أوقفت تعويذة النفي في الوقت المناسب. لا يمر عليَّ يوم لا أتذكر فيه تلك اللحظة الرهيبة، ثم لحظة إخبار أليس...» هزت مارشا رأسها، ولم تستطع الاستمرار في الكلام.

صمتا لبرهة، ثم قال سبتيموس: «مارشا؟».

«ماذا؟».

«تقولين دائمًا: إننا يجب أن يصدق بعضنا بعضًا القول؟».

«نعم».

جيم ني يُشخر: «خخخخخخ».

«أريد أن أسألك عن شيء، وأريد أن تصدقيني القول».

«سأفعل هذا بالطبعِ يا سبتيموس». بدا على مارشا الاستياء.

«لو كنتِ مكاني، وأتيحت لكِ هذه الفرصة لاستعادة ألثر، هل كنت ستنتهزينها؟».

«لكن ليست لديَّ فرصة. لقد ذهبت إلى الظلام من قبل، وهم يعرفونني. ليس هناك سبيل أن أذهب إلى الردهات المظلمة الآن».

نهض سبتيموس ووقف بجوار المدفأة؛ فقد شعر أنه في حاجة للوقوف، وقال وهو ينظر إلى مارشا: «لم تجيبي عن سؤالي».

ردت مارشا بهدوء قائلة: «آه.. أعتقد أنني لم أرد».

«إذن، لو كنتِ مكاني وأُتيحت لك هذه الفرصة، هل كنت ستنتهزينها؟».

تلا ذلك صمت لم يجرؤ شخير جيم ني على قطعه.

وأخيرًا.. ردت مارشا بهدوء قائلة: «نعم. أعتقد أنني كنت سأفعل».

فقال سبتيموس: «أشكرك. سأذهب ليلًا، عندما ينتصف الليل».

تنهدت مارشا وقالت: «حسنًا. سأبدأ في إعداد كل شيء». نهضت مارشا، وأخذت كتيب التلميذ، ومضت إلى مكتبها. وبعد مرور بضع دقائق، عادت حاملةً مفتاحًا حديديًّا كبيرًا مربوطًا في حبل أسود مصنوع من الجلد، وقالت: «من الأفضل أن تأخذه الآن قبل أن أغير رأيي، إنه مفتاح الزنزانة رقم واحد».

وضع سبتيموس المفتاح في جيبه السري. كان ثقيلًا ومزعجًا، وكان يفضل ألا يحمله بسبب وزنه، وكان سيسعد لو أنه لم يكن يحتاجه من الأساس، لكن ليجعل مارشا تشعر بالراحة، قال سبتيموس: «سأكون بخير. سآخذ شيئًا يحميني».

وهنا بدا على مارشا الاستياء الشديد، وقالت: «إذا كان هذا المارسيلوس باي قد وعدك بأي بدعة من بدع الكيمياء وادعى أنها ستحميك - لقد فعل، أليس كذلك؟- فلا تجرؤ على تصديق أن ذلك سيصنع أقل فرق يُذكر. لن يحدث هذا. كل ما سيحدث أنه سيعطيك شعورًا خادعًا بالأمان. فليست الكيمياء سوى خدع سحرة يا سبتيموس، كلام دون فعل. لم ينجح أي منها من قبل، بل هي هراء في هراء».

«لكنني متأكد يا مارشا أن مارسيلوس...».

«مارسيلوس! انسَ مارسيلوس. عليك أن تعتمد على قدراتك السحرية فحسب يا سبتيموس». نظرت مارشا في ساعتها وتنهدت: «لقد انتصف اليوم. وكأنني ليس لديَّ شيء أعمله سوى التعامل مع كيميائي متطفل. وفي أي وقت ستصل الأميرة الفضولية إلى بابي لتلقي عليَّ كلمة من ذلك الكتاب الصغير التعس وكتابته السخيفة. إنها مصدر إزعاج لكل ساحر أعظم. سأكون أحسن حالًا دون أعياد الميلاد الأربعة عشر».

قالت مارشا هذا وانطلقت إلى مكتبها.

لكن سبتيموس انتظر لبعض الوقت، وظل ينظر إلى النار، راغبًا في بعض الهدوء، لكن شخير جيم ني كان يقطعه. راح يفكر فيما قالته مارشا، وكان لديه شعور دفين أنها مخطئة في حق مارسيلوس؛ فليست كل الكيمياء هراء، وقد رأى ذلك بنفسه. لكنه كان يعلم أن مارشا لن توافقه الرأي. كان يعتقد أن التقدم نحو **الأسبوع الظلامي** أمر فظيع؛ لأنه كان يفرق بين الشخص وبين كل من يهتم بهم. لقد كان يرغب في الحصول على موافقة مارشا على ما سوف يفعله، لكنه هو الذي كان سيذهب إلى الظلام، وليست هي، وعليه أن يقوم بذلك بطريقته، لا بطريقتها.

شخر جيم ني: «خخخخخخخخ».

نهض سبتيموس، فقد حان وقت ذهابه إلى مارسيلوس.

7
حاملة الكتاب

قضت الأميرة الفضولية صباح عيد ميلاد رسمي بشكل غير عادي تمامًا مثل سبتيموس. ففي الساعة التاسعة بالضبط، راحت امرأة طويلة القامة، ترتدي ثياب القصر العتيقة لدرجة أن شرائطها الذهبية الطويلة كانت تتدلى من أكمامها، تطرق أبواب القصر. في ذلك الوقت، كان الساحر المناوب يتناول الإفطار، ففتحت سارة هيب الباب، وقالت بعصبية: «ماذا تريدين؟».

ردت المرأة بغطرسة قائلة: «أنا حاملة الكتاب». ودون أن تنتظر دعوة للدخول، دلفت إلى الداخل، لتملأ المكان برائحة النفتالين النفاذة وهبَّة من رائحة السمك.

فقالت سارة وهي تشير إلى منضدة كبيرة عليها كومة من العلب الملونة: «الهدايا على المنضدة. لن نفتحها حتى المساء».

لم تتجه حاملة الكتاب نحو المنضدة بأي شكل من الأشكال. كانت السيدة تفوق سارة طولًا، وزاد من طولها لفها شعرها الأبيض بشكل غير منظم على رأسها، وتثبيتها له بمجموعة غريبة الشكل من الأمشاط. نظرت المرأة إلى سارة نظرة تنم عن عدم الثقة وقالت: «لكنني حاملة الكتاب».

«أعرف. لقد قلتِ هذا للتو. هذا لطيف منكِ؛ فقد كانت چينا تهوى القراءة. ضعيه على المنضدة أرجوكِ. معذرة، فأنا مضطرة للذهاب». ثم قالت وهي تشير للأبواب التي كانت لا تزال مفتوحة على مصراعيها: «أنت تعرفين الطريق إلى الخارج».

فقالت المرأة بارتياب: «الطريق إلى الخارج؟ أنا لن أمضي. لقد جئت لأرى الأميرة. الآن، أيتها السيدة الطبية. أود أن تخبريها بحضوري». غمغمت سارة بغضب، لكن حضور چينا في الوقت المناسب حال دون ازدياد العداء.

قالت وهي تهرول مسرعة في الردهة الطويلة: «أمي! هل رأيتِ... آه!» توقفت چينا وحدقت في المرأة الطويلة المتغطرسة التي ترتدي زي القصر العتيق. لقد أعطت ثيابها بلونيها الأحمر والرمادي والشرائط الذهبية چينا إحساسًا غريبًا، ونقلتها إلى الأيام القليلة المرعبة التي قضتها في القصر في زمن الملكة إيثيلدريدا المخيف، فقالت بتلعثم: «م... من أنتِ؟».

انحنت حاملة الكتاب بأدب جم، مما جعل شرائطها الطويلة غير المتماسكة تتدلى برشاقة إلى الأرضية المُتربة.

همست المرأة: «صاحبة السمو. أود أن أقدم لكِ تهانيَّ المتواضعة بمناسبة تسلمك العهد. أنا حاملة الكتاب. آتي إليك كما سبق أن أتيت لأمك، وكما أتت أمي لأمها قبلها، وكما أتت أمها لأمها قبلها أيضًا، أتيت لأحضر لكِ الكتاب».

وهنا شعرت سارة أن چينا بحاجة لتفسير ما يحدث، فقالت: «لقد أحضرت لك كتابًا يا چينا. أليس هذا لطيفًا منها؟ قلت لها أن تضعه على المنضدة؛ لأننا لن نفتح الهدايا إلا مساءً».

التفتت حاملة الكتاب إلى سارة وقالت لها: «سيدتي. أرجو أن تلتزمي الصمت. ويمكنك أن تواصلي أعمالك أيًّا كانت». فقالت سارة: «اسمعي يا..». لكن چينا استوقفتها؛ فقد بدأت تفهم أن شيئًا مهمًّا يحدث.

وقالت: «اهدئي يا أمي. أعتقد أن هذه هي بعض أغراض الأميرة كما تعلمين». ثم التفتت إلى المرأة وقالت بنبرة الأمراء: «أشكرك يا حاملة الكتاب. أود أن أقدمك لأمي السيدة سارة هيب».

انحنت حاملة الكتاب بلا مبالاة، وقالت: «أعتذر يا سيدة هيب. ظننت من ثيابك أنك خادمة».

ردت سارة بغضب: «هناك الكثير من الأعمال التي تحتاج إلى من يؤديها هنا. تستطيعين التحدث إلى چينا في غرفة الجلوس إذا أردتِ الذهاب إلى مكان أكثر دفئًا. لقد أشعلت المدفأة لتوي». وهنا ذهبت سارة برأسها المرتفع وخصلات شعرها الصفراء تضرب بعضها بعضًا أثناء سيرها بخطى واسعة في الردهة الطويلة بحثًا عن سايلاس هيب.

نظرت حاملة الكتاب بغضب إلى سارة أثناء انصرافها، ولم يفارق التعبير وجهها حين التفتت إلى چينا، وقالت: «لن تتناسب غرفة الجلوس مع هذه المناسبة المهمة. جرت التقاليد على أن مراسم تسليم العهد تتم في غرفة العرش. هلا تقدمتِ على الطريق؟».

آخر مرة ذهبت فيها چينا إلى غرفة العرش كانت منذ خمسة أعوام في زمن الملكة إيثيلدريدا، إلا أن هذا اليوم لم يكن يحمل ذكرى طيبة. فقبل ذلك -أو بعده تحديدًا- لم تذهب إلى غرفة العرش سوى مرة واحدة، ولحسن الحظ لم تتذكرها. كان هذا قبل ذلك اليوم بأربعة عشر عامًا. في ذلك اليوم، أُطلقت النار على

والدتها الحقيقية الملكة سيريس وماتت. لقد أزعجتها فكرة الذهاب إلى غرفة العرش، وبخاصة في هذا اليوم تحديدًا.

وقالت ببرود: «إن غرفة العرش مغلقة؛ فأنا لا أستخدمها».

وهنا نظرت حاملة الكتاب إلى چينا لأول مرة بشيء من الرضا، وقالت: «أنت لا تستخدمينها بالطبع يا أميرتي. هذا هو ما يجب أن يحدث بالتحديد. أنت لم تحتاجيها حتى اليوم. لكن اليوم، وبمناسبة عيد ميلادك الرابع عشر، يحل اليوم الرسمي لاستلامك العهد. بحسب التقاليد، يتم هذا في غرفة العرش كما تعلمين». ابتسمت حاملة الكتاب لچينا كما لو كانتا تتبادلان المزحة عينها، تلك المزحة التي لم يكن أحد ليعرفها إلا إذا كان في نفس مستوى ذكائهما. كانت چينا قد تعرفت على فتيات مثلها في المدرسة، لكنهن لم يرقن لها. وهذا هو ما شعرت به تجاه حاملة الكتاب، وكانت على وشك الرد بغضب أنها لا تحفل بالمناسبة، وأنها لن تفتح غرفة العرش لأي شخص وبأية حال، فلم يكن المفتاح معها. لكن سايلاس ظهر. كانت چينا تشعر أنها بحاجة إليه.

قالت: «أبي» ضاربة بالأخلاق الملكية عرض الحائط بسبب توترها حين طُلب منها أن تفتح باب غرفة العرش. «مفتاح غرفة العرش ليس معنا. أليس كذلك يا أبي؟».

وهنا فاجأها سايلاس حين وضع يده في جيبه وأخرج منه مفتاحًا أحمر مرصعًا بالأحجار الحمراء، وقدمه لها بانحناءة

صغيرة. ضحكت چينا، وقالت وقد عزمت على ألا تأخذ المفتاح: «لست مضطرًّا للانحناء».

بدا سايلاس جادًّا إذ قال: «ربما أكون مُضطرًّا الآن. لقد بلغتِ الرابعة عشرة».

فقالت چينا وقد ساورها القلق: «أبي؟»، فماذا كان يحدث يا تُرى؟ بدا الأمر وكأن شيئًا يوشك على التغيُّر، ولم تكن ترغب في هذا.

بدا على سايلاس القلق وعدم الارتياح وقال: «أخبرتني مارشا الأسبوع الماضي عن... عنها». وأشار إلى حاملة الكتاب التي شعرت بإهانة بالغة. «وأعطتني المفتاح وقالت: إنه بدءًا من عيد ميلادك الرابع عشر قد تأتي اللحظة المناسبة في أي وقت».

ردت چينا بغضب قائلة: «مناسبة لماذا؟» فقد كانت تشعر بالاستياء حين يخطط الناس أشياء دون علمها ويتوقعون أن تنفذ هذه الخطط، ما ذكرها على الفور بعيد ميلادها العاشر حين أُخذت من عائلتها. وكالعادة، كانت مارشا هي المسئولة عما حدث.

قال سايلاس محاولًا استرضاءها: «أنت تعلمين السبب يا حبيبتي، حتى تتوجي ملكة، فقد كبرتِ الآن. لا يعني هذا أنك ستصبحين ملكة على الفور. لهذا السبب، أتت هذه المرأة»..

رمقت حاملة الكتاب سايلاس بنظرة حادة.

سعل سايلاس وقال: «أعني أن هذه السيدة الـ... المهمة جدًّا قد أتت اليوم. إنها حاملة الكتاب بالوراثة؛ وستتسلمينه، حسب التقاليد

في غرفة العرش». وهنا لمح سايلاس عيني چينا التي بدا عليها الغضب. «إنه شيء رمزي لـ... لما ستصبحينه في يوم من الأيام».

فتساءلت چينا قائلة: «لماذا لم تخبرني إذن؟ ولماذا لم تخبرني أمي؟».

بدا على سايلاس الاستياء، وقال: «لم أرغب أنا وأمك في تعكير صفو عيد ميلادك، فأنا أعرف شعورك تجاه غرفة العرش. آسف. كان عليَّ أن أخبرك».

تنهدت چينا وقالت: «حسنًا يا أبي. سأفعل هذا ما دمت ستساعدني في استخدام هذا المفتاح. أليس كذلك؟» ورمقت سايلاس بنظرة حادة ذات معنى.

«نعم. حسنًا. سآتي معكِ». اعترضت حاملة الكتاب وقالت: «هـذه مراسم خاصة، وليس من المناسب لأي من العامة حضورها». ردت چينا بغضب: «إنه والدي، وليس من العامة».

«ليس والدك».

قالت چينا بانفعال شديد: «حقًّا ليس والدي؟ إنه عيد ميلادي، وبالطبع لا تتوقعين أن يكون والدي هنا؟» أمسكت چينا بذراع سايلاس، وقالت: «هذا هو والدي. إنه هنا، وسيأتي معي». قالت چينا هذا، واصطحبت سايلاس، وراحا يصعدان إلى الطابق الأول ببطء ووقار. لم يكن أمام حاملة الكتاب سوى أن تتبعهما.

وصل سايلاس وچينا إلى الأبواب الخارجية المزدوجة المؤدية إلى غرفة العرش في وسط القصر. كانت الأبواب مغطاة برقائق ذهبية عتيقة، صارت بالية لدرجة تجعل الناظرين يرون اللون الأحمر أسفلها. رغم إعجاب چينا بمنظر الأبواب، فإنها لم تكن لديها النية لفتحها. «هلا فتحت يا أبي؟».

أومأ سايلاس ووضع المفتاح في القفل؛ ظنت چينا أنها قد رأت بصيصًا من السحر أو -على الأقل- كانت ترجو ذلك. حين أدار سايلاس المفتاح، لف نصف لفة وتوقف، فقال: «لقد انحشر. هلا حاولتِ يا چينا؟».

لكن المفتاح كان محشورًا تمامًا، الأمر الذي أشعر چينا بالراحة وقالت: «إنه محشور بالفعل».

بدت الريبة على وجه حاملة الكتاب.

فتساءلت چينا وهي تعطيها المفتاح: «هل تريدين المحاولة؟».

انتزعت المرأة المفتاح، ودفعته داخل القفل، وأدارته بعنف. رأت چينا أن السيدة كانت مصممة على تأدية مهمتها، وتمنت لو صمدت تعويذة سايلاس، وحدث هذا بالفعل. فبعد عدة محاولات يائسة من اللف والدوران العنيف، ولكز القفل، أعادت حاملة الكتاب المفتاح على مضض.

وتنهدت قائلة: «حسنًا. ستؤدي غرفة الخلوة الغرض».

أحجمت چينا عن سؤالها لماذا لم تقل هذا من البداية؛ لأنها كانت تعرف الرد مقدمًا؛ فحاملة الكتاب كانت تريد أن تستمتع ببهاء غرفة العرش. فقد قابلت چينا الكثيرين ممن كانوا على شاكلتها في قصر الملكة إيثيليدريدا، حيث تعلمت كيف تتعامل معهم.

كانت غرفة الخلوة هي المكان الخاص الذي ترتدي فيه الملكة ثياب المراسم وتعتزل فيه غرفة العرش إذا احتاجت إلى ذلك. ورغم ظلمتها واتساخها، كانت چينا تحب هذه الغرفة وتعتبرها مكانًا هادئًا يصلح لكي تعمل فيه.

سارت حاملة الكتاب خلف چينا إلى غرفة الخلوة، أما عن سايلاس، فقد اعتذر ومضى. في هذه المرة، لم تعترض چينا.

كانت غرفة الخلوة ضيقة وطويلة، ولها نافذة طويلة في نهايتها تطل على طريق السحرة. وفي الجانب الأيمن من الغرفة، توجد ستارة بالية تغطي الباب المؤدي إلى غرفة العرش. كان من المستحيل فتح هذا الباب؛ بسبب لوح عريض من الخشب كانت چينا قد ثبتته بالمسامير. كانت الغرفة باردة للغاية، لكن كانت هناك نار معدة في الموقد الصغير. أخذت چينا القداحة من فوق المدفأة، وأشعلت الأعشاب الجافة داخل الموقد. واستخدمت الشعلة في إضاءة الشموع كذلك، وسرعان ما التمعت الغرفة بضوء أصفر، وصارت أكثر دفئًا من ذي قبل.

جلست حاملة الكتاب متأففة قبالة مكتب صغير أسفل النافذة. أما عن چينا، فقد اختارت أحد المقاعد المريحة غير المتطابقة والذي كانت تستخدمه في الجلوس والقراءة. كان مقعدًا رثًّا باللونين الأحمر والذهبي، وعليه كومة من الوسائد، وله ساق متداعية، ودفعته بالقرب من النار.

قضت چينا ثلاث ساعات طويلة مملة، ولكن في النهاية، وقفت على باب القصر ترقب حاملة الكتاب تمضي في طريق القصر الخاصة، وشرائطها الذهبية ترفرف بفعل الرياح الباردة التي تهب على النهر. وأمسكت چينا بكتاب صغير أحمر عنوانه قواعد الملكة.

واتجهت على الفور إلى غرفة الخلوة، وأغلقت الباب وهي تشعر بالراحة بعد أن خلا المكان لها وحدها، ثم جذبت مقعدها ليكون أقرب إلى النار، وراحت تتطلع إلى كتابها الأحمر الصغير. لقد كان بالغ الرقة، وكان الجلد الأحمر الباهت الناعم الملمس يحمل لمسة أصابع والدتها، وجدتها، وجداتها قبلها. لقد أثار هذا الملمس القشعريرة في جسدها. وكانت الصفحات المحددة بإطار من الذهب مصنوعة من الورق الرقيق الذي كان شفافًا، لدرجة أن الطباعة كانت على صفحة واحدة فحسب. كانت الحروف غريبة، والكتابة بالغة الصغر ومملوءة بالدوائر والزخارف، ما جعل حاملة الكتاب

تقرؤه وتشرح محتواه لچينا في وقت طويل. أما الآن، وقد اختلت چينا بنفسها وكتابها، فقد انتقلت إلى الصفحة التي كانت تريد إعادة قراءتها بشدة:

صفحة البروتوكول: برج السحرة

(ملحوظة: يمكن استبدال «أ. م». بالملكة إن كان هذا مناسبًا)

وبعد درس خصوصي استغرق ثلاث ساعات، عرفت چينا أن «أ.م» تعني «الأميرة المرتقبة». وكان هناك قسمان استرعيا انتباه چينا:

القسم الأول: *حق المعرفة. يحق للأميرة المرتقبة أن تعرف كل شيء عن أمن القلعة والقصر وسلامتهما، وعلى الساحر الأعظم أو التلميذ الخارق - في غياب الساحر - أن يجيب عن أسئلتها كافة بصدق، وبشكل كامل ودون تأخير. ابتسمت چينا؛ فقد أعجبها ذلك، لكنها كانت تراهن أنه لم يرق لمارشا. فأعادت قراءة القسم الأول بعناية أكبر.*

القسم الثاني: *من حق الأميرة المرتقبة أن تقرر ما إذا كان الأمر يتعلق بأمن القصر. وفي حالة وصولها لهذا القرار، من حقها أن تزور الساحر الأعظم أو التلميذ الخارق؛ ليساعدها في أي وقت. تُعطي هذه الزيارة أولوية أكثر من أي شأن من شئون برج السحرة.*

قالت چينا في نفسها: «هه. يبدو أن سبتيموس لم يقرأ هذا».

وراحت تعيد قراءة الفقرة الثانية، وهي تبتسم للخطوط المرسومة باليد بالخط الأحمر الثقيل تحت كل من: **الأميرة المرتقبة، وفي أي وقت، وأي...** يبدو أنها لم تكن الأميرة الوحيدة التي تعاني من مثل هذه المشكلات. لقد أعجبها على الأخص العبارات المكتوبة أسفل الصفحة بخط مختلف، لكنه مستقيم وواضح: «السحرة قابلون للاستبدال. لكن الملكة لا تُستبدل». استقامت چينا في كرسيها كما تفعل القطة، ثم نهضت، وأخمدت النار، وأغلقت باب غرفة الخلوة، وتركتها كي تعود لسكونها السابق. وقررت أن تتوجه مباشرة إلى برج السحرة كي تتخذ بعض القرارات.. الآن.

وفي طريقها اصطدمت بسارة التي كانت تسير بسرعة في بهو الدخول برفقة بيلي بوت والطباخ، فسألت سارة: «هل رحلت دوللي؟».

«من؟».

«دوللي بينجل. إنها تعمل في متجر الأسماك المجاور للرصيف الجديد. كنت واثقة من أنني رأيتها من قبل. من الغريب أنها تبدو مختلفة تمامًا حين يُداهنها أحدهم وهي عاقدة شعرها بشبكة صيد.

قالت چينا وهي مندهشة: «أكانت دوللي بينجل هي من أحضرت الكتاب؟».

ردت سارة بابتسامة خبيثة: «نعم. دوللي تعلم تمامًا من أكون. أتوقع أن أجد بعض السمك الرخيص حين أذهب إلى هناك المرة القادمة».

8

الكيمياء



في طريقها خارج القصر، تذكرت چينا تمشيتها مع سبتيموس مساء الأمس. كانت الذكرى لا تزال تزعجها، حتى وهي تحمل قواعد الملكة في جيبها. لقد عاملها سبتيموس كما لو كانت طفلة مزعجة. وها هي لاتزال تلاحقه؛ وهو ما قد يعطيه الفرصة للتصرف بالطريقة عينها. لماذا تحتاج لرأيه فيما يحدث في عليَّة القصر؟ لم يكن الوحيد الذي يعرف مجريات الأمور؛ فهناك شخص آخر سيسعد بتقديم يد العون.

وبعد بضع دقائق، وصلت چينا إلى مكتب لاري لخدمات ترجمة اللغات الميتة. تنفست چينا بعمق، واستعدت للدخول. لم يكن لاري وچينا على وفاق مع بعضهما. لكنها لم تأخذ الأمور على محمل شخصي؛ فلم يكن لاري، على حد علمها، على وفاق مع أي شخص. لقد جعلها هذا تتعجب من قبول بيتل وظيفة ناسخ عند لاري. فحين انتقلت أمه للعيش في الميناء، انتقل هو أيضًا.

استجمعت چينا شجاعتها لاستقبال الملاحظات اللاذعة المصاحبة لدخولها، وراحت تدفع الباب بصعوبة - لقد كان الباب ثقيلًا للغاية، يبدو أن لاري كان يرحب بمجيء الناس إلى مكتبه! لكن الباب انفتح بسهولة غير معتادة، ما جعل چينا تندفع داخل المكتب، وتصطدم بكومة من المخطوطات التي وضعت عليها مزهرية طويلة غالية الثمن بعناية.

أتى صوت لاري الأجش من الرواق العلوي مصحوبًا بقفزة سريعة من بيتل لإنقاذ إناء الزينة قبل أن يسقط ويتحطم على الأرض، كما ساعد چينا على النهوض من الأرض وسألها: «هل أنتِ بخير؟».

أومأت چينا وهي تلهث.

أخذ بيتل بيد چينا واصطحبها إلى المكتبة وهو يقول بصوت مرتفع: «لقد انتهيت من الترجمات التي طلبتها أيتها الأميرة چينا. أتودين أن تلقي نظرة؟».

وحين ابتعدا عن مرمى أذني لاري، قال بيتل: «آسف جدًّا بشأن الباب. لم يكن لدي وقت لتحذيرك. لقد قام لاري بتشحيمه بعد ظهر الأمس ووضع الإناء فوق المخطوطات. ومنذ ذلك الحين، قبع في الرواق العلوي منتظرًا أن يحدث لكِ ما حدث للناس تمامًا. لقد اتهم ثلاثة بكسر الإناء، وأجبرهم على دفع ثمنه».

«ثلاثة؟».

«نعم. فكل مرة ينكسر الإناء، يقوم لاري بتجميعه ولصقه».

هزت چينا رأسها بارتباك، وقالت: «أنا لا أعرف ما سبب عملك هنا يا بيتل، ناهيك عن العيش هنا، وبخاصة بعد أن عرضت عليك مارشا أن تعمل في برج السحرة».

هز بيتل كتفيه وقال: «أنا أهوى المخطوطات العتيقة ولغاتها الغريبة، علاوة على أنني أتعلم أمورًا كثيرة. ستندهشين إذا رأيتِ ما يأتي به الناس إلى هنا. بالإضافة إلى أن السحر لا يستهويني، فسيصيبني برج السحرة بالجنون». أومأت چينا موافقة. فبرج السحرة سيصيبها بالجنون هي أيضًا، لكن العمل مع لاري يدفع للجنون كذلك.

وكأنه كان يقرأ أفكارها: قال بيتل: «وبعد العمل عند جيلي دجين لا أعتقد أن لاري بهذا السوء. ويستهويني العيش في طريق السحرة. فهو مثير. هل أحضر لكِ بعضًا من مشروب الفواكه الفوارة؟».

ابتسمت چينا وردت: «هل لديك منه بالشيكولاتة؟».

فرد بيتل وقد بدت عليه علامات الأسى: «آسف. إنه متوفر بنكهات الفاكهة فحسب».

أخرجت چينا من جيبها تميمة الشيكولاتة التي تعشقها، وقالت: «نستطيع تجربته بهذا».

فقال بيتل ببعض الشك: «حسنًا» ثم نادى على لاري وقال: «سآخذ الراحة الآن».

سمعت چينا صوتًا خشنًا يأتي من الرواق يقول: «عشر دقائق، لا أكثر». ثم تبعت بيتل إلى مطبخ شديد الاتساخ خلف المكتب.

قال بيتل وقد بدا عليه الإحراج: «عيد ميلاد سعيد. لدي شيء لكِ، لكنني لم أغلفه بعد؛ فلم أتوقع أن أراكِ قبل المساء».

«يا إلهي! ليس هذا سبب حضوري. أنا لم أتوقع أي شيء».

فقال بيتل بعد أن رأى نظرة چينا للمطبخ: «آه. آسف لكل هذه الفوضى. لاري يغضب حين أرتبه ويقول: إن العفن مفيد».

تساءلت چينا وهي تنظر إلى حقيبة بها ثمار جزر تفرز مخاطًا على الأرضية: «والمخاط أيضًا؟».

شعر بيتل بخزي وقال: «لنذهب إلى متجر الشطائر السحرية. لدي بعض الوقت». وبعد عشر دقائق -بعد أن رأت چينا بيتل الجديد والمقنع يخبر لاري بأنه قد حان وقت الغداء، وأن ذلك

سيستغرق ساعة كاملة- كان الاثنان يجلسان على منضدة صغيرة بجوار إحدى نوافذ متجر الشطائر السحرية الذي افتتح مقهاه العلوي الجديد. لقد كانا ثنائيًا رائعًا؛ فقد كان بيتل يرتدي سترة البحرية ذات اللونين الأزرق والذهبي، وكان شعره الأسود الكثيف مصففًا، لأول مرة، جيدًا. أما عن چينا، فقد راحت حلية رأسها الذهبية تتلألأ في ضوء الشمعة الصغيرة الموضوعة وسط كومة من الشمع على المنضدة. جلست چينا وقد لفت رداءها الأحمر ذا الأطراف المزينة بالفراء حول نفسها، فبدأت تشعر بالدفء قليلًا بعدما كانت تشعر به من برد بالخارج. أخذت تنظر بحماس في أنحاء الغرفة المطلية بألوان مبهجة ونوافذها المغطاة بالأبخرة. كانت تشعر بالراحة لأن أحدًا لم يكن ينظر إليها؛ فلم يكن أعضاء شركة الشطائر السحرية يؤمنون بالنظام الملكي وكانوا يتصرفون طبقًا لهذا. لقد شعرت أنها إنسانة عادية، وإنسانة راشدة دُعيت إلى الغداء. بل كان الأمر أفضل، فقد استعادت شعورها بالسعادة والبهجة لمجيء عيد ميلادها. سألها بيتل، وهو يعطيها قائمة الطعام المغطاة بصور للشطائر السحرية على هيئة نكات ورسوم ملونة دون أن تعطي أية فكرة عن محتويات الشطائر: «ماذا ستأكلين؟».

اختارت چينا كومة مثلثة من الشطائر الصغيرة المدعوة: البرج. أما بيتل، فقد اختار شطيرة كبيرة مكعبة الشكل اسمها: الكيمياء.

ثم أخذ القائمة، وذهب ليطلب الطعام، فلم يكن أصحاب مطعم الشطائر السحرية يؤمنون بتعيين المضيفين، وهو ما وفر الأجور. عاد بيتل وهو يحمل كوبين من مشروب سحري خاص يطلق عليه: المشروب الفوار قريب الشبه من مشروب الفواكه الفوارة، ثم وضع أمـام چينا مشروبًا لونه أخضر في وردي بتباهٍ.

وقال: «مشروب الفراولة بالنعناع. إنه جديد». فقالت چينا ببعض الخجل: «أشكرك». لقد كان خروجها مع بيتل مختلفًا عن وجودها معه في الأحوال العادية. ويبدو أن بيتل كان يشعر بالشيء عينه، فلبضع دقائق، تعمدا النظر من النافذة رغم عدم وجود ما يُرى باستثناء طريق السحرة المغطى بالثلوج، وبعض المارة الذين يهرولون بصندوق شموع استعدادًا لإضاءة أطول ليلة.

وأخيرًا نطقت چينا وقالت: «كنت أود أن أطلب منك شيئًا».

بدا السرور على بيتل ورد: «حقًّا؟».

«نعم. فقد طلبت شيئًا من سِب الليلة الماضية، لكنه لم يفعل أي شيء».

قلَّ سرور بيتل، لكن چينا لم تلاحظ، فأردفت قائلة: «لقد أصبح سِب غريب الأطوار. ألا توافقني الرأي؟ لقد طلبت منه بضع مرات، لكنه راح يعتذر بحجج واهية».

الآن شعر بيتل بعدم السرور. فقد بات يشعر بالضيق؛ لأنه الثاني في الحظوة بعد سبتيموس. لقد كان هذا أحد الأسباب في رفضه عرض مارشا بمنحه مكانًا في برج السحرة.

وهنا صاح أحدهم: «البرج والكيمياء!».

ذهب بيتل لإحضار الشطائر، تاركًا لدى چينا شعورًا غريبًا بأنها قالت شيئًا خاطئًا. ثم عاد حاملًا كومة من المثلثات المتمايلة ومكعبًا كبيرًا.

فصاحت چينا بفرح وقالت: «أشكرك». ثم تناولت أول مثلث وقضمته. كان مزيجًا شهيًّا من السمك المدخن والخيار المضاف إليه صلصة توابل الشطائر السحرية الشهيرة.

نظر بيتل لمكعبه الكبير بضيق؛ فقد كان قطعة خبز مصمتة مصنوعة من نصف رغيف بتسعة ثقوب يحتوي كل منها على نوع مختلف من المربى والصلصة، ويبرز من الثقب الأوسط خيط دخان. عرف بيتل على الفور أنه ارتكب خطأ، عرف ذلك حين شرع في تناول الشطيرة؛ فقد راح السائل اللزج يسيل على وجهه، ويقطر على المنضدة، ما جعله يبدو كالأطفال. لماذا لم يختر شيئًا أسهل من هذا؟

وراح يقطع الشطيرة المكعبة، فأخذ السائل اللزج يسيل في طبقه، ليكون بركة من الألوان. بدا على بيتل الخجل واحمرت وجنتاه. لقد كانت الشطيرة أزمة كبرى.

فسألها ليصرف نظرها عن الكارثة التي حدثت في طبقه: «حسنًا... ما هو الشيء الذي طلبته من سِب؟».

قالت چينا: «شيء ما يحدث في القصر، في العليَّة تحديدًا. ليس مسموحًا لأحد أن يصعد إلى العليَّة منذ أن أغلق أبي الغرفة. حتى أنا لا أستطيع الصعود. لكن، في بعض الأحيان، حين أكون في غرفتي أسمع وقع أقدام فوق رأسي».

قال بيتل وهو ينظر بضيق إلى شطيرته: «قد تكون الجرذان. فهناك بعض الجرذان الكبيرة بجوار النهر».

لكن چينا همست: «إنها أصوات أقدام بشرية».

فقال بيتل: «بعض الأشباح تقلد أصوات الأقدام. هذا أقل شيء يمكن لشبح أن يفعله. لديكم أشباح كثيرة في القصر».

هزت چينا رأسها. كان هذا ما يقوله سايلاس وسارة أيضًا. «لكن يا بيتل هنك من يصعد السلم... فالتراب يُظهر آثار الأقدام. ظننت أنها أمي؛ لأنها اعتادت التجول أثناء الليل حين لا تستطيع النوم؛ لكن حين سألتها عن الأمر قالت: إنها لم تستيقظ ليلًا منذ مدةٍ طويلة؛ لذا قررت الصعود ليلة أمس وإلقاء نظرة».

رفع بيتل عينيه عن الفوضى التي تشوه طبقه وقال: «ماذا رأيتِ؟».

أخبرت چينا بيتل بما حدث مساء الأمس. وحين أنهت حديثها، بدا على بيتل الذعر وقال: «ليس هذا جيدًا. يبدو أن المكان تعرض للغزو».

ارتبكت چينا وقالت: «غزو الصراصير أم ماذا؟».

«لا لم أقصد هذا النوع من الغزو. إن هذا ما اعتدنا تسميته في دار المخطوطات. لكنني أعتقد أن السحرة قد يطلقون عليه اسمًا مختلفًا».

«اسم لماذا؟».

وهنا خفض بيتل صوته؛ فلم يكن مستحبًّا أن يتحدث عن أي شيء يتعلق بالظلام في مكان عام. «حين ينتقل شيء من عالم الظلام إلى منزل أحدهم، إذن فهو يبدأ في إعداد..». وهنا نظر حوله للتأكد من عدم وجود من يتنصت: «..**منطقة مظلمة**». فارتعدت چينا؛ لأنها لم ترغب في سماع أي شيء عن هذا.

همست چينا: «وما هي المنطقة المظلمة؟».

«إنها مثل بركة ظلام ضبابية، بإمكانها أن تصبح أكثر قوة إذا لم يتم التخلص منها. إنها تتغذى على قوة الناس الذين تقوم بسلبهم إياها، خادعة إياهم بوعود بأشياء يتوقون إليها».

بدا الرعب على چينا، وسألت: «هل تعني أن هناك شيئًا مخيفًا في العليّة؟» فحتى الآن لم تكن تصدق هذا.

لكن بيتل رأى مما قصته چينا عليه أن هناك شيئًا كهذا فعلًا. «حسنًا. أعتقد أنك يجب أن تحضري مارشا لتلقي نظرة».

«لكن أمي ستغضب إذا طلبت من مارشا أن تحضر اليوم».

فكرت چينا للحظة، ثم قالت: «هلا أسديت لي نصيحة يا بيتل؟ إذا قلت إنه...» -وراحت تتلفت حولها- «ذلك الشيء، فسأذهب إلى مارشا. أعدك».

لم يستطع بيتل الرفض وقال: «حسنا».

ابتسمت چينا وقالت: «أشكرك يا بيتل».

أخرج بيتل ساعته القيمة، وقال: «لنرى؛ إذا حضرت في تمام الثالثة والنصف... سيكون لدي وقت لأخذ تعويذة أمان من مكتب التعاويذ في برج السحرة. سنكون في وضح النهار. فلا يجب أن تقتربي من هذا الشيء بعد حلول الظلام».

وهنا تذكرت چينا أن آخر مرة ساعدها فيها بيتل فقد وظيفته، فقالت: «ولكن ماذا عن لاري؟ وماذا عن وظيفتك؟».

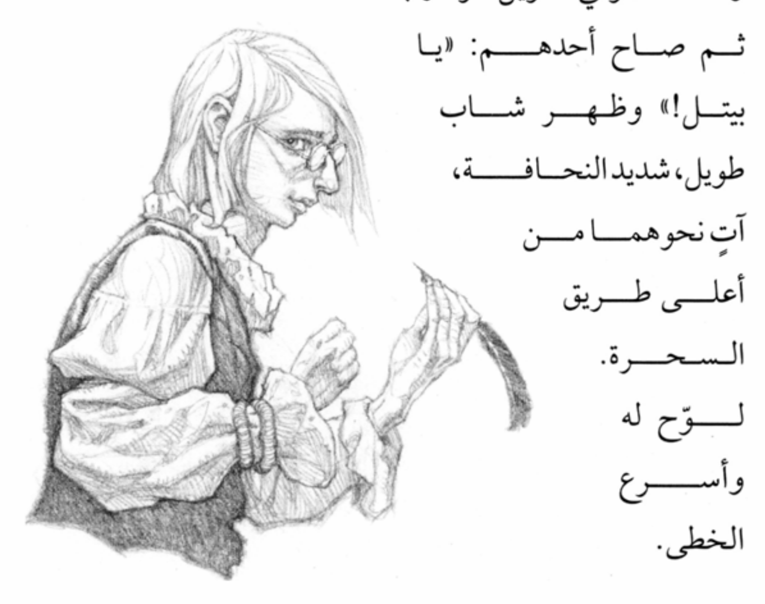
ابتسم بيتل وقال: «لا تقلقي. سأتصرف مع لاري؛ فهو مدين لي بوقت كثير. إنه ليس مثل جيلي دجين، فلا تقلقي بشأنه. الثالثة والنصف على بوابة القصر إذن».

«شكرًا لك يا بيتل. شكرًا لك». ثم نظرت چينا إلى الفوضى اللزجة في طبق بيتل والتي بدأت تفور بشكل مزعج، فدفعت بكومة شطائرها إلى وسط المائدة وقالت: «لنتقاسم الطعام؛ لا أستطيع أن آكل هذا كله».

9

التعويذة

خرج بيتل وچينا من دفء متجر الشطائر السحرية إلى برد طريق السحرة وعتمته. زرر بيتل سترته، ولف وشاحه الصوفي الطويل حول رقبته، ثم صاح أحدهم: «يا بيتل!» وظهر شاب طويل، شديد النحافة، آتٍ نحوهما من أعلى طريق السحرة. لوّح له وأسرع الخطى.



قال الشاب وهو يلهث: «صباح الخير أيتها الأميرة چينا» وانحنى، فشعرت چينا بالحرج.

قال بيتل: «أهلًا فوكسي».

رد فوكسي: «أهلًا بيتل» وهو يضرب الأرض بقدميه ويفرك يديه. كان أنفه الطويل المدبب يلمع كمثلث أحمر براق مثبت في ذقنه، ووجهه شاحب، وأسنانه تصطك ببعضها. بدت عليه البرودة في سترة الكتبة الرمادية التي كان يرتديها وقال: «هل لديك شطيرة سجق؟»

فهز بيتل رأسه وقال: «ليس اليوم يا فوكسي. لا بد أن أذهب لآتي بتعويذة أمان من برج السحرة».

ابتسم فوكسي، مما جعل أسنانه المدببة إلى حد ما تلمع في ضوء متجر الشطائر السحرية الدافئ: «لا تذهب إلى المسابقة، فأنت تتحدث إلى رئيس كتبة التعاويذ».

«منذ متى؟».

رد فوكسي بابتسامة تشبه تمامًا ابتسامة رئيسته السيدة جيلي دجين رئيسة كتبة النصوص الهرمسية قائلًا: «تحديدًا منذ التاسعة إلا عشر دقائق من صباح اليوم».

فقال بيتل: «رائع. أهنئك».

«في حالة موافقتك يا سيد بيتل، سيشرفني أن تكلفني بأول مهمة».

فابتسم بيتل وقال: «ليكن».

«هلا أنهينا الإجراءات الرسمية أولًا؟».

قال بيتل وقد بدا عليه عدم الارتياح: «في الحقيقة يا فوكسي، أنا لا أريد أن أدخل دار المخطوطات».

«لسنا بحاجة إلى ذلك؛ فاعتبارًا من الآن، وبحكم سلطتي كرئيس كتبة التعاويذ، أستطيع البدء في تشغيل خدمة دار المخطوطات للتعاويذ المتنقلة للمرة الأولى». وهنا أخرج فوكسي من جيبه ما اعتبره بيتل كتيبًا عاديًّا من كتيبات دار المخطوطات، وأخرج القلم من جيب فيه وقال: «حسنًا. سأطرح عليك بضعة أسئلة؛ كي أضمن لك الحصول على أفضل تعاويذ الأمان. فلسنا كبرج السحرة، ولا نتبع سياسة «واحد يناسب الكل»؛ فنحن نعد تعاويذ مخصصة لاحتياجك. هل تريد تعويذة داخلية أم خارجية؟».

فرد بيتل، وقد أدهشته ثرثرة البائعين التي يتبعها فوكسي: «داخلية».

«إلى أعلى أم إلى أسفل؟».

«ماذا تعني؟» «لا أعرف. لكن هذا يبدو سؤالًا جيدًا على أية حال؟».

فضحك بيتل: وقال: «فوكسي! لقد اعتقدت للحظة أنك تعرف ما تفعله».

فاحتج فوكسي وقال: «بل أنا أعرف ما أفعله. كنت أحاول أن أجعل الأمر أكثر إثارة فحسب. كل ما أحتاج أن أعرفه هو أنها تعويذة داخلية». فسأله بيتل: «ماذا عن قوتها؟».

قال فوكسي: «لقد نسيت هذا. صغيرة، أم متوسطة، أم كبيرة... كلا. ليس هذا ما أعنيه».

ساعده بيتل قائلًا: «ضعيفة، أم متوسطة، أم قوية؟».

«نعم هذا هو ما أعنيه، ماذا تريد؟».

نظر بيتل إلى چينا التي قالت: «أقصى قوة، على سبيل الاحتياط».

«ليكن. لنر هذا. التوصيل إلى مكان العمل خلال ساعة. هل هذا مناسب؟».

«شكرًا. اسأل عني فحسب، وقل: إنك حضرت بشأن العمل».

«سأفعل يا «بيت». ستحضر لي شطيرة السجق غدًا إذن؟».

«نعم. أراك لاحقًا يا «فوكسو»».

قال فوكسي هذا، ومضى نحو باب متجر الشطائر السحرية المتعدد الألوان، وبدا كطائر بلشون كبير يتلمس طريقه بين المستنقعات. وبعد مرور عشر دقائق، كانت چينا تتجول في سوق تجار الشمال، إذ كانت تبحث عن هدية لطيفة تقدمها لسبتيموس في عيد ميلاده. كما كانت تحاول تجنب الوصول إلى المنزل قبل موعدها مع بيتل. كانت چينا تعلم أنها إذا وصلت القصر، ستقابل سارة التي ستفتح معها حوارًا آخر عن خطابات سايمون. فبعكس سارة هيب، كانت چينا قد قرأت الخطاب الذي أرسله سايمون

مرة واحدة، ثم تركته مكومًا على أرضية غرفتها، وحين سألتها سارة عما كتب لها، ردت بجفاء، ثم اعتذرت.

في كل عام اعتاد سكان القلعة أن يتوافدوا على السوق التجاري لتخزين مؤن الشتاء من أقمشة صوفية، وشموع، ومصابيح، وأسماك مملحة، ولحوم وفواكه مجففة، وفراء وجلود خراف قبل هبوب الصقيع العظيم وعزله في القلعة لمدة ستة أسابيع. وهناك أيضًا كان الناس يتناولون الفطائر الساخنة، والمكسرات المشوية، والكعك المقرمش، ويشربون كميات هائلة من المشروبات الدافئة المُبهرة المبيعة بأثمان زهيدة. وحين كانوا يرهقون من التسوق، كانوا يجلسون لمشاهدة البهلوانات، وراقصي النار، ولاعبي الأكروبات وهم يلعبون في الفناء المحاط بالأحبال أمام المكتب التجاري.

وبالرغم من أن هذا قد يبدو فوضويًّا، إلا أن السوق كان منظمًا؛ فقد كان التجار يتبعون قواعد صارمة، وكان يتم توزيعهم على أماكنهم طبقًا لمنظومة تراخيص صارمة، وكان السوق مقسمًا إلى أقسام طبقًا لنوع البضائع المبيعة. كان سوق تجار الشمال بوجه عام منظمًا، لكن اليوم الأخير كان دائمًا شديد الفوضى، وكان السوق مزدحمًا. وراحت جموع الناس تتوافد من قاعة عرض إلى أخرى؛ للفوز بالصفقات الرابحة وشراء بضائع لا يحتاجون لها، بل لمجرد أنهم قد يحتاجونها يومًا ما، وليغتنموا آخر فرصة قبل عيد منتصف الشتاء لشراء الهدايا. كان تجار الشمال

طوال القامة وذوو العيون الباهتة ينادون على سلعهم بأعلى صوتهم، محاولين بيع بقايا السلع التي لا يريد أحد شراءها حتى الآن. كانت العجلة البادية على أصواتهم المرتفعة تحدث ضجيجًا، وتذكر الناس بأن عيد منتصف الشتاء على الأبواب، وأن الصقيع العظيم على وشك الهبوب. إن چينا قد اعتادت الذهاب إلى قسم الحرف الفنية المعروف باسم طريق الصُّناع كل سنين حياتها ما عدا واحدة؛ تلك السنة التي بلغت فيها العاشرة. وكان هذا القسم جديدًا نوعًا ما، يمتد خارج المساحة الرسمية للسوق، وينتشر بعشوائية على الطريق وحول الدائرة الكبيرة الممهدة بالطوب في نهاية طريق الاحتفالات. وحين كبرت چينا، اعتادت التجول في طريق الصُّناع لتتخيل قائمة الهدايا التي ترغب في الحصول عليها في عيد ميلادها، والتي قلما حصلت عليها، غير أنها لم تتخل عن لذة الحُلم. أما في هذه السنة، لم تجد چينا أي شيء لطيف لتعطيه لسبتيموس في السوق الرئيسي، فقررت أن تتجه إلى طريق الصُّناع لآخر مرة. وبينما كانت تشق طريقها نحوه، عابرة منطقة الفراء والجلود الجاهزة حيث اشتمت رائحة فراء الفوريكس - وهو حيوان يشبه الثعلب - لاحظت چينا بامتعاض أن احترام أهل القلعة للأميرة لم ينطبق على السوق.

وأخيرًا.. وصلت چينا إلى طريق الصناع الزكي الرائحة، وراحت تتجول فيه، وتبحث في الأكشاك، وقد استعادت ذلك الشعور القديم بالتشوق لعيد الميلاد. ورغم دورانها مرتين حول الدائرة، لم تجد چينا شيئًا مرحًا تهديه لسبتيموس؛ غير أنها كانت تشك في أن ذلك يرجع إلى شعورها نحو سبتيموس أكثر من رأيها في البضائع المعروضة. فقررت أن تتوجه إلى كشكها المفضل الذي يبيع الحُلي الفضية وتعاويذ وتمائم الحظ بجوار كوخ حسابات طريق الصناع.

كان المتجر ملكًا لصوفي بارلي صانعة الحُلي الموهوبة. كان طريق الصناع يتميز عن باقي السوق بتوفيره أكشاكًا تجارية لغير سكان الشمال؛ فقد كان معظم ملاكها من سكان الميناء، وكان سكان القلعة يفضلون الشراء من السوق على البيع فيه. وبدلًا من أن ترى چينا وجه صوفي البشوش، فوجئت بثلاث سيدات غريبات يستقبلنها بملابسهن السوداء. وخلف الكشك، كانت هناك امرأة مسنة تجلس على أريكة، وقد كست وجهها مساحيق التجميل البيضاء بكثافة، وكانت عيناها مغمضتين، وكان هناك شخص بجسد نحيل يحرسها وهو ملفوف

في عباءة سوداء ملطخة بالطين بغطاء رأس كبير. وهنا سمعت چينا أحدهم يهمس بانفعال من أسفل غطاء الرأس: «إنها الأميرة!». وردت أكثر السيدات شراسة في الكشك قائلة: «اتركي لي هذا أيتها الحمقاء». يبدو أنها كانت رئيستهم، ولمحت چينا في عينيها نظرة بغيضة حين التفتت إليها قائلة: «أتريدينني أن أساعدك؟».

أما عن المرأتين الأخريين، فكانت إحداهما امرأة نحيلة ذات شعر ملفوف على هيئة سنبلة، والثانية امرأة بدينة وقصيرة ذات ثياب مبقعة. وكانتا تلكزان بعضهما وتتضاحكان خلف ظهر رئيستهما.

لكن آخر شيء كانت چينا تريده هو المساعدة. فقد اعتادت صوفي على إعطائها حرية البحث، وتجربة أي شيء يعجبها، علاوة على أنها لم تكن تخطف من يدها أول شيء تختاره، وتقول: «ثمنه نصف كرونة. وليس لدينا فكة. لفيه يا دافني». فقد كان هذا ما فعلته الرئيسة ذات النظرة المرعبة حين التقطت چينا قلادة فضية رقيقة على هيئة قلب بأجنحة صغيرة من علبتها المصنوعة من القطيفة. اعترضت چينا قائلة: «لكنني لا أريد شراءها».

«لماذا أخذتها إذن؟».

«لقد رغبت في إلقاء نظرة فحسب».

«تستطيعين إلقاء نظرة دون رفعها من على المنضدة. ستدفعين مصاريف إضافية على الإمساك بالبضائع».

فحدقت چينا في المرأة التي كانت واثقة في أنها قد رأتها وصاحبتيها في مكان ما قبل ذلك، وسألتها: «أين صوفي؟».

«من؟».

«صوفي. صوفي بارلي. إنه كشكها. أين هي؟».

وهنا كشفت المديرة عن صف من الأسنان الداكنة، وقالت: «لم تستطع الحضور. إنها... إنها مشغولة بعض الشيء».

وراحت صاحبتاها تتضاحكان بشكل كريه.

أما چينا فقد همت بالتحرك بعيدًا عن الكشك، لم تكن المجوهرات تبدو جميلة دون وجود صوفي.

وهنا هتف صوت عالٍ قائلًا: «انتظري دقيقة!» فتوقفت چينا والتفتت لمصدر الصوت. «لدينا بعض التمائم والتعاويذ اللطيفة. ولن تدفعي المزيد من المال على الإمساك بها، أليس كذلك؟».

«اخرسي يا دوريندا!». وهنا لفت المديرة ذات النظرة المرعبة، وحملقت في الشخص الواقف بجوار السيدة المسنة. «سأتولى أنا هذا». ثم التفت الرئيسة إلى چينا، وارتعشت شفتاها وأدركت چينا أنها تقصد الابتسام، وقالت: «لدينا تشكيلة جديدة من التمائم والتعاويذ اللطيفة للغاية أيتها الأميرة».

تلا ذلك غمغمة غريبة ظنتها چينا ضحكًا، لكن على الأرجح كانت المرأة تختنق، لم يكن الأمر واضحًا.

أشارت الرئيسة إلى صندوقين خشبيين صغيرين في واجهة الكشك. فنظرت چينا إليهما باهتمام؛ فقد كانا مختلفين عن باقي حُلي صوفي. فعلى جانبي كل صندوق، كان توجد حلية على شكل طائر صغير يلمع ببريق أخضر في أزرق يشبه بريق الطيور البحرية التي كانت چينا تحب مشاهدتها من نافذة منزلهم في العشوائيات، فانبهرت بهما رغمًا عنها. وحملقت في ريش الطيور الذي كان شديد الصغر لدرجة جعلتها تعتقد أنه حقيقي، ومدت أصبعها بتردد؛ لتتحسس ريش أحد الطيور، ثم سحبت يدها فجأة وكأن شيئًا قد عضها. لقد كان الطائر حقيقيًّا، وكان ناعمًا، ودافئًا، ويلهث من الخوف.

وهنا قفزت المرأة المسنة من مقعدها، فاتحة عينيها كالدمية، وهمت بالوقوف، وولولت: «أمسكي بالطائر يا عزيزتي».

تراجعت چينا إلى الخلف وهزت رأسها. بينما استدارت رئيستهم ذات النظرة المرعبة وحملقت في المرأة المسنة والشرر يتطاير من عينيها، وصاحت: «ألم أقل لك اتركي الأمر لي؟ أيتها الحمقاء!».

وهنا أطلق الشخص النحيل الذي يغطي رأسه صرخة فزع.

لم تكن المرأة عاجزة كما تصورت چينا؛ فقد نهضت من أريكتها متوعدة وموجهة أصبعها الطويل المتسخ إلى الرئيسة، وقالت بصوت يشبه فحيح الثعابين: «إياكِ أن تحدثيني بهذا الأسلوب مرة أخرى».

شحب وجه الرئيسة كوجه المرأة المسنة المُبيض بالمساحيق وقالت: «آسفة أيتها السا...». وهنا توقفت بسرعة، ثم همهمت: «آسفة».

وفجأة أدركت چينا من هم أصحاب الكشك وصاحت: «إنكن.»..

فمالت الرئيسة ذات النظرة المرعبة وحملقت فيها، وقالت بتحدٍّ: «نعم. ماذا؟».

فأحجمت چينا عن الرد وقول: إنهن من عصبة ساحرات الميناء، وقالت بصوت ضعيف: «لستن لطيفات». ثم أسرعت بالخروج، تاركة الساحرات الخمس يقهقهن بصوت مرتفع.

راحت ساحرة الميناء ترقب چينا وهي تختفي في الزحام.

قالت المرأة البدينة ذات الثوب المتسخ بتجهم: «كنت أعلم أننا لن ننجح في ذلك يا دافني، فمن الصعب الإمساك بالأميرات.

لقد حاولت عصبة ويندرون ولم ينجحن في الإمساك بها».

فقالت ليندا الرئيسة ذات النظرة الشريرة بتذمر: «الأخوات ويندرون حمقاوات. يجب أن يتعلمن بعض الدروس. وأنا أتطلع لتلقينهن هذه الدروس». ثم ضحكت ضحكة بشعة.

تلا ذلك صرخة احتجاج صدرت من الشخص صاحب غطاء الرأس الجالس بجوار المرأة المسنة التي كانت ـ بالطبع ـ الساحرة الأم لعصبة ساحرات الميناء: «لكنها لم تأخذ الطائر. لم تأخذ الطائر!».

زمجرت ليندا: «وأنتِ لا تريدين أن تخرسي يا دوريندا، لكن على كل حال لا يهم. لقد لمست الطائر. أليس كذلك؟».

مالت ليندا على الطائرين وأخذت نفسًا عميقًا، ثم زفرت زفرة أخرجت ما يشبه سحابة من الدخان الرمادي حول الطائرين، استقرت السحابة فوق الصندوقين الصغيرين، واجتمعت الساحرات لمشاهدة ما يحدث. وبعد بضع لحظات، سُمعت رفرفة، وطار طائران ملونان شديدا الصغر من الصندوقين. وانطلقت ليندا بسرعة القطة، وأمسكت بهما كل في يد بنشوة، فبدى الانبهار على الساحرات الأخريات.

ثم أخرجت ليندا شيئًا من داخل ثيابها الرثة كان عبارة عن قفص فضي يعادل جميع حُلي المتجر جمالًا. فتحت ليندا القفص من أسفل، ثم فتحت يدها اليمنى ووضعت القفص فوق الطائر المذعور، ودفعته إلى داخل القفص الذي كان محكم الغلق رغم صغر حجم الطائر. ثم قلبت ليندا القفص رأسًا على عقب، وأغلقت أرضيته، ورفعته إلى أعلى، وعلقته في السلسلة الفضية،

مما جعله يبدو كقلادة ساحرة. راح الطائر يومض بخوف وهو داخل القفص.

قالت ليندا للساحرات: «رهينة» فأومأن بانبهار وهن خائفات بعض الشيء من ليندا كعادتهن.

رفعت ليندا قبضتها الأخرى نحو القفص، ثم فتحتها ببطء حيث كان الطائر الآخر يرتعش، وأصدر سقسقة يائسة حين رأى القفص ثم لاذ بالصمت. رفعت ليندا الطائر، ونظرت إليه وراحت تهمهم بصوت ذي نبرة تهديد رتيبة منخفضة. وقف الطائر على كفها، وقد اعتراه الذهول. وحين انتهت ليندا من تلاوة ذلك الشيء المخيف، طار الطائر ورفرف بجناحيه وهو ينظر إلى القفص المعلق في رقبة ليندا القذرة، ثم أشارت ليندا بأصبعها ذي الظفر الطويل إلى الطائر الصغير ذي الريش الأزرق في أخضر فاختفى. لقد راح يطير في طريق غير معروف دون أن يراه أحد وراح يتبع چينا أثناء عودتها إلى القصر.

وهنا أطلقت ليندا تعليقًا لاذعًا وقالت: «طيور الحب! الحب. أي هراء!». ثم ضحكت وقالت: «لكنه هراء نافع على أي حال. فلازلت أحتفظ بالطائر في قبضة يدي». وفتحت قبضتها الخاوية وأغلقتها بسرعة. «والأميرة أيضًا».

IO

الطابق العلوي

حين وصلت چينا والطائر الخفي إلى بوابة القصر كان بيتل أيضًا قد وصل معها، وكان يبدو مضطربًا.

وقال وهو يزفر: «ظننت أنني سأتأخر. فوكسي ... يصبح **رئيس كتبة التعاويذ**. لا أصدق».

قالت چينا متعجبة: «أتعني أنه ليس كذلك؟».

«حسنًا. سيصبح كذلك فقط إن سمحت له جيلي دجين. قال فوكسي حين عاد: إنها أخذت جميع التمائم **والتعاويذ** إلى الغرفة الهرمسية كي تجردها ثم تخزنها ولن تسمح لأحد بأخذها».

فرفعت چينا عينيها إلى السماء وقالت: «يا لتلك المرأة. حسنًا فعلت بخروجك من ذلك المكان

يا بيتل». ثم قالت وقد بدا عليها القلق: «لكن هذا يعني أنك لم تحصل على تعويذة الأمان».

ابتسم بيتل: «لا تقلقي. لن أحتاج لأية تعويذة. لدي هذه. لقد وجدها فوكسي على رف المهام المؤجلة». ثم أخرج من جيب سترته الأمامي قطعة خشب صغيرة مثنية وقدمها لچينا. «فوكسي يعتقد أنها أكثر نفعًا من تعويذة الأمان. قال: إن ضابطًا بحريًّا أتى منذ يومين وقايضها بتعويذة حب. إنها شيء يحرك القلب، حين تضعينه بجوار قلبك هكذا». ثم أعاد بيتل التعويذة إلى جيبه الأيسر العلوي. «يقول فوكسي إذا شعرت بالخوف، ستعرف وستعيدك إلى آخر مكان شعرتِ فيه بالأمان. هلا ذهبنا؟».

سار بيتل وچينا نحو القصر تحت غيمة داكنة كانت الرياح قد دفعتها من الميناء. لم تكن چينا ترغب في مقابلة سارة، فدارت حول القصر من الخلف. وحين وصلت إلى الباب الصغير المؤدي إلى البرج الخلفي، أخذت رياح باردة تهب من النهر، وزخات كبيرة من البرد تهطل. دفعت چينا الباب ودخلت. وصُفق الباب بعنف، ودوّى صدا صوته في الردهة الطويلة.

كان القصر معتمًا بشكل غير معتاد. حين عاد نكو منذ زمن بعيد إلى المنزل، احتفلت چينا بـعودة سبتيموس ونكو إلى القصر بأن طلبت من ميزي موقدة مشاعل طريق السحرة أن تعيش في القصر. وقد وافقت ميزي على إشعال شموع صغيرة في حجرات القصر

كافة، وكذا الردهة الطويلة مقابل إعطائها حجرتين تطلان على النهر وعشاء كل ليلة. لكن ميزي لم تبدأ فيما أطلقت عليه اسم عملية إشعال الشموع إلا بعد غروب الشمس بنصف الساعة. ورغم العتمة، كان أمامها أكثر من نصف الساعة حتى تبدأ في هذا. لطالما وجدت چينا الردهة الطويلة مخيفة بما فيها من أشياء غريبة تغطي الجدران. وفي ذلك المساء، وعندما أوشكت الشمس على المغيب، شعرت أنها مخيفة للغاية، وحين أخرج بيتل مصباح النفق الثلجي القديم - الذي كان يعتبره تذكارًا مذ كان في دار المخطوطات - وأضاء نوره الأزرق الباهت الغريب أثناء مرورهما بثلاثة رءوس منكمشة ومبتسمة، صرخت چينا بصوت مرتفع.

ثم وضعت يدها على فمها، وقالت بإحراج: «آسفة. لقد أفزعوني».

راح بيتل يقول: «عوووووووووووووو» بصوت يشبه صوت الأشباح وهو يحمل المصباح تحت ذقنه ويضحك. «لا تفعل هذا يا بيتل. فهذا يرعبني أكثر». أبعد بيتل المصباح عن وجهه، وأوقده في اتجاه الردهة الشديدة الطول والاتساع. ورغم شدة الضوء، لم يصل ضوؤه إلى نهاية الردهة، ثم همس بيتل بصوت منخفض: «أشعر ببعض الخوف أنا أيضًا، ونظر إلى الخلف، وقال: «أشعر بأن شيئًا يحوم خلفنا. لكنني لا أرى شيئًا».

استدارت چينا أيضًا، فقد شعرت بنفس الشيء، ولكنها لم تكن ترغب في قول أي شيء. كلمة «يحوم» ذكرتها بالطائرين الصغيرين اللذين كانا يرتعشان في الصندوقين. فقالت بصوت عالٍ لتطمئن نفسها: «لا يوجد شيء».

وقف الطائر الصغير ليستريح فوق أحد الرءوس؛ إذ تعبت أجنحته الصغيرة من البقاء في الجو لمدة طويلة، ثم واصل متابعته لچينا مرة أخرى.

راح الاثنان يسيران بسرعة حتى تخطيا باب غرفة جلوس سارة هيب وبابًا آخر يحمل لافتة شركة منشورات القصر المتحدة، المكتوبة بالطباشير. كان هذا هو باب مكتب سايلاس. سُرّت چينا لأن الغرفتين خاليتان. وسرعان ما وصلا للدرج الخلفي الضيق، ثم صعدا إلى الطابق الأول في القصر. كان الطابق الأول يحتوي على أجنحة الغرف الخاصة في الجزء الخلفي من المبنى التي تطل على النهر، بما فيها غرفة العرش المغلقة في الجزء الأمامي. كان الممر الواسع في الطابق العلوي يتسم بالهدوء والسكينة. وكانت الستائر السميكة المتسخة المعلقة أمام كثير من الأبواب والنوافذ الباردة وفي الوسط تنسدل على ما عرف بأنه أطول بساط في العالم، والذي صنعه مجموعة من نساجي السجاد الرُّحَّل في هذه الردهة.

سار بيتل وچينا في الظلام الصامت بهدوء. لم تتوقع چينا أن ترى أي شخص؛ لكن حين مرا على غرفة ميزي الصغيرة انفتح الباب وانطلقت ميزي بسرعة. قالت ميزي بدهشة: «مرحبًا أيتها الأميرة. مرحبًا يا بيتل. لم أتوقع أن أراكما». راحت ميزي تنظر إلى بيتل بسخط، وقالت: «أعني في الطابق العلوي».

احمر وجه بيتل، لكنه تمنى ألا يكون قد احمر كثيرًا حتى لا يلحظه أحد. فقالت چينا بعصبية: «لقد بكرت اليوم يا ميزي».

«إنها أطول ليلة أيتها الأميرة. علي أن أوقد كل المشاعل قبل حلول الليل، علاوة على أنني أشارك في بعض العروض المقامة على الطريق. الجميع في عجلة من أمرهم». نظرت ميزي في ساعتها الصغيرة بسرعة، وقالت: «لقد أشعلت الآن الشموع الجديدة أعلى السلم، وسيقوم السيد بوت بإشعال الشموع بالأسفل. هكذا قسمنا العمل». سُمع صوت زخات المطر على إحدى مصابيح السطح، فنظر الجميع إلى أعلى. فقالت ميزي: «يوم يصعب فيه الخروج. لا بد أن أذهب». فمضى بيتل وچينا في صمت مضطرب عبر الردهة الواسعة المؤدية إلى الأبواب المزدوجة، وكذلك السير هيروارد الشبح الحارس لغرفة نوم چينا. ورفع الشبح الباهت ذراعه تحية للأميرة، بينما مرا عليه مسرعين. وبعد قليل وصلا إلى أسفل سلم العليَّة.

قالت چينا بتعجب: «يا إلهي!» فقد كان مدخل السلم مغطى بستارة عتيقة مصنوعة من القطيفة مثبتة في الحائط بمسامير ضخمة صدئة، فعرفت چينا على الفور أن هذا من صنع يدي سايلاس وهمست: «لا بد أن أبي قد صنع هذا لتوه. لا بد أنه فهم ما أعني..».

نظر بيتل إلى الستارة القديمة، وقال: «يبدو أنها صنعت بسرعة لتكون هنا بشكل مؤقت».

«هذا هو أبي».

فقال بيتل: «أعتقد أنه وضع ما يشبه بوابة أمان هنا وثبت هذا الشيء بالمسامير لإخفائها. فبوابات الأمان تبدو غريبة في بعض الأحيان. هل تسمحين لي بإلقاء نظرة؟».

فأومأت چينا، وقالت: «أرجوك يا بيتل افعل».

فأخرج بيتل سكينًا صغيرة وفتحها كي ينزع المسامير الطويلة الصدئة. وهنا خرجت كتلة كبيرة من الجبس من الحائط وسقطت الستارة فوق رأسه.

شهق بيتل حين لثمت الستارة رأسه بسحابة من التراب والعناكب الميتة، فراح يسعل ويقول: «أف أف. ابتعدي عني!».

لم تفعل الستارة ما طلبه منها بيتل الذي بات مقتنعًا أن شيئًا شريرًا من العليَّة قد هاجمه، وراح يطعن كتلة الجبس بالمسامير الطويلة التي كان قد جذبها، ويصرخ: «النجدة!».

صرخت چينا وهي تحاول نزع الستارة عنه: «بيتل! قف يا بيتل وتوقف عن المقاومة!».

وأخيرًا.. وصل صوتها إليه، وقال من تحت الستارة: «ماذا؟».

«اهدأ قليلًا يا بيتل، وحاول أن تتوقف عن طعن الستارة».

استقرت الستارة ورفعتها چينا عن فريستها لتثير سحابة من الغبار.

عطس بيتل: «أتشووووو»، وراحت چينا تتطلع لكومة القماش الممزق الملقاة على الأرض، وقالت ضاحكة: «بيتل: واحد. الستارة: صفر».

فقال بيتل ببعض الضيق: «نعم». ثم نفض سترته، وحرك ذراعه بتردد في الفجوة التي تركتها الستارة وقال: «لا يوجد باب أمان هنا. وحتى لو كان، فلابد أنه قد سقط مع الستارة. أعتقد أنه كان مشبوكًا فيها. لقد شعرت برعشة بسيطةً حين سقطت فوقي. هذا ما جعلني أظن أن... حسنًا أحدهم قد هاجمني. لم يكن هذا فزعًا كما تعلمين. لكنني شعرت بشيء غريب».

«إذن ... لو كان أبي قد صنع نوعًا من الحواجز، وقمت أنت بإزالته، فعلينا أن نخبره. أليس كذلك؟».

فقال بيتل: «أريد أن ألقي نظرة أولًا». فقد كان في حاجة لعمل شيء مفيد بعد صراعه من الستارة.

«حسنًا..».

لم يكن بيتل ليسمح بإضاعة فرصة سانحة كهذه لإبهار چينا، فأسرع بصعود السلم قبل أن ترفض.

وتبعه صوت چينا: «ربما لا يجب عليك يا بيتل أن...».

توقف بيتل والتفت لها قائلًا: «لا تقلقي؛ فالأمور على ما يرام».

قالت چينا وهي تشاهد الظلمة تتحرك فوق السلم: «لا يبدو الأمر كذلك».

قال بيتل: «فقط سألقي نظرة خاطفة؛ حتى نستطيع أن نخبر مارشا بما يحدث».

تبعت چينا بيتل إلى أعلى؛ لكنه توقف واعترض الطريق أمامها، وقال بطريقة رسمية بعض الشيء: «لا تفعلي يا چينا. دعيني أقم بهذا. فقد طلبتِ هذا مني أنا».

نظرت چينا إلى أعلى السلم، وقالت: «لكن يا بيتل ذلك الشيء الضبابي الغريب لا يزال هناك. لقد نسيت كم هو مخيف. أعتقد أنه علينا أن نستدعي والدي أو حتى مارشا». لم يكن بيتل يريد أن يُفسح الطريق، وقال بإصرار: «لا تقلقي، فالأمور على ما يرام. قلت: إنني سألقي نظرة، وسأفعل».

كان هناك شيء في الطريقة التي وقف بها بيتل جعلته يبدو صلبًا ومسيطرًا لدرجة جعلت چينا ترجع إلى الوراء.

وقالت على مضض: «حسنًا. لكن خذ حذرك أرجوك».

«سأفعل بالتأكيد». ثم جذب بيتل سلسلة طويلة من جيب سترته، وفك ساعته، ووضعها في يد چينا. «سأغيب لثوانٍ معدودة. سألقي نظرة خاطفة لأرى ما يحدث. إذا لم أعد خلال ثلاث دقائق... يمكنك استدعاء سايلاس».

أومأت چينا بتوتر، وانطلق بيتل إلى أعلى الدرج، وهو يعرف أن چينا كانت ترقب تحركاته كافة. وحين اقترب من أعلى الدرج، شعر بالخوف، فتوقف؛ إذ لم ير أمامه سوى ثلاث درجات تفصله عن الجدار الذي تتراقص عليه دوامات الظلمة وتتحرك. لم تكن هذه الظلمة التي يراها ظلمة مساء يوم من أيام الشتاء الممتزجة بأبخرة التعاويذ القديمة، لكن بيتل كان يتمنى من كل قلبه أن تكون هي.

وهنا سمع صوت چينا يسأله: «هل ترى أي شيء؟» بدا الصوت بعيدًا.

رد بيتل: «كلا... تقريبًا».

«ربما يجب عليك أن تنزل».

«كان بيتل يريد النزول بالفعل. لكن حين نظر إلى الخلف، ورأى چينا أسفل تنظر إليه بترقب، عرف أن عليه أن يستمر.

وهكذا، قرر ألا يبدو عليه الخوف أمام چينا مرة أخرى، فأجبر بيتل نفسه على صعود الدرجات القليلة المتبقية.

أما عن چينا، فقد رأت من أسفل السلم بعضًا من خيوط الظلمة تتحرك تجاه الخارج، وتدور حول قدمي بيتل. وأعلى السلم،

وقف بيتل وقد اجتاحته رغبة عارمة في اقتحام الظلمة. لقد كان مقتنعًا أن والده ينتظره هناك. كان يعرف أنه سيعثر عليه فقط إذا دخل إلى دوامة الضباب الرمادي، فدخل، وتقدم خطوة، ثم اختفى.

راقبت چينا بيتل وهو يذهب، ونظرت في ساعته، وراحت تعد الدقائق. وفي تلك الأثناء، كان الطائر الخفي يحلق فوق رأسها بهدوء. لقد كان يعد الدقائق هو الآخر، منتظرًا ريثما تأتي اللحظة المناسبة ليحضر چينا إلى رفيقه المحبوس.

II

المنطقة المظلمة

حين دخل بيتل إلى الظلمة، غمرته السعادة. وفجأة عرف أن والده لم يمت بسبب لدغة عنكبوت كما كانت تقول له والدته دائمًا، وكما قرأ في خطاب تعازٍ بل كان قد وصلهم من سلطات الميناء. لقد كان والده حيًّا يرزق. لقد كان في هذا المكان ينتظر رؤيته؛ رؤية ابنه. شعر بيتل وكأنه يسير تحت دوامات البحر المظلمة مرتديًا حذاء من الرصاص. وراح بيتل يتحرك نحو أعماق الظلمة بهدوء.

كان الجو خانقًا، وأخذ بيتل يتنفس ببطء. وأخذت ظلال «الأشياء» غير الواضحة تتحرك وتتمايل أمام عينيه. غير أن بيتل لم ير هذا بوضوح؛ كانت الأشياء تمسك بملابسه وتدفعه إلى الأمام. لكن بيتل كان يشعر أن هذه هي أهم لحظات حياته؛ فراح يمشي ببطء ووقار. كان يعلم أن كل ما عليه عمله هو أن يدفع الباب الأيمن ويفتحه، ليجد الشخص الذي طالما اشتاق لرؤيته.

راح بيتل يسير قُدُمًا في الردهة التي تبدو بغير نهاية، مارًّا بغرف مزدحمة بأكوام المراتب القديمة، وهياكل الأسرّة، والأثاث المحطم. لكن لم يكن والده داخل أي منها. وحين اقترب بيتل من نهاية الردهة، سمع صوت عطسة، فوثب قلبه. إنها عطسة والده؛ لقد كان يعرفها. ماذا كانت والدته تقول له دائمًا؟! لو لم يكن والدك يعاني من الحساسية ضد كل شيء، لما انتفخ كالبالون حين لدغه ذاك العنكبوت، ولبقي على قيد الحياة حتى اليوم. وها هو والده هنا في نهاية الردهة. إنه يعطس كما اعتادت والدته أن تخبره. اقترب بيتل بتوتر نحو الغرفة التي صدرت منها العطسة. كان الباب شبه مفتوح، بحيث رأى شخصًا يرقد على السرير الصغير، وقد لف نفسه بالبطاطين حتى أذنيه. سار بيتل نحو الغرفة على أطراف أصابعه، وهنا هزت الشخص عطسة عنيفة، فتوقف بيتل، وانعقد لسانه؛ إذ لم يستطع النطق بتلك الكلمات التي تاق ليقولها، ولم

يقلها لأي شخص. فتنفس بعمق وأطلق لها العنان، وقال: «مرحبًا يا أبي. إنه أنا، بي ..».

نهض الشخص النائم في الفراش، وقال: «من؟».

شهق بيتل، وقال بفزع: «أنت! أنت. لكنك لست...».

بدا ميرين ميريديث أكثر فزعًا بأنفه الأحمر الملتهب وشعره المصفف لأعلى. كان يعطس بعنف، ويمسح أنفه في غطاء السرير.

وهنا أفاق بيتل، وأدرك أنه لن يرى والده أبدًا. فاجتاحه شعور كبير بالضياع، سرعان ما حل الخوف محله. وهنا صفا ذهنه، وعرف فجأة أنه دخل منطقة مظلمة. حاول بيتل أن يهدأ، ونظر إلى ميرين الذي بدا مثيرًا للشفقة وهو منحنٍ في فراشه. كان شعره الطويل الدهني متدليًا فوق البثور التي تملأ وجهه. وكانت أصابعه الطويلة النحيفة تلعب بتوتر في البطانية، بينما كانت سبابته اليسرى المتورمة المتسخة تلهو بالخاتم الثقيل ذي الوجهين، وتذكره بيتل وهو يرتديه قديمًا في دار المخطوطات. قال بيتل في نفسه: «إنه ميرين ميريديث فحسب. إنه سخيف للغاية. لن يستطع إنشاء منطقة مظلمة تشكل خطورة ما ولو بعد مليون سنة». لكن بيتل لم يستطع إقناع نفسه بهذا. إن ما أخافه هو أنه أفاق بمجرد دخوله غرفة ميرين. وإذا كان ميرين بصدد إنشاء منطقة مظلمة بالفعل، لما كان هذا هو ما يجب أن يتوقع بيتل حدوثه. سيكون ميرين في

وسط هذه المنطقة؛ في المركز على وجه التحديد؛ لأن المركز مكان هادئ وخالٍ من اضطرابات الظلام. وللتأكد من هذا الأمر، يجب على أي شخص الخروج من الغرفة، وهو ما كره بيتل أن يخاطر بعمله. كان يعلم أن الإحساس بالزمان والمكان يتغير في **المناطق المظلمة**، وأن بضع خطوات تبدو كأميال عديدة، بل كمئات الأميال في بعض الأحيان. لقد شعر بيتل بالفعل أنه مشى في الردهة لوقت طويل. هل تراه كان في مكان غير علّية القصر؟ كان من الممكن أن يكون في أرض الشر، أو في النهر البارد، أو في الزنزانة رقم واحد أو في أي مكان آخر.

وهنا قرر بيتل أن هذه هي فرصته الوحيدة وهي إقناع ميرين بأنه فشل في إنشاء منطقة مظلمة كي يخرجه معه. من ثم، سيكون هناك ممر آمن ليخرج منه سالمًا. ستكون هذه خدعة، لكنها قد تنجح. حرص بيتل على ألا يكذب؛ لأن الكذب يطلق العنان لقوى الظلام؛ تنفس بيتل بعمق واستعد للهجوم.

وسأله: «ماذا تفعل في القصر يا ميرين ميريديث؟».

وهنا عطس ميرين، وقال: «أتشووو! أستطيع أن أطرح عليك السؤال عينه. هل فصلك شخص آخر ولم يعد لديك ما تفعله أفضل من التجسس على غرف نوم الناس؟».

فأجاب بيتل بغضب قائلًا: «أنت تعلم كل شيء عن التجسس. أما عن الفصل فقد سمعت أن جيلي دجين قد عادت لرشدها وفصلتك. لا أعلم لماذا صبرت عليك كل هذا الوقت».

فتنشق ميرين، وقال: «إنها حمقاء».

لم يخالفه بيتل.

«على أية حال، هي لم تفصلني، بل ستقوم جيلي دجين القبيحة الوجه بكل ما آمرها به الآن. فلدي هذا الشيء». وهنا لوّح ميرين بإبهامه اليسرى في الهواء، ساخرًا من بيتل بالخاتم ذي الوجهين. كان الخاتم ذو الوجهين خاتمًا ذهبيًا ثقيلًا منقوشًا عليه وجهان مخيفان من حجر اليشم الكريم ذي اللون الأخضر الداكن.

فنظر بيتل إلى الخاتم باحتقار، وقال بتهكم: «إنه مجرد خاتم مزيف ابتعته من المغارة القوطية».

فأجاب ميرين بغضب: «هذا يدل على قلة عقلك. إنه الخاتم الحقيقي. لن يجرؤ الكتبة الأغبياء على إغضابي فيما بعد. سأبادر أنا بكل شيء».

كان ميرين مستمتعًا بالتفاخر أمام بيتل، فوضع يده خلسة تحت الوسادة للمرة العشرين؛ كي يتأكد من وجود فهرس الظلام. لقد كان هناك بالفعل. كان ميرين قد حصل على ذلك الكتاب الصغير المُرعب أثناء عمله مع سايمون هيب في المرصد، وهو الذي قاده إلى الخاتم ذي الوجهين، كان يبدو مجعدًا ومبللًا بعض

الشيء عند لمسه، لكنه منح ميرين شعورًا مفاجئًا بالثقة، فراح يقول: «سأبادر بعمل كل شيء في القلعة بأسرها قريبًا. على ذلك الأحمق سبتيموس هيب وتنينه البائس أن يتوخيا الحذر؛ لأن أي شيء يستطيع القيام به أستطيع أن أقوم به بشكل أفضل بعشر مرات!». وراح ميرين يلوح بذراعيه، متوهمًا العظمة: «إنه لا يستطيع البدء في عمل هذا».

فقال بيتل: «يعمل ماذا؟يختبئ في عليّة القصر ويتنشق؟».

ظن بيتل أنه رأى لمحة من الشك بادية على وجه ميرين.

«كلا. أنت تعلم ما أعني. أستطيع جلب من أريد إلى هنا. بالأمس استحضرت تلك الأميرة المتزمتة، وصباح اليوم جعلت الساحر العجوز هيب يأتي أيضًا. كلاهما خاف وفر هاربًا، لكن هذا ليس مهمًّا. لقد حصلنا على ما نريده».

فتساءل بيتل: «حصلتم؟».

«نعم. لدي دعم. عليك أن تتوخى الحذر أيها الساعي. فقد استحضرتك اليوم بكامل إرادتك!» ضحك ميرين، وقال: «كان كل ظنك أنك آتٍ لترى والدك الأحمق!».

نسي بيتل كيف كان ميرين بغيضًا، وراح يقاوم رغبته في ضربه. لكن لم يكن الأمر يستحق كما كانت چينا ستخبره دون شك.

«لقد أتيت؛ لأن الأميرة چينا طلبت مني تحري بعض الضوضاء التي تصدر من العليَّة. لقد قلت لها: إنها بسبب الفئران، ويبدو أنني كنت على حق. إنه فأر واحد كبير غبي».

استشاط ميرين غضبًا، وقال: «لا تنعتني بالغباء. سأريك من الغبي هنا. إنه أنت، لقد دخلت هنا لتوِّك».

رد بيتل بتهكم: «أين دخلت؟ إلى غرفة نومك العفنة؟».

بدا ميرين أقل ثقة، وسأله: «ألم تلحظ أي شيء؟».

رد بيتل بازدراء: «مجرد كومة من المتاع القديم وغرف خالية». كان بيتل حريصًا على قول الحقيقة.

«هل هذا كل شيء؟».

شعر بيتل أنه موشك على الفوز، فتجنب الرد المباشر، وقال زاجرًا: «عم تتحدث يا ميرين؟».

وفجأة تخلت ثقة ميرين عنه، وتدلت كتفاه، وقال بحزن: «ما من شيء يسير على ما يرام»، ثم نظر إلى بيتل وكأنه يستعطفه، وقال: «ذلك لأنني لست بخير. كنت سأفعل هذا لو لم أكن أعاني من هذا البرد الفظيع؟».

«تفعل ماذا؟».

رد ميرين بكآبة: «ليس هذا من شأنك».

وهنا شعر بيتل أنه قد حان وقت الذهاب، فاستدار ليخرج، آملًا أن يكون قد عمل ما يكفي لإقناع ميرين أن منطقته المظلمة قد فشلت، وقال: «سأمضي الآن، وسأخبر آل هيب بمكانك». واتجه نحو الباب.

صاح ميرين: «كلا! انتظر».

فتوقف بيتل وهو يشعر براحة بالغة، لكنه لم يرغب في إظهارها، وسأله: «لماذا؟».

«أرجوك يا بيتل لا تخبرهم. ليس لدي مكان آخر أذهب إليه. أشعر بوحشة فظيعة، ولا أحد يهتم». وهنا راح ميرين يفحص غطاء السرير، باحثًا عن مكان يفرغ فيه أنفه، ونفخه بصوت عالٍ.

«من المُخطئ إذن؟».

فأجاب ميرين: «أظنه أنا. أنا دائمًا المخطئ. ليس هذا عدلًا». ولف الخاتم ذا الوجهين بعصبية.

وهنا ارتطمت زخة من المطر المتجمد بالنافذة، فنظر ميرين ببؤس، وقال: «إن الجو بارد في الخارج يا بيتل. إنه ممطر ومظلم للغاية. ليس هناك مكان أذهب إليه. أرجوك ألا تخبرهم».

مضى بيتل في خطته سريعًا، وقال: «اسمع يا ميرين. سارة هيب إنسانة طيبة حقًّا. لن تطردك وأنت في هذه الحالة». وكان بيتل يشعر أنه يقول الحقيقة.

«ستعتني بك؛ حتى تتحسن حالتك».

«هل هذا حقيقي؟».

«بالطبع. سارة هيب تعتني بكل شيء، وستعتني بك أيضًا».

كان غطاء السرير قد ابتل بأكمله، فلم يجد ميرين مكانًا لنفخ أنفه سوى البطانية.

أسرع بيتل، وقال: «لماذا لا تأتي معي إلى أسفل حيث الدفء؟»

فقال ميرين: «حسنًا» وراح يسعل، وسقط على وسادته المتسخة، وقال: «أعتقد أنني أضعف من أن أنهض».

فقال بيتل بسخرية: «لا تكن سخيفًا. أنت تعاني من مجرد نزلة برد، لا أكثر».

«أنا أعاني من البرد؛ إنه التهاب رئوي بالأحرى».

راح بيتل يفكر إذا كان ميرين يقول الحقيقة لمرة واحدة. لقد بدا عليه المرض فعلًا. كانت عيناه تلمعان من الحمى، وراح يتنفس بصعوبة، وقال لاهثًا: «سآتي معك. سأستسلم. لكن عليك أن تساعدني. أرجوك».

ذهب بيتل بتردد إلى السرير الذي فاحت منه رائحة الملابس المبتلة الكريهة، والعرق، والمرض.

تمتم ميرين وهو ينظر إلى الخلف بين الحين والآخر بطريقة غريبة: «شكرًا يا بيتل». وهنا شعر بيتل بوخز الشعر في مؤخرة رقبته؛ حيث إن حرارة الغرفة الباردة كانت قد هبطت بضع درجات.

مد ميرين يده الملوثة بالمخاط، وبينما كان بيتل يشجع نفسه للأخذ بها ومال إلى الأمام، إذ بميرين يجلس مستقيمًا في سريره، ويجذب ذراع بيتل. كانت أصابع ميرين النحيفة تمسك بذراع بيتل بصلابة كالكماشة، وكان الخاتم في إبهام ميرين يضغط على لحم بيتل، لدرجة أنه انغرس فيه، وشعر وكأنه يحرقه. شهق بيتل، وهمس ميرين وهو ينظر فوق كتف بيتل: «لا تنعتني بالغباء أبدًا. لست غبيًّا، بل أنت».

شعر بيتل ببرودة شديدة. وكان يعرف أن شيئًا مخيفًا للغاية يقف خلفه، ولم يجرؤ على الاستدارة، ولم يرد، فقد شعر بغصة مفاجئة في حلقه. لقد كانت هناك مجموعة من الأشياء خلف بيتل. كانت هذه الأشياء تشعر بفقدان ميرين السيطرة على المنطقة المظلمة. لقد حصل ميرين على هذه الأشياء حين كان في أرض الشر منذ ثمانية عشر شهرًا، عندما تمكن من الحصول على الخاتم ذي الوجهين. وحين بلغ الخاتم أوج قوته قام ميرين باستحضار الأشياء إلى القصر فقد كان لديه ما أسماه بالخطط. وهنا استعاد ميرين ثقته بنفسه، وقال: «أنت في منطقتي المظلمة وأنت تعلم ذلك. وأنا أعلم أنك تعلم» كان ميرين يتحدث بتبجح.

ترنح بيتل. كان الخاتم في أصبع ميرين يرسل طعنات مؤلمة من ذراع بيتل إلى رأسه، فشعر بالتعب والدوار الشديدين، وحاول الإفلات، لكن ميرين كان ممسكًا به بقوة. وبيده الطليقة، جذب

ميرين كتابًا باليًا من تحت غطاء السرير، ولوح به بزهو لبيتل وقال: «أرأيت هذا؟ لقد قرأته كله، وأستطيع عمل أشياء لم تحلم بها». كان يهمس بهذا الكلام في أذن بيتل: «انتظر أيها الساعي. سيرى الجميع في هذه القلعة الصغيرة العفنة ودار المخطوطات المتغطرسة أنه كان عليهم أن يعاملوني بأسلوب أفضل. سيندمون على ما فعلوا بي أيما ندم. إنه قصري الآن، لا قصر الأميرة الحمقاء. ستصبح القلعة ملكًا لي في القريب العاجل، وسأمتلك كل ما أريده. كل شيء!». كان ميرين مملوءًا بالإثارة، لدرجة جعلته يبصق أثناء الكلام، وكان بيتل يتوق لإزالة البصاق من على خده، لكنه لم يستطع تحريك يده؛ فقد كانت قبضة ميرين في صلابة الكماشة. «أما عن سبتيموس هيب الأحمق، فسيندم على سرقته اسمي. سآتي به وسترى. سأكون السبتيموس هيب الوحيد في هذا المكان. سأملك برج السحرة، ودار المخطوطات، وتنينًا أكبر من هذا الكائن البائس لافظ اللهب الذي يتبختر عليه. سوف ترى!» فرد بيتل بغضب وثقة أكبر من تلك التي كان يشعر بها: «لن يحدث هذا إلا في أحلامك».

كان تبجح ميرين هو ما يخيفه؛ لقد كانت هناك قوة مزعجة في أسلوبه جعلت بيتل يكاد يصدقه. لم يهتم ميرين بالرد؛ كانت إحدى يديه قابضة على ذراع بيتل، والأخرى ممسكة بالكتاب المفتوح. وراح ميرين يتلو تعويذة بصوت منخفض وأحادي

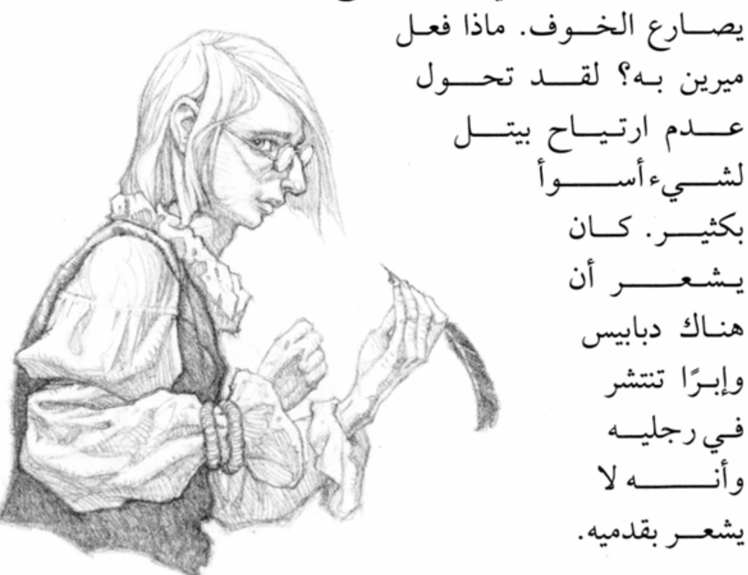
الوتيرة، فبدأ ضباب يغشى بيتل. وحين أوشك ميرين على الانتهاء من تعويذته، دخلت الكلمات المرعبة في قلب بيتل، وكأنه في قاع الهاوية أو في حفرة مظلمة. راح قلبه ينبض بسرعة، ولم يستطع التنفس من الخوف الذي اعتراه. أخذ مجال الرؤية يضيق أمامه؛ فكل ما استطاع أن يراه هو نفق ضيق وميرين في نهايته يلوح بكتابه ويفتح فمه الأحمر الكبير ليقول...

لكن بيتل لم يسمع ما كان يقوله. وبما تبقى له من جهد واع، مد يده وانتزع الكتاب من قبضة ميرين، فصرخ ميرين: «انصرفْ!»، ثم: «أعطني إياه!» لكن بيتل لم يعطه الكتاب؛ بل انصرف.

12

تعويذة الكيد المُرتد

كان بيتل في مكان مظلم وغير مريح مطلقًا. فقد أُطيح به في مكان ضيق؛ ركبتاه مثنيتان نحو صدره، وذراعاه ملفوفتان حول رأسه. حاول أن يتحرك، لكنه كان محشورًا بشكل جعله يشعر أنه في كماشة، فراح يصارع الخوف. ماذا فعل ميرين به؟ لقد تحول عدم ارتياح بيتل لشيء أسوأ بكثير. كان يشعر أن هناك دبابيس وإبرًا تنتشر في رجليه وأنه لا يشعر بقدميه.



أخذت يداه ترتعشان، وانتشر فيهما تنميل خفيف. كانت يده اليسرى قابضة على الكتاب الذي انتزعه من ميرين، وكانت محشورة في نفس الزاوية التي انحشرت فيها رأسه. أما مرفقاه وركبتاه اللتان انحشرتا في شيء صلب، فكانتا تؤلمانه بشدة. لكن أسوأ شيء هو ذلك الشعور الذي أخذ يغمره ويشتد كلما مرت الثواني؛ أنه سيصاب بالجنون إذا لم يفرد جسمه فورًا.

راح بيتل يتنفس بعمق كي يهدئ من روعه، وفتح عينيه عن آخرهما ونظر في الظلام، ورغم شعوره بتسلل بعض الضوء من مكان ما، فإنه لم يفهم أي شيء. لقد ساعد هذا القدر البسيط من الضوء بيتل على السيطرة على رعبه، واكتشف أنه يستطيع تحريك أصابع يده اليمنى بعض الشيء. فمدها وهو يتألم، ثم راح ينقر بها، ثم خدش الجدران المحاصرة له، محاولًا أن يكتشف المادة المصنوعة منها. أجابته شظية دخلت تحت ظفره؛ فقد كانت الجدران مصنوعة من الخشب. شعر بيتل برعب شديد. لقد كان في تابوت للموتى! سمع بيتل صرخة يائسة تشبه صراخ حيوان وقع في فخ، وسرت في جسده قشعريرة، غير أنه لم تمض سوى ثوانٍ معدودة عرف بعدها بيتل أن الصرخة قد صدرت عنه.

وبجانب ضربات قلبه التي أخذت تهدر في أذنيه، سمع بيتل أصواتًا تصدر من مكان ما خارج التابوت. كان صوت همسات غير واضحة. ففي سجنه المظلم، انقلب خيال بيتل إلى حالة من

الإثارة المفرطة. لقد قرأ أن الأشياء تتكلم. لكن هل تتكلم حين تشعر بالجوع أم بالغضب؟ حاول بيتل أن يتذكر. هل تشعر الأشياء بالجوع؟ هل تأكل؟ وإذا كانت تأكل، هل ستأكله؟ قد يكونون غاضبين. لكن الغضب ليس أفضل على الإطلاق. قد يكون أسوأ من الجوع. لكن هل يهتم بالأمر؟ كان سيفعل أي شيء ليخرج من التابوت، ويفرد ذراعيه، ورجليه، وظهره. كان ليسعد بمواجهة آلاف الأشياء؛ فقط لينهض واقفًا مرة أخرى.

صرخ بيتل بصوت عالٍ، فارتفع صوت الهمس، ليغطي على صوت ضربات قلبه، ثم بدأ أحد جوانب التابوت في الاهتزاز. أغلق بيتل عينيه. كان يعرف أنه في أية لحظة سينزع أحد الأشياء جانب التابوت، وسينتهي الأمر. وإذا كان محظوظًا سيكون لديه بضع ثوانٍ ليفرد جسمه، ويمد ذراعيه وقدمه المثنيين.. هذا إن كان محظوظًا. وماذا بعد؟ بعد ذلك ستكون نهايته. «آه بيتل بيتل!» راح بيتل يفكر في والدته، وكتم تنهيدة. «آه يا أمي!». لن تعرف ماذا حدث له. لكن ربما... ربما كان هذا أفضل... أخذ صوت الهمهمة يرتفع تدريجيًّا، ويزيد انفعالًا، فاستعد بيتل لمواجهة أسوأ الأمور.

وفجأة، انخلع جانب التابوت، وتدفق النور إلى الداخل، فسقط بيتل من رف المهام المؤجلة داخل دار المخطوطات، واستقر على الأرض في ألم، فصرخ أحدهم.

قال فوكسي وهو يشهق: «يا للهول! إنه أنت!».

كان بيتل راقدًا على ظهره وقد اعتراه الذهول. كان يشعر كأنه قطعة من الحلوى الجيلاتينية التي سقطت من قالبها قبل أن تتخذ شكلًا محددًا. فتح بيتل عينيه بتردد ليجد نفسه ينظر إلى أنف فوكسي التي لم تكن أحسن ما فيه.

قال بيتل بوهن: «ماذا؟».

اجتمع فريق من الكتبة حول بيتل، وأخذت فتاة بنية الشعر تسأله بقلق: «هل أنت بخير يا بيتل؟»، وانحنت لتساعده على النهوض. فأومأ بيتل ببطء، وقال: «نعم. شكرًا يا روميلي. أنا بخير الآن. لكنني كنت أظن أنني سوف لن... لن أكون بخير». فهز بيتل رأسه، محاولًا التخلص من كل الأفكار المرعبة التي ازدحمت بها رأسه أثناء الدقائق القليلة الماضية.

وفجأة دوي صوت مألوف ومزعج، إنه شخص يعطس، ويقول: «ماذا يحدث هنا يا سيد فوكس؟».

نهض فوكسي، وقال لاهثًا: «لا شيء يا آنسة دجين. إنه حادث بسيط. لقد حدث حادث في رف المهام المؤجلة. لقد عادت تعويذة الكيد المُرتد فجأة».

ظهرت رئيسة كتبة السحر. كانت بدينة وقصيرة القامة، تلف نفسها بثوب حريري كُحلي اللون، وتقف في مدخل الغرفة الهرمسية الكائنة في الجانب الآخر من دار المخطوطات. ولحسن الحظ، كانت إجراءات ترشيد الإنفاق التي اتخذتها قد جعلت

الإضاءة ضعيفة للغاية، فلم تستطع رؤية ما كان يحدث في الظلال المجاورة للرف.

عطست جيلي دجين مرة أخرى، وقالت بغضب: «يبدو أنك لا تستطيع السيطرة على أي شيء، حتى ولو كانت تعويذة بسيطة يا سيد فوكس. إذا تكرر هذا الحادث - تعطس ثانيًا - سأُضطر للنظر في مسألة وظيفتك».

قال فوكسي متلعثمًا: «أنا... أنا» نفخت جيلي دجين أنفها لتفرغها بصوت مرتفع، وقد انتبهت للتفاصيل. لم يكن المنظر حسنًا. راحت جيلي تتساءل: «لماذا لم أتسلم هذه التعويذة أثناء عملية الجرد؟».

رأت روميلي فوكسي وهو يحاول جاهدًا أن يجد إجابة، فقالت: «لقد عادت التعويذة لتوها يا آنسة دجين».

قالت جيلي دجين: «لقد سألت كاتب التعاويذ يا آنسة روميلي بادجر، وليس أنتِ. وهو مطالب بالإجابة عن سؤالي».

كرر فوكسي ما قالته روميلي، وقال: «لقد عادت للتو يا آنسة دجين».

لم تكن جيلي دجين راضية عما يُقال، وراحت تعطس وتقول: «حسنًا؛ الآن وقد عادت التعويذة؛ أريد أن أدونها في المخزون فورًا يا سيد فوكس».

همس فوكسي لبيتل مذعورًا، وقال: «أحضرها على الفور يا بيت. أسرع قبل أن تأتي لتأخذها».

أخيرًا فهم بيتل ما كان يحدث، فوضع يده المُرتعشة في جيب سترته الأيسر العلوي، وأخرج منه قطعة الخشب الصغيرة المصقولة المثنية، وأعطاها لفوكسي، وهمهم: «شكرًا يا فوكسى».

بدت مكاتب دار **المخطوطات** طويلة ومُعتمة بسبب الإضاءة الضعيفة، مما جعلها تشبه الأشجار الشتوية أثناء الغروب. أسرع فوكسي بالقفز بينها، حتى وصل إلى الجانب الآخر من دار المخطوطات وأعطى رئيسة الكتبة التعويذة الصغيرة، فأخذتها جيلي دجين، وراحت تنظر إلى فوكسي بارتياب وتساءلت: «ماذا يفعل جميع الكتبة بعيدًا عن مكاتبهم؟».

أجاب فوكسي: «حسنًا. كانت لدينا بعض المشكلات. لكن الأمور على ما يرام الآن». فعطست دجين وتساءلت: «ما نوع هذه المشكلات؟».

همهم فوكسي، فهو لم يكن يجيد التفكير وهو واقف.

قالت دجين: «حسنًا يا سيد فوكس. إن لم يكن بإمكانك تقديم شرح وافٍ، سأُضطر لتحري الأمر بنفسي. هلا أفسحت لي الطريق؟» كان فوكسي يتسكع أمام جيلي دجين، وكأنه يحرس مرمى غير مرئي، لكن لسوء حظه لم تسعفه مواهبه في مجال

حراسة المرمى! فقد لكزته رئيسة السحرة بعيدًا عن طريقها، وراحت تشق طريقها بين صفوف المكاتب المتلاصقة.

أما عن الكتبة الذين التفوا حول بيتل بهدف حمايته، فراحوا يشاهدون تلك المرأة البدينة التي تشبه الكرة، وهي تتدحرج تجاههم بردائها الكحلي، ثم جمعوا بعضهم بعضًا في مجموعة متماسكة، وكأنهم يستعدون للهجوم.

تساءلت جيلي دجين: «ماذا يحدث؟ لماذا لا تعملون؟».

فأجابت روميلي من وراء مجموعة الكتبة: «لقد وقع حادث».

«أي حادث؟».

أجابت روميلي: «لقد سقط شيء من الرف بشكل مفاجئ».

علقت دجين قائلة: «عادة ما تقع الحوادث بشكل مفاجئ».

راحت دجين تعطس، وتقول: «اكتبي تفاصيل كاملة عن الحادث، وكذا زمن وقوعه في دفتر الحوادث فورًا، أتشو أتشو، وأحضريه لي كي أوقع عليه».

«سأفعل يا آنسة دجين. سأذهب أولًا إلى العيادة لإحضار ضمادة، ولن أغيب».

تنشقت جيلي دجين بعصبية، وقالت: «حسنًا يا آنسة بادجر». كانت تعرف أن أمرًا ما لم يكن على ما يرام، وحاولت أن تُحدق من فوق رءوس الكتبة. لكن، لسوء الحظ، وجدت أن أطول الكتبة

قامة قد تجمعوا حولها. وكان ذلك بإيعاز من بارنابي يو الذي كان رأسه يصطدم بإطار الباب.

قال أحدهم، وكان طويلًا وذا شعر بني ناعم: «معذرة يا آنسة دجين. هلا راجعتِ حساباتي أثناء وجود الآنسة بادجر في العيادة؟ لست متأكدًا إن كنت حسبت متوسط عدد الثواني التي تأخرها الناس في الحضور لمواعيدهم الأولى على مدى الأسابيع السبعة الماضية بشكل صحيح. أعتقد أنني وضعت علامة عشرية في مكان خطأ».

فتنهدت جيلي دجين، وقـالـت: «ألـن تفهم العلامة العشرية أبـدًا يا سيـد بارتريـدج؟» فأجاب: «بلى. أنا واثق أنني أفهمها يا آنسة دجيـن. لكن هل يمكنك مراجعتها مرة ثانية من أجلي. أعلم أن كل شيء سيكون واضحًا»

كان بارتريدج يعلم أن جيلي دجين لم تكن تقاوم شرح العلامة العشرية. وهكذا، بينما كان بارتريدج يكتم التثاؤب عدة مرات، راحت جيلي دجين تعذبه بشرحها المصحوب بنفخ الأنف، حتى تمكنت روميلي بادجر من تهريب بيتل إلى العيادة.

كانت العيادة غرفة صغيرة وكئيبة، بها نافذة صغيرة تطل على الفناء الخلفي لدار المخطوطات. وداخل الغرفة تزاحمت قطع الأثاث التي كانت عبارة عن سرير متكتل وكرسيين ومنضدة عليها صندوق أحمر كبير. أجلست روميلي بيتل على حافة السرير،

ووضعت بطانية على كتفيه، فقد كان بيتل يرتعش بفعل الصدمة. ثم دخل فوكسي، وأغلق الباب خلفه بهدوء، واستند عليه.

وقال لبيتل: «تبدو فظيعًا».

حاول بيتل أن يبتسم، وقال: «شكرًا يا فوكسو».

«آسف يا بيت. كنت أظنها ستحضرك إلى المكان الذي تشعر فيه بالأمان. لم أتخيل أنها ستحضرك إلى آخر مكان تشعر فيه بالأمان. يا لغبائها!».

«لا تعتذر يا فوكسو. هذا الرف أفضل مائة مرة من المكان الذي كنت فيه. فقط أتمنى لو أنني عرفت في وقت مبكر. هذا ما في الأمر. ولم أكن لأتسبب في هذه الجلبة».

ابتسم بيتل بخجل. لم يكن يتذكر بوضوح ما قاله. كان يشعر أنه قد صرخ: «أمي!» أو ربما أسوأ: «ماما!» غير أنه كان يرجو أن يكون ذلك قد حدث داخل عقله فحسب.

قال فوكسي مبتسمًا: «أنت بخير الآن». ثم التفت إلى روميلي، وسألها: «هل أنتِ بخير؟ أين جرحت نفسك؟».

أجابت روميلي بهدوء: «أنا بخير يا فوكسي. لم أُصَب. كانت الضمادة مجرد ذريعة لإبعاد بيتل عن الطريق».

«فهمت. كان هذا تصرُّفًا ذكيًّا».

وأخذ بيتل وفوكسي يشاهدان روميلي وهي تفتح الصندوق الأحمر وتخرج ضمادة كبيرة منه، وتلف بها إبهامها.

بدا فوكسي متحيرًا، وقال: «لكنني ظننت..».

فقالت روميلي بتحفظ: «مجرد تمويه. حسنًا يا بيتل؛ سأتأكد من خلو الطريق؛ حتى نخرجك من هنا دون أن يراك أحد».

فتح فوكسي الباب لـروميلي، ثم أغلقه بهدوء، واستند عليه مرة أخرى، وقال بإعجاب: «إنها ذكية».

أومـأ بيتل الذي كان لديه شعور غريب، رغم شكه في أنه عاد إلى مكان عمله القديم الذي كان يحبه في الماضي قدر شكه في أي شيء قد فعله ميرين.

قال فوكسي فجأة: «لا زلنا نفتقدك».

فتمتم بيتل: «وأنا أيضًا».

قال فوكسي: «لقد صار المكان بشعًا. لم يعد كعهدك به. أنا أفكر جديًّا في تركه، وكذا بارتريدج وروميلي».

صُدم بيتل وقال: «تتركونه؟».

ابتسم فوكسي، وقال: «نعم. هل تعتقد أن لاري يحتاج لثلاثة مساعدين إضافيين؟».

رد بيتل: «أتمنى ذلك».

ثم ساد الصمت. لكن فوكسي أردف قائلًا: «ماذا كنت تفعل يا بيت؟ أعني، لماذا كنت في حاجة لتعويذة الأمان؟ ولماذا أعادتك إلى هنا؟ لا بد أن الأمور كانت مخيفة للغاية».

«كانت هكذا بالفعل. أتعرف هذا الفتى ميرين ميريديث الذي اعتاد أن يتسكع هنا؟».

فقال فوكسي بغضب: «هو؟».

«حسنًا لقد تلا تعويذة إبعاد».

«عليك؟».

«نعم».

فقال فوكسي: «لا عجب من أنك تبدو مضطربًا للغاية».

«نعم. لكن ليس هذا أسوأ ما في الأمر. لقد كان مُختبئًا في علّية القصر..».

«أنت تمزح!».

«وأعتقد أنه بدأ في إقامة منطقة مظلمة».

حدق فوكسي في بيتل بارتياب، وقال: «كلا! كلا. كيف؟».

«أتعرف الخاتم البشع ذا الوجهين الذي يرتديه؟ لطالما ظننت أنه نسخة مزيفة أحضرها من المغارة القوطية. لكنني لم أعد واثقًا من ذلك الآن. يبدو أنه حقيقي».

جلس فوكسي على كرسي بجوار بيتل، وقد بدا عليه القلق، وقال بصوت منخفض: «قد يكون الأمر هكذا. كلامك منطقي. إنه يستطيع التأثير على الآنسة دجين. إنها تتركه يفعل ما يشاء. أظنها تخاف منه. لكن الغريب هو رغم فصلها له ثلاث مرات على الأقل، يعود وكأن شيئًا لم يكن. وهي لا تتذكر على الإطلاق. لقد

أصبحت غريبة الأطوار مؤخرًا؛ فحين يكون هنا، يشرد ذهنها وتبدو كأنها غير موجودة. أمر مخيف».

قال بيتل: «هذا متوقع».

وقال فوكسي، وهو ينظر إلى الأرض: «نعم». وكان بيتل يعلم أن فوكسي يريد أن يقول شيئًا، لكنه كان يريد أن يمعن التفكير فيه أولًا. تلا ذلك صمت؛ إذ كان بيتل ينتظر ريثما يفصح فوكسي عما يريد. وأخيرًا نطق فوكسي: «الموضوع يا بيت هو أن هذا الأمر قد حدث هنا في الماضي. أتذكر ما حدث مع والدي؟».

أومأ بيتل. لقد كان والد فوكسي رئيسًا لكتبة النصوص الهرمسية قبل جيلي دجين، وقد ترك المكان بعد أن تورط في فضيحة التآمر مع سايمون هيب لقتل مارشا أوفرستراند في أيامه الظلامية.

قال فوكسي: «أعلم أن أحدًا لن يصدقني، لكن والدي لم يشأ أن يُعد أي شيء من أغراض العظام لسايمون هيب. لم يكن يعلم لِمَ كان يريده؟ لم يكن يعلم بالفعل. لكنه قال: إن الظلام قد اجتذبه. وحين يجتذب الظلام أحدهم، يقيده بعقد لا يستطيع الإفلات منها مهما حاول». أومأ بيتل.

وأردف فوكسي بتردد: «لقد ذهبت لأرى والدي الأسبوع الماضي».

فقال بيتل بدهشة: «هل ذهبت لرؤيته حقًّا؟ ظننت أن مارشا نفته إلى البلاد البعيدة».

بدا الضيق على فوكسي، وقال: «نعم. لكنه حن إلى الوطن، وعاد في سرية. لقد غير اسمه. إنه يسكن في الميناء الآن. غير أن المكان ليس جيدًا. لكنه لا يأبه بهذا. لا تخبر أي شخص».

«بالطبع لن أفعل».

«شكرًا. أنا لا أزوره باستمرار؛ حتى لا يراني أحد. لكن مؤخرًا أصبحت قلقًا من بعض الأمور التي تحدث هنا ورغبت أن أحدثه عنها. يقول: إن الأمر يبدو سيئًا. هذا الفتى ميريديث. فقد أصبحت جيلي دجين هنا ...». قال هذا وهو يضغط بإبهامه على كفه. «... تحت إبهامه، كان سايمون يضغط على والدي تمامًا كما أضغط بإبهامي على كفي».

وافقه بيتل الرأي، وقال: «إنه يواجه مشكلة منذ البداية. أذكر أنه منذ اليوم الأول لظهوره كان يرتدي ذلك الخاتم».

نظر فوكسي إلى الباب، وقال بصوت منخفض: «أتعلم؟ أنا لا أعتقد أنه مزيف».

«ولكن كيف حصل عليه يا فوكسي؟ لقد كان الخاتم الحقيقي ملكًا لدومدانيال».

«حسنًا، لقد مات».

«لكنك تعلم أن الخاتم يتحرك في اتجاه واحد فقط؛ من أعلى الإبهام لأسفله. لم يكن ليقطع إبهام دومدانيال؟».

قال فوكسي: «لا شيء يدهشني في ذلك الشخص التافه».

رد بيتل: «أعتقد أنه يجب عليَّ أن أذهب إلى المغارة القوطية؛ لأرى ما إذا كانوا يصنعون نسخًا منه. فإذا لم يكن الأمر كذلك، سأذهب إلى مارشا لأسالها عن رأيها».

قال فوكسي مُحذرًا: «لا تندهش إذن إن قابلت اثنين من السحرة هناك وسألوك لماذا تريد خاتمًا، فذات مرة ذهبت لأطلب نسخة من تعاويذ الظلام لأمزح مع بارتريدج، لكن هذا أثار شكوكهم».

سُمع نقر على الباب فقفز بيتل في مكانه.

قال فوكسي: «لا تخف، كل شيء على ما يرام. إنها شفرة الكاتب. كل شيء على ما يرام. حان وقت الانصراف».

وبعد دقيقة واحدة، تمت تغطية بيتل وإخراجه من دار المخطوطات ليقف على طريق السحرة الذي كان مزدحمًا بشكل غير مسبوق. كان سوق التجار قد أُغلق عند الغروب، وكان الناس يتوافدون على طريق السحرة؛ ليشاهدوا عروض الشموع المُضاءة في أطول ليلة. استند بيتل إلى عمود الإنارة الخاص بدار المخطوطات، محاولًا أن يستوعب الأحداث التي جرت على مدار الساعة الماضية. رأى ميزي تتقدم تجاهه قاصدة إياه. وأثناء إفساح الناس الطريق لها، بدت وجوههم المقلوبة مضيئة وهم

يشاهدونها تسند سلمها على العمود وتتسلقه بخفة، وقد أعدت مشعلها الذي تضيء به المصابيح.

أما عن تلك المجموعة من الأطفال التي كانت تتبع ميزي طوال الطريق، فقد تجمعوا حول قاعدة العمود الفضية المتسخة، وصاحوا حين أضاءت شعلة دار المخطوطات عتمة الغروب. كانت لحظة سعيدة؛ غير أن بيتل لم يكن ليستمتع بها. وحين رأى بيتل ميزي، انتعشت ذاكرته، وزال عنها ما اعتراها من تشويش وشهق قائلًا: «چينا!».

وانطلق على الطريق، وهو يزاحم المارة أثناء توجهه إلى القصر.

13

متجر المغارة القوطية

وفي منتصف طريق السحرة، رأى بيتل چينا وهـي تسرع الخطى في الجانب الآخـر. كان شعرها الطويل يرفرف خلفها، ونور المشاعل يتلألأ على حلية رأسها الذهبية، وعباءتها الحمراء تتطاير. كان المارة يهرولون بعيدًا عن طريق چينا عندما يرونها. وفوق رأسها، لم يزل طائر الحب الصغير الخفي يحلق، ويحاول جاهدًا تتبع حـلية رأسها اللامعة أثناء اختراقه الجمـوع في طريقه إلى برج السحرة. أسرع بيتل الخطى عبر الطريق العريض.

كان بيتل لا يزال ملتزمًا بقواعد دار المخطوطات التي اتفق الكتبة كافة على عدم خرقها؛ فقد كان الجري، والصياح، والسب، والغناء، والرقص أمورًا ممنوعة في طريق السحرة. وأثناء عمله في دار المخطوطات، كانت تلك الأمور تُنفذ بحذافيرها، وحتى الآن بيتل لم يخرقها. لكن، حين اختفت چينا بسرعة تجاه القوس العظيم المؤدي إلى فناء برج السحرة، خرق بيتل اثنين من مبادئه، فراح يعدو ويصيح: «چينا! چينا!» وبعد أن توقف الناس ليحدقوا فيه، شعر بأنه قد يكون غير محترم، فصرخ: «أيتها الأميرة چينا! توقفي!»

توقفت چينا، لكن لم يكن هذا بسبب بيتل، بل لكي تخترق الجموع المزدحمة حول ليندا والتي كانت قد عبرت الطريق إلى الجهة الأخرى لتضيء آخر مشعل. وأثناء محاولة چينا أن تمر بجوار بيتل - باعتباره عائقًا آخر في طريقها - مد ذراعه ليوقفها.

نظرت چينا إليه شزرًا، ثم قالت: «ابتعد عن طريقي. آه! هذا أنت يا بيتل! هذا أنت!» وطوقته بذراعيها. فقال شخص من الجمع: «آه! انظروا. إنها الأميرة، وذلك الصبي الذي كان..».

فقال بيتل وهو يحاول الابتعاد عنها بخجل: «لنمضي من هنا».

ثم تأبط ذراع چينا وانطلقا بخفة. أمطرته چينا بأسئلتها الغاضبة: «ماذا حدث يا بيتل؟ لِمَ لَمْ تعد؟ لقد كنت في شدة الخوف. كيف أتيت إلى هنا؟ إلى أين نحن ذاهبون؟» في هذه اللحظة، قادها بيتل

عبر الطريق ونحو ظلال أبي العظام النحيلة تلك الفتحة الضيقة التي تؤدي إلى خارج طريق السحرة وتقود نحو «زقاق العشوائيات»

وقال: «نحن في طريقنا إلى المغارة القوطية».

«لماذا؟». وهنا توقفت چينا مثل المُهر العنيد وهزت رأسها. توقف بيتل؛ فحين يتوقف مُهر في فتحة طريق أبي العظام النحيلة يتوقف الجميع. وهنا رمقت چينا بيتل بنظرة ملكية، وقالت: «لن أتحرك خطوة واحدة إلا إذا أخبرتني بما يحدث».

قال: «سأخبرك في الطريق. اتفقنا؟».

«هل سنذهب إلى المغارة القوطية؛ هذا المكان البشع الذي يجتمع فيه غرباء الأطوار؟».

«نعم. أرجوك يا چينا. هلا تقدمنا؟ الرائحة فظيعة هنا».

فاستسلمت چينا وقالت: «حسنًا. ليكن. أرجو أن يكون الأمر أهلًا للمشقة».

كانت چينا قد وصفت المكان بدقة بالغة. كان متجرًا ضيقًا، ومعتمًا، ومتسخًا في نهاية تقاطع الهواجس في مكان ما في منتصف أحقر ركن في العشوائيات. وحين دفع بيتل الباب، انبعث زئير جعل چينا والطائر الخفي يقفزان. غير أن الطائر تمالك نفسه، وطار إلى الداخل قبل أن يُغلق الباب. توقف بيتل وچينا للحظة، محاولين استيعاب المكان. في البداية، بدا وكأنه معتم تمامًا، لكن سرعان ما لاحظا وجود بصيص شموع قليلة كان يتحرك ببطء،

وبدا كأنه يظهر ويختفي بشكل عشوائي. وراح صوت الناي الغريب ينبعث من مكان ناء، وكان الهواء ممتلئًا برائحة بخور نفاذة، جعلت چينا تعطس. وحين اعتادت أعينهم على الظلام، استطاع بيتل وچينا، رؤية أشكال باهتة تُمسك بشموع وتتجول بين الأكوام الشاهقة والأرفف المترنحة. وفجأة لمع لهيب في الظلمة ورأيا صبيًّا طويلًا يضيء شمعتين متجاورتين. ثم مضى الصبي، وناول الشمعتين لبيتل وچينا، وهو يقول: «مرحبًا بكما في متجر المغارة القوطية».

شهقت چينا: «الفتى الذئبي! ماذا تفعل هنا؟».

قال بصوت يشبه صوت الفتى الذئبي: «هه؟».

رفعت چينا شمعتها، ونظرت للصبي. لم يكن هو الفتى الذئبي، ولكن كان هناك شيء ما يذكرها به؛ فقد كان طول قامته وبنيته تماثلان طول قامة وبنية الفتى الذئبي، لكن شعره كان قصيرًا ومصففًا لأعلى، وكان أيضًا أسود-رأته چينا بالرغم من الظلام الذي يعم المكان-في حين كان شعر الفتى الذئبي بنيًّا فاتحًا.

قالت چينا: «معذرة، لقد ظننتك شخصًا آخر».

«فعلًا، أنا آسف، فأنا لست هذا الشخص الذي يدعى الفتى الذئبي. لكن على أي حال إنه اسم لطيف».

«شيء غريب، صوتك يشبه صوته تمامًا، أليس كذلك يا بيتل؟».

رد بيتل موافقًا: «يشبهه تمامًا».

«وبيتل أيضًا اسمٌ لطيفٌ. مهلًا، مهلًا، يا إلهي أنت الأميرة. رائع. لكن ماذا تفعلين هنا؟».

قالت چينا: «لقد جئنا لكي نرى إن كنت تبيع نسخًا مقلدة من الخاتم ذي الوجهين».

«ماذا؟».

قال بيتل بوضوح وهدوء: «نريد أن نعرف إن كنت تبيع حاليًّا أو كنت تبيع في الماضي نسخًا مقلدة من خاتم الظلام ذي الوجهين».

«هه؟».

كرر بيتل كلامه: «خاتم الظلام ذو الوجهين».

قال الصبي: «يا إلهي!».

« حسنًا... هل تبيعها، أو كنت تبيعها؟».

قال الصبي، وقد بدا عليه الارتباك: «هل حقًّا تريد أن تعرف؟».

قال بيتل وهو يحاول أن يتحلى بالصبر: «نعم، أرجوك. هل بعتها من قبل؟ لأي شخص؟».

قال الصبي: «اتبعاني من فضلكما».

تبعه بيتل وچينا بالرغم من شعورهما بأنهما قد ارتكبا خطأً. لم يكن اتباع الصبي أمرًا سهلًا؛ فقد كان يرتدي عباءة سوداء طويلة تصل إلى الأرض وتمتزج مع خلفية المشهد المظلم، وكان من الواضح أنه يعرف طريقه جيدًا دون الحاجة إلى شمعة؛ فقد أخذ يتنقل بخفة وبسرعة بين الرفوف التي كانت موضوعة بشكل يشبه

المتاهة المزدوجة. تبعته چينا أولًا، وكانت الوسيلة الوحيدة التي تمكنها من ملاحقته هـــي تتبع صوت حفيف طرف عباءته عندما يلامس الألواح الخشبية الخشنة التي تغطي الأرضيات. راحا يسلكان طرقًا ملتويـــة في الممرات بين البضائع التي كانت تبدو بلا نهاية. كانت هذه المتاهة مصممـة بحيث يمر الزبائن على كل شيء مرتين. راحا يحاولان ملاحقة الصبي دون التعثـر في العظام المصنوعة من الجبس والعباءات السوداء الرخيصة وأسنان الغول المزيفة - والغول هـــو كائن خرافي ينتمي إلى مصاصي الدماء - وزجاجات الدماء المزيفة ودلاء المجوهرات الثقـيلة المزينة بالجماجم والتمائم وأشلاء حيوانات الهامستر الميتة - آخر صيحة - وأكوام كتب السحر والتعاويذ المشهورة وأكوام الألعاب اللوحية والطلاء المضيء في الظلام وجرار الحشرات المطاطية وبيوت العناكب وعيون المستذئبين ومئات من الأمثلة الأخرى فيما يعرف في القلعة بالمغارة القوطية.

وأخيرًا خرجا من المتاهة، ليصلا إلى الجزء الخلفي من المتجر الذي كان عبارة عن مساحة مغطاة بالأتربة تكتظ بأكوام عالية من الصناديق المغلقة ومضاءة ببضعة شموع سوداء طويلة. كان صوت الناي الغريب هنا يبدو أعلى وأوضح، وكان يأتي من خلف باب صغير - مطلي باللون الأسود بطبيعة الحال - كان مختبئًا داخل قوس قوطي مزخرف. أشار لهما الصبي أن يتبعاه، واتجه صوب

الباب. أسرعت چينا خلفه، وتعثرت في كومة من الجماجم المصنوعة من الورق المقوى، فاستندت على القوس الذي اهتز بشكل مرعب.

طرق الصبي الباب، وتوقف صوت الناي -مما جعلهما يشعران ببعض الارتياح- ونادى صوت: «من بالباب؟».

«إنه أنا مات. لدي تسعة تسعة هنا ومعي الأميرة وكاتب النصوص الهرمسية السابق».

«كم هذا مضحك يا ماركوس؟! أحضر لي فنجانًا من الشاي من فضلك».

«أنا لا أمزح؛ إنهما معي بالفعل، إنها الأميرة، يا سيد إيجور أونيست.

بدا الصوت على الناحية الأخرى من الباب غاضبًا.

«ماركوس، لقد أمرتك من قبل أن تتوقف عن هذه الأكاذيب، والآن اذهب وأحضر لي فنجانًا من الشاي».

التفت الصبي إلى چينا وبيتل، وقال: «عفوًا، فروح الدعابة تنتابه عند الغسق، سأذهب لأحضر له فنجانًا من الشاي، وسيقابلكما بعدها».

قال بيتل باستياء: «ولكننا لا نحتاج أن نقابله، نحن فقط نريد أن نعرف هل كان لديك في يوم ما أي نسخ مقلدة من الخاتم ذي الوجهين».

«بالضبط، إذًا فيجب عليكما مقابلته. إنها القواعد. معذرة». ابتسم الصبي معتذرًا واختفى في المتاهة مجددًا.

قالت چينا: «هذا سخف، لن أظل منتظرة هنا طوال الليل».

طرقت چينا على الباب الأسود الصغير بقوة، ثم دخلت دون أن تنتظر الرد وتبعها بيتل.

كان هناك رجل طويل له وجه شديد البياض، ولحية ناعمة مدببة، يجلس على مكتب صغير وحيدًا يلعب الورق. تمتم الرجل دون أن يرفع عينيه: «كان هذا سريعًا يا ماركوس. ضعه هنا من فضلك». وعندما لم يظهر فنجان الشاي أمامه رفع عينيه، ونظر إليهما فاغرًا فاه، واتسعت عيناه في ذهول، وشهق قائلًا: «يا إلهي!». انتفض واقفًا ليبعثر أوراق اللعب، وانحنى وهو مرتبك. «الأميرة چينا! إنه أنت فعلًا. أنا في شدة الأسف. لم أكن أعرف...». ونظر حوله.

«أين ذهب ماركوس؟ لماذا لم يخبرني أنك هنا؟».

قالت چينا متحيرة: «حسنًا، لقد قال لك مات بالفعل إنني هنا».

قال الرجل بغموض: «مات أو ماركوس سيان. اجلسي يا أميرة، تفضلي، تفضل أيها الكاتب بيتل. أشار الرجل بيده لبيتل ليمتنع عن التفسير، وقال: «لا، لا تقل شيئًا. أنا أعرف ما حدث. ولكن بمجرد أن تصبح كاتبًا تظل كاتبًا، أليس كذلك؟ والآن ما سبب هذه الزيارة الكريمة؟ ما الذي يمكنني أن أقدمه لكما؟».

دخلت چينا في صلب الموضوع مباشرة، وقالت: «نريد أن نعرف هل كنت قد بعت نسخًا مقلدة من الخاتم ذي الوجهين».

قال إيجور وقد شحب وجهه: «إذنْ فالأمر بالفعل متعلق بتسعة تسعة تسعة. يا إلهي كم هذا محرج. إنني جد آسف، ولكن هذا جزء من شروط رخصتنا». مد إيجور يده أسفل المكتب، وضغط على زر أحمر كبير. ثم نظر لهما وابتسم بحرج.

وقال: «مجرد إجراء شكلي بالطبع. تفضلا، اجلسا». وأشار إلى كرسيين خشبيين متقلقلين مستندين إلى الحائط. راقبهما إيجور بحذر وهما يجلسان دون أن يرفع عينيه من عليهما ولو للحظة واحدة: «حسنًا، يا صاحبة السمو..»..

قاطعته چينا: «فقط ناديني چينا».

«سيكون هذا رفعًا للكلفة أكثر من اللازم. هل يمكنني أن أناديك الأميرة چينا؟».

أومأت چينا برأسها.

«حسنًا يا أميرة چينا، إذا سأل شخص آخر هذا السؤال لكان من حقي أن أحتجزه هنا حتى يأتي الساحر المناوب. ولكن أنت الأميرة چينا، وبالطبع لا يمكن أن أحلم حتى باحتجازك هنا ضد إرادتك». كان إيجور يبدو في شدة الحرج.

سألت چينا: «ماذا تعني؟».

«حسنًا، الأمر كالتالي. لدينا هنا ما يطلق عليه قائمة الإخطارات، وتضم بعض أغـراض الظلام مثل بعض المواد والوصفات والتعاويذ... إلخ إلخ. وعلى رأس هذه القائمة الخاتم ذو الوجهين، ويحمل الرقم الكودي تسعة تسعة تسعة. وإذا سأل أي شخص عن أي شيء تضمه القائمة يجب علينا أن نبلغ برج السحرة على الفور».

سألت چينا: «ولكن لماذا؟».

هز إيجور كتفيه قائلًا: «لا أدري؟ فبرج السحرة لا يخبرنا بأي شيء. ولكن أظن أن مجرد المعرفة بوجود هذه الأشياء والرغبة في امتلاك نسخ منها ينم عن معرفة بأشياء عن الظلام، وهذا يثير الشكوك، أليس كذلك؟ بل قد يكون خطيرًا». ثم أردف مسرعًا: «باستثنائك يا أميرة بالطبع. فلا شك أنه من حقك أن تهتمي بكل شيء. هذا أمر مفروغ منه... تمامًا».

سألت چينا: «إذن هل يعني هذا نعم أم لا؟».

قال إيجور، وقد ارتسمت على وجهه علامات الحيرة: «نعم أم لا ماذا؟».

«هل بعت نسخًا مقلدة من الخاتم ذي الوجهين؟».

بدا إيجور مصدومًا وقال: «يا إلهي! لا. بالطبع لم نفعل. ماذا تظنيننا؟!».

قالت چينا: «أنا آسفة. أنا... لم أقصد أي إساءة. فقط كنا نريد أن نعرف».

أخفض إيجور صوته، وقال: «لا تحاولي أن تعرفي، وتوقفي عن التفكير في هذا الخاتم. واحذري يا أميرة چينا، ولا تتدخلي في هذا الأمر، ولا تذكريه مرة أخرى». نظر إيجور إلى نقطة تعلو رأس چينا ببضعٍ أقدام مقطبًا جبينه.

وتمتم قائلًا: «انتبهي يا أميرة. من يسير مع الظلام، لا يسير وحده». ثم وقف وانحنى بجدية.

«قد لا يكون رفقاؤك في رحلتك كما تتمنين. سيصطحبك ماركوس إلى الخارج».

تبع بيتل وچينا ماركوس.. أو مات مرة أخرى إلى داخل المتاهة، وهما صامتان يصاحبهما نفس الشعور بأنهما قد ارتكبا خطأً ما. وبينما مرا بوعاء زجاجي كبير مليء بأسنان الغول، توقفت چينا وأخذت مجموعة منها.

سألت چينا: «بكم هذه المجموعة؟».

ابتسم مات -أو ماركوس- وقال: «إنها مجانية لك أنتِ».

قالت چينا مبتسمة: «حقًّا؟ أشكرك».

رافقهما الصبي إلى خارج المتاهة وفتح لهما الباب.

قالت چينا باهتمام: «عفوًا، ولكن هل اسمك ماركوس أم مات؟».

ابتسم الصبي قائلًا: «مات».

«إذنْ لِمَ يناديك إيجور ماركوس؟».

« ماركوس هو أخي، ونحن متشابهان تمامًا. ويظن إيجور أننا نخدعه ويتظاهر كل منا أنه الآخر، لكن هذا ليس صحيحًا ... هذا سخيف حقًّا. لكن إيجور يعتقد أنه خارق الذكاء، وعندما يخبره أي منا باسمه ينادينا باسم الآخر». هز إيجور كتفيه، وقال: «هكذا تسير الأمور هنا كل شيء غريب».

وافقته چينا الرأي قائلة: «غريب حقًّا».

خرج بيتل وچينا يصاحبهما زئير وحش البوابة إلى تقاطع الهواجس حيث الرياح العاصفة المخروطية الشكل. التفت بيتل لها، وشعره يتطاير ويدخل في عينيه، وقطرات المطر المتجمدة الحادة تجعله يرمش. وقال: «إذا كان فوكسي محقًّا، إذن فميرين لديه الخاتم الحقيقي. هذا أمر خطير... علينا أن نخبر مارشا فورًا».

لفت چينا عباءتها حولها، وجذبت الفراء الذي يزين الحواف تحت ذقنها؛ ليحميها من المطر، وقالت: «أنا أعلم أن أمي ستكون غاضبة للغاية؛ فقد كانت تنتظر هذه الليلة منذ زمن بعيد، فهي أول مرة على الإطلاق أجتمع فيها مع سِب عندها؛ لنحتفل بعيد ميلادنا».

سار بيتل وچينا صامتين عائدين أدراجهما عبر تقاطع الهواجس متجهين صوب لافتة مكتوب عليها: إلى برج السحرة.

كان يحلق فوقهما طائر الحب الصغير الخفي وهو يقاوم الرياح العاصفة وتغمره مياه الأمطار، ولكن الآن صار لديه بصيص من الأمل أنه قد يرى حبه الحقيقي مرة أخرى قريبًا.

قالت چينا: «بيتل».

«همم؟».

«لم أخبر أحدًا قط بهذا الأمر؛ لأنني خشيت أن يظنوني غريبة الأطوار أو شيئًا من هذا القبيل، لكنني أعتقد أن ميرين كان يعيش في القصر منذ وقت طويل».

قال بيتل وقد بدت على ملامحه الدهشة: «ماذا؟».

«حسنًا... كنت بين الحين والآخر أراه يختفي عند الزاوية إلا أنني لم أكن متأكدة تمامًا. أخبرت أمي ذات مرة، لكنها ظنت أنه مجرد شبح. ولكن أتذكر ما قاله بارني بوت للعمة زيلدا أن ميرين قد تربص له في الممشى الطويل؟ أنا أعلم أن أحدًا لم يصدقه لكن بارني لا يختلق الأكاذيب. وإذا كان ما قاله صحيحًا فهذا يعني أن ميرين كان يتجول في المنطقة لثمانية عشر شهرًا على الأقل، وهذا شيء مرعب حقًّا». ارتعشت چينا.

قال بيتل: «هذا فظيع. مجرد التفكير في أنه كان يختبئ هناك ويراقبك ويتجول في المكان ليلًا..».

قالت چينا معترضة: «اصمت يا بيتل! أنا لا أريد أن أفكر في ذلك».

وصل كلاهما إلى اللافتة التي تشير إلى الطريق إلى برج السحرة والتي كان ينيرها مشعل صغير متوهج موضوع في حامل أعلاها. كانت اللافتة تشير إلى زقاق مضاء معروف في المنطقة باسم طريق السحر. اتجه كلاهما نحوه، وسارا بخفة بين البيوت الجميلة الأنيقة على هدى ضوء شموع أطول ليلة التي توجد في نوافذها. وبينما واصلا المسير إلى وجهتهما لاحظ بيتل أن چينا تزداد قلقًا واضطرابًا.

وبعد قليل، سألت چينا بيتل: «هل أنت متأكد من أن هذا هو الطريق الصحيح؟».

قال بيتل، وهو ينظر لچينا بحيرة: «بالطبع». فقد كان بيتل يعلم أنها تعرف الطرق المحيطة بالعشوائيات جيدًا.

«ولكن... أشعر أنه ليس الطريق الصحيح».

قال بيتل وهو يشعر بالحيرة: «لا، إنه هو وأنت تعرفين تمامًا أنه هو. إنه طريق السحر».

توقفت چينا وهي تنظر حولها وكأنها ترى هذا الطريق لأول مرة. وكان طائر الحب الخفي يرفرف فوقها يحدوه الأمل في قرب الوصول إلى موطنه.

سألها بيتل: «ماذا بك؟». نظر بيتل لأعلى، وشعر كأن هناك شيئًا يحوم فوق رأس چينا خارج مجال رؤيته.

عنفته چينا غاضبة: «لا شيء. توقف عن مضايقتي يا بيتل. لن أسير في طريقك الأحمق هذا. هذا كل ما بالأمر!». استدارت چينا وراحت تركض عائدة أدراجها عبر طريق السحر.

ثم فجأة انعطفت يسارًا، واختفت في زقاق ضيق مظلم... زقاق الخنجر الطائر سيئ السمعة.

14
الخنجر الطائر



انطلق بيتل بأسرع ما يمكن خلف چينا إلا أنه -بعكسها- لم يكن بطبيعته عداء ماهرًا. فسرعان ما فقد أثرها، ولم يعد يرى عباءتها الحمراء التي تتطاير خلفها، بينما كانت تركض أمامه وهي تقفز فوق البرك الصغيرة وتتزلق حول الزوايا الجانبية، وتنعطف في الأزقة الضيقة المظلمة وكأنها قد ركضت في هذا الطريق مئات المرات.

ولكن بيتل كان يتبع صوت خطواتها الخافت بكل إصرار

ولكن سرعان ما اختفى وقع أقدامها، ولم يعد يسمع سوى صوت حذائه على الأحجار وفقد أثر چينا تمامًا.

ومن بين الأزقة العديدة المتفرعة من طريق السحر، كان زقاق الخنجر الطائر هو الأسوأ على الإطلاق. فقد سمي هذا الممر الضيق باسم قاطع طريق وسفاح سيئ السمعة، وقد كان يستخدم هذا الزقاق كمهرب آمن له. فحتى إن كان مطاردوه على مقربة منه كان الخنجر الطائر يتمكن دائمًا من الهرب تاركًا مطارديه يضربون أخماسًا في أسداس؛ فقد كان يقفز في مصرف مجارٍ مفتوح في نهاية الزقاق المغلقة، ثم يزحف في المياه والقاذورات، ليصل إلى قاربه الصغير المربوط أعلى النهر بجوار فتحة مصرف المجاري.

لم يستطع بيتل أن يفهم سبب دخول چينا لهذا الزقاق تحديدًا من بين كل الأزقة الأخرى. كانت چينا مثل بيتل قد تربت وترعرعت في العشوائيات. فقد التحقت بمدرسة العشوائيات، وكذلك فقد اجتازت اختبار العشوائيات للكفاءة عن طريق حفظ خريطة العشوائيات، ونجحت في القيام بثلاث رحلات موقوتة وحدها. وكان هذا هو الاختبار الذي كان يجب على كل طفل اجتيازه قبل أن يسمح له أن يكون أحد سكان العشوائيات أو المتجولين، ويتجول فيها بحرية وحده. ولكن حتى سكان العشوائيات أو المتجولين لم يكن مسموحًا لهم بدخول كل

الأزقة، فقد كانت هناك أزقة غير مسموح لهم بدخولها، وعلى رأس القائمة كان زقاق الخنجر الطائر.

كان زقاق خنجر - وهو الاسم المعروف في المنطقة - مسكونًا بأكثر سكان القلعة غموضًا الذين لا يراهم المرء نهارًا، ولا يتمنى رؤيتهم ليلًا. وكانت مبانيه متهالكة، تنبعث منها رائحة تشبه رائحة العفن الكريهة (بل وأسوأ)، وكان سكانها معتادين على مضايقة الغرباء، سواء بالاصطدام بهم عن عمد أو التحديق بهم من النوافذ، وكانوا على أتم استعداد لأن يمطروهم بدلو من المياه القذرة إذا لم يشعروا بارتياح تجاههم. وهكذا فمن الواضح أن الخنجر الطائر لم يكن مكانًا يريد أي أحد أن يذهب إليه بإرادته، وخاصة ليلًا.

ولكن چينا أخذت تركض في زقاق خنجر، ناسية تمامًا كل ما تعرفه عنه. كان الطائر الخفي يرافق چينا وهي تركض وتقفز من فوق الحفر وتنزلق حول أكوام القمامة العفنة، متجاهلة مواء القطط واللعنات التي راحت تنصب عليها من النوافذ بالأعلى، بل وتجاهلت أيضًا ثمرة طماطم فاسدة صُوِّبت نحوها بدقة، وأصابت عباءتها من الخلف. وقرب نهاية الزقاق، أبطأت چينا قليلًا، وفي النهاية توقفت عن الجري، ووقفت تحت مصباح صدئ تلتقط أنفاسها، ونظرت حولها؛ لتشعر فجأة بالدهشة من المكان الذي وجدت نفسها فيه. وأخذ المصباح الصدئ المتدلي فوق رأسها يصدر صريرًا وهو يتأرجح بكآبة فوق الباب المتهالك المزين بالمسامير.

وكان يوجد خلفها نافذة مغطاة بالألواح، مكتوب عليها بأحرف باهتة:

نقرأ الطالع، دون خداع

هيا ادخل وكن شجاعًا

والدفع نقدًا

هزت الرياح الشديدة المصباح بشكل مرعب، وسرت رعشة في جسد ڇينا. وتساءلت في نفسها: «ما هذا المكان، وماذا تفعل هنا؟» وتذكرت قائمة الأزقة الممنوع دخولها منذ عهد بعيد، وأدركت وهي تشعر بانقباض أنها لم تركض في زقاق الخنجر الطائر فحسب، ولكنها الآن تقف خارج مستودع الهلاك سيئ السمعة، والذي كان فيه مسرح لعديد من الأحداث منذ عدة سنوات عندما تم غلقه وتبخيره عن طريق جماعة من السحرة بقيادة الساحرة العظمى نفسها.

وكل طفل في العشوائيات يعرف جيدًا أن مستودع الهلاك يقع بالقرب من نهاية الخنجر الطائر، وكانت ڇينا تعرف أن نهاية هذا الزقاق مغلقة، لذا كان يتعين عليها أن تستدير وتعود من حيث أتت. جعلتها هذه الفكرة ترتعد، بل وشلت حركتها تمامًا. استمر المصباح في الصرير والمطر يغرق عباءتها.

هزت چينا رأسها لتتخلص من إحساس غريب بأن ذهنها مشوش ورأسها به طنين عجيب.

وبمجرد أن استجمعت چينا شجاعتها لتعود أدراجها عبر زقاق خنجر سمعت وقع أقدام قادمة نحوها، فتجمدت في مكانها، ثم اقترب وقع الأقدام أكثر وأكثر. انكمشت وسط ظلال مستودع الهلاك بجوار السور، على أمل ألا يراها من يقترب منها أيًّا كان.

كان هذا الشخص هو بيتل الذي شعرت براحة جمة عندما رأته يأتي نحوها مسرعًا.

قال بيتل وهو يلهث: «چينا» ـ وقد شعر بنفس الراحة التي شعرت بها عندما وجدها واقفة بانتظاره ـ «ماذا تفعلين؟ ولم أتيت إلى هنا؟».

«أنا... أنا لا أعرف حقًّا». وكان هذا حقيقيًّا ؛ فچينا لم تكن تعرف لم فعلت هذا؟ كانت تشعر وكأنها قد أفاقت من حلم غريب.

قال بيتل: «هيا بنا، فلنخرج من هنا». نظر حوله بعدم ارتياح، وقال: «يجب أن نعود من حيث أتينا، فالطريق مغلق عند هذا المنعطف، وأنت بالتأكيد لا تريدين أن ينتهي بك الأمر هناك».

قالت چينا: «أنا أعرف، أنا أعرف».

انطلق بيتل مسرعًا وتبعته چينا... لكنها لم تستطع أن تتحرك. دارت حول نفسها؛ لتتأكد من أن عباءتها ليست عالقة بشيء،

ولكنها لم تكن عالقة بأي شيء، ثم جذبت ثوبها الطويل الذي أحزنها كثيرًا أنه كان مغطى بالوحل، لكنه لم يكن عالقًا بشيء هو الآخر. حاولت چينا أن تتمالك أعصابها ورفعت إحدى قدميها أولًا، ثم الأخرى ولم تكن أي منهما عالقة أيضًا، ولكن عندما حاولت أن تتبع بيتل مرة أخرى لم تستطع أن تتحرك.

لم تستطع چينا أن تتمالك أعصابها أكثر من ذلك، واستولى عليها الخوف والفزع وصاحت: «بيتل! بيييييي... تل!». ولكن صوتها قد انحبس، مما أفزعها وأرعبها حقًّا. وانطفأ ضوء المصباح فوق رأسها، وغاصت چينا في الظلام.

لم يكد بيتل يبتعد، حتى أدرك أن چينا لم تكن تتبعه، شعر بيتل بالغضب... فلماذا تتلاعب به هكذا؟!

عاد بيتل أدراجه وهو في شدة الغضب، ليحضرها، ولكنه رأى المصباح المعلق فوق الباب المزين بالمسامير قد انطفأ، ولم يجد أثرًا لچينا.

وقف بيتل خارج الباب، نادى بيتل هامسًا: «چينا؟... چينا؟».

ولكن لم يكن هناك أي رد. تساقط بضع من زخات المطر الباردة، وارتعش بيتل الذي كان يرتدي سترة ضابط، ولف وشاحه الصوفي لفة أخرى حول رقبته. تمنى لو لم يكن في هذا المكان المريع، وتمنى لو يعرف ما تنويه چينا ... ففي بعض الأحيان كان يعجز عن فهمها. تصور بيتل أن چينا كانت لديها خطط

تخفيها عنه، وأنها تحاول أن تتخلص منه مجددًا. انطلق بيتل ساخطًا نحو النهاية المغلقة لزقاق «خنجر» سيئ السمعة، فأيًا كان ما تخططه چينا فهو بالتأكيد لن يتركها وحدها في نهاية هذا الزقاق اللعين.

كانت نهايته المغلقة مكانًا مهجورًا موحشًا، وكان الغضب والسخط الذي يشعر به بيتل قد بدأ يتحول إلى قلق. نظر داخل المصرف المفتوح، ووجد بجواره لوحًا خشبيًا متعفنًا تركه أحدهم مكتوبًا عليها: «احترس» . أخرج بيتل مصباحه الأزرق، وأضاءه، وجثا على ركبتيه بحذر، ونظر داخل المصرف المفتوح، لتزكم أنفه رائحة كريهة.

نادى وهو متوتر وقد بدا صوته أجوف في ظلام المصرف: «چينا.. چينا!».

لم يتلق بيتل أي رد، ليشعر بيتل بشيء من الارتياح، الذي سرعان ما تبدد عندما تخيل صورة چينا وهي ترقد فاقدة الوعي في أعماق المصرف. مال بيتل إلى الأمام حاملًا مصباحه، وفي أعماق المصرف رأى مياه المصرف الداكنة القذرة وهي تغطي جزءًا من... -يا إلهي- كتلة داكنة ما.

نادى بيتل وصوته يرن بشكل أجوف داخل المصرف: «چينا!».

سمع بيتل صوت كحة خلفه، وسمع صوتًا مألوفًا يسأله: «هل فقدت شيئًا؟».

قال بيتل: «الفتى الذئبي!» ثم نظر لأعلى، وقال: «معذرة، إنه أنت».

قال الصبي: «نعم، أنت على حق، إنه أنا. ولكن من أنت؟».

«أنا بيتل، أتذكر عند المغا... آه لا بد أنك ماركوس».

ابتسم ماركوس، وقال: «لقد ذهبت إلى المغارة، أليس كذلك؟ هل لايزال مات هناك؟».

قال بيتل وصدى صوته يتردد في المصرف: «آه... نعم. نعم لايزال هناك».

قال ماركوس: «عظيم، لقد تأخرت على موعد ورديتي، ولذا اضطررت أن أسير فى هذا الطريق المختصر وراء السور، ولم أكن لأسلكه أبدًا لولا أنني في عجلة من أمري».

نظر ماركوس لبيتل متفحصًا إياه، وقال: «وأنت... ما أتى بك إلى هنا؟».

وجه بيتل مصباحه الأزرق إلى داخل المصرف، وقال: «أعتقد أن چينا قد سقطت هنا. انظر».

قال ماركوس: «مصباح رائع». ثم نظر داخل المصرف، ووجه بيتل ضوء المصباح صوب الكتلة الراقدة بالأسفل. قال ماركوس: «لا، هذا ليس إنسانًا. إنها مجرد كومة من الملابس وبعض الأشياء القديمة».

لم يكن بيتل متأكدًا من ذلك.

قال ماركوس: «يمكنك النزول للأسفل؛ للتأكد بنفسك إن شئت لتتأكد من أن هذا الشيء ليس... قلت من؟».

«چينا، الأميرة چينا».

صفر ماركوس في دهشة وقال: «الأميرة چينا؟ ولكن ماذا تفعل بالأسفل؟». ونظر للأسفل مرة أخرى.

«حسنًا، إذا كنت تظن حقًّا أن هذه هي الأميرة چينا، فسيكون من الأفضل أن تنزل للأسفل، وتلقي نظرة. هناك بضعة سلالم للنزول لأسفل... أتراها؟».

كان آخر شيء يريد بيتل أن يقوم به هو النزول داخل هذا المصرف العفن، لكنه كان يعلم جيدًا أن ليس لديه اختيار.

قال ماركوس بينما كان بيتل ينزع اللوحين الخشبيين ويتأرجح فوق الحافة: «لا تقلق، سأراقب المكان، ولن أدع أحدًا يطلب منك فدية».

كان رأس بيتل يكاد يظهر من الفتحة، إذ قال: «يطلب ماذا؟».

«فدية. يحدث هذا عندما يدفعك أحدهم داخل المصرف، ولا يسمح لك بالخروج إلا عندما يجردك من كل مقتنياتك».

قال بيتل وهو ينظر داخل المصرف متحيرًا: «كل مقتنياتك؟».

ابتسم ماركوس، وقال: «نعم، وصدقني لا يكون الأمر ممتعًا عندما تجري في الزقاق عاريًا. وعليك أن تحترس أيضًا؛ فدرجات السلم صدئة».

«حسنًا». بدأ بيتل ينزل السلم بحذر شديد؛ فدرجات السلم كانت صدئة بالفعل، وغير مثبتة جيدًا بالحائط الطوبي، وبينما كان يضع حذاءه ببطء في الوحل الذي يغطي قاع المصرف انخلعت آخر درجة في يده. ألقاها وسط الوحل، ووجه ضوء مصباحه إلى داخل المصرف.

لم يكن الضوء الأزرق الصادر من مصباح بيتل يكشف الكثير، فقد كان هذا المصباح مخصصًا للاستخدام وسط الثلوج البيضاء الناصعة، وليس للاستخدام وسط مياه المجاري البنية القذرة، ولكنه على أي حال كان يكشف ما يكفي، ليرى ويدرك أن الكتلة التي كان يخشى أن تكون چينا فاقدة الوعي عبارة عن مجرد كومة من الملابس القديمة، إلا أنه أراد أن يتأكد، فسار في الوحل متجهًا نحوها، محاولًا أن يتجاهل المياه التي تأتي وكانت قد بدأت تتسرب في حذائه، ونكز الكتلة بقدمه وهو متردد، لتتحرك الكتلة ويصرخ بيتل.. جرى فأر كبير واختفى وسط الظلام.

ظهر وجه ماركوس من فتحة المصرف، ونادى: «هل أنت بخير؟».

قال بيتل وهو يشعر بالحماقة: «نعم. إنه فأر... فأر كبير».

قال ماركوس: «هناك الكثير منها بالأسفل، وهي بالتأكيد ليست فئرانًا عادية؛ فهي نوع مختلف تمامًا تعضك بمجرد أن تنظر إليها. أنت محظوظ».

«يا إلهي..».

سأل ماركوس: «أعتقد أنها ليست الأميرة، أليس كذلك؟»

«لا».

«أعتقد أنك لا تريد أن تبقى بالأسفل أكثر من ذلك، فالجو ممطر هذه الأيام، وربما يحدث فيضان».

لم يكن بيتل يستطيع أن يسمع ماركوس بوضوح؛ فقد كان هناك صوت كهدير الرعد يملأ أذنيه».

«فيضان. يا إلهي، انتبه».

لم يسمع بيتل كلمة واحدة مما قاله ماركوس، لكنه سمع صوتًا ما كان قادمًا نحوه من مصرف المجاري. قفز بيتل لأعلى سريعًا ممسكًا بإحدى درجات السلم، ليفاجأ بأنها قد اختفت، وتذكر أنها الآن ترقد تحت الوحل حيث ألقاها. أخذ هدير الرعد يعلو أكثر وأكثر في أذنيه، ثم أدرك بيتل أن هناك يدًا ممدودة له وماركوس يصرخ: «أمسك بيدي، هيا أسرع!».

وبعد بضع ثوان كان بيتل وماركوس يرقدان على الحصى المبلل في نهاية زقاق الخنجر الطائر وهما يحدقان في الماء المندفع من المصرف أسفلهما.

قال بيتل وهو يلهث: «أشكرك».

زفر ماركوس، وقال: «لا داعي للشكر، حمدًا لله أن الأميرة چينا لم تكن هناك».

اعتدل بيتل جالسًا، ومرر أصابعه في شعره كما يفعل دائمًا عندما يشعر بالقلق... وتمنى لو لم يكن يشعر بهذا الشعور. ترى أين چينا؟



✣ 15 ✣

مستودع الهلاك

كانت چينا في مستودع الهلاك.
فبينما راحت تصرخ منادية بيتل دون أن تنطق بكلمة، وبينما كان ضوء المصباح المعلق فوق رأسها آخذًا في الخفوت، سمعت چينا صوت صرير الباب المزين بالمسامير الذي كانت تقف أمامه وهو ينفتح. حاولت چينا أن تهرب وهي مرعوبة، لكنها وجدت قدميها متسمرتين بالأرض أمام الباب من فرط خوفها. وعندما امتدت ذراع من فتحة الباب، وجذبتها من عباءتها للداخل، ساقتها قدماها عبر الباب إلى مستودع الهلاك، وانتظرت بصبر، بينما ظهرت فتاة ترتدي عباءة ساحرات تشبه تلك التي رأتها في المغارة القوطية، وأغلقت الباب، وأوصدته جيدًا.

قالت چينا وهي لاهثة الأنفاس: «ماريسا!». ولكنها بعد ذلك صمتت تمامًا مرة أخرى.

ابتسمت ماريسا بتكلف، وقالت: «السمكة الذهبية». وراحت تفتح وتغلق فمها ساخرة كالسمكة.

تشبثت ماريسا بعباءة چينا، وراحت تجذبها عبر ردهة أحد منازل القلعة التقليدية الطويلة الضيقة. كان الظلام الحالك يسود المكان، لكن ماريسا كانت تعرف طريقها جيدًا، وفتحت أول باب قابلها، ودفعت چينا داخل الحجرة التي تشبه النفق، والتي تضيئها شمعتان ونار ضعيفة في المدفأة الضخمة التي توجد في نهايتها. ألقت الشموع بضوئها على مشهد يبدو مريحًا. كان المشهد لمائدة يلتف حولها مجموعة من النساء اللاتي يتناولن الطعام. لكن چينا شعرت بعدم الارتياح؛ فهؤلاء النساء كن عصبة ساحرات الميناء.

كانت كل العيون مسلطة على چينا، بينما ماريسا تقوم بضم فرد جديد للحفل دون رغبته. وعندما وصلتا إلى المائدة-التي كان يوجد حولها مقعدان خاويان- أحكمت ماريسا قبضتها على چينا؛ خشية أن تفقد جائزتها في اللحظة الأخيرة. فقد كان هذا هو أول اختبار تضعه لها العصبة، وكانت تعلم أنها قد أبلت به بلاء حسنًا؛ فقد نجحت تعويذتا الصمت وتعطيل الأقدام. ولكن من خبرتها السابقة، كانت ماريسا تعرف جيدًا أن الأميرات مراوغات، وكانت لا تريد المخاطرة بأي حال من الأحوال.

دفعت ماريسا چينا على أحد المقعدين الخاويين، وجلست على المقعد الآخر بجوارها. لم تقم چينا بأي رد فعل، فقط أخذت تحدق في المائدة أمامها، لأنها أولًا كانت مصممة على ألا تنظر في عيني أي من الساحرات، وثانيًا بسبب رعبها ودهشتها مما كان يتناوله الساحرات من طعام. فقد كان يبدو أسوأ من قرابين العمة زيلدا، فعلى الأقل كانت العمة زيلدا تبذل جهدًا في طهي المكونات الغريبة التي تستخدمها ليكون من الصعب التعرف عليها، أما حشرات أبي مقص المملحة التي تتلوى في السلطانيات وأطباق الفئران المسلوخة المغطاة بصلصة شاحبة متكتلة لم تكن تبذل أي جهد للتخفي. شعرت چينا بالغثيان، ونقلت بصرها إلى مفرش السفرة المنقوش برموز الظلام، ومغطى ببقع بقايا صلصة قديمة وجافة.

دفعت ليندا-رئيستهم ذات النظرة البغيضة التي كانت چينا قد رأتها من قبل في كشك الحلي- مقعدها للخلف وهي غاضبة، وانتفضت واقفة، ودارت حول المائدة ببطء وأسلوب تهديدي، متجهة نحو چينا. حومت ليندا بالقرب من چينا، حتى إنها استطاعت أن تشم رائحة ملابس الساحرة الرطبة العفنة مختلطة برائحة ورود ميتة. وفجأة رفعت ليندا ذراعها لأعلى، وكأنها تستعد لتصفع چينا، انتفضت چينا من الذعر رغمًا عنها.

لكن كف ليندا المفتوح اندفع نحو نقطة فوق رأس چينا مباشرة، وخطفت شيئًا من الهواء.

أنزلت ليندا قبضتها المغلقة، وثبتتها أمام وجه چينا. ثم تمتمت ببعض الكلمات؛ لفك تعويذة الصمت، ثم فتحت أصابعها. كان يرقد في كف الساحرة الطائر الصغير المتلألئ الذي رفضت چينا -منذ فترة طويلة من الزمن، كما يبدو- أن تأخذه من الكشك.

قالت ليندا: «أحسنت يا طائري الصغير؛ لقد أبليت بلاء حسنًا. لقد أحضرت الأميرة. يمكنك الآن الحصول على مكافأتك..».

أخرجت ليندا من بين طيات ملابسها قفصًا صغيرًا كانت تعلقه حول رقبتها، وخلعته وراحت تؤرجح القفص والسجين المحبوس بداخله أمام الطائر المذعور الذي يرقد في يدها. «ها هي صديقتك الصغيرة، انظر».

نظر كلا الطائرين لبعضهما، لم يتحرك أي منهما أو يصدر أي صوت.

ثم فاجأت ليندا الجميع، ورمت الطائر في الهواء. وفي نفس الوقت، ألقت بالقفص الصغير على الأرض ورفعت قدمها لتدوس عليه، لكن الساحرة الأم صرخت: «ليندا! توقفي عما تفعلين فورًا!».

توقفت قدم ليندا في الهواء.

قالت الساحرة الأم: «لقد عقدت صفقة، يجب أن تلتزمي بها».

قالت ليندا وهي تحرك قدمها في الهواء فوق القفص: «إنه مجرد طائر صغير تافه».

وقفت الساحرة الأم بصعوبة وقالت: «إن تراجعك عن صفقة من صفقات الظلام خطر عليك. تذكري. أحيانًا يا ليندا تنسين القواعد، ونسيان الساحرات للقواعد أمر غير مأمون العواقب، أليس كذلك يا ليندا؟» ثم مالت الساحرة الأم عبر المائدة، وهي تحدق في الساحرة، وأعادت عليها ما قالته بنبرة تهديد: «أليس كذلك؟».

وضعت ليندا قدمها على الأرض بعيدًا عن القفص الضئيل، وقالت عابسة: «أجل أيتها الساحرة الأم».

وقفت دافني الساحرة القصيرة البدينة- التي بدت لچينا وكأنها قد وضعت في جوال ترك به أحدهم كومة من القمامة العفنة- ومشت على أطراف أصابعها خلف ليندا، والتقطت القفص.

قالت دافني لليندا بشجاعة: «أنت بشعة، لا يمكنك أن تدوسي كل شيء بقدميك كما تفعلين مع دودة الخشب العملاقة الخاصة بي».. راحت أصابع دافني السمينة الملطخة ببقايا الفئران تعبث بباب القفص، حتى نجحت في فتحه. ووقع الطائر المحبوس على المائدة بجوار كومة من عظام الفئران النظيفة- التي كانت تستخدمها الساحرة الأم في تنظيف أسنانها- ورقد في مكانه في ذهول.

راقبت ڇينا ما يحدث وهي مذعورة، وفي نفس الوقت تحاول بكل طاقتها أن ترسم خطة للفرار، لكن دون جدوى.

رأت ڇينا الطائر المحلق -الذي جاء بها إلى مستودع الهلاك- يطير نحو رفيقه وينكزه برفق. رفرف الطائر المذهول بجناحيه، وهز ريشه، وبعد بضع دقائق طار الطائران وهما يتخبطان إلى الركن المظلم بالحجرة، وأحست ڇينا أنها تحسدهما.

انتبهت الساحرة الأم لڇينا، وقالت وهي تبتسم كالأشباح: «جميل، جميل. أميرتنا تشرفنا هنا».

نظرت لڇينا متفحصة إياها وكأنها تفحص حصانًا تريد أن تشتريه، وتحاول أن تحصل عليه بثمن زهيد، وقالت: «أعتقد أنها ستؤدي الغرض».

قال صوت من بين الظلال متبرمًا: «ما زلت لا أفهم لم نحتاج واحدة». كانت صاحبة الصوت ساحرة شابة تلف منشفة كبيرة حول رأسها.

قالت الساحرة الأم: «دوريندا، لقد أخبرتك بالفعل من قبل لِمَ نحتاجها. لقد ظننت أن ذاكرتك قد تحسنت بهاتين الأذنين».

صرخت دوريندا منتحبة: «ليس خطئي. لم أكن أريد أذني الفيل هذه. وما زلت لا أفهم لم نحتاج أميرة؛ فكل ما ستفعله أنها ستفسد الأمور. أنا واثقة من ذلك».

نهرتها ليندا: «اصمتي يا دوريندا وإلا..».

انكمشت دوريندا وسط الظلال؛ فقد كانت ليندا هي من منحتها أذني الفيل.

قالت الساحرة الأم: «كما قلت لك من قبل يا دوريندا ... إن امتلاكنا لأميرة يعطي لعصبتنا الحق في حكم كل العصب الأخرى».. ثم التفتت لماريسا وربتت على ذراعها، وقالت: «لقد أحسنت الاختيار يا عزيزتي». وشعرت ماريسا بالفخر والزهو.

كانت الساحرات تبدو وكأنهن قد فقدن الاهتمام بممتلكاتهن الجديدة، فسرعان ما تحول انتباههن عن چينا، وعدن إلى ما تبقى من طعامهن ورحن يتناقشن ويتجادلن متجاهلات وجودها.

راقبتهن چينا وهن يلعقن ما تبقى من عظام الفئران ثم يلتقطن أكبر حشرات أبي مقص ويلقينها في أفواههن. وكان الشيء الوحيد الذي يشعرها بالبهجة والرضا هو التعبير المرتسم على وجه ماريسا وهي تحاول أن تدفع إحدى الحشرات في فمها. فقد كانت طائفة ماريسا القديمة - طائفة ساحرات ويندرون - يتناولن طعامًا عاديًّا يجمعنه من الغابة. ففي أحد الأيام تناولت چينا العشاء هناك وكان لذيذًا وممتعًا بالفعل. كان هذا-كما تتذكر- في الليلة التي حاولن اختطافها فيها.

وبمجرد انتهاء العشاء، نادت الساحرة الأم بصوت خشن: «نيرسي! نيرسي! هيا احملي الأطباق».

اندفعت نيرسي ذات الجسم المستدير داخل الحجرة. عرفتها چينا؛ فقد رأتها من قبل، ولكنها لم تتذكر أين رأتها. كانت نيرسي تحمل دلوًا على ذراعها وكأنها تحمل حقيبة.

كومت نيرسي الأطباق فوق بعضها، وأزاحت بقايا الطعام في الدلو، وخرجت من الحجرة مترنحة وهي تحاول الحفاظ على توازن الأطباق بمنتهى الحذر. وبعد بضع دقائق عادت بنفس الدلو مرة أخرى، ولكن هذه المرة كان يحتوي على خليط من الخمور كريه الرائحة. وبدأت تصب هذا المشروب في كئوس للساحرات. ألقت نيرسي على چينا نظرة خاطفة دون اهتمام، ولكن بينما كانت تغادر الحجرة مرة أخرى تذكرت چينا المكان الذي رأتها فيه من قبل. فقد كانت نيرسي صاحبة «بيت الدمية»؛ وهي استراحة مجاورة لمنزل عصبة الساحرات في الميناء، حيث قضت چينا- لسوء الحظ- ليلة هناك.

اجترعت الساحرات الشراب دون أن يكترثن لچينا. أمالت الساحرة الأم رأسها للوراء، وارتشفت كأسها عن آخره، ثم ربتت على معدتها، ونظرت لچينا وتنهدت بارتياح ورضا. فدائمًا ما كان طاجن الفئران والدود الذي يعقبه مشروب اليرقات يحسن من مزاجها، وكانت المقتنيات الجديدة للعصبة جيدة بوجه عام.

قالت الساحرة الأم وهي تجذب قطعة من أذن فأر من بين أسنانها: «أنت واحدة منا الآن».

ردت چينا وهي صامتة: «لا، لست واحدة منكن» ليغرقن جميعًا في الضحك.

قالت الساحرة الأم التي بعد عدة سنوات من تعويذات السمكة الذهبية صارت خبيرة في قراءة الشفاه: «تكادين تكونين واحدة منا. ففي منتصف الليل ستصبحين واحدة منا شئت أم أبيت».

هزت چينا رأسها بعنف.

فركت الساحرة الأم كفيها معًا، ونظرت لچينا مرة أخرى متفحصة إياها وقالت: «نعم، ستؤدي الغرض» ثم ابتسمت لچينا ابتسامة أظهرت صفين من الأسنان السوداء، وأردفت: «ستؤدي الغرض بشكل مثالي».

لم تكن چينا متأكدة إن كان اعتبارها أداة جيدة من أدوات الساحرات يعتبر إطراء.

كان يبدو على ليندا الغضب والاستياء، وقالت: «يا لك من متملقة أيتها الساحرة الأم. ستكون ساحرة عفنة. لم نكن لننظر لها إن لم تكن أميرة».

حدقت الساحرة الأم في ليندا غاضبة، والتفتت لماريسا التي سرعان ما بدأت تصبح ساحرتها المفضلة، وقالت: «والآن عزيزتي ماريسا سأكلفك بمهمة خاصة لك، خذي الأميرة التي أعددناها لها، واجعليها ترتدي عباءة الساحرة. وخذي كل ما معها. ويمكنك أن تأخذي حلية رأسها الذهبية الجميلة ستناسبك تمامًا».

صرخت چينا وهي صامتة: «لاااا!» ورفعت يدها سريعًا نحو رأسها. «لا، لا يمكن، لن تحصلي عليها».

تمتمت الساحرة ذات الشعر المصفف لأعلى على شكل شوكة: «كم أحب تعويذات السمكة الذهبية».

قالت الساحرة الأم بجدية: «اصمتي يا فيرونيكا. والآن يا ماريسا خذي الأميرة».

كانت تبدو على ماريسا مشاعر الفخر والاعتزاز بالنفس، وأمسكت بذراع چينا وأنهضتها، ودفعتها نحو ستار ثقيل معلق في نهاية الحجرة.

حاولت چينا أن تقاومها لكن قدميها خانتاها، وقادتاها مع ماريسا كما لو كانت تسير بإرادتها. وعندما وصلتا إلى الستار نادت الساحرة الأم قائلة: «ماريسا، عندما تنتهي أحضري لي عباءتها الحمراء الجميلة المزينة بالفراء. فالجو هنا شديد البرودة، وعظامي العجوز ترتعش».

رمقت ليندا ماريسا التي كانت في طريقها لمغادرة الحجرة بنظرة غاضبة، فقد كانت منذ أمد طويل في انتظار أن تكون هي الساحرة الأم الجديدة، ولكن يبدو أن طموحها هذا قد أصبح في خطر. نهضت ليندا، ونظرت لها الساحرة الأم بشيء من الريبة.

وسألتها: «ليندا، إلى أين أنت ذاهبة؟».

مسحت ليندا جبهتها بيدها، وقد بدا عليها الإرهاق والتعب، وقالت: «لقد كان يومًا طويلًا أيتها الساحرة الأم، أعتقد أنني أحتاج لغفوة قصيرة؛ فأنا أريد أن أكون في أفضل حالاتي من أجل إجراءات الليلة».

«حسنًا، ولكن لا تتأخري. سنبدأ في منتصف الليل بالضبط».

راقبت الساحرة الأم ليندا وهي ذاهبة بنظرات حادة متشككة. ثم استمعت إلى صوت وقع أقدامها العالي وهي تصعد الدرج، ثم سمعت صرير الألواح الخشبية التي تغطي أرضية غرفة النوم بالطابق العلوي وصوت زنبركات السرير.

ولكن بالرغم من أن خطوات ليندا كانت قد اتجهت نحو الطابق العلوي وإلى غرفة النوم، فإن ليندا لم تذهب معهم. فالساحرة الأم لم تستطع أبدًا أن تجيد فن إلقاء الخطوات؛ وبالتالي لم تكن تؤمن به أو بإمكانية حدوثه. لكنه في حقيقة الأمر كان موجودًا بالفعل. وعندما غادرت ليندا الحجرة صعد خطواتها الدرج، ودخلت غرفة نومها، وقفزت على سريرها، لتصدر أصوات صرير زنبركات السرير، أما ليندا نفسها فقد ذهبت إلى مكان آخر.

جلست الساحرة الأم -وهي لا تدري بما تدبره ليندا- تنظر للساحرات الثلاثة الجالسات أمامها بسعادة ورضا، وقالت: «لقد وصلنا للقمة، فالآن لم نعد ست ساحرات فقط في طائفتنا بل صرنا سبعًا. وليس هذا فحسب، فالعضوة السابعة ستكون أميرة».

وفجأة سمعت صرخة جاءت من الجزء الخلفي من المنزل.

قالت الساحرة الأم وهي مبتسمة: «يا إلهي! ماذا فعلت ماريسا بأميرتنا العزيزة؟».

لكن الساحرة الأم -كما كانت ليندا تقول دائمًا- كانت كثيرة النسيان. وهذه المرة كانت قد نسيت أن چينا ما زالت صامتة.

لقد كانت هذه هي صرخة ماريسا.

16

الاستدعاء



وصل بيتل عند برج السحرة لاهث الأنفاس وشديد الارتباك. فتحت له هيلدا جارد الباب وهي مذهولة.

قالت: «ماذا تفعل هنا؟ أنت والأميرة چينا متورطان فى واقعة تتعلق بتسعة-تسعة-تسعة في المغارة القوطية. من المفترض أن تكونا هناك الآن في انتظار ساحر الطوارئ.

قال بيتل محاولًا استرداد أنفاسه: «أنا... هي... هم... هيا بنا نذهب. يجب أن نقابل مارشا... الآن... فورًا وعلى وجه السرعة».

كانت هيلدا جارد تعرف بيتل جيدًا، ولذا أرسلت رسولًا سريعًا إلى غرفة مارشا.

بينما ضبط الرسول الدرج على حالة الطوارئ، واختفى في دوامة زرقاء، راح بيتل يقطع البهو الكبير جيئة وذهابًا بنفاد صبر دون أن يجرؤ على تمني الحصول على أية نتيجة، ولكنه ذهل هو وهيلدا جارد عندما ظهر بعد بضع دقائق وميض أرجواني أعلى الدرج الحلزوني، وانطلق نازلًا الدرج وهو يئز. وبعد ثانية واحدة كانت مارشا تنطلق نحو بيتل الذي يكاد أن يفتك به القلق.

روى بيتل لمارشا قصة ميرين في علية القصر، والخاتم ذي الوجهين **والمنطقة المظلمة**، وأخيرًا اختفاء چينا والقلق بادٍ عليه.

تمتمت قائلة: «كنت أعرف... كنت أعرف».

استمعت مارشا لبيتل ثم انطلقت إلى العمل؛ فقد أرسلت هيلدا جارد إلى مركز البحث والإنقاذ في الطابق التاسع عشر من برج السحرة، ليبدأ البحث عن چينا على الفور.

قالت مارشا: «والآن يجب أن نرسل طلب **استدعاء** إلى القصر، فليس هناك وقت لنضيعه».

كان **استدعاء** كل سحرة برج السحرة أمرًا سهلًا نسبيًا. كان البرج يحتوي على نظام اتصال داخلي سحري قديم للغاية، وبالرغم أنه لم يعد هناك من يفهمه فإنه كان لا يزال يعمل. إلا أن مارشا لم تكن تجرؤ على استخدامه كثيرًا. كان هذا النظام عبارة عن شبكة من الخيوط **السحرية** الدقيقة التي تشبه خيوط العنكبوت التي تربط كل الغرف الخاصة والأماكن العامة في البرج معًا.

كانت نقطة التحكم عبارة عن دائرة متناهية الصغر من حجر اللازورد مثبتة في مكان عالٍ بالحائط بجوار أبواب برج السحرة. راقب بيتل مارشا وهي تغلق كفها، وتفتحه مرة أخرى مطلقة شعاعًا سحريًّا أرجوانيًّا صوبته جيدًا نحو مركز الدائرة، لتنفصل شريحة رقيقة للغاية من حجر اللازورد، وتطير نحو يدي مارشا الممدودة. ضغطت مارشا هذه الدائرة الرقيقة في كفها، ثم رفعت كفها إلى فمها، وراحت تتحدث إلى كفها بنبرة ثابتة غريبة.

«**استدعاء** لكل السحرة، استدعاء لكل السحرة. هذا استدعاء إجباري. استدعاء فوري إلى البهو الكبير.

راح نداء مارشا يتردد في كل غرفة في برج السحرة، وكان واضحًا وعاليًا، وكأنما تتواجد بنفسها في كل غرفة من غرف البرج، مما أثار استياء ساحر عجوز كان يستحم.

كان التأثير فوريًّا، فقد بدأ الدرج الفضي الحلزوني في التباطؤ، ليكون في وضع الاستعداد–وهو الوضع الذي يسمح للجميع بركوب الدرج بسهولة– وبعد بضع ثوان، رأى بيتل العباءات الزرقاء لأول سحرة نزلوا من الأدوار العليا إلى البهو.

وسرعان ما تجمع السحرة والتلاميذ في البهو، وأخذ السحرة يتذمرون؛ لأن الساحرة العظمى قد اختارت هذا التوقيت لعمل تدريب الاستدعاء، فقد كانوا على وشك تناول الشاي. أما التلاميذ فراحوا يثرثرون بحماس. أخذ بيتل يراقب الدرج منتظرًا ظهور

سبتيموس، ولكن بالرغم من اختلاط العديد من العباءات الخضراء مع العباءات الزرقاء فإن عباءته لم تكن من ضمنها.

كان آخر السحرة ينزل من على الدرج عندما بدأت مارشا تخاطب هذا الجمع، وقالت: «ليس هذا تدريبًا على **الاستدعاء**، هذا استدعاء حقيقي».

قوبل تصريحها هذا بهمهمات مندهشة.

«مطلوب من كل السحرة تطويق القصر خلال نصف ساعة، فأنا أنوي عزل القصر في أسرع وقت ممكن..».

ترددت شهقات السحرة المصدومين بين جنبات البهو الكبير، وحتى الأضواء داخل البرج تحولت للون الوردي، لتعكس شعور السحرة بالدهشة.

أردفت مارشا قائلة: «ولهذا الغرض، أطلب منكم الخروج من البرج مع السيد بيتل. وفي الطريق إلى القصر ستوفرون الدعم للسيد بيتل، بينما يقوم باستدعاء كتبة دار **المخطوطات**».

أردفت مارشا قائلة: «بعد ذلك ستتقدمون نحو بوابة القصر، وتتجمعون هناك في هدوء إذا سمحتم. ويجب أن أوضح أهمية الهدوء التام.

فمن الضروري ألا يشعر هدفنا في القصر بما يحدث. هل كلامي مفهوم؟».

سرت همهمات بالموافقة في أرجاء البهو.

«ارفع يدك يا بيتل؛ لكي يعرفك الجميع».

أطاعها بيتل، بالرغم من أنه كان يرى أنه من السهل تمييزه بسترة البحرية التي كان لا يرتديها أحد غيره. ولكن بعد أن عرف أن ميرين قد عاش في القصر لمدة سنتين تقريبًا دون أن يلاحظه سايلاس هيب، عرف أن مارشا لم تعد تثق في قوة الملاحظة لدى السحرة العاديين، ولم يكن لديها أي استعداد للمخاطرة.

قالت مارشا بطريقة شبه رسمية: «والآن أعلنك يا بيتل مبعوثًا للاستدعاء». وأخرجت لفافة صغيرة من الورق مربوطة بشريط أرجواني من حزام الساحرة العظمى الخاص بها، وأعطتها لبيتل.

استقرت اللفافة في كف بيتل الذي فوجئ أنها ثقيلة جدًّا بالنسبة لحجمها.

قال: «يا إلهي!».

قالت مارشا: «هذه اللفافة مضغوطة لنصف حجمها، تأكد من أن تمد ذراعك عن آخره عندما تتضخم، فقد تصبح ساخنة بعض الشيء. وبمجرد أن تصل لحجمها الكامل كل ما عليك أن تقرأ ما بها بصوت عالٍ.

لفائف الاستدعاء ذكية للغاية، ومن المفترض أن ترد على معظم ما ستلقيه عليك الآنسة دچين من اتهامات وكلمات حادة. ولقد أعطيتك طرازًا عدائيًا..» ثم تنهدت قائلة: «أعتقد أنك ستحتاجها».

كان بيتل يعتقد أيضًا أنه سيحتاجها.

«وأيضًا يا بيتل، بالرغم من أن رئيسة كتبة النصوص الهرمسية ملزمة بالسماح لجميع الكتبة الإلزاميين بدار المخطوطات بالذهاب للاستدعاء، فهي ليست ملزمة بالحضور بنفسها. وبكل صراحة، أفضل ألا تحضر بنفسها. هل كلامي مفهوم؟».

أومأ بيتل برأسه، فقد فهم جيدًا.

رفعت مارشا صوتها، وخاطبت السحرة والتلاميذ المجتمعين، وقالت: «والآن، غادروا البرج من فضلكم مع السيد بيتل بشكل منظم».

قال بيتل: «لكن سبتيموس لم ينزل بعد».

قالت مارشا وقد بدا عليها الاستياء: «بالطبع لم ينزل سبتيموس. ففي الوقت الذي يجب أن أعتمد فيه على تلميذي الأول يختار ألا يكون موجودًا ويذهب ليستمع إلى ثرثرة تافهة يروجها مارسيلوس باي. سأرسل أحد السحرة ليحضره..» وقالت مارشا في نفسها: «ويخبره أنه بكل تأكيد لن يبدأ أسبوعه الظلامي الليلة».

والآن عرف بيتل لم أصبح مبعوثًا، فمرة أخرى أصبح بديلًا لسبتيموس. مما أطفأ فرحته بعض الشيء... قليلًا.

وهكذا، بينما شرعت مارشا في إرسال الاستدعاء للقلعة، الأمر الذي يستغرق وقتًا أطول نسبيًا، قاد بيتل السحرة والتلاميذ، وخرجوا جميعًا من برج السحرة. ساروا كسرب من الإوز الذي يسير بشكل عشوائي، لينزلوا الدرج الأبيض الرخامي العريض، ثم يسيروا عبر الحصى الذي يغطي الفناء، والذي كان لامعًا زلقًا بسبب قطع الثلج المبللة، وعبر القوس العظيم المبطن بحجر اللازورد نحو طريق السحرة.

صنعت حاشية بيتل ضجة كبيرة وسط متنزهي أطول ليلة. كان منظر استدعاء برج السحرة منظرًا بهيًا مبهرًا لا يضاهيه أي منظر آخر حتى لو كان منظر أجمل وأبهى نوافذ العرض. أخذت الضفيرة الذهبية على سترة البحرية تلمع في ضوء المصباح، وراح بيتل يسير مختالًا عبر طريق السحرة في مقدمة بحر أزرق مرقط بالأخضر، وتفرقت الحشود احترامًا لهم، ليمروا من بينهم. كانت لحظة رائعة، ولكن كل ما كان يشغل باله وقتها هو: أين ذهبت چينا؟

في الدور التاسع عشر من برج السحرة كانت هيلدا جارد تجلس أمام عدستها المكبرة الضخمة تجري مسحًا للقلعة، مما أثار استياء السحرة الثلاثة المغرورين السمان المختصين بعمليات البحث والإنقاذ؛ فمن المفترض أن توكل إليهم مثل

هذه المهام. ومما زاد من استيائهم كون هيلدا جارد مجرد ساحرة ثانوية. ولكن بما أن الساحرة العظمى هي من أرسلتها فلم يكن هناك أي شيء يمكنهم فعله إلا أن يتفضلوا عليها بالنصيحة، ويحوموا حولها بشكل مزعج ومستفز.

لكن هيلدا جارد انكبت على عملها، ولم تعرهم انتباهًا. كانت هيلدا جارد تركز كل طاقتها على العدسة المكبرة، وتحاول أن تجعل قدراتها السحرية المتنامية ببطء ترشدها. ولكن كل ما فعلته العدسة أن أصرت على التركيز على مستودع الهلاك، وهو المكان الذي قال لها بيتل إنه رأى چينا فيه لآخر مرة. لم تكن بارعة في ذلك، وكانت قد انتابتها حالة من التشاؤم؛ فچينا لا بد أن تكون في مكان بعيد الآن.

17

الأميرة الساحرة

بينما كانت هيلدا جارد تحدق النظر من خلال العدسة المكبرة في سقف مستودع الهلاك المتداعي، كانت ليندا داخل المنزل نفسه تتسلل في الظلال خارج غرفة غسيل الأطباق، حيث أخذت ماريسا چينا.



كانت ليندا تحتاج لبضع دقائق لتجهيز تعويذتها من أجل ماريسا المغرورة، التعويذة التي ستجعل آذان الفيل التي تعاني منها دوريندا تبدو كخدعة تافهة كتلك التي تصنع في الحفلات. وبينما كانت تراجع التعويذة في ذهنها لآخر مرة وتقوي من مفعولها وتجعلها أكثر سوءًا (مزيدًا من الحبوب)،

سمعت ليندا الصرخة نفسها التي سمعتها الساحرة الأم آتية من غرفة غسيل الأطباق. ولأن عقل ليندا كان منشغلًا بتعويذتها لم تكن تفكر تفكيرًا سليمًا، وظنت هي الأخرى أن چينا هي من صرخت، لذا انتظرت لبضع ثوان، حتى تنتهي مما تفعل أيًا كان. ولكن عندما سمعت ليندا صوت اختناق من وراء الباب بدأ القلق يتسرب إليها؛ فهي لا تريد أن تختنق الأميرة، على الأقل في الوقت الحالي، ليس حتى يتمكنوا من هزيمة ساحرات ويندرون. فتحت باب غرفة غسيل الأطباق، ووقفت مشدوهة. كانت ليندا في شدة الانبهار، فهي نفسها لم يكن بإمكانها أن تفعل أفضل من ذلك.

كانت چينا تضع ذراعها حول رقبة ماريسا، وقد تمكنت من شل حركتها تمامًا. لقد كانت ليندا في صغرها مغرمة بشل حركة خصومها بنفس الطريقة، لكنها الآن تدع تعويذاتها تتولى هذه المهمة.

كان وجه ماريسا يكتسي بدرجة غريبة من اللون الأرجواني، وقالت بصوت متهدج: «دعيني... د...د ... دعيني!».

نظرت چينا لأعلى، لترى ليندا، أما ماريسا فقد كانت في موقف لا يسمح لها بالنظر لأعلى، لكنها تعرفت على من دخلت الحجرة عندما رأت الحذاء المدبب المزين بأشواك التنين من الخلف.

قالت بصوت هامس أجش وأنفاس متهدجة: «أبعديها... أبعديها عني».

حركت چينا شفتيها دون أن يصدر منها أي صوت وقالت: «ستندمين ندمًا شديدًا إذا حاولت لمسها».

بدت ليندا مستمتعة؛ فهي تحب المشاجرات، وها هي تشاهد مشاجرة من أكثر المشاجرات التي تمنت أن تشاهدها؛ مشاجرة بين ساحرة وأميرة. ولكن لسوء الحظ، كان هناك مهمة يجب إنجازها قبل أن تشعر الساحرة الأم بما يحدث وتأتي لتستطلع الأمر.

قالت ليندا لچينا: «أحسنت، لقد أبهرتني حقًّا. إذا استمررت على هذا المنوال ربما أغير رأيي بشأن الأميرات. والآن استمري في الإمساك بها. رائع».

رأت چينا ليندا وقد رمقت ماريسا وكأنها أفعى تفكر أين تبدأ هجومها. كان هناك شيء على وشك الحدوث، وكانت تعرف أنه لن يكون شيئًا جيدًا... وخاصة بالنسبة لماريسا.

رفعت ليندا يديها إلى وجهها، ثم أشارت بسبابتيها نحو رأس ماريسا، ثم نظرت أسفلهما مضيقة عينيها كقناص ماهر، مما ذكر چينا بالموقف البشع الذي تعرضت له سابقًا عندما كانت في مرمى مسدس الصياد.

أمرت ليندا چينا قائلة: «أمسكي بها جيدًا هناك».

وأخذت ماريسا في الأنين والنشيج.

لم تكن چينا مرتاحة لما آلت إليه الأمور، ففجأة صارت ليندا شريكتها. وكانت تعلم أنها تخطط لأمر بشع لماريسا، ولم تكن تريد أن تكون شريكة في ذلك. لكنها لم تجرؤ على تركها. فلا شك أنها إذا تركت ماريسا ستنقلب عليها، وكذلك ليندا. لقد كانت في ورطة حقيقية.

أنزلت ليندا إصبعيها وفي نفس الوقت خرج من عينيها شعاعان رفيعان من الضوء الأزرق، ليستقرا على وجه ماريسا، ثم بدأت الساحرة في الإنشاد:

«القلب والدماغ

النار والآلام

الدم والعظام

الحشرجة والأنين

الكبد والرئتان

الصرخة والرعشة..».

أطلقت ماريسا عويلًا مذعورًا، فقد كانت تعرف أن هذه الكلمات هي بداية تعويذة الخروج المرعبة؛ وهي التعويذة التي تسلب الشكل البشري، وتستبدل به شكلًا آخر... للأبد. لقد كانت أسوأ تعويذات ليندا على الإطلاق... كانت تعويذة أبدية.

صرخت ماريسا: «لااااا! أرجوك لااااا!».

ضغطت ليندا بسنتيها الأماميتين الصفراوين على شفتها السفلى كما هي عادتها عندما تكون شديدة التركيز في أمر ما. كانت تعويذة الخروج طويلة ومعقدة، وتحتاج إلى طاقة تركيز عالية للغاية، لكنها كانت قد بدأت بداية جيدة. كانت ليندا سعيدة للغاية بالطريقة التي تساعدها بها الأميرة؛ فقد صار الأمر أسهل كثيرًا في وجود مساعدة لها. انتقلت ليندا إلى الجزء التالي من التعويذة وهي في شدة الحماس، حيث يتم تحويل أعضاء جسم ماريسا البشرية إلى أعضاء ضفدع. غيرت ليندا نبرة صوتها إلى نبرة منخفضة، واختلطت كلماتها ببعضها في أنشودة واحدة طويلة أخذت تنشدها بصوت رخيم.

وعندما رأت چينا مدى خوف ورعب ماريسا أدركت أنها إذا ظلت ممسكة بماريسا لتشل حركتها فستكون مشتركة في أمر بشع حقًّا، كان عليها أن تفعل شيئًا... ولكن ماذا يمكنها أن تفعل؟

استمرت ليندا تنشد تعويذتها، وأخذ صوت الساحرة في الارتفاع. وازدادت الحجرة ظلامًا، وكان شعاع الضوء الرفيع الصادر من عيني ليندا الزرقاء المائلة للسواد يخترق الظلام كإبرتين رفيعتين تصلان بين الساحرة وضحيتها.

همست ماريسا بيأس شديد: «أرجوك يا أميرة چينا، دعيني... أتوسل إليك. سأفعل أي شيء تريدينه... أي شيء. أعدك».

لم تصدق چينا وعود ماريسا، لذا كان عليها أن تحصل على ما تريد بينما تمسك بالساحرة في قبضتها، ولكن كيف تفعل ذلك؟ فقد أصبحت خرساء بفعل التعويذة. خففت چينا من ضغطها قليلًا، ونظرت ماريسا لأعلى وعيناها تملؤها الدموع، وقالت متوسلة: «أنا آسفة، آسفة حقًّا يا أميرة چينا. ساعديني أرجوك... أتوسل إليك».

أشارت چينا إلى فمها، وفهمتها ماريسا التي تمتمت ببعض الكلمات ثم همست لها: «حسنًا، لقد انفكت التعويذة».

وفجأة عاد صوت ليندا لطبيعته، وأصبحت تنشد أنشودتها بسرعة أبطأ، وأصبحت كلماتها واضحة بشكل شنيع:

«عظام مثقوبة

وغدد مسمومة

وجلد مغطى بالحبوب

وأيدٍ زاحفة...».

صرخت ماريسا؛ فقد كانت تعرف أن التعويذة تكاد تقترب من نهايتها. وقالت بأنفاس لاهثة: «أرجوك، دعيني أذهب».

جربت چينا صوتها، فهمست قائلة: «والآن أصلحي قدمي».

تمتمت ماريسا ببعض الكلمات، ثم قالت بصوت هامس: «لقد انفكت التعويذة، والآن دعيني... دعيني أرجوك... أتوسل إليك».

جربت چينا بحذر أن ترجع خطوة صغيرة إلى الوراء وهي تسحب ماريسا معها... وأخيرًا تحررت چينا من التعاويذ، وأطلقت سراح ماريسا.

وبدأت الفوضى...

اندفعت چينا نحو الباب، مارة بجوار ليندا التي وقفت فاغرة فاها في دهشة، وقد توقفت في منتصف التعويذة. قفزت ماريسا ثم ألقت نفسها على ليندا، وراحت تعض وتركل وتصرخ. تسبب هذا الهجوم في سقوط ليندا إلى الوراء، ليرتطم رأسها بالأحجار التي تغطي أرضية الحجرة.

أما چينا فبمجرد أن خرجت من الحجرة وبدأت تجري في الردهة، رأت في الظلام الساحرة الأم آتية نحوها من الجهة الأخرى من الردهة، وهي ترتدي حذاء عاليًا ذا مسامير، وتسير مترنحة.

نادت الساحرة الأم في الظلام بصوت يغمره الشك: «ماريسا هل هذا أنت؟ ماذا يجري هنا؟».

اضطرت چينا أن تعود أدراجها إلى حجرة غسيل الأطباق مرة أخرى. اندفعت چينا داخلة الحجرة مرة أخرى، وصفقت الباب، واستندت عليه؛ لتتأكد من أنه مغلق جيدًا. كانت ماريسا تجلس فوق ليندا -وكما رأت چينا- كانت تحاول أن تخنقها. وعندما دخلت چينا الحجرة نظرت لأعلى في ذهول.

قالت چينا وهي لاهثة الأنفاس: «إنها قادمة».
حدقت بها ماريسا وهي لا تفهم ما تعني، وقالت: «من القادم؟».
هي: «الساحرة الأم».
امتقع وجه ماريسا بشدة؛ فقد كانت تظن أن ليندا عندما حاولت إلقاء تعويذة الخروج عليها كان هذا بناء على تعليمات الساحرة الأم.
انتفضت ماريسا واقفة -تاركة ليندا ممددة على الأرض بلا حراك وهي تئن- وأشارت نحو الباب الذي تستند عليه چينا. استعدت چينا لمعركة، لكن كان آخر ما تفكر فيه ماريسا الآن هو العراك. صاحت ماريسا: «أغلق وأوصد وامنع!». سمع صوت إيصاد الباب.
قالت ماريسا: «لن يستمر الأمر طويلًا. لن نستطيع إيقافها لمدة طويلة». واتجهت نحو النافذة الوحيدة في الحجرة الحقيرة، والتي كانت توجد أعلى منضدة عليها كومة من القماش الأسود. قفزت ماريسا فوق المنضدة، ودفعت النافذة فاتحة إياها، وقالت: «هذا هو الطريق الوحيد للهروب، ربما يكون الارتفاع كبيرًا، لكننا سنهبط على شيء لين. هيا، ارتدي هذا». أخذت ماريسا كومة من القماش الأسود، وألقتها على چينا التي تفادتها لتسقط على الأرض بجوارها، بدا على ماريسا الاستياء، وسألتها: «أتريدين الخروج من هنا حقًّا أم لا؟».

«بالطبع أريد».

«حسنًا هذه هي ثياب الساحرة الخاصة بك، يجب أن ترتديها».

«لماذا؟».

تنهدت ماريسا بنفاد صبر، وقالت: «لأنك إن لم تفعلي، لن تتمكني من الخروج من هنا. فهذه النافذة لا تسمح بمرور العامة».

«العامة؟».

«نعم، أعني أي شخص عدا الساحرات، مثلك أيتها الحمقاء».

اهتز مقبض الباب، وسمع صوت الساحرة الأم ينادي: «ماريسا؟ ماذا يحدث؟».

نادت ماريسا: «لا شيء أيتها الساحرة الأم. كل شيء على ما يرام، نكاد أن ننتهي». ثم همست لچينا: «هذه الثياب تحتوى على العديد من أغراض الساحرات التي يمكن أن تخدع هذه النافذة الحمقاء. أسرعي!».

التقطت چينا الثياب، وكأنها تلتقط جاروفًا مليئًا بفضلات القطط.

اهتز مقبض الباب بشكل أقوى من المرة السابقة، ونادت الساحرة الأم بصوت متشكك: «ماريسا، لماذا توصدين الباب؟».

قالت ماريسا بصوت مبتهج: «لقد حاولت أن تخرج، لكنني أمسكت بها. نكاد أن ننتهي». همست ماريسا لچينا: «هل سترتدينها أم لا؟ فأنا سأرحل من هنا فورًا».

همست چينا: «حسنًا، حسنًا». وقالت في نفسها: «لا بأس، إنها مجرد ثياب. وارتداء ثياب الساحرات لا يعني شيئًا».. وألقت العباءة السوداء العفنة الكريهة فوق رأسها، وجذبتها لأسفل، لترتديها فوق ثوبها الأحمر، وزررت أزرارها بسرعة.

قالت ماريسا والابتسامة مرتسمة على وجهها: «إنها تناسبك». ثم أشارت لچينا أن تصعد فوق المنضدة. تسلقت چينا المنضدة مسرعة، وفتحت ماريسا النافذة ليهب منها هواء الليل البارد المحمل بالثلوج.

قالت ماريسا: «مدي يدك خارج النافذة».

مدت چينا ذراعها، لكن يدها اصطدمت بشيء صلب يشبه الطين المتجمد. شهقت چينا قائلة: «يا للقرف» وأبعدت يدها بسرعة.

كانت الساحرة الأم تمتلك حاسة سمع قوية بشكل مثير للدهشة. قالت من وراء الباب بصوت يملؤه الشك: «ماريسا؟ هل هناك أحد معك؟».

نادت ماريسا: «فقط الأميرة أيتها الساحرة الأم». ثم همست لچينا: «الفئران... فالثياب وحدها لا تكفي»..

نظرت چينا إلى عباءة الساحرات السوداء التي تغطيها تمامًا كسواد الليل، مما جعلها تشعر بالغرابة. وكانت ترى أن هذا كافٍ تمامًا. سألتها: «ماذا تعنين؟».

«إذا أردت الخروج من هنا فسيكون علي أن أقوم بشيء آخر».

شعرت چينا بعدم الارتياح، وقالت متسائلة: «مثل ماذا تحديدًا؟».

اهتز مقبض الباب مرة أخرى، وصاحت الساحرة الأم: «ماريسا، إنني أسمع أصواتًا. ماذا تفعلين؟».

نادت ماريسا: «لا شيء أيتها الساحرة الأم. لقد ارتدت ثيابها وسنخرج حالًا». ثم قالت لچينا: «يبدو أنني سأضطر لجعلك ساحرة».

«مستحيل!».

اهتز مقبض الباب بشدة وبغضب: «ماريسا، لقد سمعت صوت الأميرة. لم تعد خرساء. ماذا يحدث هنا؟».

«لا شيء، أقسم لك. إنه صوتي أنا».

«لا تكذبي عليَّ يا ماريسا. افتحي الباب!» أخذت الساحرة الأم تهز مقبض الباب بعنف شديد، حتى انخلع، وسقط على الأرض، وارتد ليرتطم برأس ليندا.

تأوهت ليندا: «آااه».

صاحت الساحرة الأم: «ما هذا الصوت؟ إذا لم تفتحي فورًا فسأهشم هذا الباب، وعندئذ ستكونين في مشكلة كبيرة».

كان يبدو على ماريسا الذعر والفزع، وقالت لچينا: «إنني ذاهبة، يمكنك أن تبقي هنا، وأتمنى لك حظًّا سعيدًا. لقد حاولت

مساعدتك. إلى اللقاء..» شرعت ماريسا في تسلق النافذة، وعندما كادت تخرج منها سمعت صوتًا عاليًا من ناحية الباب الذي انشق طوليًّا من أعلى لأسفل».

هتفت چينا: «ماريسا انتظري! افعلي أي شيء يمكنني من الخروج؛ أيًّا كان».

أطلت ماريسا من النافذة إلى داخل الحجرة، وقالت: «حسنًا، قد يكون هذا مقرفًا، لكنه ضروري».. مدت رأسها من النافذة، وقبلت چينا، قفزت چينا للوراء وهي في ذهول. ابتسمت ماريسا، وقالت: «لقد قلت لك: إنه شيء مقرف، لكنك الآن قد صرت ساحرة. ولكنك لا تنتمين إلى العصبة بعد. فلكي تنضمي للعصبة يجب أن تُقَبّلي كل أفرادها».

عبست چينا قائلة: «لا، شكرًا».

تلا صوت تكسير الخشب ظهور مقدمة حذاء الساحرة الأم المعدنية من الباب.

قالت ماريسا: «هيا أيتها الساحرة؛ لقد حان وقت الهروب!».

تسلقت چينا النافذة، وخرجت منها، وقفزت خارجها وسط الظلام لتسقط على كومة من السماد القديم.

همست ماريسا: «اجري!».

ركضت چينا وماريسا عبر الحديقة، ونباتاتها بالغة الطول تمزق ملابسهما. تسلقت كلتاهما السور وسقطتا في الزقاق الخلفي. أما

الساحرة الأم فقد كانت خلفهما، وقد انحشر جسدها الضخم في النافذة الصغيرة. أخذت الساحرة الأم تصرخ في غضب، وترسل لعناتها خلفهما. تناثرت لعناتها في الحديقة وارتدت على السور وانعكست متجهة إلى الساحرة الأم.

قطعت الساحرتان الزقاق الخلفي المظلم متجهتين نحو أضواء المغارة القوطية. ابتسمت چينا، بينما صفقت الباب خلفها، لترى وحش الباب. وفجأة بدت المغارة القوطية مكانًا طبيعيًّا تمامًا.

اقترب ماركوس الذي لم يبد عليه الانزعاج من رؤية ساحرتين في المتجر؛ فقد كان من المعتاد أن يرتدي الناس مثل هذه الملابس في احتفالات أطول ليلة، وكان قد انتهى لتوه من بيع بذلات الهياكل العظمية المتبقية للعاملين بمطعم شطائر السحرة.

سألهما ماركوس: «أيمكنني مساعدتكما؟».

ألقت چينا عباءة الساحرة الضخمة.

شهق ماركوس من فرط المفاجأة، وقال: «الأميرة چينا!، حمدًا لله على سلامتك. صديقك، لا أذكر اسمه... نعم، «أبو مقص»... كان يبحث عنك».

أشعرها أبو مقص بالغثيان. قالت: «تقصد بيتل! هل هو هنا؟».

«لا، لكنه سيسعد كثيرًا عندما يعلم أنك بخير. ولكن هناك شخصًا آخر من برجٍ السحرة قد أتى من أجلك». غمز ماركوس لچينا وقال: «حظًّا سعيدًا».

زأر وحش الباب مجددًا، ودخلت هيلدا جارد مسرعة.

وشهقت قائلة: «إنه أنت!» كانت العدسة قد أخبرتها أن الساحرة الهاربة هي چينا، لكنها لم تصدقها.

قالت هيلدا جارد وهي تلتقط أنفاسها بصعوبة: «أنت تعرفين أن هذه الثياب حقيقية، أليس كذلك؟».

قالت چينا بحزم: «بالطبع أعرف».

نظرت هيلدا جارد بشيء من الاستياء إلى چينا ورفيقتها، وقالت: «لقد طلبت مني السيدة مارشا أن آخذك إلى القصر فورًا، وستقابلك هناك. لا تناسبك ملابس الساحرات هذه، أقترح أن تخلعيها على الفور».

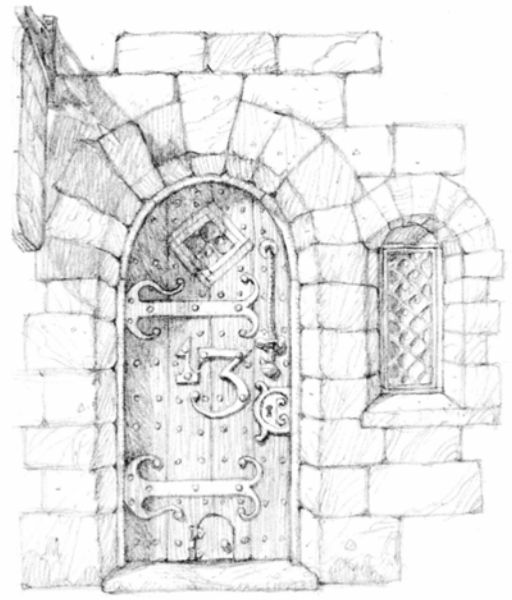
أثار أسلوب هيلدا جارد استهجان چينا التى ردت قائلة: «هذه ثيابي ولن أخلعها».

ابتسمت ماريسا، فقد بدأت تعجب بچينا.

18

المبعوث

توقف سيل السحرة العاديين خارج متجر صغير مضاء بضوء خافت يبعد عن بداية طريق السحرة بنحو مائة ياردة على اليمين. وكانت توجد أعلاه لافتة مكتوب عليها: رقم 13، دار المخطوطات السحرية والتعاويذ.



خرج بيتل من بين السحرة، ووقف أمام محل عمله القديم الذي يعشقه. كانت النوافذ تغطيها الشبورة الناتجة عن أنفاس أكثر من واحد وعشرين من الكتبة الذين يعملون باجتهاد بالداخل.

واستطاع أن يرى من شريط الزجاج الغائم فوق أكوام الكتب المترنحة والمخطوطات ضوءًا أصفر متوهجًا. لكن هذه النافذة كانت تبدو كئيبة بالنسبة لباقي النوافذ في أطول ليلة؛ فلم تكن چيلي دچين تسمح بالإسراف في استخدام الشموع.

كان بيتل يشعر بالأسف للكتبة الذين كانوا يعملون في حين كان طريق السحرة بالخارج كخلية النحل، لكنه كان سعيدًا أنهم لا يزالون هناك. كان قلقًا من أن يغادروا المكان مبكرًا هذه الليلة كما كانوا يفعلون دائمًا في عهده عندما كان موظف المكتب الأمامي موظفًا متعدد المهام. لكن چيلي دچين كانت قد أحكمت قبضتها على دار المخطوطات بعد رحيل بيتل؛ فهي لا تؤمن بترك العمل مبكرًا وخاصة للمرح والاستمتاع بالوقت.

تقدمت اثنتان من الساحرات؛ الأختان باسكال تايم وتوماسين تايم وقالتا: «سيد بيتل، يسعدنا أن نرافقك إذا أردت».

فكر بيتل أنه يجب أن يستفيد من كل مساعدة ممكنة. وقال: «أشكركما». ثم أخذ نفسًا عميقًا ودفع الباب. سمع صوت رنة عالية وانتقل عداد الباب إلى الرقم التالي. كان المكتب الأمامي في حالة من الفوضى، الأمر الذي أحزن بيتل كثيرًا. فالمكتب الكبير الذي كان يحافظ عليه نظيفًا ومرتبًا، صار في حالة من الفوضى المقززة من الأوراق وبقايا الحلوى وكانت الأرض قذرة ودبقة.

وانبعثت رائحة كريهة من الواضح أنها كانت رائحة مخلوق صغير مغطى بالفراء تحت أحد أجولة الأوراق المهملة.

جال بيتل ببصره في الحجرة الحقيرة القذرة. رأى بيتل اللوح الخشبي الزجاجي المتداعي الذي يفصل بين المكتب الأمامي ودار المخطوطات نفسها وطلاء الجدران الرمادي القديم المتقشر من فوق الجدران وخيوط العناكب التي تتدلى من السقف. تساءل بيتل كيف لم يلحظ الحالة السيئة التي وصل لها المكان عندما كان يعمل به. ولكنه كان متأكدًا من أنه كان دون شك سيلحظ حالة الباب الصغير المحصن الذي يوجد خلف المكتب، والذي يؤدي إلى متجر الكتب والتمائم، فقد كان موصدًا ومغلقًا بلوحين عريضين من الخشب مثبتين بالمسامير. تساءل بيتل كيف يتمكنون من تنظيفه؛ لكن من الواضح أنه لم يكن ينظف على الإطلاق. أما متجر الكتب والتمائم فلابد أنه كان في حالة مزرية.

وفجأة انفتح الباب النصف زجاجي والمؤدي إلى دار المخطوطات، واندفعت منه رئيسة كتبة النصوص الهرمسية التي كانت تحمل منديلًا مطرزًا، على حوافه الحروف الأولى من منصبها كرئيسة كتبة النصوص الهرمسية (ر.ك.ن.هـ) بالإضافة إلى مؤهلاتها المتعددة بألوان مختلفة.

قال بيتل في نفسه: «إذن هذا ما كانت تفعله چيلي دچين في الليالي الطويلة التي كانت تقضيها بمفردها في غرفتها أعلى دار المخطوطات».

رمشت چيلي دچين بعينيها وهي مندهشة عندما رأت بيتل أمامها محاطًا باثنين من السحرة.

وقالت بطريقة حادة: «ماذا تريد؟».

كان بيتل يقبض على مخطوطة المبعوث بشدة، منتظرًا هذه اللحظة. خبط على المخطوطة مرتين، ومد ذراعه عن آخره بها. سرى وميض أرجوانيٌّ في جوانب اللفافة مُصدرًا أزيزًا خافتًا، وشعر بحرارة مصدرها اللفافة، وفجأة وجد نفسه ممسكًا بالمخطوطة بحجمها الكامل. كانت اللفافة رفيعة ورقيقة بدرجة مذهلة؛ (لأن أغراض السحر لا تفنى، ولا تستحدث من العدم)، لكن بيتل شعر أن هذا يزيدها غموضًا وأهمية. لفت هذا انتباه چيلي دچين، وظهرت على وجهها علامات الانبهار التي لم تدم سوى لحظات معدودة، ثم عاد إلى وجهها تعبير الغضب المعتاد.

قرر بيتل أن يكون مهذبًا، ويلزم حدود الأدب، وقال: «طاب مساؤك يا رئيسة كتبة النصوص الهرمسية، أنا هنا بصفتي مبعوثًا من الساحرة العظمى».

ردت چيلي دچين ببرود: «حسنًا، وماذا تريد الآن؟».

بدأ بيتل يمارس دوره الرسمي مستمتعًا، وشرع في قراءة اللفافة والكلمات ترتب نفسها بسرعة وعجلة.

وقال معلنًا: «يرجى العلم بأن هناك **استدعاء** للقصر قيد التنفيذ. وهذا استدعاء رسمي للكتبة الإلزاميين، ويلزم حضورهم فورًا».

بدا على چيلي دچين الانزعاج والاستياء الشديد، وقالت وهي غاضبة: «قل للساحرة العظمى: إن هناك أعمالًا مهمة قيد التنفيذ في دار المخطوطات حاليًا، ولن يترك الكتبة كل هذه الأعمال من أجل نزوة من نزوات الساحرة العظمى». وأخرجت من أحد جيوبها العديدة ساعة صغيرة، ونظرت بها وهي مضيقة عينيها، وقالت: «سأرسلهم عندما تغلق دار المخطوطات بعد ساعتين وخمس وأربعين دقيقة وخمس وأربعين ثانية بالضبط».

لم يعجب مبعوث مارشا أوفرستراند ما قيل. حاول بيتل أن يكتم ابتسامة -وإن لم ينجح في ذلك- عندما ظهرت أمامه الكلمات التي يحتاجها بالضبط. تلاها بيتل عليها ببطء وهو مستمتع باللحظة.

«نحيطكم علمًا أن شروط الاستدعاء تنص على وجوب حضور كتبة دار المخطوطات متى اقتضى الأمر ذلك. ويؤدي التقاعس عن توفيرهم عند الطلب إلى إبطال شروط شغلك لمنصبك».

عطست چيلي دچين في منديلها المزخرف، وغمغمت بغضب: «ولم هم مطلوبون؟».

استمرت الكلمات في الظهور على لفافة المبعوث.

وحازت هذه الكلمات على إعجاب بيتل، فلم يكن من الممكن أن تصاغ هذه الكلمات أفضل من ذلك.

«نحيطكم علمًا بأنني لا يحق لي الكشف عن أية معلومات. ومن أجل أية استفسارات أو شكاوى متعلقة بهذا الأمر برجاء إرسالها مكتوبة إلى برج السحرة بعد انتهاء حالة الاستدعاء، وسيتم استلام الرد في خلال سبعة أيام. والآن عليك أن تعدي كتبتك لتنفيذ الأوامر فورًا. انتهى».

دارت چيلي دچين حول نفسها، وسارت متذمرة إلى داخل دار المخطوطات وصفقت الباب خلفها.

نظر بيتل لمرافقتيه اللتين بدا عليهما الذهول.

همست باسكال: «سمعنا أنها صعبة المراس».

وأردفت توماسين: «لكننا لم نتخيل أنها بهذا السوء».

قال بيتل: «لقد صارت أسوأ من ذي قبل، أسوأ كثيرًا».

سمع بيتل من وراء الحاجز ثرثرة حماسية، أعقبها صوت خبط واحد وعشرين زوجًا من الأحذية بالأرض بعد أن قفز الكتبة من على مكاتبهم.

وسُمع صياح چيلي دچين أعلى من هذه الجلبة، وهي تقول: «لا يا سيد فوكسي. سيتم احتساب هذا الوقت، وغدًا ستبقون بعد مواعيد العمل لمدة ساعتين وتسع وثلاثين دقيقة وسبع ثوان».

انفتح الباب المؤدي إلى المكتب الأمامي بقوة، وظهر منه فوكسي يتقدم باقي الكتبة.

وعندما رأى بيتل بدت عليه الدهشة والذهول.

«مرحبًا يا بيت. من الأفضل أن ترحل من هنا الآن. فنحن الآن نقوم بتدريب على الاستدعاء، ولابد أنك تعرف من سيكون عصبي المزاج الآن».

ابتسم بيتل، وقال وهو يلوح باللفافة في يده: «أعرف يا فوكسي. لقد أخبرتها لتوي».

صفر فوكسي وابتسم، وقال: «أتمنى لو كنت قد فكرت في ذلك. على أي حال سنحصل على إجازة في أطول ليلة. شكرًا يا بيت!».

«لا يا فوكسي، **الاستدعاء** حقيقي».

«وأنت من تتولى أمره؟ أنا منبهر حقًّا».

قال بيتل: «أنا مجرد مبعوث ليس إلا يا فوكسي».. خبط بيتل على أسفل اللفافة خبطتين؛ لتبرد وتنكمش مرة أخرى، ووضعها في جيبه. ثم رفع صوته، وقال: «إلى الخارج جميعًا من فضلكم لتنضموا إلى باقي السحرة. سنتجه إلى بوابة القصر، حيث سنتجمع

في انتظار التعليمات. وبمجرد الخروج، رجاء التزموا الهدوء؛ فهذا استدعاء صامت. رجاء أسرعوا بقدر المستطاع. آااي، انتبه يا بارتريدج وانظر أين تضع قدمك الكبيرة».

ابتسم بارتريدج وهو ينحشر هو ورويلي بادجير وسط الكتبة المتحمسين، وقال: «سعيد برؤيتك يا بيتل».

كان حماس **الاستدعاء** معديًا، ولم يبد على أي منهم الاستياء من تأخرهم في اليوم التالي. عد بيتل الكتبة الخارجين من دار المخطوطات، حتى لم يبق في المكتب الأمامي سواه هو وفوكسي.

سأل فوكسي بحذر: «هل تحتاج الآنسة دچين أيضًا؟ يمكنني أن أذهب وأحضرها إذا أردت».

«أشكرك يا فوكسي، ولكن مارشا تفضل ألا تشترك معنا في هذا الاستدعاء».

قال فوكسي: «نعم، أفهمك تمامًا. حسنًا يجب أن أذهب الآن؛ لأغلق خزانة التمائم، فهذه إحدى مهام وظيفتي. لكن هذا لا يعني أنني أملك أية تمائم، ولكنني يجب أن أغلقها على أي حال».

نظر بيتل إلى الخارج، كان هناك مجموعة كبيرة من السحرة والتلاميذ والكتبة في الانتظار بالخارج ينظرون له في ترقب. قال بيتل: «حسنًا، ولكن أسرع».

أومأ فوكسي برأسه وانطلق مسرعًا. وبعد دقيقة واحدة عاد فوكسي وراح يشير له بعصبية.

وقال: «بيتل... إنه هنا، لقد عاد مرة أخرى».

«من تقصد؟».

« من برأيك؟ إنه دانيال دينجبات هانتر».

«ميرين؟».

«نعم، أيًا كان ما يطلقه على نفسه. إنه هو».

طلب بيتل من الساحرتين أن يصطحبا باقي السحرة والكتبة المنتظرين بالخارج إلى القصر.

وقال: «أعدكم أنني سألحق بكم في أسرع وقت ممكن».. ثم التفت إلى فوكسي وقال: «حسنًا، والآن أرني، هيا أسرع».

دفع فوكسي الباب بكل هدوء، ودخل إلى دار المخطوطات، وأشار نحو الداخل. نظر بيتل إلى داخل دار المخطوطات لكنه لم ير سوى عدة صفوف من المكاتب المرتفعة الخاوية يوجد كل منها أسفل ضوء أصفر خافت. لكن لم يكن هناك أثر لميرين أو لجيلي دجين.

همس بيتل: «لا أراه».

نظر فوكسي فوق كتف بيتل، وقال: «ها هو، لقد رأيته، أنا واثق أنني رأيته. أعتقد أنه في الحجرة الهرمسية».

قال بيتل وقد بدا عليه الاستياء: «يجب ألَّا يدخل هناك».

قال فوكسي بنبرة حزينة وهو يغلق الباب بهدوء: «قل هذا للآنسة دجين... إنه يذهب حيثما يريد. إنه يدبر شيئًا يا بيت».

أومأ بيتل برأسه، فقد كان هذا صحيحًا بكل تأكيد.

قال فوكسي: «ضفدع صغير».

كان الضفدع الصغير يخطط لشيء ما. لقد كان في الحجرة الهرمسية، تمامًا كما ظن فوكسي.

كان ميرين منتظرًا، ولم يكن يعجبه ذلك. وراح يقضي وقته في أكل شريط طويل من العرقسوس أخذه من درج سري بالمائدة المستديرة التي توجد في منتصف الحجرة الهرمسية.

كان الدرج الآن مكدسًا بكمية من العرقسوس الدبق، بينما تم إلقاء محتوياته الأصلية في صفيحة القمامة في الفناء.

كان ميرين سعيدًا بعمله المسائي، فقد كان يتحسن في الأمور المتعلقة بالظلام، كما يظن. فقد صار يستخدم حجاب الظلام، وصار يستطيع أن يتسلل خارجًا من القصر أمام سارة هيب دون أن تشعر به، وكان يستمتع بهذا كثيرًا، وخاصة عندما يدوس على قدمها متعمدًا. والآن ولأن چيلي دچين صارت تعامله بعصبية، فقد تعامل مع هذا الأمر أيضًا. قال ميرين في نفسه: إنها لن تجرؤ على هذا مرة أخرى. ونظر إلى المرآة العتيقة المستندة إلى الحائط.

نظر ميرين في ظلام المرآة، ورأى خلفه انعكاس صورة رئيسة كتبة النصوص الهرمسية تجلس منحنية ومنكبة على المنضدة. أخذ يصنع بعض التعبيرات بوجهه في المرآة، ثم خبط بقدمه على الأرض بنفاد صبر، وسار نحو المعداد، وراح يعبث بحباته يمنة

ويسارًا بشكل مثير للأعصاب كان سيدفع أي شخص آخر غير چيلي دچين المجبرة على الإذعان إلى الصراخ في وجهه ليتوقف عن هذا فورًا!

أطلق ميرين تنهيدة عالية؛ فقد كان يشعر بالملل، وحتى لم يكن هناك أي كتبة ليسلي نفسه بإزعاجهم. فكر ميرين أن ينزل إلى القبو، ويهشم بعض الأشياء، لكنه خاف من كاتب الحفظ.

كان يتمنى لو أن الأشياء أسرعت قليلًا، فهو لا يدري لم تأخروا كل هذا الوقت؟ فكل ما كان عليهم القيام به هو إحضار المنطقة المظلمة الغبية معهم... ما الصعب في ذلك؟ ركل ميرين الحائط بنفاد صبر. تلك الأشياء الحمقاء.

تجول ميرين في المكان تاركًا چيلي دچين محملقة في الفراغ، وسار عبر الممر ذي السبعة أركان متأملًا دار المخطوطات المظلمة الخاوية. كانت تبدو مرعبة بدون الكتبة. وقال في نفسه: «لن أقضي مزيدًا من الوقت في مستودع النفايات هذا». لكنه سيناسب الأشياء تمامًا، وستبعدهم عن طريقه أيضًا، وسيستطيع أن يتسكع حيثما أراد ويفعل كل ما يشاء.

19

الحجرة الآمنة



بينما راح بيتل يواصل ممارسة مهامه كرئيس لمهمة الاستدعاء، كان الشخص الذي من المفترض أن يضطلع بهذه المهمة محتجزًا في قبو أحد المنازل في المنزلق الثعباني. وبالأعلى بالقرب منه، كان أحد السحرة يطرق على الباب الأمامي بشدة وهو لاهث الأنفاس، لكنه لم يلق آذانًا صاغية.

كان سبتيموس يستمع لمارسيلوس باي وهو يناقش أخطار الظلام وكيفية مكافحته. أخذ الوقت يمر ببطء شديد. كان هناك ما لا يقل عما يوازي ساعة من الأخطار، إن لم يكن أكثر.

جلس الكيميائي وتلميذه داخل غرفة بلا نوافذ تشبه النفق.

كان جو الحجرة كئيبًا للغاية؛ فقد جعلت أدخنة الشموع الجو ضبابيًّا، وجعلت قتامة الظلام الزاحف سبتيموس عصبيًّا ومتوترًا. بعكس مارسيلوس باي الذي يجلس أمامه على كرسي وثير مرتفع الظهر، كان سبتيموس جالسًا جلسة غير مريحة على حجر وعر. وقد وُضعت بينهما منضدة صغيرة مغطاة بدهن الشموع الذي أخذت الشمعة المشتعلة تضيف إليه المزيد.

ولكن وبالرغم من كل شيء بدا مارسيلوس مرتاحًا؛ فقد كان في غرفته الآمنة السرية مع تلميذه الذي يعلمه كيفية مكافحة الظلام، وكان هذا هو الوضع الأمثل بالنسبة له. كانت **الحجرة الآمنة** شيئًا لابد أن يمتلكه كل كيميائي محترم، لكن دون الإفصاح عن ذلك. في حياته الأولى (كما يطلق عليها مارسيلوس) ككيميائي منذ خمسمائة عام مضت، أقام هذه **الحجرة الآمنة** بين غرفتين متجاورتين في قبو المنزل. كان مكانها مثاليًّا، حتى إن أيًّا من السكان الذين سكنوا المنزل فيما بعد لم يلحظ المساحة الصغيرة الناقصة من كل غرفة.

كان مارسيلوس قد بنى هذه الحجرة بنفسه؛ حيث لم يكن لديه خيار آخر. ففي هذه الأيام كانت أحد عيوب مهنة الكيميائي استحالة إحضار بنائين.

فبمجرد أن يعرف البناء أنه مطلوب للقيام بعمل ما لكيميائي، يصبح مشغولًا أو يقع من على السلم، ويكسر ساقه، أو يدَّعي أن

عليه أن يزور أحد أقربائه؛ لأنه مريض وطريح الفراش. وأيًا كانت الحجة يختفي بعد ذلك تمامًا. وكان السبب في ذلك يرجع إلى انتشار قصص مخيفة عن مخاطر العمل مع الكيميائيين بين بنائي القلعة، وكانت هذه القصص تتناقل من كبار البنائين إلى تلاميذهم. فكانوا يقولون لهم: «لا تعمل عند الكيميائيين يا بني؛ فمجرد أن تنتهي من العمل سينتهي بك الأمر جثة طافية في الخندق المائي، لكي تموت معك أسرار ما بنيت. صدقني، أيًا كان الذهب المعروض عليك مقابل هذا العمل، فإن الأمر لا يستحق أن تضحي بنفسك من أجله». وبالرغم من أن هذا لم يكن يحدث مع كل الكيميائيين؛ فإن هذا المعتقد كان يستند إلى شيء من الحقيقة.

كان مارسيلوس باي يمتلك العديد من المواهب، لكن البناء لم يكن من بينها. فعلى الرغم من أن الجزء الخارجي من الحجرة كان يبدو مقبولًا؛ فإن مارسيلوس كان قد غطى الجدارين الذين بناهما من الطوب في الغرفتين اللتين اقتطع منهما هذه المساحة بألواح من الخشب. لكن الحجرة من الداخل كانت تبدو سيئة للغاية. فلم يكن مارسيلوس يعلم مدى صعوبة بناء الجدران المستقيمة -والتي تبقى مستقيمة- لذا أخذت الجدران في الاقتراب من بعضها، حتى إنها تكاد تكون التقت في القمة. وبمجرد أن قام بتركيب الجدران المزيفة التي يحتفظ خلفها

بكنوزه الغامضة تحولت الحجرة الآمنة إلى ممر ضيق يصيب من يدخله بفوبيا الأماكن المغلقة.

كاد سبتيموس أن ينفصل عن الواقع، ويدخل في غيبوبة بفعل الأضـواء المتذبذبة للشموع العديدة الموضوعة في الزوايا والشقوق العديدة في الجدران الطوبية التي بناها مارسيلوس باي بطريقته الغريبة. وامتلأت الحجرة بخطوط من الدخان الأسود الصادر من هذه الشموع. جرت أنهار الشمع الذائب على الجدران متلألئة في الضوء الأصفر. وكان الشيء الوحيد الذي يربط سبتيموس بالواقع هو ضغط زوايا طوب الجدران الحادة على جسده، وكأنها توخزه بأصابع غاضبة. وكان بين الحين والآخر يتلوى متململًا، ويستند على قطعة أخرى مدببة من الطوب لا تختلف كثيرًا عن مثيلاتها.

قال مارسيلوس باي بصرامة، وهو جالس على مقعده الوثير: «توقف عن التململ، وانتبه لي أيها التلميذ؛ فحياتك ربما... بل من المؤكد أنها ستعتمد على هذا!».

كتم سبتيموس تنهيدة، ودَّ لو كان يستطيع إطلاقها.

وأخيرًا، تحدث مارسيلوس عن السبب الذي أتى بسبتيموس ليقابله: «ستحاول - على ما أعتقد - أن تستعيد شبح آلثر ميلا من الردهات المظلمة هذه الليلة، أليس كذلك؟».

«نعم. نعم... سأذهب إلى **الردهات المظلمة** عند منتصف الليل».

بينما نطق سبتيموس بهذه الكلمات شعر بالتشويق والإثارة ممتزجتين بالخوف. وفجأة بدا كل شيء حقيقيًا للغاية.

«هل ستحاول دخول **الردهات المظلمة** من خلال بوابة الزنزانة رقم واحد؟».

سأله سبتيموس: «أجل، أليس هذا هو المكان الوحيد الذي يمكنني الدخول منه؟».

بدت على وجه مارسيلوس باي الحيرة، وقال: «لا، هناك أماكن أخرى، ولكنه هو المكان الوحيد الذي يمكن أن تصل إليه في الموعد المحدد الليلة في منتصف الليل.

هناك بوابات أخرى، وبعضها ممتاز وفعال في مثل هذه الأمور، ولكن حين يكون عنصر الوقت أقل أهمية. وعلى أي حال فلا توجد أيٌّ منها في القلعة».

كان سبتيموس في حيرة من أمره؛ فلِمَ لم تخبره مارشا بأمر هذه البوابات الأكثر فاعلية؟ أخذ مارسيلوس الشمعة من على المنضدة ونهض من مقعده وهو يئن. كان يبدو مثل رجل عجوز -كما هو في حقيقة الأمر- وهو يتحرك فى الحجرة متجهًا نحو الجدار المزيف في الجهة الأخرى من الحجرة، والذي -كما لاحظ سبتيموس- كان مغطى بألواح خشبية مثل الحجرة من الخارج. ضغط مارسيلوس بيده على أحد الألواح وأزاحه جانبًا، ومد يده في الفراغ خلفه. سمع سبتيموس صوت زجاج يقرع زجاجًا

وصوت خشخشة بعض الأشياء المجففة في علبة معدنية وصوت سقوط كتاب، ثم أخيرًا قال: «وجدته».

أعاد مارسيلوس اللوح إلى مكانه، وانتفض سبتيموس واقفًا، وهرع نحوه.

ألقت الشموع ظلالًا دراماتيكية على وجه الكيميائي، بينما تقدم نحو سبتيموس مادًّا يده. كان مارسيلوس يبدو تمامًا كما رآه سبتيموس لأول مرة؛ رجل يبلغ من العمر خمسمائة عام يمسك به ويجذبه من المرآة إلى عالم سري أسفل القلعة. لم تكن لحظة جيدة على أي حال؛ فقد أصابت سبتيموس بالاضطراب والقلق أكثر من أي شيء آخر في رحلته الصعبة إلى **الأسبوع الظلامي**.

عاد مارسيلوس إلى مكانه بجوار سبتيموس دون أن يدرك مدى تأثيره عليه. كان مارسيلوس يبدو مسرورًا، وقال: «حسنًا أيها التلميذ، أحمل في يدي شيئًا سيمكنك من المرور بأمان من البوابة لتدخل في الظلام».

فتح مارسيلوس قبضته، لتظهر علبة معدنية قديمة صغيرة ومنبعجة تستخدم في إشعال النار كالقداحة.

شعر سبتيموس بالإحباط وخيبة الأمل، ترى فيم كان يفكر مارسيلوس؟ فقد كانت لديه قداحة خاصة به، وكانت في حالة أفضل كثيرًا من هذه، فقد كان سبتيموس دائمًا ما يفخر بقدرته على إشعال النار في مدة ما لا تزيد عن خمس عشرة ثانية. ومنذ فترة

وجيزة كان قد اشترك في مسابقة لإشعال النار هو وبيتل، وكان هو من أول خمسة فائزين بالمسابقة.

ناوله مارسيلوس العلبة، وقال له: «افتحها». فعل سبتيموس ما طلب منه، كانت العلبة تحتوي على المحتويات التقليدية التي توجد في كل القداحات من هذا النوع. كانت تحتوي على عجلة صغيرة ذات عدة محاور وقطعة من حجر الصوان، وبعض الشرائط الرفيعة من القماش المنقوعة في شمع القلعة المشهور بسرعة الاشتعال وبعض الطحالب المجففة.

كان سبتيموس قد نال ما فيه الكفاية. وتذكر كلمات مارشا له عندما رآها لآخر مرة: «لا يملك الكيميائيون سوى بعض الدخان والمرايا؛ فهم كثير، والحديث دون فعل حقيقي. ولا تعمل أشياؤهم أبدًا، فهي ليست سوى كومة من القمامة».

نهض سبتيموس، وهو يفكر أن مارشا كانت على حق... كما هو الحال دائمًا. يجب أن يغادر هذه الحجرة الكريهة الكئيبة التي تقطر شمعًا، فقد اشتاق أن يكون جزءًا من القلعة مرة أخرى. كان يود أن يركض في الشوارع ويتنفس هواء نقيًا، ويشاهد أضواء القلعة المبهرة التي تتلألأ من نوافذها المتعددة، ويراقب المارة وهم يتجولون جيئة وذهابًا مبدين إعجابهم -أو عدم إعجابهم- بأضواء جيرانهم. لكن أكثر ما كان يشتاق له هو أن يكون مع أناس

آخرين غير هذا الكيميائي صعب الإرضاء الذي يبلغ من العمر خمسمائة عام، والذي يعتقد أنه ما يزال تلميذه.

لكن مارسيلوس كانت لديه أفكار أخرى. قال مارسيلوس بجدية: «اجلس أيها التلميذ، هذا أمر مهم».

ظل سبتيموس واقفًا، وقال: «لا، هذا غير صحيح. إنها مجرد علبة قديمة لا قيمة لها. لن تستطيع خداعي».

ابتسم مارسيلوس باي، وقال: «يبدو أنني قد خدعتك بالفعل أيها التلميذ؛ فهذا الشيء ليس كما يبدو».

تنهد سبتيموس، فمنذ أن قابل مارسيلوس، ولا شيء يكون في حقيقته كما يبدو.

قال مارسيلوس: «اصبر أيها التلميذ، اصبر. اعلم أن هذه الحجرة ضيقة وخانقة وكريهة الرائحة، لكن ما سأريك إياه يمكن أن يظهر هنا فقط. فهو لا يعيش خارج الظلام لمدة طويلة».. ثم نظر مارسيلوس لسبتيموس، وقال له وقد اكتست ملامح وجهه بالجدية: «اسمع يا سبتيموس أنا لا أستطيع أن أدعك تجازف، وتدخل إلى الظلام وأنت أعزل ولا تملك سلاحًا تدافع به عن نفسك. والآن اجلس، من فضلك».

أطلق سبتيموس تنهيدة أخرى، وجلس على مضض.

قال مارسيلوس: «انظر يا سبتيموس، هذه العلبة ليست كما تبدو، مثلها مثل باقي أغراض الظلام التنكرية. وأنت أيضًا يجب ألا تبدو على حقيقتك عندما تدخل إلى الظلام».

« نعم، أعرف. الأقنعة وستار الأفكار والخدع... لقد قمت بكل هذا من قبل مع مارشا».

قال مارسيلوس بنبرة استرضائية: «أنا أعلم أنك قمت بكل هذا، وهذا دون شك أمر رائع. ولكن هناك بعض الأشياء التي لا يسمح لأي أحد باستخدامها حتى الساحر الأعظم. وهنا يأتي -أو كان يأتي- دورنا نحن الكيميائيين. فنحن كنا على اتصال مع الظلام، وكنا نستطيع أن نخترق أماكن لا يجرؤ السحرة على اختراقها.

كان سبتيموس يشك في هذا الأمر، وخاصة بعد ما سمعه من تحذيرات من مارشا ضد الكيميائيين. لكن كانت هذه هي أول مرة يسمع مارسيلوس وهو يعترف بذلك.

وأردف مارسيلوس: «وكتلميذ لكيميائي يجب أن تعرف أنت أيضًا كيف تتعامل مع الظلام. للأسف! يحب السحرة أن يدفنوا رءوسهم في الرمال مثل هذه الطيور... ماذا يطلق عليهم؟».

لم يكن سبتيموس متأكدًا، وقال متشككًا: «الدجاج؟».

ضحك مارسيلوس، وقال: «حسنًا، لا بأس بالدجاج. مثل الدجاج؛ فهم يلتقطون ما أمامهم لكنهم لا يفهمون حقيقته. إنهم أحيانًا يطلقون عليه اسمًا مثل: الآخر أو العكس، لكن هذا لا يغير

من الأمر شيئًا. فالظلام يظل ظلامًا، أيًا كان الاسم الذي يطلق عليه. والآن أيها التلميذ وجب عليك أن تختار؛ إما أن تكون أولى خطواتك إلى الظلام على طريقة الكيميائيين وترى حقيقة ما يوجد في العلبة، أو طريقة السحرة ولا ترى بهذه العلبة سوى قطعة من حجر الصوان والطحالب الجافة. فماذا تختار؟».

فكر سبتيموس في مارشا وعرف ما ستقول. وفكر في بيتل وما سيقول. ثم فكر في ألثر، وفجأة شعر سبتيموس بأغرب شعور على الإطلاق؛ فقد شعر أن ألثر كان يجلس بجواره. التفت وظن أنه قد رأى وميضًا أرجوانيًا وشيئًا يشبه لحية بيضاء. ثم اختفى تاركًا سبتيموس، وقد تأكد من أنه لن يرى ألثر مرة أخرى إلا إذا قال: «طريقة الكيميائيين».

ابتسم مارسيلوس بارتياح؛ فقد كان في شدة القلق خشية أن يقرر سبتيموس أن يجازف، ويدخل إلى الظلام بطريقة السحرة التقليدية. فلتفكر بشكل إيجابي، وكل شيء سيكون على ما يرام. وشعر الكيميائي العجوز ـ أيضًا ـ بزهو الانتصار، فقد استعاد تلميذه مرة أخرى إلى صفه ـ على الأقل ـ في الوقت الحالي.

قال مارسيلوس: «قرار حكيم. والآن وجب عليك أن تتوقف عن التصرف كالدجاج، وتبدأ أولى خطواتك نحو الظلام. وأنت تعرف أنك لا يمكن أن تأخذ هذه الخطوة إلا إذا أردت أن تفعل ذلك بكل صدق، أليس كذلك؟».

أومأ سبتيموس برأسه.

«إذًا قل».

«ماذا تريدني أن أقول؟».

«إنك تريد أن تفعل ذلك، قل: أنا أريد».

تردد سبتيموس قليلًا، وانتظر مارسيلوس. طالت فترة الصمت، كان سبتيموس لديه هذا الإحساس: أنه مقبل على أمر جلل؛ فهو على وشك أن يعبر خطًّا لم تعبره مارشا نفسها.

قال: «حسنًا، أنا أريد».

وكأن أحدهم ضغط على زر ما لتنطفئ كل الشموع وتنخفض درجة الحرارة.

شهق سبتيموس، وسمع صوت مارسيلوس آتيًا من بين دخان الشموع المطفأة، وهو يقول: «يجب ألا تخشى الظلام». سمع سبتيموس الكيميائي وهو يطرقع أصابعه، لتشتعل الشموع كلها مرة أخرى في نفس اللحظة. لكن الحجرة ظلت باردة... باردة جدًّا، حتى إن سبتيموس كان يرى سحبًا من الأنفاس في الهواء.

والآن أصبح سبتيموس منتبهًا لما يقوله مارسيلوس تمامًا. «والآن أيها التلميذ، أول خطوة يجب أن تقوم بها هي اختيار اسم تستخدمه عندما تتعامل مع الظلام. عادة ما يقوم السحرة-إذا امتلكوا من الجرأة ما يمكنهم من الوصول إلى هذه المرحلة-باستخدام أسمائهم بشكل معكوس، إلا أنهم لا يدركون مدى

خطورة هذا. فإذا فعلت هذا ستظل حبيسًا فى الظلام إلى الأبد؛ لأنه سيكون من السهل كشفك. أما نحن الكيميائيين؛ فبما لدينا من معرفة نتعامل مع الأمر بشكل أفضل. فنحن نعكس آخر ثلاثة أحرف من أسمائنا. وأقترح عليك أن تفعل ذلك».

قال سبتيموس: «س... و... م».

ابتسم مارسيلوس، وقال: «سوم. رائع. إذا اضطررت لاستخدام اسمك استخدم هذا الاسم؛ فهو قريب من اسمك الحقيقي، ولكنه غير حقيقي بدرجة كبيرة تجعلك تنكشف. والآن فلنتحدث عن سبب وجودنا هنا: هل تود أن تحصل على تمويه الظلام؟».

أومأ سبتيموس برأسه.

قال مارسيلوس: «انطق، فأنا لا أستطيع مواصلة هذه الخطوات بمجرد إيماءة من رأسك. يجب أن أتحقق من أنك تود أن تستمر».

قال سبتيموس بصوت مرتعش: «حسنًا، أنا موافق».

«عظيم. والآن، أيها التلميذ، ضع هذه العلبة على قلبك، هكذا..».

وضع سبتيموس العلبة فوق قلبه، وسرعان ما شعر بطعنة باردة تخترق قلبه، وكأنه قد طعن بخنجر من جليد.

استمر مارسيلوس في إعطاء توجيهاته لسبتيموس، وقال: «ثبت يدك تمامًا، وكف عن التململ. والآن، كرر خلفي هذه الكلمات».

أخذ الكيميائي ينطق بكلمات معكوسة لم يسمعها سبتيموس في حياته قط، وكان يظن أن مارشا لم تسمعها من قبل هي الأخرى.

شعر سبتيموس ببرودة شديدة تسري في جسده أشد من تلك الصادرة من العلبة، وأشد من برودة الهواء داخل الحجرة. وعندما انتهى سبتيموس من نطق الكلمات الأخيرة.. كرمآ نأ نوكت سراحلا سوم.. كانت أسنانه تصطك معًا من البرد.

قال مارسيلوس: «افتح العلبة».

في البداية ظن سبتيموس أن العلبة فارغة؛ فكل ما كان يستطيع أن يراه هو الجزء المعدني الداخلي ذو اللون الرمادي الباهت. لكنه عندما دقق النظر لم يكن متأكدًا حقًّا من أنه معدني بالفعل، فقد بدا غائمًا وضبابيًّا، وكأن هناك شيئًا موجودًا، وليس موجودًا في نفس الوقت. مد سبتيموس إصبعه بحذر - وكأنما يخشى أن يعضه شيء ما- ووضعه داخل العلبة ليلمس شيئًا بداخلها، كان شيئًا ناعمًا ورقيقًا.

قال مارسيلوس، وقد بدا عليه الرضا: «لقد وجدته، أو بالأحرى وجدك، هذا عظيم. والآن أخرجه وارتده».

شعر سبتيموس بأنه يلعب لعبة «التظاهر» مع بارني بوت. ضم سبتيموس إصبعيه الإبهام والسبابة معًا وأمسك بشيء مراوغ يكاد يكون غير موجود. كان يشعر وكأنه يجذب خيوط عنكبوت من وعاء زجاجي ضيق والعنكبوت يقاومه. جذب سبتيموس بشدة

ورفع يده لأعلى ليجد أنه يسحب قطعة طويلة من القماش الرقيق كلعاب الشمس من العلبة. لمعت عينا مارسيلوس باي بحماس في ضوء الشموع وهمس بارتياح: «لقد نجحت... لقد وجدت **تمويه الظلام**».

كانت هذه القطعة من القماش تذكر سبتيموس بأحد أوشحة سارة هيب الرقيقة الهفهافة، وإن كانت سارة تفضل الألوان البراقة.

وكانت قطعة القماش هذه ذات لون غامض، ولو رأتها سارة كانت ستراها كئيبة للغاية. كذلك فقد كانت أكبر من أي وشاح اقتنته سارة. أخذ سبتيموس يجذب قطعة القماش من العلبة المعدنية، وكانت تزداد طولًا كلما سحبها لتنزل بخفة في حجره، وتنطوي لعدة مرات وتنسدل ملامسة الأرض، مما جعل سبتيموس يتساءل عن مدى طولها في الحقيقة.

أجاب مارسيلوس على سؤال سبتيموس حتى قبل أن ينطق به، وقال: «سيكون طولها مناسبًا لما تحتاجه تمامًا. والآن، أيها التلميذ، دعني أسدي لك نصيحة، أقترح عليك أن تجذب منها خيطًا الآن - وهذا أمر سهل للغاية- واحتفظ به معك. سيكون أقوى من الحبل، ومن خبرتي يمكن أن يكون من المفيد أن يمتلك المرء شيئًا صغيرًا من أغراض الظلام يكون في متناول يده عندما يجازف، ويدخل مثل هذه العوالم».

لم تكن هذه هي المرة الأولى التي يتساءل فيها سبتيموس عن أسرار الماضي التي يخفيها مارسيلوس، لكن ما قاله هذه المرة كان يبدو منطقيًا. وبالفعل جذب سبتيموس خيطًا من النسيج الواسع، وأخذ يلفها على قطعة نظيفة من السلك.

نظر مارسيلوس إلى سبتيموس، وقدا بدا على ملامحه الرضا: «عظيم. تم بنجاح. والآن تذكر أن قوة الظلام لهذا الخيط ستبدأ في التلاشي بعد حوالي أربع وعشرين ساعة، ويجب ألا تحتفظ به في حزام التلميذ الخاص بك، فأنت بالتأكيد لا تريد أن تغضب أيًا من التمائم أو التعاويذ. يمكنك الاحتفاظ به في جيبك».

أومأ سبتيموس برأسه؛ فقد أدرك ذلك من تلقاء نفسه.

قال مارسيلوس: «والآن، أقترح أن تعيد **تمويه الظلام** إلى العلبة المعدنية، فكل لحظة يقضيها خارج العلبة تنتقص من قوته شيئًا ما».

لقن مارسيلوس سبتيموس بعض الكلمات ليقولها، ويعيد تمويه الظلام إلى العلبة: «كركشأ، عجرئ نم كلضف..». وبمجرد أن انتهى سبتيموس من تلاوة هذه الكلمات اختفى **تمويه الظلام** داخل العلبة في لمح البصر.

نظر مارسيلوس إلى تلميذه بإعجاب ورضا: «عظيم. حقًّا، إنه يطيع أوامرك تمامًا. قبل أن تدخل من بوابة **الظلام** يجب أن تأمره قائلًا: «طغ سوم». والآن بعد أن صار يعرفك سيلتصق بك كجلدك. ولكن احرص على عدم ارتدائه، وأنت خارج الظلام؛ لأنك إذا

فعلت سيذوب ويختفي. ولهذا السبب كان علي أن أريك إياه في هذه الحجرة، فأحسن استخدامه».

أومأ سبتيموس برأسه، وقال: «سأفعل».

«وهناك شيء آخر».

«ما هو؟».

«قد يفسد تمويه الظلام السحر، فحذار أن تأخذ هذه العلبة إلى برج السحرة».

بهت سبتيموس، وقال: «ولكن... ماذا عن خاتم التنين الخاص بي؟».

قال مارسيلوس مبتسمًا: «إنك ترتديه بالفعل، إنه جزء منك، وسيقوم **تمويه الظلام** بحمايتك وحماية كل جزء فيك. لا تقلق، فستراه يلمع لمعانًا لم تره من قبل، وإن كان لن يراه الآخرون».

نظر سبتيموس إلى خاتمه الذي كان يلمع وسط الجو الكئيب الذي يسود الحجرة الآمنة. شعر سبتيموس بالاطمئنان؛ فبدونه كان سيشعر بالضياع.

وأخيرًا، أخبر مارسيلوس سبتيموس بآخر تعليماته: «عندما تعود مع ألثر -لأنني أعرف أنك ستفعل- يجب أن تعيد **تمويه الظلام** إلى هنا مرة أخرى لحفظه في هذه الحجرة، مفهوم؟»

قال سبتيموس: «نعم، أفهم. أشكرك مارسيلوس، أشكرك شكرًا جزيلًا..». ووضع العلبة المعدنية بحذر في أعمق جيب من

جيوب ثوب التلاميذ الذي يرتديه وأكثرهم سرية، وقال: «أراك لاحقًا، في الحفل..».

«أي حفل؟».

«حفل عيد ميلادي، أنا وچينا. في القصر».

«نعم، نعم. بالطبع، أيها التلميذ. كنت قد نسيت».

نهض سبتيموس ليرحل، وهذه المرة لم يمنعه مارسيلوس.

20

الطوق الأمني

حل الليل، بينما كان سبتيموس محتجزًا في الحجرة الآمنة. خرج سبتيموس في الهواء البارد، واتجه نحو المنزلق الثعباني وهو يلف عباءته حول جسمه بإحكام، ويسرع الخطى محاولًا التخلص من البرودة التي سكنت عظامه. ثم سلك زقاق ممشى الفئران، وهو زقاق مطروق يؤدي إلى طريق السحرة مباشرة.

كانت أطول ليلة من أكثر الأوقات التي يفضلها سبتيموس. فعندما كان جنديًّا صغيرًا في جيش الشباب، كان دائمًا ما يتطلع إليها، بالرغم من أنه لم يكن لديه أيَّة فكرة في ذلك الوقت أنها توافق يوم عيد ميلاده. وكان يشعر أنها مناسبة، لها خصوصية شديدة. كان يحب رؤية الشموع الموضوعة في كل نافذة من نوافذ القلعة. وكان قد تم منع هذا التقليد من قبل الحارس الأعلى ورفاقه، لكنه كان تقليدًا قديمًا للغاية، ومن الصعب التخلص منه، وأصبح فيما بعد رمزًا صغيرًا للمقاومة. لكن سبتيموس الصغير لم يكن مدركًا لهذا المعنى تحديدًا، وكل ما كان يعرفه أن رؤية هذه الأضواء كانت تشعره بالسعادة والفرح.

ولكن، الآن صار لأطول ليلة معنى أكبر بالنسبة له. كانت رمزًا للتجدد والأمل؛ فقد كانت ذكرى إنقاذه من جيش الشباب عن طريق مارشا.

وبالرغم من المهمة التي كان عليه إنجازها هذه الليلة، كان سبتيموس يسير في زقاق ممشى الفئران، وقد انتابته نفس مشاعر الحماس والسعادة المعتادة في هذه المناسبة. كانت قطع البرد الصغيرة تسقط على وجه سبتيموس، وتستقر عليه لبرهة من الزمن وهو يسير ناظرًا لأعلى مبتسمًا يشاهد نوافذ المنازل العتيقة التي توجد على كل منها شمعة واحدة مشتعلة. وأخذ يستنشق الهواء النقي؛ ليطرد من رئتيه الأدخنة المقرفة التي استنشقها في بيت

الكيميائي العجوز، وكان يحاول أن يتناسى شعوره بالذنب تجاه مارشا التي سترى ما فعله خيانة لها مع مارسيلوس.

كان سبتيموس مصممًا أن يقوم بما يرى، ويشعر أنه صحيح. كان هذا هو عيد ميلاده الرابع عشر، وهذا اليوم معروف في القلعة بأنه بداية الاستقلال. فهو لم يعد طفلًا، لقد أصبحت له شخصيته المستقلة، ويستطيع أن يتخذ قراراته بنفسه.

وعلى بعد عدة شوارع سمع دقات ساعة ساحة التجار. دقت الساعة ست دقات، فأسرع سبتيموس الخطى؛ لأنه كان متأخرًا؛ فقد وعد والدته أن يعود في السادسة.

أسرع سبتيموس إلى طريق السحرة، لكنه وجد أن الأمور ليست كما كان يتوقع. كان الطريق مزدحمًا كعادته في هذه الليلة، ولكنه لم يكن مزدحمًا بأناس يتجولون ويتجاذبون أطراف الحديث، ويشيرون إلى أكثر النوافذ إثارة للاهتمام (ففي السنوات الأخيرة كان هناك تنافس بين العديد من المحال التجارية في تزيين واجهاتها بلوحات جميلة لافتة)، أما اليوم فكان الجميع يقفون متسمرين في أماكنهم يحدقون في اتجاه القصر. كان هذا أمرًا غريبًا في حد ذاته، لكن ما أقلق سبتيموس حقًّا هو هذا الصمت المريب.

سمع سبتيموس صوتًا جاء من مكان ما خلف كوعه يقول: «أنا مندهشة أنك لست هناك، أنت الآخر أيها التلميذ». وعند سماع كلمة «تلميذ» التفتت عدة رءوس ناظرة إليه.

نظر حوله ليجد ميزى سمولز -التي كانت اسمًا على مسمى- تقف بجواره. كانت تبدو قلقة للغاية، وقالت: «نعم، في الطوق الأمني المحيط بالقصر».

«طوق أمني؟ حول القصر؟!».

«نعم، أتمنى أن يكون قطي بخير؛ فبينكي يكره أي تغيير في روتينه اليومي؛ فلقد أصبح قطًّا عجوزًا الآن، و... يا إلهي..».

لكن سبتيموس كان قد اختفى من أمامها؛ فقد انطلق متجهًا إلى القصر. واستطاع أن يمر بين الناس بأسرع مما كان يتصور؛ فبمجرد أن كان الناس يرون التلميذ الأعظم يحاول المرور أو حتى يدوس على أقدامهم، كانوا يتراجعون في احترام وإجلال، إلَّا جرينچ الذي أوقفه ونهره، قائلًا: «من الأفضل أن تسرع يا فتى، فلقد تأخرت بعض الشيء، أليس كذلك؟» لكنه تركه عندما تدخلت لوسي معترضة: «اتركه يا أبي؛ ألا ترى أنه في عجلة من أمره؟».

نظر سبتيموس إلى لوسي بامتنان، وانطلق في طريقه مرة أخرى. وبينما كان يمضي في طريقه، لمح نكو يتحدث إلى روبرت أخي لوسي. لكن لم يكن لديه أي وقت لتحية نكو؛ فقد كان يحاول الوصول إلى القصر باستماتة.

وعندما وصل سبتيموس إلى بوابة القصر، عرف أن جرينچ كان محقًّا. لقد تأخر بالفعل... تأخر كثيرًا. كان الطوق الأمني يمتد عبر

مروج القصر على بُعد بضع ياردات من البوابة. كان الطوق الأمني صفًّا طويلًا من السحرة والتلاميذ والكتبة يحيط بالقصر.

وكان كل منهم يحمل قطعة من السلك أرجواني اللون تربطه بالشخص التالي. ومن حالة السكون والتركيز التي غرقوا فيها عرف سبتيموس أن الطوق الأمني قد اكتمل. لم يكن سبتيموس قد رأى طوقًا أمنيًّا من قبل، بالرغم من أنه أحيانًا كان برج السحرة يجري بعض التدريبات في الفناء. وفي إحدى المرات قام التلاميذ بعمل طوق أمني حول بيت حارس البوابة الشمالية كنوع من المزاح؛ مما أثار استياء واشمئزاز جرينچ. كان سبتيموس يعرف جيدًا أن الوضع الأمثل أن يمسك كل من بالطوق الأمني بأيدي بعضهم كالأطفال في لعبة: هيا ندور حول برج السحرة، ولكن من أجل تطويق أطول مبنى في القلعة كان يتعين على كل شخص يشارك في الطوق الأمني أن يستخدم **حبلًا سحريًّا موصلًا** كان كل السحرة والتلاميذ والكتبة يحملونه معهم.

وقف سبتيموس أمام هذا الجمع الهادئ الذي يشاهد الطوق الأمني، يحاول أن يفهم ما يجري. كان شعوره بأنه خارج شيء **سحري**؛ شعورًا غير مألوف بالنسبة له، ولم يكن يروقه هذا الشعور على الإطلاق.. ولكنه سرعان ما بدأ يدرك أنه كان سعيد الحظ؛ فقد أفلت بالكاد من مارشا التي لا شك أنها كانت ستطلب منه

الاشتراك في هذا الأمر إذا كان قد وصل قبل بضع دقائق. وبما أنه يحمل تمويه الظلام في جيبه فلم يكن ليجرؤ على القيام بذلك.

كانت الراحة التي شعر بها عندما أدرك أنه لن يضطر إلى مواجهة مارشا، وشرح هذا الأمر لها تعويضًا كافيًا له على تفويت حدث سحري مهم وتاريخي... تقريبًا.

لم يستطع سبتيموس أن يقاوم رغبته في إلقاء نظرة أقرب، فتسلل عبر بوابة القصر، وسار متمهلًا على الحشائش. وعندما اقترب رأى أربعة أشخاص داخل الطوق الأمني يسرعون صوب أبواب القصر. بالطبع كانت مارشا واحدة منهم، وكان الثاني هو بيتل. شعر سبتيموس بشعور مؤلم، ربما كان حقدًا وغيرة؛ فقد أخذ بيتل مكانًا ليس مكانه، ولا يحق له. وكان هناك شخصان آخران يتبعانهما. كان أحدهما دون شك هو هيلدا جارد، والشخص الآخر كان إحدى الساحرات. ترى ماذا يحدث؟

توقف سبتيموس عندما اعتقد أنه على مسافة آمنة من الطوق الأمني. أدرك سبتيموس أنه لابد أنه قد نطق بشيء ما؛ لأن التلميذة روز التي تعمل في غرفة المرضى، والتي كانت جزءًا من الطوق الأمني التفتت نحوه. وابتسمت له وحركت شفتيها دون صوت: «ششش، التزم الهدوء. إنه صامت».

حرك سبتيموس شفتيه دون صوت: «لماذا؟». هزت روز كتفيها، وارتسم على وجهها تعبير يشير إلى أنها لا تدري.

تحسس سبتيموس ما بجواره بشيء من الإحباط، وقفزت آلاف الأسئلة في عقله. ترى ماذا حدث؟ هل ارتكب سايلاس حماقة ما؟ وأين چينا؟

أين والداه؟ ترى هل هما في أمان؟ ثم تراءت له فكرة بشعة، ترى هل كان لهذا علاقة بالشيء الذي كان في العلية ـ أيًا ما كان ـ والذي طلبت منه چينا أن يلقي نظرة عليه مساء أمس؟ هل كان كل هذا خطأه؟

انطلق سبتيموس مارًّا بالطوق الأمني من الخارج. كان الهواء باردًا، وكانت الثلوج تسقط متفرقة على عباءات السحرة والكتبة وتستقر لبرهة على القبعات الصوفية والرءوس العارية على حد سواء قبل أن تذوب. وكانت أيديهم التي تمسك بالحبال الأرجوانية (فلم يكن مسموحًا بارتداء القفازات؛ لأنها تمنع **الاتصال**) تبدو حمراء وباردة. وراح بعض التلاميذ الصغار يرتعدون من البرد؛ وفي غمرة حماسهم كانوا قد نسوا ارتداء عباءاتهم.

وأثناء مرور سبتيموس على **الطوق الأمني**، كانت عيناه مثبتتين على القصر. حاول سبتيموس أن يفكر فيما قالته چينا الليلة الماضية: «يوجد شيء سيئ هناك بالأعلى». كان هذا كل ما استطاع أن يتذكره، لكنه كان يعرف أنه لم يعطها الفرصة لتخبره بأي شيء آخر. أخذ سبتيموس يتفحص القصر بعينيه؛ بحثًا عن أي شيء يفسر له ما يحدث، لكن القصر كان يبدو ـ كما يبدو دائمًا ـ آمنًا

وهادئًا في ليل الشتاء، ولكن فجأة لفت نظره شيء ما؛ فقد لاحظ أن الشمعة الموجودة في إحدى نوافذ أحد الأدوار العليا قد انطفأت. توقف سبتيموس خلف صف السحرة الكبار الذين يرتدون مجموعة متنوعة من الأوشحة الملونة والقبعات الصوفية ويحدقون في نوافذ القصر، ثم انطفأت شمعة أخرى، وتلتها شمعة أخرى... وأخذت الشموع في الانطفاء واحدة تلو الأخرى بطريقة تشبه سقوط قطع الدومينو. عرف سبتيموس أن چينا كانت محقة، بالفعل هناك شيء سيئ بالأعلى.

قال لنفسه، والغضب يملؤه: «لم تساعد چينا؛ لأنك كنت حاد المزاج، ولا تريد أن تشغل رأسك التافه بأي شيء آخر غير أسبوعك الظلامي. والآن، انظر إلى نتيجة أفعالك. ولم تكتف بذلك، بل ذهبت إلى غرفة الكيميائي المظلمة، وأنت تعرف أن مارشا لا تريدك أن تذهب إلى هناك، والآن فاتك الاشتراك في أكبر وأعظم حدث سحري ستراه طوال حياتك. هذا العقل الأحمق هو ما تحصل عليه عندما تقترب من الظلام، ويجعلك لا تفكر إلا في نفسك وتأخذك من كل من يهمونك. والآن، صرت وحيدًا، ولا تجد من تتحدث معه، وفي الواقع أنت تستحق ذلك».

سار سبتيموس مبتعدًا عن **الطوق الأمني** ورفاقه السحرة، وانطلق مقتحمًا ظلام الليل. ووصل سبتيموس إلى ضفة النهر، وأخذ يهرول صوب رصيف الإنزال الخاص بالقصر، وفجأة ظهر

له شبح أليس نيتلز. منذ نفي ألثر لم تعد أليس تظهر على الإطلاق، لكنها كانت قد استثنت سبتيموس. كانت أليس هي الشبح الوحيد الذي كان يبدو دائمًا وكأنه يتفاعل مع الجو، والليلة –وعلى الرغم من أنه يعلم أنها لا تشعر بالبرد– فإنها كانت تبدو متجمدة.

قال سبتيموس: «مرحبًا، يا أليس».

قالت أليس التي بدا صوتها وكأنه آتٍ من مكان بعيد: «مرحبًا، سبتيموس». التفتت أليس إلى سبتيموس ولأول مرة على الإطلاق مدت أليس يدها لإنسان، ووضعت يديها على كتفيه، وقالت: «أعد لي ألثر أيها التلميذ. أعده لي».

رد سبتيموس، وهو يفكر في برودة لمسة أليس: «سأبذل قصارى جهدي يا أليس».

سألته: «هل ستذهب الليلة؟».

كان مفتاح الزنزانة رقم واحد، وبداية أسبوعه الظلامي يثقلان جيبه. لكن الطوق الأمني كان قد أربك كل خطط سبتيموس. فلم تكن لديه أدنى فكرة عما يحدث أو عما سوف تفعله مارشا في منتصف الليل. فتردد لبرهة.

نظرت أليس إلى سبتيموس، وهي قلقة، وقالت: «أنت لا ترد أيها التلميذ».

رأى سبتيموس نظرات أليس المضطربة في عينيها، وأخذ قراره. ربما كان قد خذل چينا من قبل، لكنه لن يكرر فعلته مع

أليس. سيدخل الزنزانة رقم واحد سواء كانت مارشا معه أم لا.
قال: «حسنًا، يا أليس سأذهب وأحضر ألثر».

بدأت الابتسامة ترتسم على وجه أليس، وقالت: «أشكرك، أشكرك من أعماق قلبي».

ترك سبتيموس أليس تهيم على وجهها على رصيف الإنزال، وهي تنظر نظرة حالمة إلى النهر. سار سبتيموس متمهلًا على ضفة النهر، غارقًا في الهموم. لم يشعر سبتيموس بمثل هذه الوحدة من قبل قط، حتى عندما كان في جيش الشباب. أدرك سبتيموس الآن أنه قد اعتاد على أن يكون مركز كل شيء، وأن يكون جزءًا لا يتجزأ من حياة السحر في القصر. والآن، وقد وجد نفسه خارج دائرة السحر، بات يشعر بالفقد والبؤس والحرمان.

سار سبتيموس مجهدًا عبر الحشائش الطويلة على ضفة النهر، وكانت مياه النهر الباردة المظلمة تجري في هدوء. وأخذت رقائق الثلج تطير وتستقر على عباءته الصوفية السميكة، وراحت الحشائش المتجمدة تتكسر تحت حذائه. وبينما كان يسير وحيدًا تراءت له صورة القصر على يساره. جذبت صورة القصر عينيه، وكأنها صورة حادث مروع. وفي كل مرة كان يرفع عينيه، والرعب يستبد به، كان يرى نافذة أخرى تغرق في الظلام. لم يستطع أن يقاوم تخيلاته بوجود چينا بالداخل محبوسة في مكان ما.

واصل سبتيموس مسيرته الصعبة المجهدة على ضفة النهر وهو يؤمن أنه كان بإمكانه إيقاف أي ما كان يحدث في القصر، لو كان ساعد چينا عندما لجأت إليه وطلبت مساعدته. لكن للأسف فات الأوان، ولم تعد چينا هنا الآن لتطلب مساعدته. لقد أصبح بمفرده تمامًا، ولا يستطيع إلا أن يلوم نفسه.

وصل سبتيموس إلى البوابة المؤدية إلى فناء التنين عبر سياج الشجيرات المرتفع وفتح البوابة. لم يكن هناك سوى مخلوق يمكنه أن يتحدث إليه... تنينه لافظ اللهب.

21

العزل

كانت سارة هيب داخل القصر لا تدري شيئًا عما يجري من أحداث حولها، وكانت تقف بحذر أعلى السلم في ردهة مدخل القصر تعلق لافتة مكتوبًا عليها: «عيد الميلاد الرابع عشر لچينا وسبتيموس. عيد ميلاد سعيد» في ضوء ثريا جميلة (قام بيلي بوت بإشعال كل شموعها في أكثر من عشر دقائق) فوق المدخل المؤدي إلى الردهة الطويلة؛ لذا لم تسعد سارة بسماع وقع أقدام تقترب بالخارج.

تمتمت سارة: «إزعاج» فقد كانت تعرف أن هذه الخطوات هي خطوات مارشا أوفرستراند. كانت مارشا تستطيع بطريقة أو بأخرى أن تسير في كل مكان، وكأنها تمتلك المكان. وكانت سارة تجد صعوبة في تعليق اللافتة الثقيلة، مما أثار أعصابها. قالت في نفسها: «لقد وصلت مارشا مبكرًا، من الأفضل أن تقوم بشيء مفيد حتى بدء الحفل. فهناك كثير من الأشياء التي يجب إنجازها. يمكنها أن تمسك السلم، وتثبته في مكانه كبداية».

تغير صوت الخطوات من صوت أقدام تسير على الرماد في الممر إلى صوت خبطات متأنية للحذاء الأرجواني المصنوع من جلد الثعبان على الخشب، وهو يسير بخطى واثقة عابرًا الجسر فوق الخندق المزين، ثم تلا هذا الصوت وقع أقدام أخرى تسير بنفس التأني، ولكن ليس بنفس الثقة. وكانت هذه الخطوات هي خطوات مرافقي مارشا.

فتحت أبواب القصر، وسارت الخطوات على الأرض الحجرية لردهة المدخل وتوقفت أسفل سلم سارة .

هتفت مارشا: «سارة هيب».

تساءلت سارة، وهي غاضبة: «لم يجب أن تتحدث مارشا بهذه الطريقة المتعجرفة؟». التفتت لها، وهي ترفع الشاكوش وتضع مسمارين بين شفتيها.

قالت سارة: «أُف». ثم قررت أخيرًا أن تتنازل وتنظر لزوارها: «مرحبًا، بررر وهررر. كانت سارة سعيدة برؤية مرافقي مارشا بيتل هيلداجارد، بالرغم أنها كانت أقل سعادة برؤية الساحرة الشابة التي كانوا يصطحبونها معهم. أخرجت المسامير من فمها، وقالت: «لقد جئتم مبكرًا، لكنني قد أحتاج مساعدتكم، فدائمًا ما تكون المهام المطلوب إنجازها لإقامة حفل أكثر من المتوقع».

قالت الساحرة الشابة: «أمي».

كادت سارة أن تسقط الشاكوش من يدها، وقالت: «يا إلهي، چينا. إنه أنت. لم أكن أعرف أن هذا سيكون حفلًا تنكريًا.

همت چينا بالحديث، محاولة أن تشرح لوالدتها قبل أن تتدخل مارشا في الموقف: «لا يا أمي، لكن..».

بدا على سارة الاستياء، وقالت: «حسنًا، أنا لا أفهم لـمَ تتجولين بزي الساحرات هذا؟! هذا أمر مرفوض».

«أنا آسفة، ولكنني كنت في عجلة من أمري، ولكن..».

«أنت من تقولين ذلك، لم نستعد بعد للحفل وأنت..».

«أمي، اسمعيني..».

قالت مارشا: «لقد تم إلغاء الحفل».

أسقطت سارة الشاكوش الذي كاد أن يصيب قدم مارشا اليمنى، وقالت غاضبة: «ماذا؟».

«لقد تم إلغاء الحفل، ويجب أن ترحلي أنت وكل من بالقصر في خلال خمس دقائق».

نزلت سارة من السلم في لمح البصر، وقالت: «مارشا أوفرستراند كيف تجرئين؟».

قالت چينا: «مهلًا يا أمي، اسمعي أرجوك، الأمر مهم. هناك شيء..».

قالت مارشا: «شكرًا يا چينا، سأتولى أنا هذا الأمر. اسمعي يا سارة، إنه من مهام عملي أن أتأكد من تأمين القصر. هناك طوق أمني يحيط المبنى الآن، وأنا أقوم الآن بعزل القصر عن باقي المنطقة».

كادت سارة تنفجر من الغضب، وقالت: «اسمعي يا مارشا، لا داعي لهذه المبالغة، أنا لا أعرف ماذا قال لك سبتيموس أو چينا عن هذا الحفل، ولكن لا تهتمي للأمر. فأنا ووالدهم سنكون موجودين بالحفل، ولن نسمح للأمور أن تخرج عن السيطرة».

قالت مارشا: «لقد خرجت الأمور عن السيطرة بالفعل يا سارة». ورفعت مارشا يدها مشيرة لسارة للتوقف عن الاعتراض. وقالت: «سارة، اسمعيني، أنا لا أقصد الحفل، ودعيني أخبرك أن وجودك أنت وسايلاس هنا لا يبدو أنه يوفر أي نوع من الأمان أو الحماية من أي شيء. وبالطبع أنا مندهشة للغاية- ولكن لم يخب ظني- من أن سايلاس قد سمح لهذا بالحدوث».

قالت سارة بحدة: «إنه مجرد حفل عيد ميلاد صغير، فبالطبع سمحنا له أن يتم».

ردت مارشا بنفس الحدة: «سارة ـ بحق السماء ـ اسمعيني، أنا لا أتحدث عن حفل عيد الميلاد، وتوقفي عن التلويح بالشاكوش هكذا».

نظرت سارة إلى الشاكوش الذي تحمله في يدها، وكأنها فوجئت به في يدها، ثم هزت كتفيها ووضعته على السلم.

قالت مارشا: «أشكرك».

سألت سارة: «إذًا، عم تتحدثين؟».

«أتحدث عن المستأجر الذي يسكن العلية».

قالت سارة، وهي غاضبة: «أي مستأجر؟ ليس لدينا أي مستأجرين. ربما تسوء الأحوال أحيانًا بعض الشيء، لكن لم يصل الأمر لدرجة تأجير القصر كدار ضيافة. وحتى إذا حدث ذلك، فلا أعتقد أننا نحتاج أن نستأذن منك. شكرًا جزيلًا».

طوت سارة السلم، وهي في شدة الغضب، ليُصدر صوتًا عاليًا، وأخذت تسحبه نحو الردهة الطويلة. تقدم بيتل وأخذ السلم منها.

قالت سارة: «أشكرك يا بيتل، هذا لطف منك. عفوًا مارشا؛ فلدي العديد من المهام لإنجازها».

وأخذت تجمع بقايا اللافتات المتناثرة على الأرض.

قالت چينا، وهي تناولها بعض اللافتات: «أمي، أمي أرجوك، هناك شيء مريع هنا. يجب أن..».

لكن سارة لم تكن في حالة مزاجية تسمح لها بأن تستمع، وقالت: «وأنت يا چينا، يجب أن تخلعي عباءة الساحرات هذه الآن وفورًا، فرائحتها فظيعة... وكأنها حقيقية».

رفعت مارشا صوتها، وقالت: «هذا التحذير هو الأخير، إنني على وشك أن أعزل هذا المبنى». ثم أخرجت ساعتها، ووضعتها على كفها وأردفت: «لديكم خمس دقائق من الآن لإخلاء المكان».

لم تعد سارة تستطيع أن تتحمل أكثر من ذلك، فوقفت والغضب يكاد يفتك بها واضعة يديها في وسطها وشعرها منفوش، ورفعت صوتها أكثر، وقالت: «والآن، انظري يا مارشا أوفرستراند، لقد نلت كفايتي منك، ولقد أزعجتني بما فيه الكفاية في يوم عيد ميلاد ابنتي... وابني أيضًا، وأفسدت كل شيء. أرجو أن ترحلي الآن مشكورة وتتركينا في سلام».

كانت هيلداجارد تراقب أسلوب تعامل مارشا مع إجراءات العزل باستياء، فقبل أن يتم ترقيتها إلى برج السحرة، كانت هيلدا جارد تعمل كحارسة في القصر، وكانت تعرف سارة جيدًا، وكانت تحبها كثيرًا. تقدمت هيلدا جارد نحو سارة ووضعت يدها على

ذراعها، وقالت: «أنا آسفة يا سارة، لكن هذا أمر جد خطير، هناك شخص في العلية، ويبدو أنه قد صنع منطقة مظلمة هناك، ولذا وضعت السيدة مارشا طوقًا أمنيًا حول القصر لمنع المنطقة المظلمة من الهرب، ومن أجل سلامة كل من بالقلعة اضطررت لعزل القصر. أنا آسفة حقًّا؛ لأن كل هذا قد حدث اليوم تحديدًا، لكننا لا نجرؤ على ترك هذا الأمر أكثر من ذلك ولو لدقيقة واحدة، أنت تتفهمين ذلك، أليس كذلك؟».

حدقت سارة في هيلدا جارد، وهي مذهولة ولا تصدق ما تقول، ومسحت جبهتها بيدها، وارتمت على مقعد قديم متهالك. أصدر المقعد أنينًا خافتًا لتنتفض سارة واقفة.

قالت سارة معتذرة للشبح الباهت الذي كان نائمًا على المقعد منذ عدة سنوات: «عفوًا جودريك، أنا آسفة». ثم واصل الشبح النوم.

سألت سارة مارشا: «هل هذا صحيح؟».

«هذا ما كنت أحاول إخبارك به طوال الوقت، ليتك سمعت ما كنت أقول».

قالت سارة: «لكنك لم تحاولي إخباري بأي شيء، كل ما كنت تفعلينه هو إصدار الأوامر كالمعتاد». ثم نظرت حولها في قلق وقالت: «أين سايلاس؟».

وسرعان ما أتتها الإجابة على سؤالها؛ فقد سمعت صوت خطوات أقدام تجري بالأعلى. ورأت ثياب الساحر العادي سايلاس هيب الزرقاء تطير خلفه، بينما كان ينزل الدرج الملتوي المؤدي إلى البهو مسرعًا، وهو يقفز الدرجات ويصرخ، ويقول: «اخرجوا جميعًا، اخرجوا!».

انزلق سايلاس، ثم توقف أسفل السلم، ولأول مرة في حياته بدت عليه السعادة لرؤية مارشا. زفر سايلاس بارتياح، وقال: «مارشا، حمدًا لله أنك هنا، لقد تم اقتحام بوابة الأمان الخاصة بي. لقد خرج الآن من العلية. إنه الآن بالأعلى ويملأ المكان... سريعًا. يجب أن نسرع بعزل القصر. مارشا يجب أن تبدئي بالاستدعاء وفرض طوقٍ أمني حول القصر إذا كان هناك وقت..».

قالت مارشا لسايلاس بسرعة: «كل شيء قد تم، وهناك الآن طوق أمنيٌّ من السحرة يحيط بالقصر».

وقف سايلاس في ذهول، ولم ينبس ببنت شفة.

بدأت مارشا في ممارسة مهامها، وقالت: «هل هناك شخص آخر في القصر؟».

هزت سارة رأسها، وقالت: «سنوري ووالدتها قد غادرتا على مركبهما، وذهبت عائلة بوت لتفقد الأنوار، وميزي يقوم بأعمال الإنارة، وكوك ذهب إلى المنزل، وهو يعاني من نزلة برد. ولم يصل أحد إلى الحفل بعد».

قالت مارشا: «رائع». ونظرت أعلى الدرج الذي كان يؤدي إلى رواق، ومن هذا الرواق كانت تمتد ردهة عبر القصر كله.

كانت الشموع لاتزال تضيء الرواق كالمعتاد، لكن الأنوار التي تضيء الردهة التي تمتد يمينًا ويسارًا كانت قد بدأت في الخفوت. وهكذا عرفت مارشا أن الأنوار الأبعد قد انطفأت، وأن المنطقة المظلمة تقترب.

قالت: «يجب أن يغادر الجميع المبنى. الآن!».

شهقت سارة، وقالت: «إيثيل!». وجرت من أمامهم، واختفت في الردهة الطويلة.

نظرت مارشا إلى أعلى نحو الرواق، وقالت: «إيثيل؟ من هي إيثيل؟». كانت شعلة أبعد شمعة قد بدأت تخبو.

قال سايلاس: «إيثيل هذه بطة».

«بطة؟».

لكن سايلاس كان قد أسرع ليتبع سارة وماكسي الذي تذكر أنه قد تركه جالسًا بجوار النار هذا الصباح.

وفي الرواق، كانت أولى الشموع قد انطفأت، وبدأت الشعلة في الشمعة التي تليها في الاضطراب والاهتزاز. نظرت مارشا إلى چينا وبيتل وهيلدا جارد، وقالت: «إنه يتحرك بسرعة، وإذا لم نعزل القصر الآن فسيتمكن من الخروج. وبكل صراحة، لست واثقة من

أن الطوق الأمني سيمنعه. فهناك ثغرات كثيرة فيه، وبالتأكيد لا أملك الوقت الذي يمكنني من عمل ستار أمني».

شهقت چينا، وقالت: «ولكن لا يمكنك أن تتركي أمي وأبي».

«ليس لدي اختيار، إنهم يعرضون القلعة كلها للخطر... من أجل بطة».

قالت چينا: «لا، لا يمكنك أن تفعلي هذا! سأذهب وأحضرهم. وانطلقت چينا. أسرعت هيلدا جارد خلفها، وأمسكت بعباءة الساحرات التي ترتديها.

دارت چينا حول نفسها، وصاحت غاضبة: «دعيني!».

كان ملمس العباءة مريعًا، لكن هيلدا جارد تشبثت بها بإصرار، وقالت: «لا يا أميرة چينا، لا يمكنك أن تذهبي، ستعرضين نفسك للخطر. سأذهب بدلًا منك. سيكونان في غرفة جلوس سارة. أليس كذلك؟».

أومأت چينا، وقالت: «نعم، ولكن..».

«سأحضرهما من النافذة»، ثم نظرت هيلدا جارد إلى مارشا، وهي تحاول أن تحسب المدة التي ستستغرقها للوصول لغرفة جلوس سارة، ثم قالت: «سأستغرق... حسنًا، عد من واحد إلى مائة، ثم افعلي ما اتفقنا عليه. اتفقنا؟».

نظرت مارشا لأعلى إلى منبسط الدرج، كان قد أصبح هناك جدار من الظلام يحجب رؤية الردهات تمامًا. ثم هزت رأسها، وقالت: «خمس وسبعون».

بلعت هيلدا جارد ريقها، وقالت: «حسنًا، خمس وسبعون» ثم ذهبت.

بدأت مارشا العد: «واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة..». ثم أشارت لبيتل وچينا بالرحيل. هزت چينا رأسها.

جذب بيتل ذراع چينا برفق، وقال: «يجب أن ترحلي. لم يكن والداكِ ليوافقا على بقائك هنا. هيلدا جارد ستحضرهما».

«لا. لن أرحل بدون أبي وأمي».

«چينا. يجب أن تغادري المكان. أنت الأميرة، ويجب أن تكوني في أمان».

قالت چينا، وهي ساخطة: «لقد مللت أن أكون دائمًا في أمان».

لكن بيتل تراجع خارجًا من أبواب القصر آخذًا چينا معه. وبمجرد أن خرج بيتل أخرج أنبوبة صغيرة سميكة من جيبه، ونادى على مارشا: «الشعلة الضوئية معي».

أشارت له مارشا بإبهامها إلى أعلى: «خمسة وثلاثون، ستة وثلاثون..».

سألت چينا: «أي شعلة؟».

«إنها لتفعيل **الطوق الأمني**. في حالة احتجنا إلى ذلك».

«ولم قد نحتاج إلى ذلك؟».

«حسنًا، في حالة أن **العزل** لم يجد نفعًا وهرب شيء ما».

قالت چينا، وهي تحرر ذراعها من قبضة: «من تقصد؟ أمي وأبي مثلًا؟».

«لا، أقصد شيئًا من **قوى الظلام**».

لم تكن چينا موجودة لتسمع جملته الأخيرة. فقد أخذت تركض في الممر الصغير عائدة للقصر، وعباءة الساحرات تطير خلفها. أطلق بيتل تنهيدة طويلة، فكم كان يتمنى أن تخلع چينا عباءة الساحرات هذه، فهي لم تعد تبدو كچينا التي يعرفها.

وقف بيتل، وهو يشعر بالحزن بين مشعلين مضاءين على جانبي الجسر، ونظر نحو أبواب القصر المفتوحة؛ ليرى كومة من هدايا عيد الميلاد المهجورة وزينة عيد الميلاد ولافتة «عيد ميلاد سعيد» المهملة. كل هذه الأشياء كانت تبدو الآن غير متناسبة مع المكان. أما مارشا التي كانت ترتدي ثيابًا أرجوانية فقد أخذت تقطع المكان جيئة وذهابًا، وهي عصبية ومتوترة، وراحت تواصل العد. رأى بيتل شعلة آخر شمعة من الشموع أعلى السلم تهتز وتتراقص ثم تنطفئ، وكان جدار من الظلام -ليس كظلام الليل، ولكنه أكثر سمكًا وقتامة- قد بدأ في النزول متجهًا صوب مارشا بالأسفل.

كان بيتل يراقب مارشا كالصقر؛ فقد كان يخشى ألا يرى إشارتها. كانت الساحرة العظمى قد بدأت تتحرك صوب الباب،

وكانت مستمرة في العد لأطول فترة جرأت عليها، لتعطي هيلدا جارد أكبر فرصة ممكنة.

«مائة وأربعة، مائة وخمسة..».

ومع كل خطوة كانت تخطوها مارشا للخلف نحو الباب كان الظلام يتقدم للأمام. ذَكَّر هذا بيتل بمعصرة التفاح التي زارها ذات مرة، حيث كان يمكن الوقوف بالداخل ومشاهدة لوح الضغط، وهو ينزل متجهًا إليك. كان هذا أمرًا مرعبًا بالنسبة لبيتل في ذلك الوقت، وقد عاد له نفس هذا الشعور الآن.

أخذ يهبط سقف الظلام حتى وصل للثريا، وفجأة انطفأت كل شموعها.

رأي بيتل مارشا، وهي ترفع يدها اليمنى، وبسرعة ضغط دبوس الإشعال في جانب الشعلة الضوئية، ومد يده بها بأقصى ما استطاع. طار بيتل من الأرض من شدة الانفجار المفاجئ للضوء الذي انطلق عاليًا في السماء. شهق الجمع الغفير الذي كان يقف فيما وراء القصر شهقة إعجاب، بينما أخذ أفراد الطوق الأمني في الطنين بشكل ثابت ومستمر كسرب ضخم من النحل. لقد صار الطوق الأمني مفعلًا الآن. قفزت مارشا للخارج، وأغلقت الأبواب الخشبية بقوة، ووضعت كل يد من يديها على أحد الأبواب، وبدأت العزل.

كان السحر قويًّا لدرجة أن بيتل نفسه -الذي لم يكن ماهرًا بالسحر- قد رأى الضباب الأرجواني السحري اللامع الذي أخذ يتحرك حول الأبواب، وبينما كان صوت الهمهمة المرتفع القادم من الدائرة الكبيرة التي تتكون من السحرة والتلاميذ والكتبة يملأ الفضاء، راح السحر ينتشر من الأبواب، ويتسلل عبر نوافذ القصر المظلمة، ليعزل كل ما يوجد بالداخل عن طريق حاجز رقيق باللون الأرجواني.

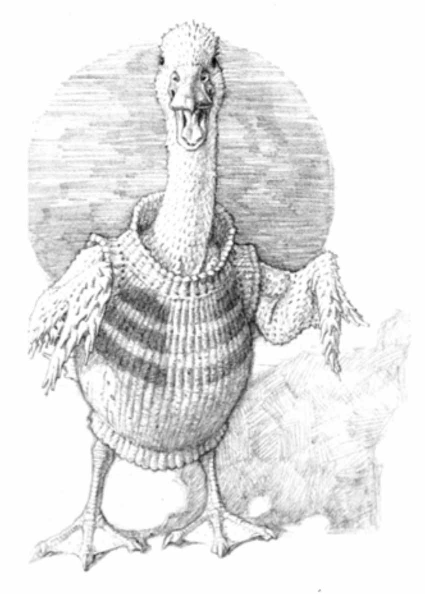
وتمنى بيتل أن ما يوجد بالداخل لم يشمل هيلداجارد وسارة وسايلاس وچينا.



22

إيثيل

صرخ سايلاس: «سارة، انسي أمر تلك البطة المزعجة، واخرجي!». كان سايلاس وهيلدا جارد يتقافزان على الممر خارج غرفة جلوس سارة، يملؤهما القلق. أخذ ماكسي يئن بعصبية. وبالداخل، راحت سارة تبحث عن إيثيل بجنون.



صاحت سارة، وهي تلقي بكومة من الغسيل من على الأريكة، وترمي بالوسائد على الأرض: «لا يمكنني أن أتخلى عنها، لابد أنها تختبئ في مكان ما، إنها خائفة».

«سارة، اخرجي!».

تسلق سايلاس النافذة المفتوحة داخلا إلى غرفة الجلوس مرة أخرى، وتبعه ماكسي مما أثار استياء هيلدا جارد.

جذبت هيلدا جارد الكلب الوولف هاوند المحتج لتمنعه من الدخول، ونادت من النافذة: «سيد هيب، سيد هيب! عد أرجوك! لا يا ماكسي، انزل».

وكان سايلاس داخل الحجرة يدفع سارة على غير رغبتها نحو النافذة المفتوحة، وقال لها: «اسمعي يا سارة، لقد حان وقت الرحيل سواء كانت البطة معنا أم لا. هيا بنا».

حاولت سارة للمرة الأخيرة، ونادت: «إيثيل يا عزيزتي. إيثيل أين أنت؟ تعالي لأمك!».

أخرج سايلاس الغاضب سارة من النافذة، وقال: «إيثيل مجرد بطة يا سارة، وأنت لست أمها. لديك ثمانية أبناء، وكلهم يحتاجونك أكثر من هذه البطة. والآن اخرجي!».

وبعد لحظة واحدة كان سايلاس وسارة يقفان بجوار هيلدا جارد التي تنفست الصعداء. وفجأة انطفأت الشمعة المرتعشة التي كانت في الغرفة المجاورة لغرفة سارة، وبسرعة مدت هيلدا جارد يدها لتغلق النافذة.

«كواك!» كانت هناك حركة محمومة أسفل كومة من الستائر القديمة المكومة بجوار الباب، وظهر من أسفلها منقار أصفر.

«إيثيل!».

لم يستطع سايلاس الذي كان قد انشغل بظهور چينا المفاجئ، وقد رآها في الجهة الأخرى، وهي تدور حول القصر، ولا هيلدا

جارد التي كانت منشغلة بإغلاق النافذة أن يسارعا بمنع سارة من القفز مرة أخرى داخل الغرفة.

لكن هيلدا جارد تمكنت بسرعة من منع سايلاس من أن يتسلق النافذة ليدخل وراءها.

وقالت له بصرامة، وهي متشبثة بكمه للتأكد من أنه لن يتحرك: «لا يا سيد هيب، ابق هنا. سيدة هيب، أرجوك عودي، لا... يا إلهي».

وبينما التقطت سارة إيثيل من تحت كومة الستائر، تحطم باب غرفة الجلوس؛ لتدخل موجة من الظلام وتغرق الحجرة. صرخت سارة صرخة رهيبة لن تنساها چينا أبدًا. احتضنت سارة البطة فاتحة فمها، وهي تصرخ، ثم اختفت عن الأنظار. اتجه الظلام إلى النافذة المفتوحة، لذا لم يكن لدى هيلدا جارد أي خيار سوى أن تسرع بإغلاقها، وتضع عليها قفلًا سريعًا مضادًّا للظلام، لضمان عدم هروبه.

صاح سايلاس وهو يدق على النافذة بكلتا يديه: «ساراااااااااااة!».

وصلت چينا وهي لاهثة الأنفاس، وقالت وهي بأنفاس متقطعة: «أمي! أين أمي؟».

لم يستطع سايلاس أن ينطق بكلمة واحدة، وأشار إلى داخل الغرفة.

صاحت چينا: «أخرجها، أخرجها يا أبي!».

هز سايلاس رأسه بأسى، وقال: «للأسف، فات الأوان، فات الأوان..».

وفي نفس اللحظة ارتعش ضوء الشمعة بجوار النافذة، وانطفأت وغرقت غرفة جلوس سارة في الظلام.

ساد الصمت الذاهل الممر خارج النافذة. كسرت هيلدا جارد الصمت على مضض، وقالت بلطف: «أعتقد... أعتقد أن علينا أن نغادر المكان الآن. ليس هناك ما يمكننا فعله الآن. لقد أمرت مارشا بالخروج بعيدًا عن الطوق الأمني».

قالت چينا بحدة: «لا يعنيني ما قالته مارشا. لن أترك أمي».

أحاط سايلاس چينا بذراعه، وقال لها ـ مستخدمًا الاسم الذي كان يناديها به وهي طفلة، والذي لم تسمعه منذ سنوات طوال ـ: «ما تقوله هيلدا جارد حقيقي يا چيني. وأمك لم تكن لتقبل بوجودنا هنا. كانت ستريدنا - وتريدك أنت تحديدًا - أن تكوني في مكان آمن. هيا بنا».

هزت چينا رأسها، ولم تستطع أن تنطق بكلمة واحدة. لكنها توقفت عن المقاومة، وسمحت لسايلاس أن يقودها ويبتعدوا عن المكان.

ساروا جميعًا بانكسار فوق الحشائش التي اكتست باللون الأبيض؛ فقد تحول البَرد إلى ثلج في برودة الليل الوشيك. ثم اتجهوا إلى الدائرة الصامتة، حيث وقف السحرة والكتبة والتلاميذ الذين كانوا لايزالون يمسكون بحبالهم الأرجوانية.

وفجأة حدث انفجار أضاء السماء. قفزت چينا في مكانها.

قالت هيلداجارد: «لا بأس، إنها مجرد إشارة للطوق الأمني ليتم تفعيله».

وفي نفس اللحظة اتجه نحوهم صوت أزيز غريب، وكأنه صوت سرب من النحل في نهار صيفي دافئ. كان هذا شيئًا مقلقًا للغاية؛ فالنحل لا ينتمي لليلة شتوية باردة تتساقط فيها الثلوج.

نظرت چينا إلى القصر... قصرها كما كانت تحادث نفسها. كانت چينا تذهب كل ليلة - منذ أن نُفي ألثر - للتمشية على ضفة النهر، وتتحدث مع شبح أليس نيتلز البائس. كانت هي وأليس تنظران صوب القصر، وكانت أليس تقول: «إن القصر يبدو جميلًا الآن، وكل نوافذه تضيئها الشموع». وكانت چينا توافقها الرأي. ولكن الآن اختفت هذه الأضواء كما اختفى ألثر، وانطفأت كل شموعها. كان هذا يذكر چينا بالقصر عندما انتقلت إليه مع سايلاس وسارة، لكنَّ هناك فرقًا واحدًا مهمًّا؛ هو أنه كان هناك دائمًا نافذة واحدة مضاءة... نافذة غرفة جلوس سارة، حيث كانوا يجتمعون كل مساء. ولكن الآن لا شيء.

تعلقت كل العيون بهيلدا جارد وسايلاس وچينا وماكسي، وهم يسيرون ببطء صوب الطوق الأمني. اختارت هيلدا جارد نقطة بين اثنين من الكتبة؛ بارتريدج وروميلي بادجير اللذين كانا يحملان طرفي الحبل أمام مدخل حديقة أعشاب سارة هيب.

كان بارتريدج قد تمكن بطريقة أو بأخرى من مشاركة حبله مع روميلي بدلًا من استخدام مفتاح السحرة بينهما، كما كان يوصى به في التدريبات. وعلى جانبي روميلي وبارتريدج كانت توجد دائرة السحـرة والكتبة والتلاميذ يربطهم ببعضهم حبال أرجوانية مختلفة الأطوال ممتدة وسط ظلام الليل. وكانوا جميعهم يصدرون همهمة طويلة منخفضة لإعداد الحبل لمارشا لترفع الستار الأمني.

أومأ روميلي وبارتريدج لچينا لكن لم يبتسم أيٌّ منهما؛ فقد كانا قد رأيا ما حدث. استمر كلاهما في الهمهمة بإصرار.

تقدم سايلاس للأمام. هتفت هيلدا جارد وقد بدا عليها الإنهاك: «ممنوع اللمس»، فبعد قفزته داخل الحجرة لم تعد تثق كثيرًا بمدى عقلانية سايلاس.

بدا على سايلاس الاستياء، وقال غاضبًا: «لم أكن لألمس أي شيء»، ثم همس لچينا: «لا يمكننا أن نلمس الحبل، وإلا يفسد السحر».

سألته چينا بعصبية: «إذًا كيف لنا أن نخرج من هنا؟».

قالت هيلدا جارد محاولة تهدئة چينا: «لا بأس يا أميرة چينا، سنخرج، ولكن هناك طريقة معينة لعمل ذلك».

مدت هيلدا جارد يدها إلى حزام مساعد الساحر؛ لتحضر الحبل الخاص بها. أخرجته هيلدا جارد، وأمسكت بقطعة قصيرة للغاية من الحبل الأرجواني، ثم قالت: «يا إلهي، لا أعتقد أن هذا سيكون طويلًا بما فيه الكفاية».

قال سايلاس: «هذا هو الطول المعتاد لمساعدي السحرة، وهو يكفي لشخص واحد فقط». ثم أخذ حبلًا آخر أطول بكثير من حزام الساحر العادي، وقال: «استخدمي الحبل الخاص بي. أعتقد أنه يمكنني أيضًا أن أصنع شيئًا مفيدًا. حسنًا، هذا ما سنفعله، سنقف جميعًا بجوار بعضنا و.. ماكسي عد إلى هنا!».

ركضت چينا خلف ماكسي، وجرته ليعود إلى مكانه مرة أخرى. نظر لها الكلب بعينيه الواسعتين البنيتين نظرة اتهام. ضمت ماكسي إليها، وتقدم سايلاس ليحيطهم كلهم بحبله الأرجواني. وبعد بضع دقائق كانت هناك مجموعة من ثلاثة أشخاص وكلب تترنح صوب الحبل الذي يمسك به بارتريدج وروميلي. لو كان هذا قد حدث في أي وقت آخر كانت چينا ستغرق في الضحك، ولكن هذه المرة كانت تغالب دموعها محاولة منعها من النزول، فكانت كل خطوة تبعدها عن سارة التي هي الآن غارقة في الظلام. نظرت چينا مرة أخرى إلى القصر، ورأت ضبابا سحريًّا أرجوانيًّا قد غطاه تمامًا، وكأنه ثوب ساتر، ليعزل كل ما بداخله. راحت تتساءل ما إذا كانت سارة الآن تعرف أي شيء مما يجري...

وفي نفس الوقت، أخذ سايلاس يربط طرفي حبله جيدًا مع الحبل الرئيسي الخاص بالطوق الأمني دون أن يلمسه بنفسه. رفع بارتريدج وروميلي حبلهما، وكأنه حبل للقفز، وسرعان ما مرت

المجموعة المكونة من ثلاثة أشخاص وكلب، مترنحة من أسفل الحبل؛ ليصلا إلى الجهة الأخرى.

أطلق سايلاس تنهيدة ارتياح، وقال: «حسنًا، ها نحن قد خرجنا».

قالت چينا ـ بينما كانا يسيران متمهلين في حديقة المطبخ عبر ممرات سارة النظيفة التي كانت تمتد وتتلوى بين الأعشاب المزروعة ـ: «لكن أمي لم تخرج».

قال سايلاس بهدوء: «أعرف، لكنها لن تبقى هناك للأبد يا چينا».

سألته چينا: «كيف؟» رد: «لأنني لن أسمح لهذا أن يحدث، سنساعد مارشا على حل هذا الأمر».

قالت چينا، وقد بدا عليها الاستياء: «لكن مارشا هي السبب في كل ما حدث. فلو لم تحاول أن تتقمص مع أمي دور الرئيسة، ولو كانت حاولت إيضاح الأمر وشرحه مباشرة، لكان عند أمي وقت كافٍ للخروج».

قال سايلاس: «ولو كانت أمك لم تركض خلف تلك البطة، لكان لديها ما يكفي من الوقت للخروج أيضًا». لاحظ سايلاس الغضب الذي بدا على چينا فقال سريعًا: «على أي حال ليس هذا هو المهم الآن. المهم الآن أن نصل إلى برج السحرة؛ فستحتاج مارشا كل مساعدة ممكنة».

خرج جميعهم من الباب الموجود في سور حديقة المطبخ، ليصلوا إلى زقاق صغير كان يمتد في الجهة الخلفية وينحرف يسارًا نحو برج السحرة ويمينًا نحو النهر.

كان سايلاس يسير في المقدمة ومعه ماكسي، وكان يتبعهما في صمت چينا وهيلدا جارد، وفي نهاية الزقاق توقفت چينا.

وقالت غاضبة: «أنا لن أذهب إلى برج السحرة. لقد مللت السحرة ومللت من إفسادهم لكل شيء، وخاصة يوم عيد ميلادي».

نظر لها سايلاس وهو حزين، لم يكن يعرف ماذا يقول. كانت چينا سيئة المزاج هذه الأيام، وكان كل ما يقول يزيد الطين بلة، وكان يعتقد أن ارتداءها لزي الساحرات البغيض هذا يزيد الأمر سوءًا. مد سايلاس يده في جيبه، وأخرج مفتاحًا نحاسيًّا كبيرًا، وأعطاه لها.

سألته چينا: «ماذا أفعل بهذا؟».

قال سايلاس: «إنه مفتاح المنزل، في العشوائيات. لقد كنت أصلحه وأجدده ليكون كما كانت أمك تتمنى دائمًا. كان... كان سيصبح مفاجأة لها في عيد ميلادها القادم. كانت دائمًا تتمنى العودة إلى البيت. ولكن الآن... حسنًا، على أي حال يمكنك على الأقل أن تعودي إلى بيتك الآن».

نظرت چينا إلى المفتاح البارد الثقيل في يدها، وقالت: «ليس هذا بيتي يا أبي. بيتي هو حيث توجد أمي. بيتي هناك»، وأشارت چينا إلى القصر، حيث الصف العلوي من نوافذ العلية المظلمة، وكانت بالكاد تراها من أعلى سور الزقاق.

تنهد سايلاس، وقال: «أنا أعرف، لكننا نحتاج الآن إلى مكان لنقضي به ليلتنا في الوقت الحالي. سأقابلكم هناك لاحقًا عند الباب الأحمر الكبير، زقاق الذهاب والعودة. أنتم تعرفون الطريق».

أومأت چينا برأسها. وراقبت سايلاس وهو يسير بسرعة مبتعدًا متجهًا صوب طريق السحرة.

سألت هيلدا جارد التي كانت تسير خلف چينا وسايلاس ببضع خطوات في هدوء: «هل آتي معكم؟». لم تتلق هيلدا جارد أيَّة إجابة على سؤالها فسألت: «چينا... يا أميرة چينا، هل أنت بخير؟».

قالت چينا بحدة مقاطعة هيلدا جارد قبل أن تتمادى في تعاطفها معها: «لا، وألف لا». ثم لفت وعادت أدراجها ركضًا في الزقاق.

قررت هيلدا جارد ألا تتبعها؛ فقد كانت الأميرة چينا في حاجة أن تقضي بعض الوقت مع نفسها.

عادت چينا أدراجها عبر الزقاق، مارة بسور حديقة المطبخ، ودارت حول المنعطف الذي يمتد على طول حافة ساحة التنين، واتجهت نحو النهر.

أخذت چينا تركض، وهي تكاد تتجمد من هواء الليل القارس، حتى إنها جذبت قلنسوة الساحرة لتغطي رأسها وتدفئها. رأت چينا بريق ماء النهر الباهت المظلم، وكانت قد تعبت وانقطعت أنفاسها، فأبطأت الخطى لتلتقط أنفاسها. كان الزقاق ينتهي بمرسى مهمل، أخذت چينا تتمشى فوقه. وعند نهاية المرسى، جلست چينا على الألواح الخشبية الرطبة المغطاة بالطحالب. لفت نفسها بعباءتها، وراحت تتأمل المياه السوداء التي تجري ببطء وهدوء أسفل قدميها. كانت چينا جالسة هناك تفكر في سارة المحبوسة في القصر، وتتساءل عن حالها الآن. وتذكرت قصص الطفولة: فالسحرة الذين كانوا يزورون عائلة هيب ويتجمعون في غرفتهم المزدحمة في العشوائيات يروون قصصًا عن الظلام حول المدفأة في أوقات متأخرة من الليل، حينما كانوا يظنون أن چينا تغط في نوم عميق؛ كانوا يروون قصصًا عن أشخاص ظهروا بعد أن قضوا سنوات طوالًا في المنطقة المظلمة، كانت عيونهم مسعورة وخاوية، وكانوا قد فقدوا عقولهم، وكانوا يثرثرون بكلام غامض غير مفهوم. تذكرت المناقشات الهامسة عما كان يحدث لهؤلاء الناس ويصل بهم إلى هذه الحالة. كانوا يطرحون كل التفاصيل المرعبة التي تطرأ على ذهنهم في هذه الأوقات المتأخرة من الليل. والآن، فهي لا تستطيع أن تتخلص من فكرة أن كل هذه الأشياء ربما تحدث الآن، وفي نفس هذه اللحظة لأمها.

جلست چينا تتأمل النهر، ودموعها تجري على عنقها في صمت. وبدأت قطع الثلج تستقر على عباءة الساحرات التي ترتديها. وجعلتها البرودة القادمة من الماء ترتجف، لكنها لم تلاحظ ذلك. كل ما كانت تريده أن تجد سبتيموس وتخبره بما حدث.

ولكن ترى أين هو الآن؟

23

الستار الأمني



عبرت مارشا وبيتل الطوق الأمني باستخدام نفس الطريقة التي استخدمها سايلاس، ولكن بنجاح وفاعلية أكبر. وبمجرد أن أصبحا على الجهة الأخرى تراجعت مارشا بضع خطوات، ونظرت إلى القصر، ورأت الضباب **السحري** الأرجواني يغطيه، والمشعلان على جانبي بوابته الرئيسية لا يزالان مضاءين. لقد نجحت في **عزل** القصر. لكن بالرغم من ذلك لم يكن هناك أثر لهيلدا جارد أو سارة أو سايلاس. شعرت مارشا بالقلق. أخذت مارشا تتأمل نوافذ القصر الغامضة وركزت بشدة.

شعرت بالهموم تغرق قلبها، لم يكن هناك مهرب. شعرت بوجود اثنين من البشر داخل المبنى. لم يكن هذا يبشر بالخير لسارة أو لسايلاس، أو هل هما هيلدا جارد وسايلاس أو سارة و... حدثت مارشا نفسها لتهدأ وتتوقف عن القلق؛ فسرعان ما ستعرف كل شيء.

كانت مارشا قد بدأت الآن في المرحلة التالية من عزل القصر عن باقي القلعة. وكانت هذه المرحلة هي مرحلة الانسحاب التي تليها مرحلة وضع الستار الأمني. اختارت مارشا أقرب فردين في الطوق الأمني: بيرتي بوت، وهو أحد السحرة العاديين وتاجر عباءات السحرة المستعملة، وروز التلميذة التي تعمل في غرفة المرضى، وأخبرت كلًّا منهما بكلمة السر للانسحاب. وسرعان ما توقف كل منهما عن الهمهمة. وأرسلت روز كلمة السر لمن يقف علي يمينها في حين أرسلها بيرتي لمن يقف على يساره. ورويدًا رويدًا اختفى صوت الهمهمة، ليحل محله صوت همسات أفراد الطوق الأمني، وهم يخبرون بعضهم بكلمة السر. وسرعان ما ساد الصمت، وامتد إلى الحشود المجتمعة في نهاية طريق السحرة، منتظرين في ترقب المرحلة التالية، فقد كان فرض الستار الأمني أمرًا يستحق المشاهدة.

في البداية لم يبد الأمر مبشرًا بالخير، فقد كان كل فرد من أفراد الطوق الأمني منشغلًا الآن بربط حبله بحبل جيرانه. ثم وضعوا

حبالهم المربوطة على الأرض بعد أن تأكدوا تمامًا من خلوها من أي التواءات أو تجعدات، ثم ساروا بحذر مبتعدين؛ لكيلا يشوِّشوا على السحر الرقيق، حيث إن السحر الذي ينطوي على عدد كبير من المشاركين كان هشًّا وضعيفًا للغاية.

وفي خلال بضع دقائق من إبلاغ مارشا لأفراد الطوق الأمني بكلمة السر، ظهرت دائرة ضخمة من الحبل الأرجواني على الأرض كأفعى أرجوانية ضخمة تحيط بالقصر. ورأى بيتل -الذي كان غارقًا في الحزن بعد أن انفجرت به چينا- الحبل وكأنه حزين؛ لأنه ملقى وحيدًا في الحشائش المدهوسة بالأقدام.

وفي نفس الوقت كانت الحشود التي تملأ طريق السحرة قد بدأت تتسرب عبر بوابة القصر؛ لتحظى برؤية أفضل للموقف. كان الناس ينتظرون صابرين، ويقطع صمتهم من حين إلى آخر بعض السعال المخنوق، ليعلن عن وجودهم. كانوا يراقبون الموقف بينما ركعت الساحرة العظمى، ووضعت يديها فوق الحبل بعدة بوصات. أخذ الناس ينكزون بعضهم، ويتبادلون النظرات المتحمسة.. فأخيرًا كان هناك شيء على وشك الحدوث.

لم تكن مارشا تشعر بالحشود التي تراقبها فقد كانت في قمة تركيزها. كانت تشعر بتيار سحري ضعيف يسير بسلاسة عبر الحبل مما أخبرها أن الجميع قد تركوه.

قالت مارشا في نفسها: والآن حان موعد الجزء الصعب من المهمة. كانت مارشا ما زالت راكعة، تضع يديها فوق الحبل على مسافة قصيرة منه. كان ما تقوم به الآن يتطلب منها كمًّا ضخمًا من الطاقة. أخذت نفسًا طويلًا وعميقًا. راح بيتل يراقب مارشا باهتمام، فكانت أول مرة يرى شخصًا ما يأخذ نفسًا بهذا الطول والعمق.

لدرجة أنه تقريبًا كان يتوقع أن تنفجر مارشا كالبالون وتطير بعيدًا. وبدت عباءتها له تطير للوراء وكأنها تمتلئ فعليًّا بالهواء.

كان بيتل قد بدأ يتراجع؛ تحسبًا لانفجار مارشا، حتى توقفت أخيرًا عن الشهيق. والآن بدأت في الزفير ضامة شفتيها وكأنها تنفخ في حساء ساخن لتبرده. كان يخرج من فمها تيار من الهواء الأرجواني، جذبه الحبل كمغناطيس يجذب برادة الحديد.

واستمر الهواء الأرجواني في الخروج من فمها، واستقر على جزء من الحبل أمام مارشا. أخذ هذا الجزء يزداد تألقًا وبريقًا بشكل مستمر. وعندما وصل هذا البريق إلى أقصاه اضطر بيتل أن يشيح بوجهه بعيدًا. وأخيرًا توقفت مارشا عن الزفير.

والآن قد جاء الجزء الذي يتطلب موهبة حقيقية، أن وضعت مارشا الحبل في الضوء الباهر، وبدأت ترفع يديها ببطء شديد. وكانت الحشود خلفها تهمهم تعبيرًا عن إعجابهم، بينما كان الضوء الأرجواني يتحرك لأعلى، متبعًا حركة يديها التي كانت لاتزال معلقة فوق الحبل. بدأت مارشا بعد ذلك في سحب الضوء

بكل هدوء وحذر وهي تعض على شفتها من فرط التركيز، وكانت حريصة على عدم سحب الضوء بسرعة شديدة، مما قد يتسبب في خلق نقاط ضعف أو فتحات في الستار الأرجواني الذي كان قد بدأ يتكون. رأى بيتل عضلات مارشا وهي ترتعش من فرط المجهود، وكأنها ترفع وزنًا ثقيلًا للغاية.

أخذ ستار الضوء يتبع مارشا وهي مادة ذراعيها بشدة لدرجة جعلتها تتألم. وقفت مارشا بصعوبة وهي تترنح. قاوم بيتل رغبته الغريزية في مساعدتها على النهوض؛ لكي لا يشتتها، ويضيع تركيزها الشديد الذي حول عينيها إلى نقطتين خضراوين في جلدها الشاحب.

وفجأة حدث ما كانت الحشود في انتظاره. صرخت مارشا صرخة طويلة -لم يتذكرها أحد بعد ذلك- ومدت مارشا ذراعيها في الهواء. سمع الجميع صوتًا عاليًا «وووووووش» ثم ارتفع ستار أرجواني لامع يخطف الأبصار من أطراف أصابع مارشا. ثم ركضت بجوار الحبل ومعها شرارة من نار في فتيل.

صاح الحشد صيحات انبهار وإعجاب، مما أفزع مارشا التي استدارت ورمقتهم بنظرة غاضبة.

وقالت: «ششششششششش».

وساد الصمت مرة أخرى. غادر بعضهم المكان، بينما بقي من هم أكثر معرفة لعلمهم أن الجزء الأفضل لم يأت بعد. جعلت مارشا ستار الضوء يتحرك في اتجاه واحد... إلى يمينها.

وكان السبب في هذا أنها كانت تريد أن تكون موجودة عند نقطة اتصال الضوء. كانت نقطة الاتصال في الستار نقطة رقيقة وضعيفة. وبالرغم من أن بعض السحرة كانوا من أجل الحصول على تأثير دراماتيكي يجعلون الضوء يتحرك في كلا الاتجاهين، متمنين أن يندمج في مكان ما في الجهة الأخرى من القصر، فإن مارشا كانت أكثر حذرًا. كما أنها لم تكن تحب تلك التأثيرات الدراماتيكية التي كانت ترى أنها تقلل من قيمة السحر، وتجعل الناس يرونه كمجرد وسيلة من وسائل التسلية والترفيه، وكان هذا هو سبب غضبها من تفاعل الجماهير.

والآن كانت مارشا في انتظار عودة النار الأرجوانية، واستغرق الأمر بعض الوقت. فقد كان على الستار البالغ من الطول حوالي سبعة أقدام أن يدور حول القصر كله والمنطقة خلف المبنى، حيث يوجد أفراد الطوق الأمني العديدون وعبر الحديقة أيضًا بالقرب من السور الذي يفصل ساحة التنين عن حديقة القصر.

كان لافظ اللهب يغط في نوم عميق وهو لا يدري بالحدث الوشيك. أما صاحبه وقائده سبتيموس هيب فقد كان مستيقظًا تمامًا؛ فقد كان يتوقع إقامة ستار أمني؛ لأنه يعرف جيدًا أن مارشا

لا تقبل بحلول وسط. وعندما رأى رقعة الضوء السحري البنفسجي تتحرك خلف سور ساحة التنين، أخذ يتأملها وهو حزين، لكنه في الوقت نفسه كان معجبًا بدقة وجودة صنعها.

كان من الواضح أن مارشا قد طبقت جزءًا من كتاب السحر دون أن يشارك فيه. راح سبتيموس يراقب الستار الأمني وهو يشق طريقه، ثم عاد أدراجه إلى بيت التنين، فلم يكن يريد أن يواجه مارشا في هذه اللحظة تحديدًا. كان يعرف جيدًا ما ستقوله له، هو نفس ما كان سيقوله لأحد تلاميذه إذا غاب أحدهم عن حدث مهم كهذا، وكان بالتأكيد لا يريد أن يسمعه.

وأخيرًا رأى الحشد الستار الأرجواني يظهر مرة أخرى في الجهة الأخرى من القصر. وحرصًا على عدم إثارة غضب الساحرة العظمى، حياه الجميع بهمهمة مكتومة، معبرين عن سعادتهم، وراحوا يراقبون طرف الستار المتألق وهو يتجه صوب الطرف الآخر.

وفيما بعد، كان البعض يقول: إن انغلاق الستار الأمني هو نهاية الإثارة، بينما قال البعض الآخر: إنه كان أفضل شيء رأوه في حياتهم. كان الأمر يعتمد -مثل أشياء كثيرة في الحياة- على ما تتوقع رؤيته. رأى الجميع التقاء طرفي الستار الضوئي والضوء المبهر الذي صاحب ذلك، ولكن من دقق النظر رأى -لثوانٍ معدودة- تاريخ القلعة بأكمله يعرض أمامهم.

كان الستار الأمني **سحرًا قديمًا**، يتم عن طريق التحكم في النَفَس، وكان يستخدمه سكان القلعة، ولكن في صورة أكثر بدائية، حتى قبل قدوم أول السحرة الأعظمين. فقبل أن يتم بناء أسوار القلعة كان كثيرًا ما يتم وضع ستار أمني في ظلمة القمر، في محاولة لحماية القلعة من المتسللين القادمين من الغابة. في البداية، لم تسر الأمور على ما يرام، ولكن في كل مرة كان يستخدم فيها هذا الستار كان يزداد قوة. ومثل الصور القديمة المعلقة على جدران برج السحرة كان يوجد بداخلها أصداء ولقطات من أهم اللحظات في تاريخه الطويل. وعندما التقى طرفا الستار واندمجا معًا أصبح من الممكن رؤية أشياء رائعة داخل الأضواء المتحركة لبرهة من الوقت. كان يمكن رؤية فرسان يركضون بخيولهم، وساحرات يركبن فوق الذئاب وهن يصرخن، وشياطين يقذفون بقنابل من الضفادع، لعب كل منهم دورًا في اختراق أو تقوية الستار الأمني، ثم رحلوا. وأخيرًا استقر الستار السحري وأصبح دائرة مكتملة تحيط بالقصر. ثم توقف الضوء عن الحركة وأصبح ساكنًا متألقًا وسكن كل شيء.

وقف كل من لمح هذه اللقطات مذهولًا لعدة ثوانٍ، ثم أخذوا يثرثرون بكل حماس. التفتت مارشا بسرعة للجماهير.

وصرخت: «هدوء!».

توقفت الثرثرة في الحال وساد الصمت.

وقالت: «هذا سحر حقيقي، والأمر جد خطير. لقد وضعت هذا الستار الأمني لحمايتكم، وليس لكي أمنحكم عشر دقائق من التسلية والترفيه».

صاح صوت شجاع من بين الجماهير قائلًا: «ونحن ندفع الثمن الآن!».

حدقت مارشا غاضبة في اتجاه الصوت الذي قاطعها، وقالت بصوت صارم جهوري: «يجب أن تفهموا أنني قد وضعت هذا الستار الأمني هنا؛ ليحمينا جميعًا ضد المنطقة المظلمة التي احتلت القصر» ثم صمتت قليلًا؛ حتي يستوعب الجميع المعلومة، ثم شعرت بالرضا بعد أن لاحظت أن حالة الجماهير أصبحت تميل إلى الجدية والقلق بشكل يتناسب مع الموقف.

قالت: «أرجو منكم احترام الموقف؛ لأن هذا من أجل سلامتكم بالدرجة الأولى ومن أجل سلامة القلعة كلها».

التزمت الجماهير الصمت، ثم قالت فتاة صغيرة تقف في المقدمة كانت تعتبر مارشا بطلتها وتتطلع لأن تكون ساحرة يومًا ما بصوت طفولي: «سيدة مارشا..».

جلست مارشا القرفصاء لتتمكن من الحديث إليها بالرغم من أن ركبتيها تؤلمانها، وقالت: «نعم؟».

«ماذا لو تمكنت المنطقة المظلمة من الهروب؟».

قالت مارشا بكل ثقة: «لا لن تتمكن من الهروب. لا تقلقي ستكونين في أمان. فالقصر معزول تمامًا. وعلى كل حال فالستار الأمني موجود لمزيد من الأمـان». وقفت مارشا وخاطبت الجماهير: «لن أستطيع أن أفعل أي شيء حتى شروق الشمس. وغدًا مع أول خيط من خيوط النهار سأقوم بتطهير القصر بالبخور وكل شيء سيكون على ما يرام. طبتم مساء».

سرت بعض الهمهمات بين الجماهير مثل: «شكرًا» و«طبت مساء أيتها الساحرة العظمى» بينما بدأ الجميع في الانصراف، واتجه كل إلى منزله. ولكن بشكل أو بآخر لم تعد أضواء طريق السحرة مثيرة للاهتمام. راقبت مارشا تفرق هذا الحشد وقد شعرت بشيء من الارتياح. فقد كان وجود هذا العدد الضخم من الناس بجوار الستار الأمني يثير قلقها. وكان السحرة والكتبة والتلاميذ قد بدأوا أيضًا في الانصراف إلى منازلهم.

نادت مارشا: «سيد بوت!» بينما كان بائع العباءات السمين يهرول ليلحق بموعد العشاء.

قال بيرتي متذمرًا بينه وبين نفسه: «أُف!». لكنه لم يكن يجرؤ على تجاهل الرئيسة، كما تُعرف في برج السحرة.

قال وهو ينحني انحناءة بسيطة: «تحت أمرك سيدة مارشا».

قالت مارشا بحدة: «لا داعي لهذا سيد «بوت»، فقد كانت تكره مظاهر التبجيل المبالغ فيها. ثم أردفت: «ستتولى دورية الحراسة الأولى عند نقطة الالتحام. فأنا متأكدة أن هناك دائمًا نقطة ضعف محتملة. وسوف أرسل لك من يحل محلك عند منتصف الليل».

شهق بيرتي: «منتصف الليل؟». كانت معدته قد بدأت تزمجر عندما تخيل السجق اللذيذ مع البطاطس المهروسة والصلصة البنية التي كانت تعدها زوجته دائمًا في أطول ليلة ولابد أن هذا الطعام اللذيذ كان في انتظاره بالمنزل.

أما روز فبعكس بيرتي بوت كان يبدو أنها لا ترغب في الانصراف، فقد ظلت تحملق في الستار الأمني بتعجب، وقالت: «سأتولى أنا نوبة الحراسة يا سيدة مارشا».

قالت مارشا: «أشكرك يا روز، لكنني أوكلت هذه المهمة بالفعل للسيد بوت».

مسح بيرتي جبهته بيده، وقد بدا عليه التعب، وقال: «في الحقيقة يا سيدة مارشا، أنا أشعر بقليل من الدوار».

قالت مارشا: «حقًّا؟ حسنًا إذا تولت روز نوبة الحراسة هذه دون أن تتناول العشاء فستصاب بالدوار والإغماء بالفعل. ولكن أنت يا سيد بوت لديك الكثير من ... الاحتياطي».

تشجعت روز عندما رأت مارشا تبتسم ابتسامة صغيرة تتسلل إلى شفتيها وهي تنظر إلى بيرتي بوت المنزعج وقالت بإصرار:

«سيكون من دواعي سروري أن أتولى نوبة الحراسة سيدة مارشا. فهذا الستار الأمني في منتهى الروعة، لم أر شيئًا مثله من قبل».

استسلمت مارشا؛ فقد كانت تحب روز، ولم ترد أن تحبطها وتتجاهل حماسها. وبعد الغياب الواضح لتلميذها كانت مارشا تقدر هذا الحماس. وقالت: «حسنًا يا روز، ولكن ارجعي إلى برج السحرة أولًا وتناولي شيئًا من الطعام.

أمامك ساعة على الأقل، ثم يمكنك أن تعودي لاستلام نوبة الحراسة من السيد بوت. والآن سيد بوت ماذا ستقول لروز؟».

قال بيرتي بوت بخنوع: «شكرًا روز».

راقب بيرتي روز ومارشا وهما تبتعدان متجهتين إلى طريق السحرة، وأطلق تنهيدة. ركل بيرتي الهواء البارد بقدمه، ودثر نفسه جيدًا بعباءته، حيث كانت هناك موجة أخرى من الثلوج قادمة من ناحية النهر. ستكون ساعة طويلة حقًّا.

24

أشياء القصر

بينما كان ميرين يتجول في أنحاء دار المخطوطات وهو يخيف چيلي دچين ويكتب كلمات وقحة على مكاتب الكتبة، كانت الأحداث التي كان قد رتب لها قد بدأت في التكشف. ففي أعلى القصر فتح شيء باب غرفة صغيرة بلا نوافذ في نهاية طابق ردهة ميرين.

وراح يقول: «لقد... حان... الوقت».

كان سايمون هيب موحلًا، أشعثَ يشعر بآلام في كل أنحاء جسمه؛ بسبب إحضاره، وبدأ ينهض ببطء، ليقف على قدميه.

قال الشيء بصوت أجوف: «اتبعني».

لكن سايمون لم يتحرك.

«اتبعني».

قال سايمون بصوت أجش: «لا» كان حلقه شديد الجفاف بشكل مؤلم؛ بسبب نقص المياه.

استند الشيء بلا مبالاة إلى إطار الباب، ونظر إلى سايمون بمزيج من المتعة والملل، وقال بصوت رخيم: «إذا لم تتبعني سيوصد الباب. سيوصد لمدة سنة، وبعد مرور السنة سيكون الشخص الوحيد القادر على فتح الباب هو أمك».

«أمي؟».

«لا شك أنها ستسعد برؤيتك مرة أخرى». أصدر الشيء صوتًا غريبًا كصوت دجاجة مخنوقة. كان سايمون يعرف هذا الصوت، فهو صوت ضحكة الشيء. وأردف: «بالرغم من أنك لن تكون أكثر من كومة خرق بالية في عليتها».

سأل سايمون الذي لم يكن يتذكر أي شيء عن تعويذة الإحضار: «في عليتها؟ هل أنا هنا الآن».

تراجع الشيء خارجًا من الباب، وقال: «أنت في القصر، وإذا لم تتبعني الآن، سأغلق الباب ثم سأوصده». كان الباب قد بدأ يُغلق بالفعل. تخيل سايمون سارة هيب وهي تدفع الباب لتفتحه في وقت ما في المستقبل... ربما بعد عدة سنوات.

ركض سايمون خارجًا من الحجرة وهو يصيح: «انتظر!».

تبع سايمون **الشيء** الذي كان يمشي مشية غريبة كالكابوريا عبر ردهة العلية، ونزل نفس الدرج الضيق الذي نزله بيتل وچينا بعد ظهيرة نفس اليوم. كان سايمون يخشى كثيرًا مما سوف يجد. ترى هل كان والداه هم أيضًا سجناء عند الشيء... أم كان الأمر أسوأ من ذلك؟ وماذا عن چينا؟ كان يعرف أنه إذا رآه أي منهم مع **الشيء** فسيظنون أنه هو من يفعل كل هذا، وسوف يلومونه على كل شيء. شعر سايمون بنفس مشاعره القديمة بالإشفاق على الذات، لكنه سرعان ما تخلص منها، وقال لنفسه بصرامة: إنه لا يستطيع أن يلوم إلا نفسه.

سار **الشيء** بسرعة مذهلة عبر الردهة العلوية العريضة، وتبعه سايمون، وهو يشعر وكأنه يسير وسط كمية من العسل الأسود. واعتبر أن هذه علامة جيدة؛ فقد قيل له من قبل أن هذا هو ما يشعر به السائر وسط الظلام، لكنه لم يلحظ ذلك من قبل أبدًا.

كان الصمت المطبق يسود القصر، وحتى أشباح الليل التي كانت تسكن القصر باستمرار كانوا صامتين وساكنين إلا واحدة ـ والتي كانت إحدى المربيات ـ إذ كانت في شدة الخوف والذعر. وأخذت صرخاتها المتقطعة تخترق الهواء، فجعلت سايمون يرتعد من الخوف.

وكان كثير من الأشباح يمارسون تمشيتهم المسائية اليومية عبر الردهة أملًا في أن يحظوا بإلقاء نظرة خاطفة على الأميرة عندما حل الظلام بشكل مفاجئ. وها هم عالقون لا يمكنهم الحركة في هذا الظلام الكثيف الحالك. لم يكن بمقدور سايمون مساعدتهم، فمَرَّ عبرهم؛ ليواصل طريقه. كان سايمون يشعر عند مروره عبرهم بنسمة خفيفة باردة رائحتها تشبه العفن. لكن كان هناك شبح واحد لم يمرَّ سايمون عبره؛ شبح سير هيروارد الذي مر هو عبر سايمون.

في بداية ظهور المنطقة المظلمة بقي سير هيروارد في موقعه خارج غرفة چينا بكل إخلاص، وسيفه في وضع الاستعداد. لم يكن سير هيروارد نفسه يعرف لِمَ يعد سيفه، لكن لم يكن ليسمح لبعض الظلام التافه أن يتمكن منه وهو نائم. ولكن بينما تسرب الظلام وتوغل ليحتل كل ركن من أركان القصر، حتى سير هيروارد شعر بخوف واضطراب. فقد شعر الشبح بشيء يدخل غرفة چينا، وسمع صرير الباب وحركة حلقات الستائر، وكأنما أحدهم يزيحها جانبًا ولكن في المرتين كان سيفه لا يمر عبر شيء سوى الهواء. كان سير هيروارد يشتاق لبعض الضوء الذي يساعده على الرؤية، ومعركة نظيفة مع شيء حقيقي. لذا عندما أحس بوقع أقدام آدمية تقترب منه وسمع صرير الألواح الخشبية القديمة تحت هذه الأقدام وشعر باضطراب الهواء بطريقة لا تصنعها الأشباح والأشياء، ركض سير هيروارد في الردهة المؤدية إلى غرفة چينا،

وفاجأ سايمون وصرخ صرخة جمدت الدم في عروق سايمون: «لقد نلت منك!».

صرخ سايمون فزعًا: «يا إلهي!». نظر الشيء خلفه لبرهة، ثم واصل سيره كالكابوريا نحو الرواق أعلى السلالم الرئيسية. تبع سايمون الشيء بإصرار، لكن سير هيروارد لم يكن ليترك عدوه يفلت منه بهذه السهولة، وأخذ يطارده، ويلوح بسيفه نحوه، حتى شعر سايمون بأن ما يطارده طاحونة هواء مجنونة. وبالرغم من أن سيف سير هيروارد لم يكن مصنوعًا من أي مادة ملموسة فإن ضربات السيف الشبحي لجسده لابد أن لها إحساسًا سيئًا للغاية. كان غضب الشبح هو الذي يتحكم في سيفه، حتى إنه كان يصدر صوتًا حادًّا عند اختراقه للهواء، وووش ووووش. كان سايمون يعرف أنه لو كان هذا السيف حقيقيًا لكان الآن مقطعًا إربًا إربًا، وكانت هذه دون شك فكرة غير مريحة على الإطلاق.

«أنت، أنا أعرف من أنت! وووووش ووووش!».

كسر صوت سير هيروارد الذي يشبه هدير الرعد الصمت المطبق الذي يسود المكان، وأذهل المربية وجعلها تلتزم الصمت.

انفجر سير هيروارد غاضبًا وصاح: «أنا أرى شعر آل هيب على رأسك.. ووووش.. وأرى ندبتك».

«لقد أخبرتني الأميرة بكل شيء عنك.. ووووووووش.. وووووووووش. أنت شرير آل هيب .. وووووش. أنت الأخ الشرير الذي اختطف أخته الضعيفة المسالمة!».

وووش وووووش وووووش!

واصل سايمون المسير متبعًا الشيء وهو يحاول جاهدًا أن يفكر فيما يمكن أن يفعله، لكن لاشك أن التفكير يكون صعبًا عندما يطلق عليك شبح بذراع واحد سيلًا من الشتائم، ويضربك بالسيف ضربات موجهة نحوك بعناية.

لم يستسلم سير هيروارد وقال: «لا تظن .. وووووش.. أنك يمكنك أن تهرب من العدالة أيها الوغد! سأنتقم منك! وووووش.. فكيف يمكنك أن تعامل أميرة صغيرة بهذه ..ووووووش .. الطريقة الدنيئة؟!».

قرر سايمون أن من الأفضل أن يتجاهل الشبح، ويمضي في طريقه. لكن يبدو أن هذا جعل سير هيروارد يزداد سخطًا وغضبًا. «أنت تهرب كشخص جبان، يا لك من جبان بالفعل! وووووش.. قف مكانك وحارب كرجل! وووووش وووووش وووووش!».

وفجأة فاض الكيل بسايمون، فتوقف والتفت ليواجه الشبح الذي عذبه كثيرًا، وقال: «أنا رجل، أما أنت فلا أعتقد!».

خفض سير هيروارد سيفه، ونظر إلى سايمون باشمئزاز، وقال: «يا لك من وغد حقير! ولكن ماذا سأنتظر من شخص مثلك؟ قف وقاتلني».

كان سايمون يشعر بالتعب والإنهاك، ومد يديه مشيرًا للشبح أنه أعزل، ولا يحمل سلاحًا، وقال: «اسمع يا سيدي، أيًّا كان اسمك، أنا لا أريد العراك أو القتال، ليس الآن على الأقل. هناك ما يكفي من أحداث تجري هنا، أليس كذلك؟».

قال ساخرًا: «حقًّا؟!».

قال سايمون: «وأنا جد آسف على ما فعلته مع چينا... الأميرة چينا . أعترف أنني قمت بعمل مشين بالفعل، وأود أن أفعل أي شيء لإصلاح ما فعلت، لكنني للأسف لا أستطيع ذلك. لقد كتبت لها خطابًا أطلب منها فيه أن تسامحني، وأتمنى أن تفعل يومًا ما. لكنني لا أستطيع أن أفعل أكثر من ذلك!».

قال الشيء بلهجة آمرة: «اصمت!».

دقق سير هيروارد النظر في الظلام، ورأى ظلًّا باهتًا للشيء، لكن الشيء لم يرَ أو يسمع الشبح؛ فقد اختار سير هيروارد أن يظهر لسايمون فقط. فخبرته كانت تمنعه من المخاطرة بالظهور لأي شيء له علاقة بالظلام.

قال سير هيروارد وهو يُلَوِّحُ بسيفه مرة أخرى: «أنت أيها الوغد. أنت من أحضر الظلام إلى القصر».

شعر سايمون بغضب عارم، فلم دائمًا يظن به الناس-والأشباح أيضًا-ظن السوء؟ وقال بحدة: «اسمع أيها العجوز الأحمق، افهم هذا جيدًا، أنا أكره الظلام وكل ما يتعلق به».

سمع الشيء - وهو كائن مصاب بجنون العظمة - ما قاله سايمون وأخذه على محمل سيئ وصرخ به: «اخرس!».

أغضب ما قاله سايمون سير هيروارد أيضًا الذي قال غاضبًا: «كيف تجرؤ على سبي أيها المتبجح؟!».

التفت سايمون لسير هيروارد، وقال بلا مبالاة: «سأسبك إذا أردت أيها الغبي الأحمق... فلتذهب إلى الجحيم!» فجأة أمسك الشيء برقبة سايمون، وراح يخنقه بشدة ويضغط على قصبته الهوائية، حتى كادت تلامس عموده الفقري.

قال الشيء بصوت كفحيح الأفعى: «كيف تجرؤ على السخرية مني، أتريد أن تفقد حياتك؟!».

كان سايمون يختنق: «ححححح....».. كانت رائحة التحلل تملأ أنفه، وكانت أظافر الشيء الطويلة القذرة تقطع جلده وتنغرز في لحمه.

صُدم سير هيروارد مما رأى، وخفض سيفه، وسمع ما قاله الشيء المتنمر لضحيته بصوت كالفحيح: «إذا لم تصمت حين آمرك بذلك، سأجعلك تصمت للأبد، أتفهم ذلك؟».

كل ما استطاع أن يفعله هو أن يومئ برأسه.

تركه الشيء، وترنح سايمون، وسقط على السجادة وهو يسعل ويكاد يتقيأ.

تمتم سير هيروارد: «يا إلهي!».

وقف الشيء فوق سايمون، وأمره قائلًا: «انهض يا فتى».

راقب سير هيروارد سايمون وهو ينهض بصعوبة شديدة ممسكًا بعنقه المجروح، ويسير مترنحًا خلف الشيء كجرو شقي. وبدأ الشبح يفكر أنه ربما كان مخطئًا، وأنه ربما لم تكن الأمور كما كان متصورًا، وأنه ربما يكون قد ظلم سايمون هيب، وقرر أن يكتشف ما يجري، وانطلق خلف سايمون.

استغل الشبح أن الشيء لا يسمعه، وقال: «اسمع يا هيب، أريد منك إجابات عن بعض الأسئلة».

نظر سايمون إلى الشبح نظرة يملؤها اليأس؛ لماذا لم يرحل؟ ألم يرَ أنه قد نال كفايته؟

قال الشبح: «حسنًا، سيكون هذا سرًّا بيني وبينك فقط». ثم لاحظ نظرة سايمون القلقة نحو الشيء، وقال: «لا تقلق؛ أنا أظهر للأشياء، فهو لا يستطيع أن يراني أو يسمعني».

نظر سايمون إلى الشبح، ورأى ابتسامة خفيفة خبيثة مرسومة على شفتيه، وكأنه يدبر شيئًا ما. شعر سايمون ببصيص من الأمل يلوح في الأفق.

قال الشبح: «اسمع يا هيب، أريد أن أعرف منك بعض الأشياء، لكني لا أريد أن أسمع أية أكاذيب. أريدك فقط أن تومئ برأسك أو تهزها، أتفهم؟».

قال سايمون في نفسه: الكلام أسهل من التنفيذ. كان يشعر أن رأسه قد يسقط من مكانه. لكنه على أي حال أومأ برأسه بحذر.

سار الموكب المتنافر العناصر المكون من الشيء الأحدب الأشعث، يتبعه الشاب الجريح مرتديًا ثيابه الموحلة الممزقة، ويتبعهما الشبح ذو الذراع الواحدة سائرًا ببطء عبر الردهة.

بدأ الشبح في طرح أسئلته.

«هل أتيت إلى القصر بمحض إرادتك؟».

هز سايمون رأسه نافيًا بكل حذر.

«هل تعلم لِمَ أنت هنا؟».

هز رأسه ببطء نافيًا.

«هل تعلم أين الأميرة؟».

هز رأسه مرة أخرى.

«يجب أن نجدها. ولكي نجدها يجب أن نخلص القصر من هـذا... هذا الغزو». بدا على صوت سير هيروارد القرف والاشمئزاز.

«هل توافقني الرأي يا هيب؟».

أومأ سايمون برأسه بشيء من الارتياح؛ فقد كان الإيماء بالرأس أسهل وأقل إيلامًا من هزه.

«وهل ترغب في مساعدتي على التخلص من هذه... الأشياء؟».

أومأ سايمون برأسه بشدة، وأفلت منه أنين رغمًا عنه.

التفت له الشيء مترنحًا، ليتوقف الموكب، وتتسارع نبضات قلب سايمون حتى كاد يقفز من صدره، ووضع يده على حلقه المجروح، وكأنما يحاول أن يريح رقبته. حملق الشيء بغضب في سايمون، ثم التفت للأمام، وواصل المسير بمشية الكابوريا حتى منبسط الدرج عند الرواق.

قال سير هيروارد وقد بدا مستعدًّا للمعركة: «نحتاج إلى رسم خطة. نحتاج أولًا إلى..».

لم يسمع سايمون أيًّا من خطط سير هيروارد؛ فالشيء كان قد مل من تلكؤ سايمون خلفه، ووقف في انتظاره. وعندما اقترب منه سايمون أمسك بملابسه الرثة، وجره عبر الردهة، ودفعه على الدرج. تعثر سايمون وسقط عند البهو بالأسفل، حيث كانت هناك مجموعة من أربعة وعشرين شيئًا في انتظاره.

تجرأ سير هيروارد، ونزل بحذر على الدرج. ومن مكانه، تمكن من رؤية سايمون وهو يتقدم ببطء عبر البهو وهو يتألم. فكلما تقدم خطوة كانت الأشياء تشبعه قرصًا ولكمًا، وتدفعه دفعًا صوب أبواب القصر. وصل الشبح عند نهاية الدرج، وتقدم ودخل بخوف

وسط جماعة الأشياء. كانت هذه التجربة سيئة للغاية بالنسبة له، فأي شبح لن يستمتع بمرور أي شيء عادي من خلاله، فما بالك بهذه الأشياء التي تنتمي لعالم الظلام! لم يحدث هذا من قبل أيضًا لسير هيروارد، ولكن بينما تبع سايمون عبر الردهة، حدث له هذا الأمر حوالي عشر مرات، لكن الشبح أصر على مواصلة المسير. كانت مهمته هي حماية الأميرة، وعمل كل شيء يجعله قريبًا من سايمون. كان سير هيروارد يعرف أنه إذا كان هناك أحد يملك من القوة ما يجعله يتخلص من الأشياء ليستعيد القصر من أجل الأميرة، فسيكون شابًّا حيًّا، لا شبحًا عجوزًا بذراع واحدة.

ورغم أنه لم يكن يحب المتنمرين، وكان يظن سايمون واحدًا منهم، لكن الوضع الآن صار معكوسًا.

كان سايمون قد وصل إلى أبواب القصر. لمع غشاء أرجواني رقيق أمامهم، وكان كل شيء من الأشياء حريصًا على أن يبتعد عنه بمسافة مناسبة.

أمر الشيء سايمون قائلًا: «افتح الأبواب».

قال سير هيروارد الذي أدرك فجأة ما يحدث: «إياك أن تفعل! نحن لا نريدهم أن ينتشروا في أرجاء القلعة».

تجاهل سايمون سير هيروارد؛ فقد كان عقله مشغولًا بالفعل. حدق سايمون وملامحه تخلو من أي تعبير في الشيء، لكن في

نفس الوقت راحت الأفكار تتزاحم في رأسه؛ فقد فهم لتوه لِمَ تم إحضاره؛ فقد كانوا يحتاجونه لكسر العزل.

فأي كيان ينتمي إلى **عالم الظلام** بشكل متأصل لا يمكنه أن يخترق العزل أبدًا، فهو شديد المقاومة للظلام.

كان الأمر يحتاج إلى إنسان على معرفة واسعة بأمور الظلام، وتلك المعرفة كانت الأشياء تعلم جيدًا أن سايمون يمتلكها. كان من المعروف أن الأشياء يمكن أن تستعين بالبشر، ليفعلوا هذا بدلًا منها. فالإنسان لا يمكن أن يكون ظلاميًا بالكلية، فلابد أن تبقى به بقايا بسيطة من المشاعر الطيبة لا تزال كامنة في مكان ما.

حتى دومدانيال كان لا يزال يمتلك قدرًا ضئيلًا منها، فقد قام مستحضر الأرواح العجوز باستقبال قطة ضالة وتقديم طبقٍ من اللبن لها، أما الشيء فربما يستقبلها، ولكن ليسلخها ويأكلها!

كانت جماعة الأشياء قد بدأ ينفد صبرها، وراحوا يهمسون معًا: «افتح... افتح... افتح!».

قرر سايمون أنه لن يفتح الأبواب مهما كانت العواقب. فإن كان أحدهم قد قام بعزل القصر -وكان واثقًا أنها مارشا- فلابد أن هذا كان لسبب وجيه، وفي الغالب كان هذا السبب هو عزل المنطقة المظلمة في مكان واحد، ومنعها من الانتشار لحماية القلعة. هو نفسه كان سيفعل نفس الشيء، وكان سيفرض هذا العزل باستخدام

طوق أمني أيضًا. ولاشك أن مارشا قد فعلت ما هو أفضل من ذلك، ولم يكن ليفسد ما قامت به.

صاح سايمون بصوت أجش: «لا، لن أفعل. لن أفتح الأبواب».

تنحنح سير هيروارد وقال: «أحسنت قولًا!».

قال الشيء الذي كاد أن يخنق سايمون: «افتح... الأبواب».

قال سايمون: «لا».

ضم الشيء يديه الخشنتين المتقشرتين معًا، وسمع سايمون صوت مفاصله وهي تطرقع واحدًا تلو الآخر، وقال: «إذًا ربما تستطيع أمك إقناعك».

وراقبه وهو يشق طريقه بين جماعة الأشياء، وأخذ معه أربعة آخرين من الأشياء، وسار بخطوات واسعة في الردهة الطويلة صوب غرفة جلوس سارة.

فكر سايمون أنه لابد أن والدته ليست في القصر حتى الآن... أم تراها ما زالت فيه؟

25

سايمون وسارة

كانت سارة هيب تبدو أصغر حجمًا كثيرًا مما كان يذكره سايمون. في الواقع، عندما عادت الأشياء التي ذهبت لإحضارها إلى بهو القصر لم ير سايمون أثرًا لسارة. وللحظة عابرة تمنى ألا تكون أمه موجودة هناك، لكن بينما اقتربوا بدأ سايمون يرى خصلات شعر سارة الصفراء الباهتة وسط الأشياء التي كانت تحيط بها. كانت الأشياء تهمهم بحماس كما يفعلون دائمًا عندما يعرفون أن هناك شيئًا سيئًا سيحدث لشخص ما.



راحت الأشياء تلكز وتدفع سارة المذعورة نحو سايمون. حدقت سارة في سايمون بخوف وفزع. وقرأ سايمون على ملامح وجهها ما كان يخشى رؤيته؛ فقد كانت أمه تظنه هو المسئول عن كل ما يحدث.

قال سايمون، وكأنه قد عاد طفلًا صغيرًا ينكر تهمة ألصقت به ظلمًا وبهتانًا: «أمي، أمي، لست أنا من فعل ذلك. صدقيني أرجوك».

لكن كان من الواضح أن سارة لم تصدقه وتنهدت: «آه يا سايمون».

لكن الثواني القليلة التالية كانت كفيلة بتغيير رأيها.

قال الشيء الذي كان يخنق سايمون منذ قليل بلهجة آمرة: «ستفتح الباب الآن».

قال سايمون متلعثمًا: «ل... ل... لا».

قال الشيء بإصرار: «بل ستفعل». ثم أزاح شيئًا أصغر كان يقف بجوار سارة جانبًا، ثم رفع يديه العظميتين، ووضعهما حول عنق سارة التي كانت تبدو في نظر سايمون نحيلة وضعيفة للغاية.

همست سارة: «سايمون، ماذا يريدون؟».

قال سايمون: «يريدون أن يخرجوا يا أمي. لكنهم لا يستطيعون. ويريدونني أن أساعدهم في ذلك».

بدا على سارة الخوف والفزع، وقالت: «يخرجون إلى القلعة؟ كلهم؟ يخرجون وسط كل الناس المساكين هناك؟».

قال: «نعم يا أمي».

بدا على سارة الغضب، وقالت: «لا يمكن أن يفعل ابنٌ من أبنائي هذا أبدًا يا سايمون».

«لكن يا أمي إذا لم أفعل سوف..».

قالت سارة بشراسة: «لا تفعل!». ثم أغمضت عينيها.

ضغط الشيء بأصابعه على عنق سارة التي كانت قد بدأت تختنق.

صاح سايمون: «لا!». وقفز نحو الشيء محاولًا إبعاده عن أمه، لكن أربعة أشياء أخرى انقضوا عليه وشلوا حركته، وصرخ سايمون: «توقف عن ذلك، توقف أرجوك!».

رد الشيء وهو يضغط بإبهاميه على حلقها: «سأتوقف عندما تفتح الباب».

راحت يدا سارة تحاول خدش الشيء دون فائدة، وكانت قد بدأت تشهق وتخرج أصواتًا منخنقة من حلقها وهي تحاول أن تتنفس.

شعر سايمون باليأس، وقال: «لا... توقف أرجوك».

حدق الشيء بعينيه التي لا تحمل أي تعبير في سايمون، وقال له بلهجة آمرة: «افتح الباب».

تملك اليأس من سايمون، وحاول أن ينظر حوله باحثًا عن سير هيروارد لينقذه. لكن كانت هناك جماعة من الأشياء التي اقتربت لتشاهد ما يحدث تقف حائلًا بينها وبينه، فلم يستطع أن يرى سوى طرف سيفه وهو يلوح به في الهواء دون جدوى. لقد كان يواجههم بمفرده تمامًا.

شهقت سارة شهقة عالية، وبدأت تترنح وتفقد الوعي.

لم يعد سايمون يستطيع أن يتحمل أكثر من ذلك ... فقد كان يقتل أمه بالفعل. وكل ما كان عليه أن يفعل لإنقاذ أمه هو أن يفتح هذا الباب الأحمق.

وإذا لم يفعل فستموت أمه. كان هذا هو كل ما يسيطر على تفكيره، ولم يكن أي شيء آخر يهم. فأي شيء آخر كان مستقبلًا، أما أمه فقد كانت تحتضر الآن أمام عينيه. اتخذ سايمون القرار، كان يجب أن يأخذ الجميع فرصتهم، فعلى الأقل سيكون أمامهم فرصة للنجاة، بعكس سارة التي لم تكن تمتلك أي فرصة للنجاة إلا إذا استسلم لهم. تقدم سايمون نحو أبواب القصر، ووضع يديه على الغشاء السحري الرقيق الذي كان يغطي الباب الخشبي العتيق. ثم بدأ -رغمًا عنه وهو يكره كل لحظة يقوم فيها بذلك- بترديد تعويذة فك العزل.

ترك الشيء سارة لتسقط على الأرض وكأنها ثمرة بطاطس ساخنة؛ فلم تكن الأشياء تحب ملمس البشر. ثم قال لسايمون بصوت كفحيح الأفعى: «افتحه».

أدار سايمون مقبض الباب النحاسي، وجذب الباب الثقيل المزدوج لينفتح. تدفقت الأشياء خارجة من القصر كنهر من الزيت الأسود، لكن لم يسترعِ هذا انتباه سايمون، فقد كان راكعًا على ركبتيه على الأرض الحجرية المتهالكة ممسكًا بسارة. أخذت سارة نفسًا عميقًا طويلًا، حتى ظن سايمون أنها لن تتوقف أبدًا. ورويدًا رويدًا بدأت الزرقة التي كست وجهها تتحول للون الوردي، ثم رمشت عيناها، وفتحتهما ببطء، ونظرت إلى ابنها الأكبر نظرات تملؤها الحيرة.

همست سارة بصوت أجش متألم: «سايمون؟». كانت سارة تنظر له وكأنها تراه لأول مرة: «سايمون؟».

حاول سايمون أن يساعدها برفق على الجلوس. وفجأة اندفعت رياح ثلجية لتدخل القصر من الأبواب المفتوحة. أخذت سارة تحدق فيه بشدة، وكانت قد بدأت تتذكر ما حدث وهمست: «سايمون؟ أفعلتها؟». نظر سايمون إلى سير هيروارد وهو لا يجرؤ على الرد.

نظر الشبح إلى سايمون نظرة يملؤها الحزن . لم يكن هناك ما يمكن أن يقال. وقال في نفسه إنه لو كان مكانه لفعل نفس الشيء من أجل أمه.

قالت سارة: «سايمون، أنت لم تخرجهم؟ أليس كذلك؟ يا إلهي..!».

سقطت سارة مرة أخرى على الأرض، وتركها سايمون برفق، وجلس بجوارها واضعًا رأسه بين كفيه. لقد فعل فعلة شنعاء وهو يعرف ذلك جيدًا. لكنه على كل حال كان أمامه خياران كل منهما أسوأ من الآخر، فماذا كان يمكن أن يفعل؟

26

الغياب



وقف بيتل ومارشا خارج مكتب لاري لخدمات ترجمة اللغات الميتة، وبينما كان بيتل يبحث عن مفتاحه قالت له مارشا: «ما خططك الليلة؟».

فكر بيتل بأسى في خططه السابقة: حفل عيد ميلاد چينا الرابع عشر، الذي كان من المفترض أن يقام بالقصر، والذي كان يتطلع إليه منذ عدة أشهر. كان يعرف أن إلغاء الحفل يعد أمرًا تافهًا بالنسبة لما حدث بالقصر الليلة، لكن لو أنه سُئل عن أكثر ما يحزنه في ذلك الوقت لاعترف أنه إلغاء الحفل.

رد بيتل: «لا شيء».

قالت مارشا بصوت يشوبه القلق: «في ظل الغياب المستمر لتلميذي، سأكون في حاجة إلى مساعد... مساعد مطلع وواسع المعرفة. مساعد لا يهرب ليضيع وقته مع كيميائي عجوز سيئ السمعة». قالت مارشا هذه الكلمات الأخيرة بتهكم وسخرية، ولكنها سرعان ما استعادت رصانتها وأردفت: «لذا يا بيتل ما رأيك في أن تمضي الليل في برج السحرة؛ لتساعدنا في القيام ببعض التجهيزات من أجل التبخير الذي سنقوم به غدًا؟».

مرة أخرى راود بيتل نفس الشعور المزعج بأنه مجرد بديل لسبتيموس يستعينون به في غيابه، لكنه وجد صعوبة في رفض هذا العرض؛ فقد كان البديل هو التسلل إلى غرفته الصغيرة في الجهة الخلفية من مكتب لاري لخدمات ترجمة اللغات الميتة بحرص شديد، لكي لا يوقظ لاري حاد المزاج؛ وهو أمر لم ينجح فيه حتى الآن، فقد كان نوم لاري خفيفًا للغاية، وكان دائمًا يستيقظ، ليصب على بيتل وابلًا من اللعنات والسباب باللغة اللاتينية، التي أصبح بيتل ضليعًا بها بعد اكتساب معارفه الجديدة.

ولهذا أجابها: «موافق. بالطبع، يسعدني ذلك».

قالت مارشا وقد بدا عليها الرضا: «عظيم».

وبينما سار بيتل ومارشا في طريق السحرة، كان الستار الأمني يضيء الليل من خلفهما.

كان ذهن كل منهما منشغلًا بالتفكير في من يكون محتجزًا الآن في القصر داخل المنطقة المظلمة. تذكر بيتل عصر هذا اليوم المرعب؛ وفي هذه اللحظة فقط تذكر الكتاب الذي خطفه من قبضة ميرين.

أخرج بيتل الكتاب من جيبه، وأعطاه لمارشا وقال لها: «لقد نسيت. كان هذا الكتاب مع ميرين، ولقد خطفته من يده عندما كان يقرأ ترنيمة الانصراف. أنا واثق من أنك تحملين نسخة منه، لكنني ظننت أنك ربما تكونين مهتمة بالاطلاع عليه».

توقفت مارشا، وكان هناك عمود إنارة فوقها مباشرة، وراحت تحدق في الكتاب الصغير الدبق المتواضع الذي تحمله في يدها، وأطلقت صافرة طويلة منخفضة. صُدم بيتل؛ فلم يكن يعرف أن مارشا تستطيع أن تصفر.

قالت مارشا وهي تقلب صفحات الكتاب مطوية الزوايا وهي مبهورة: «أنا بالطبع لا أملك نسخة من هذا الكتاب، فلا توجد سوى نسخة واحدة من هذا الكتاب، لطالما تمنيت أن أحصل عليه منذ سنوات طوال. إنه الفهرس-مفتاح كل الأسرار-الخاص بكتاب غاية في الأهمية».. ثم نظرت إلى بيتل وبريق الحماس يملأ عينيها، وقالت: «لا يمكنك أن تتصور يا بيتل مدى سعادتي وارتياحي للحصول على هذا الكتاب. يجب أن أعترف أن ما رأيته في القصر الليلة قد أرعبني حقًّا، وصراحة لم أكن واثقة

من أننا يمكننا التخلص منه. وكنت أخشى ألا نستطيع أن نسكن القصر مرة أخرى، وأن يظل **معزولًا** إلى الأبد».

هزت مارشا رأسها في أسى. ومرت سريعًا بصفحات **فهرس الظلام**، وقالت: «هذا رائع... مذهل. إنها النسخة الأصلية . لقد أنقذتنا جميعًا يا بيتل!».

ابتسم بيتل، وقال: «يا إلهي... لم أكن أعتقد أنه بهذه الأهمية».

التفتت له مارشا، وقالت: «إنه بالغ الأهمية. فلأول مرة منذ مئات السنين يمكننا الآن استخدام **الشفرات المقترنة**. هذه الشفرات هي التي كانت تستطيع حمايتنا من الظلام، لكننا لم نتمكن من قراءتها منذ أن اختفى هذا الفهرس هو وكتاب **إبطال الظلام** الذي وجدته متعفنًا في مستنقعات مرام. لكنه لم يكن ذا أهمية بدون هذا الفهرس». ولوحت منتصرة وهي تحمله في يدها.

«والآن سيمكننا أن نفسد خطة ميرين ميريديث اللعينة دون جهد يذكر!» نظرت مارشا لبيتل وابتسامة عريضة مرتسمة على وجهها، وقالت: «أتمنى أن تسمح لي باستعارته الليلة فقط؟».

بدا أن بيتل قد فوجئ بطلبها، ورد قائلًا: «هه... نعم، نعم بالطبع. في الواقع، أريدك أن تحتفظي به، فشيء بمثل هذه الأهمية يجب أن يكون فقط مع الساحرة العظمى».

قالت مارشا: «أوافقك الرأي. لكن أشكرك على أي حال يا بيتل». ووضعت فهرس الظلام في أكثر جيوبها أمانًا وسرية. وقالت: «والآن سوف أذهب لزيارة دار المخطوطات . هناك شيء أود أن أحضره من هناك».

قال بيتل في نفسه: أهلًا بالمتاعب.

كان الباب المؤدي إلى دار المخطوطات موصدًا لكن مارشا كانت تحمل المفتاح. وكان هذا يتسبب في إغضاب چيلي دچين لكن لم يكن هناك ما يمكن أن تفعله حيال ذلك. فالسحرة الأعظمون دائمًا ما يحملون مفتاحًا للمكتبة للاستخدام وقت الطوارئ، وقد رأت مارشا أن هذا الوقت يعتبر من أوقات الطوارئ. وضعت مارشا المفتاح في القفل العنيد، وأدارته وانفتح الباب، ولكن بدون الرنة المعهودة. فقد كان يتم فصل العداد كل مساء قبل أن يغادر الكتبة المبنى.

تبع بيتل مارشا مرغمًا، ودلفا إلى المكتب الأمامي القذر. كان قد دخل إلى هذا المكان اليوم عددًا من المرات أكثر مما يحتمل.

قالت مارشا هامسة: «ليس هذا هو مكاني المفضل؛ أنا أيضًا يا بيتل، لكنني مضطرة؛ لكي أحضر نصف الشفرة المقترنة؛ فلدي بالطبع النصف الخاص ببرج السحرة، ولكن للأسف النصف الخاص بدار المخطوطات موجود هنا في مكان ما لا يعرفه سوى رئيسة كتبة النصوص الهرمسية».

نظـرت إلى بيتل نظرة يملؤها الأمل: «لا أحسبك تعرف مكانه».

هز بيتل رأسه وقال: «أنا حتى لا أعرف شكله».

قالت مارشا بأسى: «النصف الخاص بدار المخطوطات عبارة عن أسطوانة فضية تتشعب منها بعض الخطوط. وأعتقد أنه كان بها فتحة في المنتصف، تمرر رئيسة كتبة النصوص الهرمسية خيطًا عبرها، وتعلقها حول عنقها. كانوا يستخدمون الشفرات المقترنة كثيرًا في تلك الأيام. إن النصف الخاص بدار المخطوطات أصغر كثيرًا من النصف الخاص ببرج السحرة، والتي نحتفظ بها بالأعلى في المكتبة الهرمسية. وكل نصف على حدة بلا قيمة، لكن عند ضمهما معًا تظهر قيمتهما، كما سنرى قريبًا». بدا على مارشا السرور لمجرد فكرة أنها ستتمكن من ممارسة هذا النوع من السحر القديم!

سارا معًا عبر دار المخطوطات المهجورة الغارقة في الظلام، ينيرها فقط الضوء القادم من القبو، حيث كان يقيم الكاتب المختص بأعمال الصيانة والحفظ والحماية إيفانيا جريب. أما چيلي دچين فلم يكن لها أي أثر.

همس بيتل لمارشا قائلًا: «لابد أن الآنسة دچين في حجراتها فهي لا تبقى هنا بالأسفل بعد أن يغادر الكتبة إلى منازلهم، ولكنها تصعد إلى غرفتها بالأعلى وتتناول البسكويت، تتعهد شئونها».

قاد بيتل مارشا عبر صفوف المكاتب إلى الجهة الخلفية من دار المخطوطات، ثم إلى درج قصير متهالك ينتهي بباب أزرق قديم بالأعلى. صعدت مارشا الدرج، وجذبت الحبل الفضي بجوار الباب، والذي ينتهي بجرس، بعصبية. ثم سمعا دقة الجرس من بعيد في مكان ما أعلى المبنى، وانتظرا سماع وقع أقدام وهي تنزل من أعلى، ولكنهما لم يسمعا أي شيء. دقت مارشا الجرس مرة أخرى بنفاد صبر لكن لم يكن هناك أي رد.

تمتمت مارشا قائلة: «هذا سيئ، يجب أن تكون رئيسة كتبة النصوص الهرمسية مستعدة دائمًا لأية حالة طارئة» ونزلت الدرج وهي تدق بقدميها على درجاته في غضب. وقالت: «يجب أن نبحث عنها في كل أرجاء هذا المكان البائس حتى نجدها، يجب أن تكون في مكان ما هنا».

وفجأة لفت شيء ما انتباه مارشا، وأشارت نحو القوس الحجري الضيق الذي يوجد على جانب دار المخطوطات، والذي يؤدي إلى الحجرة الهرمسية، وقالت: «أعتقد أنني رأيت شخصًا ما يدخل إلى هنا. لقد رأيتها بطرف عيني ولكن لابد أنها قد رأتنا... لماذا تتلاعب بنا؟». أسرعت مارشا إلى هناك، وحذاؤها المصنوع من جلد الثعبان يدق على الألواح الخشبية العتيقة التي تغطي الأرضيات.

وقف بيتل، بينما دلفت مارشا عبر القوس إلى الردهة حالكة الظلام التي تؤدي إلى الحجرة الهرمسية، لكنها أشارت له فتبعها.

كانت الحجرة الهرمسية هي المعتكف السري للمكتبة، وكان هناك ممر ذو سبعة منعطفات يؤدي إليها، وكان الممر مصممًا بهذا الشكل للقبض على أي سحر يحاول الهرب من الحجرة، أو يحاول الدخول إلى الحجرة وإزعاج التوازن الدقيق بالداخل. وكانت أيضًا معزولة ضد الصوت ومحجوبة عن الضوء وموترة للأعصاب إلى حد ما.

وبينما سار بيتل متبعًا حفيف عباءة مارشا على أرض الممر الحجرية، شعر بشعور غير مريح من الطريقة التي أبطأت بها الخطى. فقد شعر أنها ربما تكون قد رأت ما أرعبها. وبينما واصل السير في الممر، وفقد أي بصيص للضوء، بدأ الخوف يتسلل إليه هو أيضًا. ولكن بينما هو يدور حول المنعطف السابع والأخير وجد الضوء الآتي من الحجرة الهرمسية يغمر الجزء الأخير من الممر فشعر بيتل ببعض الراحة. ثم رأى من وراء عباءة مارشا رئيسة كتبة النصوص الهرمسية چيلي دچين جالسة حول المائدة المستديرة المألوفة. شعر بيتل بالراحة؛ فقد كان لديه انطباع أن مارشا تتوقع أن ترى شيئًا مختلفًا تمامًا.

بدت الجدران البيضاء للحجرة الهرمسية متألقة وبراقة بعد ظلمة الممر.

نظر بيتل حوله، كان كل شيء كما يذكره تمامًا. كانت المرآة الداكنة القديمة معلقة على الجدار الخشن المطلي بالجبس، وكذلك كان المعداد القديم. وكانت المائدة المستديرة في منتصف الحجرة. وأسفل المائدة ظهرت قدما ڇيلي دڇين الصغيرتان في حذاء أسود ذي أربطة، وكانت تضعهما فوق باب النفق الجليدي الذي لاحظ بيتل بشيء من الارتياح أنه مغلق، ومن الواضح أنه قد ظل مغلقًا لمدة طويلة بسبب الغبار الذي يغطيه.

بدت ڇيلي دڇين أصغر مما كان يذكر بيتل. وكشف الضوء الساطع في الحجرة عن ثيابها الزرقاء الحريرية الرثة. كانت ثيابها تبدو قديمة ورثة، لدرجة لم يرها من قبل؛ فقد كانت ڇيلي دڇين مغرمة بالثياب الحريرية الجديدة، وكانت تهتم كثيرًا بأناقتها ونظافتها. أما الآن فقد كانت ملابسها مكرمشة، وكانت ملطخة ببقع كانت أغلب الظن بقع صلصة. كان بيتل مصدومًا، لكن ما أقلقه حقًّا هو أن ڇيلي دڇين كانت جالسة لا تفعل شيئًا على الإطلاق. لم يكن أمامها كتب جداول الحساب، أو دفاتر ضخمة مليئة بخانات طويلة من الأرقام الضئيلة في انتظار كاتب سيئ الحظ؛ لكي يقوم بنسخها ثلاث نسخ في اليوم التالي. كانت تجلس منحنية على المائدة الخاوية تحدق في الفضاء، وكانت شاردة الذهن لدرجة أنها بدت وكأنها لم تلاحظ وجود زائرين جدد. كانت كأنها غير موجودة في المكان على الإطلاق.

بدا القلق على وجه مارشا للحظات، لكنها سرعان ما بدأت تتحدث فيما جاءت من أجله. قالت بحدة: «آنسة دچين، لقد جئت لآخذ نصف الشفرة المقترنة الخاصة بدار المخطوطات».

استنشقت چيلي دچين، ومسحت أنفها في كمها -الأمر الذي صدم بيتل حقًّا- ولم ترد عليها.

قالت مارشا: «آنسة دچين، هذا أمر جد خطير. يجب أن تقدمي نصف الشفرة المقترنة الخاصة بدار المخطوطات للساحر الأعظم بمجرد طلبها ليلًا أو نهارًا. أنا أعلم أن هذا لم يحدث منذ مئات السنين، ولكن هأنذا أطلبه منك الآن».

لم تبد چيلي دچين أي رد فعل، كانت تبدو وكأنها لا تفهم كلمة واحدة مما يقال.

بدا على مارشا القلق، وقالت بهدوء: «آنسة دچين، أود أن أذكرك أن بروتوكول الشفرة المقترنة يشكل جزءًا مهمًّا من قَسَم رئيسة كتبة النصوص الهرمسية».

اعتدلت چيلي دچين في جلستها وقد بدا عليها عدم الارتياح، واستنشقت مرة أخرى. كان يراها بيتل مسكينة ومثيرة للشفقة. فقد كانت يومًا ما شامخة مرفوعة الرأس، أما الآن فقد أثقلتها الهموم، وحنت ظهرها. لم يكن بيتل يحب رئيسة كتبة النصوص الهرمسية، لكنه بالرغم من ذلك كان يشعر بالأسى والقلق من أجلها. فلم تكن طبيعية بالمرة، ومن الواضح أنها قد أصابها خطب

ما. نظر بيتل إلى مارشا ليجدها تنظر إلى رئيسة كتبة النصوص الهرمسية نظرة غريبة، وكأنها قطة تستعد للانقضاض على فريستها.

وفجأة قفزت مارشا نحو چيلي دچين وضربتها بكلتا يديها على كتفيها، وقالت بلهجة آمرة: «انصرف!» وفجأة أضاء وميض بنفسجي الحجرةَ البيضاء، وصرخت چيلي دچين صرخة رهيبة، ورأى بيتل كائنًا صغيرًا داكن اللون -لم يكن متأكدًا من ماهيته- يقفز على الأرض، ويهرول خارجًا من الحجرة.

تمتمت مارشا: «إنه ماوند. أحدهم وضعه عليها. إنها وحوش شريرة وثقيلة جدًّا. ما الذي يحدث هنا؟». وجالت ببصرها في كل أنحاء الحجرة الهرمسية وهي قلقة، وكذلك فعل بيتل. كانت الحجرة تبدو خاوية، لكنه لم يكن متأكدًا من حقيقة ذلك.

قالت مارشا بحدة: «اسمعي يا آنسة دچين. هذه أمر مستعجل للغاية، يجب أن تعطيني الشفرة المقترنة فورًا».

فردت چيلي دچين ظهرها بعد أن استراحت من الحمل الثقيل الذي كانت تحمله، لكنها كانت لا تزال تبدو وكأن شيئًا ما يسكنها. جالت بنظرها في الحجرة ثم مررت يدها بسرعة عبر المائدة بحركة متعرجة. سمعوا صوت طنين هادئ، ثم انفتح درج صغير أمامها. نظرت چيلي دچين حولها بشيء من عدم الارتياح، ثم أخرجت علبة فضية صغيرة ووضعتها على المكتب.

قالت مارشا: «أشكرك آنسة دچين، لكني أريد أن أتأكد من وجود الشفرة في العلبة».

راحت چيلي دچين تنظر من فوق كتف مارشا إلى شيء مجهول، ثم أومأت برأسها وهي شاردة الذهن، ثم بدا على وجهها الخوف والذعر.

كانت مارشا منشغلة بفتح العلبة التي قبعت بداخلها أسطوانة فضية صغيرة يتوسطها بروز صغير تمامًا مثل الرسم الذي تعرفه وتراه في الكتاب المرجعي. لبست مارشا نظارتها، لتلقي عليه نظرة فاحصة. كانت هناك مجموعة من الخيوط الدقيقة تشع من مركز الأسطوانة تتناثر عليها مجموعة من الرموز السحرية، بعضها لم تره منذ التحاقها بدورة علم المخطوطات التي استغرقت أسبوعًا في سنة التدريب الأخيرة. شعرت مارشا بالرضا؛ فقد كان هذا هو دون شك نصف الشفرة المقترنة الخاصة بدار المخطوطات.

وفجأة حدث ما لم يكن في الحسبان وعكر صفوها، ففجأة دارت مارشا حول نفسها، واندفعت للأمام، ورأى بيتل الأسطوانة الفضية الصغيرة وهي تطير في الهواء وتختفي، ثم شعر بشيء يسدد له لكمة قوية في معدته.

صاح بيتل: «آيييي» وانحنى بشدة وهو لاهث الأنفاس.

صاحت مارشا: «بيتل قف عند الممر!».

ألقى بيتل نفسه وهو ما يزال متألمًا مضطربًا أمام مدخل الممر ذي السبعة منعطفات، وفجأة شعر بشيء نحيل له كوعان حادان يندفع نحوه ليتراجع بيتل للوراء مترنحًا. لكن سرعان ما تمالك نفسه، وأخذ وضع الاستعداد مادًّا ذراعيه إلى جانبيه، ليغلق الممر الضيق، ويمنع أي شيء، أيًّا كان، من المرور.

وبينما امتدت يد خفية لتمسك بذراعه محاولة جذبها بعيدًا عن الجدار، شعر بيتل بشيء شديد السخونة ينغرز في لحمه.

صاح بيتل: «آااه!».

قالت مارشا وهي تتجه نحوه: «لا تتحرك يا بيتل. فقط ابقَ في مكانك».

كان بيتل يشعر بذراعه وكأنما قد اخترقتها عصا مدببة شديدة السخونة، ومما زاد خوفه ورعبه نظرة مارشا وهي مقبلة عليه. لكنه لم يتحرك. وتوقفت مارشا على مسافة قريبة منه وعيناها الخضراوان تلمعان من فرط الغضب. مدت مارشا يديها وأمسكت بشيء ما وكأنها كانت تمسك بوعاء له يدان.

قالت بلهجة منتصرة: «اظهر!». ملأت سحابة بنفسجية مدخل الحجرة الهرمسية وظهر كائن داكن وسطها. وعندما انقشعت السحابة ظهر ميرين ميريديث وكان يبدو طويلًا ونحيلًا، وكانت مارشا تمسك بكلتا أذنيه.

بلع ميرين ريقه بصعوبة وارتعش؛ فقد كانت بالشفرة المقترنة حواف حادة.

صاحت مارشا غير مصدقة: «لقد ابتلعها!».

27

جسر بوت



كانت روز متأخرة، وكانت الفوضى تعم المكان في برج السحرة، وكان عليها أن تستلم العمل في غرفة المرضى؛ حتى وصول الساحر المناوب من الاستدعاء. ولكنها الآن كانت في قمة حماسها؛ لمشاركتها في حدث سحري مهم مثل الستار الأمني. أسرعت روز عبر طريق السحرة محاولة ألا تتأخر على بيرتي بوت بقدر المستطاع.

كان بيرتي بوت يقف أمام الستار الأمني المبهر؛ ليحرس نقطة الاندماج وهو لا يدري أنه على بعد بضعة أقدام خلفه على الجهة الأخرى من الستار الأرجواني، كان يوجد خمسة وعشرون شيئًا يقطعون المكان جيئة وذهابًا في هدوء بحثًا عن نقطة الاندماج.

كانت معدة بيرتي تقرقر من الجوع، وأخذ يتخيل تخيلات قاسية لوجبة العشاء الشهية؛ السجق والبطاطس المهروسة المغطاة بالصلصة اللذيذة وكعكة العسل الأسود والكاسترد، وربما أيضًا قطعة صغيرة من حلوى الشيكولاتة إن استطاع. تنهد بيرتي فقد كان متأكدًا من أنه سيستطيع. وبينما كان بيرتي يتساءل إن كان سيفضل البازلاء أو مزيدًا من البطاطس المهروسة مع السجق، قرقر بطنه بصوت عالٍ. وعلى بعد بضع خطوات خلفه كان الشيء الذي حاول خنق سايمون قد توقف لينصت جيدًا.

كان بيرتي قد بدأ يشعر ببرد شديد، وحتى عباءته الجميلة المستعملة ذات الفراء لم تكن لتمنع شعوره ببرد أطول ليلة. خلع بيرتي العباءة؛ لينفضها وينفش الفراء، فتصبح أكثر سمكًا -وهي حيلة تعلمها من عمله في بيع العباءات- ولكن بينما كان ينفض العباءة لمس طرفها الستار الأمني. ولم يعرف بيرتي أبدًا ما ضربه.

فبسرعة البرق ضرب الشيء نقطة الاندماج بالستار الأمني بقبضته، ليصنع فتحة به، وأمسك بعباءة بيرتي بيد واحدة، وراح يجذبها بقوة. وفي ظرف دقيقة واحدة كانت يدا الشيء تلتف حول

رقبة بيرتي، وراح يجذبه نحوه بحيث صار ممددًا عبر **الستار الأمني**، فبدا مثل جسر صغير مقوس. وقد تم تسجيل هذه الواقعة في كتب التلاميذ، فيما بعد وأطلق عليها جسر بوت.

وعلى جانبي بيرتي، كان الضوء السحري الأرجواني لايزال يلمع كجدار مضيء، لكن كان هناك فتحة سوداء تبدو كسن مكسورة في ابتسامة جذابة. وبينما كان بيرتي يرقد على ظهره على الحشائش المغطاة بالثلوج، بدأ طوفان مظلم من الأشياء في العبور عليه (بعد عدة سنوات عندما وضع أحدهم الستار الأمني مرة أخرى؛ لكي لا يفوت فرصة رؤيتها ولو لمرة واحدة، كان هذا المشهد هو أول مشهد يعاد عرضه).

وصلت روز عند المشعلين اللذين كانا يحيطان ببوابة القصر. توقفت للحظة لتلتقط أنفاسها، ثم دفعت بوابة القصر- التي كان معلقًا عليها لافتة كبيرة تقول: تم إلغاء الحفل - لتفتحها. ابتسمت جودران الكبرى، الشبح العجوز الباهتة، التي كانت تقف حارسة على بوابة القصر لروز، لكنها لم ترها بسبب البريق المذهل للستار الأمني:

همست جودران الكبرى: «انتبهي أيتها التلميذة». لكن كل ما سمعته روز هو همس الرياح التي تهب على النهر.

وبينما اقتربت روز من الستار الأمني بدأت تشعر بشيء من عدم الارتياح. كانت روز تلميذة حساسة وعلى درجة كبيرة من الوعي -ربما أكثر من اللازم- بالظلام. وكانت تمتلك موهبة لم تكن على دراية بها بعد، لكنها كانت على وشك اكتشافها. فقد كانت تستطيع أن ترى الأشياء. سارت روز على مهل عبر الحشائش باحثة عن بيرتي بوت، واتجهت نحو نقطة الاندماج بالستار الأمني التي كانت تعرف مكانها جيدًا؛ أمام بوابة القصر تمامًا. ازداد القلق الذي كانت تشعر به؛ فهي لم ترَ بيرتي بوت في أي مكان. ترى أين ذهب؟ فهو ليس بضئيل الجسم بحيث لا يمكن ملاحظته. تساءلت إن كان قد مل عندما تأخرت وذهب لتناول العشاء، لكن روز كانت واثقة من أنه حتى بيرتي بوت النهم لن يجرؤ على ترك مثل هذا الموقع المهم.

خشيت روز من التقدم أكثر من ذلك، فتوقفت. كان يراودها شعور غريب أنها كلما حاولت جاهدة لتجد بيرتي قل وضوح رؤيتها. ارتعش جسدها، ولفت عباءتها حول نفسها، ليس بحثًا عن الدفء فقد كان جسدها لايزال دافئًا من الجري ولكن لتحمي نفسها. ولكن ممَّ كانت تحمي نفسها؟ هي نفسها لم تكن تدري.

نادت بصوت هامس: «بيرتي؟».

لم تتلقَّ أي رد.

قررت روز أن تستخدم إحدى حيل السحرة القديمة. وقفت ثابتة، وحركت رأسها من ناحية إلى أخرى، وأطلقت لعينيها العنان. رأت عيناها فتحة في الستار الأمني، وكانت الأشياء تتدفق من هذه الفتحة، أشياء تبدو كظلال رهيبة متوحشة تجري وتقفز نحوها. كان الأمر أسوأ من أسوأ كوابيسها!

ركضت روز... ركضت بسرعة شديدة، لدرجة أنها وصلت لمنتصف طريق السحرة قبل أن تدرك معنى ما قد رأته. ظلت تركض وتركض بأسرع ما يمكن، عائدة لبرج السحرة لتخبر مارشا.

لكن مارشا لم تكن هناك.

كانت مارشا لا تزال في دار المخطوطات.

28

الشمع الهرمسي



بينما كانت روز تركض مارة بنوافذ دار المخطوطات المظلمة، كانت مارشا بالداخل تحاول بكل ما أوتيت من قوة أن تضع قيدًا محكم الإغلاق حول رسغي ميرين.

أخذ ميرين يقاومها بكل قوته، وكانت مارشا في ذهول من مدى القوة التي أصبح يملكها. كانت مارشا تستخدم كل قوتها في تقييد حركته، ولكن دون أن تعرضه للخطر، وبالرغم من ذلك كان يرفض الإذعان والخضوع لها. كانت عينا ميرين الداكنتان تشتعلان بالغضب، وراح يحاول بكل قوته أن يركل بقدميه ليتحرر منها. وكان الذهب الذي يغطي خاتمه ذا الوجهين يلمع بينما كان يحاول أن يشد رسغيه ويلفهما؛ ليتحرر منها ويجذب القيد حتى كاد أن يقطعه.

وبعد وابل من السباب واللعنات، استخدمت مارشا تعويذة الصمت؛ لتمنعه من الكلام، لكنها لم تتمكن من منعه من تحريك شفتيه. وكانت مارشا -للأسف- بارعة في قراءة حركة الشفاه.

وفجأة سمعوا طرقًا عاليًا على الباب الخارجي. بدا على مارشا الاستياء، وقالت: «بيتل، اذهب لِتَرى من الطارق، واصرفه».

دخل بيتل المكتب الأمامي، وفتح الباب ليجد مارسيلوس باي على الناحية الأخرى من الباب. قال مارسيلوس وقد بدا عليه الارتياح: «آه أيها الكاتب بيتل، كم أنا سعيد أنني وجدتك أنت هنا!».

كان بيتل قد توقف منذ زمن بعيد عن محاولة التوضيح لمارسيلوس باي أنه لم يعد-ولم يكن في يوم من الأيام- كاتبًا في دار المخطوطات.

قال وهو يغلق الباب: «عفوًا سيد باي، ولكننا مشغولون حاليًّا».

وضع مارسيلوس قدمه عند الباب؛ ليمنعه من إغلاقه، وقال وقد بدا عليه القلق: «لقد جئت لتوي من القصر، كنت قد ذهبت لكي أحضر حفل عيد الميلاد، ولكنني وجدت ستارًا أمنيًّا يحيط بالقصر. وكان سبتيموس هيب تلميذي قد ذهب إلى القصر، وأخشى أن يكون قد أصابه مكروه. لذا، فكرت أن أمر على دار المخطوطات في طريقي لبرج السحرة؛ لعلي أجده هنا. ترى هل هو موجود؟».

قال بيتل وهو مستاء: «لا، ليس هنا، لم أره. وقبل أن تسأل فأنا لا أعرف مكانه».

كان بيتل قد سئم من سؤال الجميع عن سبتيموس. وأردف: «عفوًا سيد باي، ولكن هل تمانع في الذهاب الآن، فنحن مشغولون بالفعل. هل يمكن أن تبعد قدمك من فضلك؟».

لم يتحرك مارسيلوس؛ فقد جذب انتباهه فجأة شيء في نهاية طريق السحرة عند القصر، وانتهز بيتل الفرصة ليغلق الباب. دفع بيتل الباب بجسمه ليغلقه، وبينما كان يدير المفتاح رأى مارسيلوس، وهو يرقص رقصة غريبة.

لكن بيتل قرر أن يتجاهله.

بدأ مارسيلوس يدق الباب بشدة.

دخلت مارشا المكتب الأمامي ممسكة بميرين من القيد الذي كبلته به، وأخذت چيلي دچين تتبعها وهي تبدو كالأشباح. سألت مارشا بيتل: «ما الذي يحدث يا بيتل؟».

قال بيتل: «إنه مارسيلوس، لن يرحل بسهولة. إنه يبحث عن سبتيموس».

بدا القلق على ملامح مارشا، وقالت: «لقد ظننته معه».

قال بيتل: «من الواضح أنه ليس معه».

سألت مارشا مشيرة لقطعة طويلة رفيعة من الجلد الأحمر تظهر من فتحة الباب: «ما هذا الذي بالباب؟».

قال بيتل: «آه، إنه حذاؤه».

فتح بيتل الباب، ليظهر مارسيلوس باي وهو يتفقد بعصبية طرف حذائه الأحمر القيم المقطوع، والذي كان قد أهداه إليه سبتيموس يوم عيد ميلاده منذ بضع سنوات.

قال مارسيلوس: «لقد دُمِّر حذائي تمامًا». ثم أشار إلى الأربطة المقطعة التي كانت مربوطة أسفل ركبته تمامًا، وقال: «انظروا».

قالت مارشا بحدة: «لا يليق أن تنتعل مثل هذه الأحذية السخيفة!».

رد مارسيلوس: «حسنًا، بالطبع أنت أكثر من يعرف الأحذية السخيفة!».

وبينما راح مارسيلوس ومارشا يتشاحنان، جذب انتباه بيتل شيء ما. فقد انطفأ المشعلان على جانبي بوابة القصر. راود بيتل شعور سيئ، فلماذا انطفأ المشعلان معًا في نفس الوقت؟

وسرعان ما جاءته الإجابة.

شهق بيتل: «لا... لا... لا يمكن!».

سألت مارشا وقد توقفت عن التشاجر مع مارسيلوس: «ماذا؟»

أشار بيتل عبر طريق السحرة. كان ضباب المنطقة المظلمة الكثيف يخرج وينتشر من بوابة القصر كما يسيل الماء من بوابة السد. وأخذ الضباب يدور في دوامات وينتشر إلى أسفل طريق السحرة. صاح: «الستار الأمني! لقد تم اختراقه!».

«ماذا؟».

ابتسم ميرين.

قالت مارشا: «مارسيلوس، أدِّ عملًا واحدًا مفيدًا في حياتك وأمسك بهذا... هذا المخلوق، يجب أن أرى ماذا يحدث».

سلمت مارشا ميرين إلى مارسيلوس، وأسرعت نحو طريق السحرة. وصلت مارشا في الوقت المناسب تمامًا، لترى المشعل الأول الموجود عند نهاية طريق السحرة بجوار القصر وقد أطفأه شيء يشبه ضبابًا أسود كثيفًا.

جرت مارشا عائدة أدراجها إلى المكتب الأمامي، وصفقت الباب واستندت عليه. كان وجهها أكثر شحوبًا من أوراق دار المخطوطات. وقالت: «أنت على حق، لقد تم اختراق الستار الأمني» ثم أخذت تسب وتلعن؛ الأمر الذي صدم بيتل.

وبالرغم من الصمت المفروض عليه، ضحك ميرين ضحكة مكتومة.

رمقته مارشا بنظرة غاضبة والشرر يتطاير من عينيها، وقالت بحدة: «أعدك أنك ستكف عن الضحك قريبًا جدًّا يا ميرين، حالما نستخرج الشفرة المقترنة منك».

شحب وجه ميرين؛ فهو لم يفكر في هذا الأمر.

قالت مارشا: «أخرجه من هنا يا مارسيلوس. وأنت يا بيتل اصطحب الآنسة دچين، فيجب أن نعود إلى برج السحرة الآن».

قال بيتل معترضًا: «ولكننا لا يمكن أن نهجر دار المخطوطات».

«يجب أن تواجه دار المخطوطات هذا الخطر».

قال بيتل وقد أصيب بالهلع: «لا. لا. إذا تمكنت المنطقة المظلمة من اختراق دار المخطوطات فسينتهي كل شيء. كل السحر الغامض في الحجرة الهرمسية وفي غرفة الكيمياء القديمة... سينتهي كل هذا. ولن يبقى شيء».

«آسفة يا بيتل، لكنني لا أملك أن أفعل شيئًا حيال هذا».

رد بيتل: «لا، يمكنك. فيمكن تشميع الحجرة الهرمسية بالشمع الهرمسي؛ فلهذا بنيت بهذا الشكل، ويستطيع كبيز السحرة أن يغلقها بالشمع الهرمسي. هذا صحيح، أليس كذلك؟».

ردت مارشا على مضض وقالت: «بلى، هذا صحيح، ولكننا إذا أغلقنا الحجرة الهرمسية والآنسة دچين بداخلها فإننا بذلك نقتلها. فهي لن تعرف ماذا يحدث لها. لن يكون لديها أي فرصة للنجاة».

قال بيتل بهدوء: «ولكن ربما تتاح لي فرصة للنجاة».

«أنت؟!».

«نعم، احبسيني فى الحجرة الهرمسية وأغلقيها بالشمع الهرمسي، وسأتولى حراستها».

قالت مارشا بجدية: «ولكن يا بيتل الهواء داخل الحجرة لا يكفي إلا لأربع وعشرين ساعة فقط، وبعد ذلك ستضطر إلى أن تقوم بتعطيل مؤقت. وأنت تعرف جيدًا أن بعضًا ممن تعرضوا لهذه التجربة لم ينجوا، أليس كذلك؟».

«سأجرب حظي. ونسبة نجاة خمسين بالمائة ليست سيئة».

هزت مارشا رأسها. ففي كثير من الأحيان كان بيتل يعرف أكثر مما تتوقع. وتمتمت: «نجا ثلاثة ومات ثلاثة، فرصة النجاة ليست كبيرة».

«كان يمكن أن تكون أسوأ. أرجوك يا مارشا أنا لا أريد أن نفقد دار المخطوطات. سأفعل أي شيء لأمنع هذا. أي شيء».

كانت مارشا تعلم جيدًا أن بيتل لن يتراجع عن رأيه، فقالت: «حسنًا يا بيتل، سأنفذ لك رغبتك. سأقوم بتفعيل التشميع الهرمسي».

اتجه بيتل ومارشا نحو مدخل الممر ذي المنعطفات السبع، تاركين خلفهما مارسيلوس باي الذي يقبض بقبضة من حديد على ميرين، وچيلي دچين التي راحت تحملق في الفضاء. توقف كلاهما خارج الحجرة.

قالت مارشا: «ستجد درج الحصار السري في المائدة إذا طرقت على مركز الدائرة السوداء سبع مرات. يحتوي الدرج على مؤن للطوارئ، وتميمة التعطيل المؤقت مع تعليمات الاستخدام الخاصة بها».

قال بيتل: «أنا أعرف».

«يا لك من شاب شجاع يا بيتل! حظًّا سعيدًا».

«أشكرك».

تساءلت مارشا إن كانت سترى بيتل مرة أخرى، وقالت: «والآن ادخل الحجرة. وبمجرد أن تدخل اجلس على مقعد رئيسة كتبة النصوص الهرمسية، فهو في منتصف الحجرة بالضبط، وستكون بخير في هذا المكان. سيكون التشميع الهرمسي شديدًا جدًّا وربما لن تشعر شعورًا جيدًا».

«حسنًا، لا بأس».

ابتسمت مارشا لبيتل ابتسامة متكلفة.

وقالت له: «سأعد حتى واحد وعشرين، ثم سأُفَعِّل الشمع الهرمسي. مفهوم؟».

«حسنًا، وأنا أيضًا سأعد. واحد... اثنان..».

ذهب بيتل، وجرى عبر المدخل الحجري المقنطر إلى ظلمة الممر ذي المنعطفات السبع، وقبل أن ينتهي من العد إلى رقم عشرة كان قد وصل إلى الحجرة الهرمسية المستديرة المضاءة. جلس بيتل على مقعد رئيسة كتبة النصوص الهرمسية وهو متردد ويشعر أنه لا يتعين عليه أن يفعل ذلك، وواصل العد وراح يراقب المدخل المقنطر الذي مر منه لتوه. كانت الثواني القليلة القادمة هي الأطول في حياته على الإطلاق.

بدأت عملية تفعيل الشمع الهرمسي. ساد الحجرة صوت يشبه الفحيح، وأعقبه اندفاع شديد لهواء بارد، بينما مرت تعويذة الشمع الهرمسي من الممر ذي المنعطفات السبع. راقب بيتل ما يحدث

في رعب؛ فقد رأى جدارًا أرجوانيًّا لامعًا، وهو يظهر من المنعطف الأخير، وتوقف عند القوس المؤدي إلى الحجرة. كان الضوء السحري المتوهج ينبض فوق المدخل المقنطر وزادته جدران الحجرة الهرمسية الدائرية البيضاء تألقًا وتوهجًا، وأخذ الضوء يرسل تيارات من السحر يدور في دوامات، بينما كان بيتل يجلس في مركز الحجرة في هدوء يكاد لا يجرؤ حتى على التنفس. وبعد بضع ثوان، استطاع أن يرى الضوء الأرجواني قد بدأ في الخفوت، وخيوط السحر تنجرف بعيدًا. تعلقت خيوط السحر في الهواء، وشعر بيتل بطعم السحر الحلو المر في حلقه لدرجة جعلته يسعل.

وبينما اختفت آخر آثار السحر، أدرك بيتل معنى أن يكون محبوسًا في غرفة مغلقة بالشمع الهرمسي. فقد وجد بدلًا من القوس حائطًا صلبًا يبدو كجزء لا يتجزأ من الجدران المحيطة به. شعر بيتل وكأنه مدفون في هذه الحجرة. وكان فوق رأسه القبة التي هي سقف الحجرة، وتحت قدميه كان الباب الموصد الذي يؤدي إلى أنفاق الجليد.

تذكر بيتل ما قالته له مارشا؛ فطرق الدائرة السوداء الصغيرة في مركز المائدة سبع مرات؛ لينفتح الدرج أسفل المائدة. مد يده ليخرج تميمة التعطيل المؤقت، وأخرج حفنة من شرائط العرقسوس.

29
الانسحاب



أخذ ضباب الظلام يتقدم ويزداد انتشارًا، حتى وصل إلى مكتب لاري لخدمات ترجمة اللغات الميتة، ثم تسرب حول الحواف ومن الشقوق والفتحات، وحتى من جحور ديدان الخشب. وتجمع حول أكوام الأوراق المترجمة، ودار كالدوامة داخل المزهرية المرممة، وأطفئت الشموع في نافذة العرض التي كان بيتل قد تفنن في تزيينها. راح الضباب ينتشر، ويتوغل في المكان واتجه نحو الردهة، ثم إلى منبسط الدرج، وصعد الدرج الملتف المتداعي.

كان لاري نائمًا في غرفته الصغيرة بالجهة الخلفية من المنزل. استيقظ لاري، وجلس في فراشه، وجذب غطاءه حتى ذقنه، وحدق في الظلام وأنصت جيدًا. كان هناك شيء غير طبيعي. أنزل لاري ساقيه النحيلتين اللتين تشبهان زوجًا من العصي من الفراش، وبينما ارتعشت قدماه عندما لمستا الأرض الباردة، رأى دخانًا أسود يتسرب من أسفل الباب. قفز لاري من فراشه مذعورًا، البيت يحترق!

اقترب الدخان منه، وبدأ يلف حول أصابع قدميه المتجمدة. جلس لاري مرة أخرى بهدوء، شعر وكأنه في حلم، وغمره إحساس قوي بالسعادة والرضا. عاد لاري مرة أخرى إلى مدرسته القديمة، وهو يتسلم الجائزة اللاتينية للمرة السابعة، ورأى والده بين الحضور جالسًا في الصف الأول يبتسم له. لاري... لاري المتفوق...

وبينما أحاط ضباب الظلام الكثيف به، غاص لاري في سريره مرة أخرى، وتنفس ببطء شديد كسلحفاة في أعماق الشتاء، وراح في حالة مظلمة بلا أحلام ما بين الحياة والموت.

قادت مارشا چيلي دچين ومارسيلوس الذي كان يتحفظ على ميرين إلى الخارج في طريق السحرة، وأوصدت باب دار المخطوطات بسرعة خلفها.

لم تستطع مارشا تحمل التفكير فيما قد تركته خلفها في دار المخطوطات، ولكن ما كانت ستواجهه كان أسوأ بكثير. كان الظلام الدامس يتقدم عبر طريق السحرة كضفدع أسود عملاق.

شعرت مارشا بالفزع عندما رأت طابورًا من الأشياء -فرسان المنطقة المظلمة- يصاحبون الضباب الذي أخذ ينتشر دون توقف. انتشرت الأشياء عبر طريق السحرة كفريق بحث مرعب يمشط المنطقة والضباب المظلم يندفع من ورائهم. حدقت مارشا في المنظر المرعب وهي مصدومة، ولا تستطيع أن تهرب من الكارثة المتحققة أمامها.

حاول مارسيلوس أن يبعد مارشا عن المكان، وقال لها: «مارشا، يجب أن تذهبي إلى برج السحرة فورًا».

نظر ميرين إلى مارسيلوس والشرر يتطاير من عينيه، وكلما اقتربت المنطقة المظلمة كان يشعر بأنه أكثر قوة، وكان الخاتم ذو الوجهين يزداد سخونة على إبهامه، والوجهان الأخضران الشريران يزدادان لمعانًا. غمز الوجه الأعلى لميرين الذي اكتشف فجأة أنه يمكنه أن يتغلب على مارشا، بل ويتغلب عليهم جميعًا؛ فهو الذي في يده زمام الأمور الآن، لقد كان هو الأفضل.

في البداية كسر ميرين تعويذة الصمت بأسوأ سُبة سُمِعَت في القلعة، ثم كسر القيد.

لف ميرين نفسه بقوة، وحرر نفسه من قبضة مارسيلوس، وسدد ركلة قوية إلى ساقي الكيميائي. وبينما أخذ مارسيلوس يتقافز وهو يشهق من فرط الألم، رفع ميرين ذراعيه في الهواء، وبحركة عنيفة أبعد رسغيه عن بعضهما ليقطع القيد بسهولة، وكأنه منديل ورقي.

انطلق ميرين، مشيرًا بإبهامه الأيسر في وجه مارشا، وهو يضحك احتفالًا بانتصاره عليها، بينما تراجعت مارشا بشكل تلقائي في ذهول. كانت الوجوه الشريرة المحفورة على الخاتم تحدق فيها بغضب شديد وبشرتهم الزمردية اللون تلمع بشدة.

علمت مارشا أنه لابد أن هناك سببًا واحدًا في طفرة القوة التي أصابت ميرين؛ فلا شك أنه هو المتسبب فيما يحدث الآن من وجود وانتشار المنطقة المظلمة. كانت مارشا حتى هـذه اللحظة لا تصدق أن ميرين قادر على فعل كل هذا، ولكن عندما رأته يبتعد وهو يتقافز ضاربًا الهواء بقبضته ـ وخاتمه ذو الوجهين يلمع ـ أدركت مدى قوة السيطرة التي يملكها ميرين الآن. كم كانت مرعبة هذه الفكرة!

صاحت مارشا فيه: «أيها الأحمق! أنت لا تدرك خطورة ما تعبث به».

ضحك ميرين قائلًا: «وأنت أيضًا لا تدركين ذلك يا وجه الساحرة. هيا عودي سريعًا إلى برجك الصغير اللامع، وخذي مخ السمكة هذا معك.

فأنا لا أحتاج له بعد الآن. إلى اللقاء! ها ها ها!» لم يستطع ميرين أن يسيطر على انفعالاته؛ فلأول مرة كان لديه مثل هذا الجمهور المنتبه المذهول. كان أمرًا رائعًا بحق، كان هذا ما تمناه طوال حياته.

وصاح قائلًا لمارشا وهو يشير بأصابعه إشارات مستفزة: «أتدرين ما رأيي في سحرك؟ إنه تافه، ولا جدوى منه!» راح ميرين يتقافز، ويتراقص، ووجهه الشاحب قد أضاءه المشعلان اللذان كانا لا يزالان مشتعلين، ونوافذ العرض التي كانت تتلألأ بها الشموع، وتعكس ضوءها على الشوارع الخاوية. وصاح قائلًا: «تعالي وأمسكيني إن جرؤت على ذلك!».

كانت لمارشا هذه الجرأة، لكن كان هذا سيحط من شأنها، لكنها لم تعبأ بذلك. ففي داخل معدة ميرين الكريهة كان يشخشخ نصف الشفرة المقترنة الثمين، ولم تكن لتفوت فرصتها الأخيرة في هزيمة ميرين، وانطلقت عبر الطريق السحري تركض خلف ميرين. راح ميرين يركض ويضحك وعباءة الكاتب تطير خلفه، وكان يمد ذراعيه إلى جانبيه، وكأنه طائر مجنون يطير نحو سربه.

ركض مارسيلوس خلف مارشا، وكان قد مر وقت طويل على آخر مرة ركض فيها، بالإضافة إلى أن حذاءه لم يكن مثاليًا لهذه المهمة، وخاصة بعد مواجهته مع باب دار المخطوطات، لكنَّ حذاء مارشا الأرجواني المصنوع من جلد الثعبان كان أقل ملاءمة للجري، لذا سرعان ما تمكن من اللحاق بها.

نادى بأنفاس لاهثة: «مارشا... قفي».

أزاحت مارشا يد مارسيلوس من على ذراعها، وقالت له: «هيا بنا».

وقف مارسيلوس ثابتًا وقال: «لا يا مارشا، ألا ترين؟ كلما اقتربت من هذا..» وأشار بيده نحو المنطقة المظلمة الآخذة في الانتشار وفرسانها «...ازدادت القوة التي تمنحها له وتسلبها منك. ابتعدي قبل أن يحدث شيء مريع».

قالت مارشا بحدة وهي تستعد للانطلاق مرة أخرى: «لقد حدث شيء مريع بالفعل».

حاول مارسيلوس اللحاق بها بصعوبة: «لكن يمكن أن يصبح الأمر أسوأ... فلا يزال لديك برج السحرة... لا تخاطري بكل شيء من أجل كاتب حقير».

توقفت مارشا وقالت: «أنت لا تفهم، فلديه الشفرة المقترنة!».

بدا مارسيلوس مصدومًا، لكنه سرعان ما تمالك نفسه، وقال: «اتركي الشفرة المقترنة تواجه مصيرها، يجب أن تعودي إلى برج السحرة». وقال بصوت مرتعش: «يجب ألا تفقدي هذا أيضًا».

انفجرت مارشا غاضبة، وقالت: «لن أخسر أيًّا منهما، فقط راقبني».

كان مارسيلوس ومارشا قد قطعا الآن أكثر من نصف الطريق في طريق السحرة، وأصبح حائط الظلام يبعد عنهما بما لا يزيد على مائة ياردة وبدأ يتقدم نحوهما رويدًا رويدًا.

وعند قاعدة الضباب امتد طابور من الأشياء الذين يتحركون ويندمجون مع الظلام، ويتقدمون ببطء رويدًا رويدًا، جاذبين المنطقة المظلمة معهم.

كان ميرين يتجه نحو الضباب بعصبية وهو يدور حول نفسه؛ ليتأكد من أن مارشا ومارسيلوس لا يزالان يراقبانه. ظل يشير لهم بإشارات وقحة، ويصيح بكلمات بذيئة، وهو يقترب من المنطقة المظلمة أكثر وأكثر.

كانت مارشا تركز تركيزًا شديدًا مع ميرين محاولة قياس المسافة. ثم تمتمت بكلمات تعويذة التجميد السريع، ثم رفعت ذراعها، وانطلق منها شعاع أزرق بلون الثلج مخترقًا الهواء ليهبط محدثًا ضوءًا أبيض براقًا تمامًا في منتصف ظهر ميرين الذي تعثر للأمام وهو يصرخ صرخة عالية.

تمتم مارسيلوس قائلًا: «ضربة موفقة».

قطبت مارشا جبينها، فلأول مرة تمارس السحر على شخص يعطيها ظهره. كان هذا يعتبر أحط أنواع السحر، لكن لم يكن هذا وقت مراعاة هذه القواعد. كانت قد منعت نفسها من تجميد ميرين؛ لأنها كانت تنوي أن تذهب به إلى برج السحرة، وهناك تتعامل معه. فقد كان تجميد الأجسام أمرًا خطيرًا، ولا يجوز أن يؤخذ باستخفاف، ولكن الآن، حيث أصبحت حياة كل من بالقصر في خطر، لم تعد سلامة ميرين تعني الكثير.

التفت ميرين وقد أحاطت به طبقة رقيقة من الجليد باللونين الأبيض والأزرق. كان يرتعش وكأنه قد انحبس في بلورة من الجليد... إلا أنه لم يتجمد. أخذ ميرين يحدق في مارشا لبضع ثوانٍ، وكأن عقله صار يعمل أبطأ، وكأنه يحاول أن يفهم ما حدث له. أخذت مارشا هي كذلك تحدق به وهي تنتظر نتيجة السحر بنفاد صبر. كان ميرين يلمع وهو محبوس في جليد التعويذة وسط ضباب الظلام، لكن بدأ هذا اللمعان في الخفوت رويدًا رويدًا. شعرت مارشا بالفزع عندما رأت لمعان الجليد يخفت، ورأت ميرين ينفض عنه تعويذة التجمد ككلب ينفض عن جسمه الماء.

لقد فشل سحر مارشا، وفي هذه اللحظة أدركت مارشا بالفعل حقيقة ما كانت تواجهه.

اقترب منها مارسيلوس ووقف بجوارها، وقال بهدوء: «يجب أن ترحلي الآن».

قالت مارشا: «أعرف». لكنها لم تتحرك خطوة واحدة.

شعر ميرين بسعادة غامرة؛ فلقد تمكن من هزيمة الساحرة العظمى. وفي غمرة سعادته، التفت نحو الأشياء وصاح: «أمسكوا بها!».

رأى مارسيلوس ثلاثة أشياء يخطون للأمام، وكأنهم شيء واحد، ثم رآهم وهم يخطون خطوة أخرى، ولم ينتظر لكي يرى

المزيد. فسرعان ما أمسك بيد مارشا، وراح يركض عبر طريق السحرة جارًّا إياها وراءه، وهو لا يجرؤ على الالتفات خلفه.

وصل كلاهما إلى دار المخطوطات، وهما لاهثا الأنفاس، حيث كانت چيلي دچين تنتظر بصبر محدقة في الفراغ.

استعادت مارشا حواسها، والتفتت لترى إلى أي مدى تقدمت الأشياء. وشعرت براحة جمة، عندما وجدت أنهم تقريبًا لم يتحركوا من مكانهم؛ فالمنطقة المظلمة كانت تأخذ كمًّا كبيرًا من الطاقة، وكانت الأشياء بطيئة وثقيلة الوزن. كانت مارشا تعلم أن هذا سيعطلهم لبعض الوقت فقط، ولذا قامت بإقامة حاجز طارئ عبر طريق السحرة. ثم انطلقت بعد ذلك مع مارسيلوس ورئيسة كتبة النصوص الهرمسية ـ التي أخذت تسير بينهما وهي نائمة ـ نحو برج السحرة.

وعند القوس العظيم، قابلوا هيلدا جارد التي كانت تقف هناك في انتظار قدوم مارشا والقلق يكاد يفتك بها.

«سيدة مارشا، حمدًا لله على وصولك!».

لم ترد مارشا أن تضيع الوقت وسألتها: «هل عاد سبتيموس؟».

قالت هيلدا جارد وقد بدا على صوتها القلق: «لا، لقد ظننا أنه معك».

قالت مارشا: «هذا ما كنت أخشاه». ثم التفتت إلى مارسيلوس، ووضعت يدها على ذراعه، وقالت: «مارسيلوس أرجوك، ابحث عن سبتيموس من أجلي وحافظ على سلامته».

قال: «بالطبع يا مارشا فقد جئت إلى دار المخطوطات لهذا السبب. ولن أتوقف عن البحث عنه حتى أجده... أعدك بذلك».

ابتسمت مارشا لمارسيلوس ابتسامة مجهدة، وقالت: «أشكرك. أنت تعلم أنني أثق بك، أليس كذلك؟».

قال مارسيلوس: «في الحقيقة لم أتخيل أنني سأسمع هذه الكلمات منك في يوم من الأيام. يبدو أن الوضع سيئ بحق».

قالت مارشا: «هذا صحيح، الوضع سيئ حقًّا. اسمع يا مارسيلوس، إذا... إذا حدث أي شيء، فإنيَ أمنحك الوصاية على تلميذي. وداعًا».

وبمجرد أن انتهت من هذه الكلمات استدارت فجأة، وسارت بخطى سريعة نحو الظلال الزرقاء الداكنة للقوس العظيم، بينما كان صدى خطوات حذائها يتردد في المكان وهي تمضي في طريقها.

وقف مارسيلوس للحظة يشاهد شيئًا رآه مرة واحدة فقط من قبل في حياته الأولى في القلعة ككيميائي؛ فقد شاهد الحصن- وهو لوح سميك مصنوع من معدن قديم محفور- ينزل عبر مركز القوس العظيم، ليغلق المدخل الرئيسي المؤدي إلى فناء برج

السحرة. كان هذا -كما يعلم مارسيلوس- هو أول التحصينات العديدة التي ستقام في المكان من أجل إعداد البرج لأقوى وأقدم سحر دفاعي.

وبعد ذلك، جاءت بدايات درع الأمان الحي، والذي يتكون من أربعة أضلاع (وكان هذا هو أقوى درع أمان ممكن، وكان يُطلق عليه حي؛ لأنه يستلزم وجود عدد كبير من الأحياء بداخله؛ ليستخدم طاقتهم ليظل مفعلًا. وكان يمكن أيضًا -في أسوأ الأحوال- أن يعمل منفردًا). وكان درع الأمان أيضًا نادر الحدوث مثل الحصن.

أخذ مارسيلوس يراقبه وهو يرتفع ببطء من الأسوار المحيطة بفناء برج السحرة، كان غشاء أزرق لامعًا يعكس ضوءه الغريب على طريق السحرة.

انسحب مارسيلوس وهو مطمئن على أن البرج سيكون في أمان -على الأقل لفترة ما- تاركًا طريق السحرة ليلاقي مصيره. اختفى الكيميائي العجوز في إحدى الفتحات الضيقة بين البيوت القديمة وعباءته تندمج مع الظلال. سار مارسيلوس مسرعًا عبر ما كان يطلق عليه في زمنه الأخاديد، التي تكونت في القلعة في الأزمنة القديمة عندما بُنيت البيوت التي تقع بين طريق السحرة والخندق. فقد بُنيت هذه البيوت في صورة مربعات سكنية يحتوي كل منها على بيتين أو ثلاثة، وبين كل مربع والآخر مسافات صغيرة

تفصل بينها لحمايتها من انتشار النيران حال نشوب حريق. كانت هذه المسافات أو الفتحات ضيقة للغاية، لم يكن بيرتي بوت ليتمكن من أن ينفذ من خلالها، في حين كان مارسيلوس باي يتحرك عبرها بسرعة وسلاسة كثعبان في ماسورة متجهًا إلى ما ظن أنه فرصته الأخيرة ليجد سبتيموس قبل انتشار الظلام.

30
في بيت التنين



سارت چينا ببطء على المرسى عائدة أدراجها إلى الممر المكسو بالأعشاب على حافة النهر. رأت چينا الضوء الأرجواني اللامع للستار الأمني يضيء السماء، واستنتجت أنه نوع من السحر لعزل القصر... الذي توجد به أمها. دست يديها في أعماق جيوبها، لتلتقي يدها بالمفتاح النحاسي اللامع الذي أعطاها إياه سايلاس. أطلقت چينا تنهيدة، فلم تكن تريد أن تقضي ليلتها وحدها في بيتها القديم.

كانت تتمنى أن تكون مع سبتيموس الآن، ولكن إذا لم يكن سبتيموس موجودًا فيمكنها أن تكون مع تنينه. انطلقت عبر الممر الذي يمتد بمحاذاة النهر سائرة وسط الحشائش الطويلة المغطاة بالثلوج، حتى وصلت في نهايته إلى بوابة عالية مثبت عليها لافتة خشبية خشنة ومحترقة قليلًا مكتوب عليها:

فناء التنين

الدخول على مسئوليتك الشخصية

لا يتم دفع أية تعويضات

لأي ظرف من الظروف، سواء كان ذلك متوقعًا أو غير ذلك.

إمضاء: بيلي بوت «السيد»

حارس التنين بالتعيين

لم تستطع چينا منع ابتسامة ارتسمت على شفتيها. كانت اللافتة موقعة، ولهذا كان هجاء كلمات بيلي صحيحًا على غير المعتاد. فتحت چينا البوابة، ودلفت إلى داخل الفناء. ورأت في الجهة الأخرى منه ظل بيت التنين الطويل المنخفض واضحًا، وفي خلفيته الضوء الأرجواني. سارت چينا نحو بيت التنين بخطوات حذرة، محاولة تفادي الأكوام كريهة الرائحة المنتشرة على الحشائش. فأحيانًا يكون الحديث مع تنين هو الشيء الوحيد المعقول وسط هذا العبث.

لم يعد لافظ اللهب الآن يعامل معاملة المحتل غير المرغوب فيه في فناء برج السحرة، لكنه صار يعامل كسيد ومالك لهذا الفناء، ولهذا كان يترك بيت التنين مفتوحًا طوال الليل. وعندما تساءلت سارة هيب عن هذا الأمر قال لها بيلي بوت وهو غاضب: «إن السيد لافظ اللهب تنين محترم يا سيدة هيب. والتنانين المحترمة لا تحبس بالليل أبدًا. لكن السبب الأدعى -والذي أغفله بيلي- هو أن لافظ اللهب كان قد التهم الأبواب في ليلته الأولى في بيت التنين.

وهكذا، بينما عبرت چينا الفناء بحرص وحذر رأت ظل أنف لافظ اللهب المستوي وقد وضعه على حافة المنحدر المؤدي إلى السقيفة. لفت چينا عباءة الساحرة على جسمها، وجذبت القلنسوة على وجهها، مستمتعة بإحساس اندماجها مع ما يحيط بها. اقتربت من بيت التنين في صمت وهي تخطط لأن تتسلل إلى القش الدافئ، وتنام بجوار لافظ اللهب.

كان بيت التنين مكانًا مظلمًا وكريه الرائحة، وكان مزعجًا أيضًا؛ فالتنانين لا تنام بهدوء، وكذلك كان لافظ اللهب، فقد كان ينخر ويشخر ويشمشم.

وكانت معدته النارية تقعقع، ومعدته العادية تقرقر.

وبين الحين والآخر كان شخير لافظ اللهب المزعج يهز سقف بيت التنين، ويهز الرف الذي يحتفظ فيه بيلي بوت بجواريف كسح فضلات التنين لتصطدم الجواريف ببعضها محدثة صوتًا مزعجًا.

وفي داخل أعماق بيت التنين، كان سبتيموس يستند إلى معدة لافظ اللهب الدافئة، وكان قد اتخذ قرارًا، فقد حان وقت العودة إلى برج السحرة ومواجهة مارشا، كان عليه أن يشرح لها لم فاته أهم حدث سحري في القلعة منذ سنوات طوال. نهض ببطء و... ما هذا الصوت؟ سمع سبتيموس صوتًا يشبه صوت خشخشة فأر في القش... لكن يبدو أنه شيء أكبر من الفأر... أكبر بكثير... يتحرك خلسة... وبإصرار... ويمت بصلة لعالم **الظلام**، وكان يتجه نحوه. تقلصت عضلات سبتيموس وتسمر في مكانه. ولكن الغريب في الأمر أنه قد لاحظ أن لافظ اللهب واصل نومه. دقق النظر في الظلام بقدر ما استطاع. كان صوت الخشخشة يقترب أكثر وأكثر.

وفجأة تعثر شيء في القش، لكن لافظ اللهب ظل نائمًا. تساءل سبتيموس مندهشا لِمَ لَمْ يستيقظ لافظ اللهب؟ فقد كان التنين حساسًا للغاية ناحية أي شخص يدخل بيته. إنه يكره الغرباء؛ فمنذ شهور قليلة كاد أن يلتهم مغامرًا دخل منزله ليتحدى أحدهم.

وفي هذه اللحظة رأى سبتيموس الدخيل وهو يخرج من الظلال، وعرف لِمَ لَمْ يستيقظ لافظ اللهب.

لقد كانت ساحرة، ولابد أنها قد ألقت عليه تعويذة تجعله يغط في سبات عميق. لقد كانت إحدى ساحرات الظلام، فقد كانت عباءتها ذات الأزرار الأمامية والمزينة بالكامل برموز مطرزة،

وتشبه تمامًا تلك التي ترتديها عصبة ساحرات الميناء. جثم سبتيموس في مكانه، وراح يراقب هذا الشخص الذي كان يقترب منه وهو يتحسس طريقه بمحاذاة الأشواك. أخرج سبتيموس من جيبه قطعة نظيفة من خيط الظلام، وانتظر حتى اقتربت منه الساحرة بشدة، حتى كادت تخطو عليه بقدمها. انقض سبتيموس عليها، وألقى الخيط -الذي كان معلقًا به ثقلًا مذهلًا- حول كاحلي الساحرة، ثم جذبه. وقعت الساحرة وهي تصرخ صرخة عالية.

«آااااه! يا إلهي! آي آي آي!».

شهق سبتيموس: «چين».

«سِب؟ يا إلهي! كاحلي! أنقذني يا سِب هناك ثعبان. أبعده عني... أبعده عني! يا إلهي إنه يؤلمني. إنه يحرقني!».

« چين، أنا آسف. يا إلهي. أنا آسف. سأخلصك منه حالًا، فقط لا تتحركي!».

حاولت چينا أن تظل ساكنة قدر المستطاع، بينما كان سبتيموس يفك خيط الظلام بأسرع ما يمكن. وبمجرد أن انتهى راحت چينا تفرك كاحليها بعصبية وهي تتأوه.

« آه... آي... آه».

نهض سبتيموس بسرعة، وقال: «سأعود بعد لحظة واحدة، لا تتحركي».

تمتمت چينا: «وكيف لي أن أتحرك. أشعر أن قدمَيَّ تكادان تنقطعان».

مر سبتيموس وجسده يعتصر بجوار جناحي لافظ اللهب الجلديين المطويين، واختفى وراء رأسه المغطى بالأشواك، ثم ظهر بعد بضع لحظات وأسرع عائدًا إلى چينا.

كانت چينا لا تزال تتمتم وتتأوه بقوة: «آه... آه... آه..».. وظهرت آثار حمراء شديدة الحمرة في المكان الذي لامس فيه الخيط جلدها، وكانت تشعر وكأن قطعة من السلك شديدة السخونة قد قطعت قدمها.

ركع سبتيموس وفرك تلك الخطوط الحمراء بقطعة رطبة ودبقة من القماش بلطف، وسرعان ما اختفت اللسعة، وتنهدت چينا بارتياح.

وقالت: «يا إلهي، شيء مذهل. لقد شفيت اللسعة. ما هذا؟».

«إنه منديلي».

« أنا أعرف أيها الأحمق، ولكن ما هذه المادة الدبقة عليه؟».

حاول سبتيموس أن يتهرب من الإجابة على سؤالها، وقال: «يجب أن تتركي المنديل على اللسعة لمدة أربع وعشرين ساعة، اتفقنا؟».

أومـأت چينـا برأسهـا، وقالت: «حسنًا، ونظرت بقلق إلى كاحليها. لم تعد چينا تشعر بشعور اللسع الدافئ حول الخطوط الحمراء الباهتة. يا لها من مادة رائعة، ما هي؟».

«حسنًا، إنه..».

نظـرت چينـا لسبتيمـوس وهي متشككـة، وقالـت: «سِـب أخـبرني. ما هذا؟».

«إنه لعاب التنين».

«أوه، يا للقرف!».

«إنها مادة قوية المفعول يا چين».

«وهل سأترك لعاب تنين على قدمي لمدة أربع وعشرين ساعة؟!»

هز سبتيموس كتفيه، وقال: «إذا أردتِ أن تضمني عدم عودة آثار الظلام مرة أخرى».

نظرت چينا لسبتيموس وهمست: «آثار الظلام؟ هل كانت هذه اللسعة من آثار الظلام؟ هل تعبث بأغراض الظلام يا سِب؟».

قال سبتيموس: «كنت سأسألك نفس السؤال».

«ماذا؟».

«ربما تظنين أن هذا زي تنكري لطيف يشبه عباءات الساحرات، لكنه ليس زيًّا تنكريًّا، إنها عباءة حقيقية».

قالت چينا بهدوء: «أنا أعلم».

«تعلمين؟».

أومأت چينا برأسها.

«لكنني كنت أظن أنه لا يمكن لأي أحد أن يرتدي عباءة إحدى ساحرات الظلام إلا إذ...».

نظر سبتيموس إلى چينا التي بادلته النظرات وقال: «چين أنت لست...؟».

قالت چينا مدافعة عن نفسها: «أنا مجرد مبتدئة».

قال: «مجرد مبتدئة؟ أنت يا چين، أنا... أنا».. لم يدر سبتيموس ماذا يقول.

قالت: «سِب لقد حدث شيء ما».

قال: «ماذا حدث؟».

قالت وهي تحاول كتم دموعها: «كان شيئًا فظيعًا. أمي..».

جلس كلاهما على كومة من القش في الجهة الخلفية من بيت التنين، وروت چينا لسبتيموس كل شيء، بداية من ميرين والمنطقة المظلمة وما حدث لسارة. والآن وأخيرًا فهم سبتيموس ما كان يجري منذ أن ترك مارشا بعد ظهيرة هذا اليوم.

وصلت چينا إلى نهاية قصتها والتزمت الصمت. لم ينبس سبتيموس ببنت شفة وشعر كأن العالم من حوله يتهاوى.

وأخيرًا تمتم قائلًا: «يا لها من أحداث أليمة يا چين».

قالت چينا: «كم أكره أعياد الميلاد. فعادة ما تحدث بها أحداث غير سارة وتسود الفوضى كل شيء. إنها مريعة».

ساد الصمت لبرهة، ثم قال سبتيموس: «چين أنا آسف. أنا جد آسف».

نظرت چينا إلى سبتيموس الذي أضاء وجهه بالنور الأصفر الهادئ الذي يشع من حلقة التنين.

لم تره چينا من قبل بهذا البؤس والتعاسة حتى عندما كان جنديًّا صغيرًا مذعورًا، وقالت له بلطف: «هون عليك يا سِب، لم يكن خطأك..».

قال: «لا، إنه خطئي. فلو كنت ساعدتك عندما طلبت مني ذلك، ولو كنت سمعت ما أخبرتني به باهتمام. لكنني كنت منشغلًا... بكل أموري. والآن انظري إلى ما نحن فيه!».

أحاطت چينا كتفي سبتيموس بذراعها، وقالت له: «هون عليك يا سِب. فكلنا نتحمل جزءًا من المسئولية. فلو كنت قد اعتنيت بالقصر جيدًا، ولو كنت فتشته مبكرًا منذ أن ارتبت في وجود ميرين، ولو كان أبي فعل شيئًا عندما طلبت منه ذلك، ولو كنت قد ذهبت لمارشا مبكرًا بدلًا من سؤال بيتل، ولو كانت مارشا قد شرحت الأمر لأمي كما ينبغي. لو... لو... لو هناك المئات منها».

«أشكرك يا چين، كم أنا سعيد بوجودك!».

«وأنا أيضًا».

جلسا معًا بهدوء لا يقطعه سوى صوت أنفاس لافظ اللهب النائم. وكانا على وشك النوم هما أيضًا عندما سمعا صوتًا جعلهما يرتعدان من الخوف. فقد سمعا صوت خربشة من خارج بيت التنين، وكأن شخصًا يخربش الطوب بأظافره.

همست چينا: «ما هذا؟».

شعر سبتيموس بعضلات لافظ اللهب تتقلص فجأة، فقد استيقظ التنين. «سأذهب لأستطلع الأمر».

قالت چينا: «لا، لن تذهب بمفردك».

كان صوت الخربشة يتجه نحو الجهة الأمامية لبيت التنين. أصدر التنين صوتًا تحذيريًّا. توقف صوت الخربشة للحظات، ثم عاد مرة أخرى. شعر سبتيموس بچينا تجذبه من ذراعه وتحرك شفتيها دون أن تصدر صوتًا، وكأنها تقول: «استخدم هذه» وأشارت إلى عباءة الساحرة.

أومأ سبتيموس برأسه، فيبدو أن عباءة الساحرة سيكون لها فائدة بالرغم من كل شيء. اختبأ كلاهما أسفل العباءة ليخفيا طبيعتهما الآدمية، وتسللا وجسدهما يعتصر بين لافظ اللهب وجدار بيت التنين. وفجأة قام لافظ اللهب بحركة فجائية كادت أن تسحقهما في الجدار، فقد ترك رأسه راقدًا على الأرض ورفع فخديه الخلفيين لتخترق الأشواك على ظهره العوارض الخشبية لبيت التنين، ثم أخذ يصدر أصوات شخير غريبة ومعدته النارية تقرقر.

نظر سبتيموس نحو چينا، فقد كان هناك شيء غير طبيعي. دارا ببطء حول جناحي لافظ اللهب، ثم توقفا فجأة. فقد رأيا في الضوء الأرجواني للستار الأمني ثلاثة أشباح سوداء، أو بالأحرى ثلاثة **أشياء**.

أمسك واحد من **الأشياء** بالشوكة الحساسة التي توجد على أنف لافظ اللهب، وأخذ يدفع رأسه لأسفل في القش. أصدر لافظ اللهب نفس الشخير مرة أخرى، محاولًا سحب ما يكفي من الهواء، ليخرج نارًا من جوفه. ولكن الشيء كان يدفع رأسه لأسفل فلم تعمل معدته النارية. فلكي يصنع التنين نارًا عليه أن يملأ رئتيه بالهواء، ويرفع رأسه عاليًا. وكان الشيئان الآخران يحيطان برأس التنين من الجانبين. ثم لمع شيء معدني -بدا أرجوانيًا في ضوء **الستار الأمني**- أمام أعينهم. فقد كانت **الأشياء** تحمل سكاكين طويلة وحادة.

كانت چينا قد رأت السكاكين هي الأخرى. وأشارت لسبتيموس إشارة معناها: سأتولى أمر واحد وأنت الآخر. لم يدرك سبتيموس أن چينا لا تحمل أي سلاح سوى عنصر المفاجأة إلا بعد أن انطلقت كالصاروخ هي وعباءتها نحو أحد **الشيئين**. لكنه لم يتردد، وبينما دفعت چينا أحد الشيئين وأسقطته على الأرض وجثمت فوقه وخنقته بأربطة عباءتها، قفز سبتيموس فوق رقبة لافظ اللهب، وألقى بنفسه على الشيء الآخر. لم يدرك **الشيء** ما

يحدث له حتى أسقطه سلك ساخن التف حول عنقه، وأصابته تعويذة تجميد سريعة.

ارتبك الشيء الثالث الذي كان يمسك بشوكة أنف لافظ اللهب، ووقف محدقًا في ذهول.

وكان هذا الشيء هو آخر الأشياء التي صنعها ميرين، وكان يتصف بصفات سيئة أقل من الصفات السيئة التي يتصف بها باقي الأشياء. وقد بقي على قيد الحياة بتقليده باقي الأشياء، وكونه تابعًا لهم فكان يرتبك ويتردد عندما يكون وحده، وهذا ما حدث له الآن.

عمت الفوضى الثواني القليلة التالية. شعر لافظ اللهب بأن قبضة الشيء عليه قد خفت قليلًا، وبحركة عنيفة سريعة رفع رأسه عاليًا ليطير الشيء ككومة من الثياب الرثة ألقتها امرأة غاضبة تغسل الملابس. طار الشيء عاليًا في الهواء ومر عبر فروع شجرة التنوب بالأعلى مصطدمًا بها، واختفى فوق الشجيرات العالية التي كانت تفصل فناء التنين عن أراضي القصر. وبينما طار في الهواء اصطدم بحقل الطاقة الأرجواني للستار الأمني- الذي كان لايزال يعمل جيدًا، فيما عدا نقطة الاندماج- ثم ارتد في الاتجاه العكسي صوب النهر.

وبعد بضع ثوانٍ سُمِعَ صوت طرطشة خافتة في النهر، لكنها جعلت سبتيموس وچينا يشعران بالراحة.

ابتسم سبتيموس وچينا لبعضهما بحذر؛ فقد تخلصا من ثلاثة بالفعل، لكن ترى كم تبقى منهم؟

كان الشيء الذي أسقطه سبتيموس يرقد بلا حراك وسط القش، ومعه خيط طويل من خيوط الظلام يكاد يختفي بين ثنايا عنقه.

أما الآخر فكانت عباءة چينا لاتزال ملتفة حول رأسه، لكنها لم تكن تريد لهذا الوضع أن يستمر طويلًا.

همست چينا: «سِب لقد علقت، إذا نهضت فسينهض هذا الشيء أيضًا».

قال: «فقط اتركي عباءتك فوقه، فعلى أي حال هذه عباءة تنتمي لعالم الظلام، ولا يجب أن تعبثي بها. فقط اتركيها هناك وستستمر في خنقه بنفسها».

لم تقتنع چينا بما قاله سبتيموس، وقالت: «لا، لن أترك عباءتي. لا يمكن».

نظر سبتيموس حوله بعصبية وقلق وهو يتساءل إن كان هناك مزيد من الأشياء. لم يكن يريد أن يجادل چينا الآن، لكن كان لديه كلام يجب أن يقوله لها.

همس سبتيموس: «چين يبدو أنك لا تفهمين. عباءتك هذه عباءة إحدى ساحرات الظلام. ولا يجب أن تعبثي بها».

«أنا لا أعبث بأي شيء».

«أنت تعبثين بالعباءة، اتركيها هنا».

«لا».

قال سبتيموس معترضًا: «چين، العباءة هي التي تتكلم ولست أنت. اتركيها».

نظرت چينا لسبتيموس نظرة أميرة، وقالت له: «اسمع يا سبتيموس. أنا من أتكلم، وليست كومة الصوف هذه.

هذه العباءة مسئوليتي، وعندما أريد التخلص منها سأقوم بذلك بطريقة مناسبة، بحيث لا تقع في يد أي شخص آخر. ولكن في الوقت الحالي أريد أن أحتفظ بها. أنسيت أن لديك كل أغراض السحر هذه لتحميك. أنت تستطيع حماية نفسك من الظلام، بعكسي. هذه العباءة هي كل ما أملك، ولن أتركها هنا على هذا الشيء المقرف!».

كان سبتيموس يعرف متى يستسلم فقال: «حسنًا يا چين، يمكنك أن تأخذي عباءتك، سأجمد هذا أيضًا».

تمتم سبتيموس بتعويذة سريعة للتجميد بشكل احترافي، ثم قال لچينا: «يمكنك الآن أن تأخذي عباءتك... إذا أردت».

قالت چينا وهي تنزع العباءة عن الشيء: «بالطبع أريد». ارتدت چينا العباءة وسبتيموس ينظر إليها في ذهول.

قرر سبتيموس أن يترك خيطه مدفونًا بين ثنايا عنق الشيء الآخر. كانت هناك أشياء لا يحب أن يقوم بها ومن بينها أن يمد يده داخل ثنايا عنق أحد الأشياء. فقد كانت رائحة **الأشياء** كريهة عفنة

كرائحة فأر ميت، وكان القرب منها يثير الاشمئزاز حقًّا. وعندما كان يلمسهم إنسان كان جلدهم اللزج يتقشر ويلتصق به كالصمغ.

راح لافظ اللهب يراقب قائده وهو يشل حركة مهاجميه بحنكة ومهارة.

كانت هناك فكرة سائدة أن التنانين لا تحفظ الجميل، لكن هذا لم يكن صحيحًا، كل ما بالأمر أنهم لا يظهرون عرفانهم بالجميل بالطريقة التي يعرفها البشر. سار لافظ اللهب طائعًا خارجًا من بيت التنين. وكان يتفادى أن يدوس قدم أحدهم بكل حرص، وامتنع عن الشخير في وجه سبتيموس، وكان هذا بالنسبة له هو أقصى حد للعرفان بالجميل.

وقف سبتيموس بجوار لافظ اللهب، وهو يجول ببصره في فناء التنين الذي اكتسى باللون الأرجواني بشكل غريب.

همست چينا وهي تنظر خلفها بعدم ارتياح: «هل تعتقد أن هناك مزيدًا منهم؟».

تمتم سبتيموس: «لا أدري يا چينا، يمكن أن يكونوا في أي مكان... أو كل مكان. من يدري؟».

قالت چينا وهي تشير نحو السماء: «لا، ليس كل مكان. هناك مكان واحد لا يستطيعون أن يذهبوا إليه».

ابتسم سبتيموس وقال: «هيا يا لافظ اللهب. هيا نخرج من هنا».

31
الحصان

كانت عائلة جرينچ بالأعلى في بيت حارس البوابة. وكانوا قد رجعوا إلى المنزل مبكرًا بعد تمشيتهم المعتادة في طريق السحرة في أطول ليلة؛ لأن السيدة جرينچ قد شعرت أن روبرت الذي يتحدث إلى نكو معظم الوقت يتجاهلها، ولذا طلبت العودة إلى المنزل. ولذلك لم يشاهدوا إقامة **الستار الأمني**، وعلى كل حال فمثل هذا الحدث لم يكن يعني لهم الكثير؛ فقد كانت عائلة جرينچ تتعامل مع السحر بشيء من الريبة.

جلست السيدة جرينچ على مقعدها تحل جوربًا من التريكو بحركة سريعة عصبية، بينما راح جرينچ يحملق في

حطب النار الصغيرة المشتعلة التي أوقدوها في أطول ليلة. كانت المدخنة باردة يسدها السخام، وكانت النار ضعيفة، ولا تشتعل جيدًا، وتملأ الحجرة بالدخان.

أما روبرت جرينچ -الذي كان قد أنجز واجبه السنوي بالتمشية مع والديه في طريق السحرة- فقد أخذ يحوم أمام الباب وهو قلق. فقد كانت لديه صديقة جديدة - قبطانة إحدى سفن الميناء- وكان يريد أن يكون هناك في استقبالها عندما تعود سفينتها في وقت متأخر بالليل إلى ساحة بناء السفن.

وبجوار روبرت وقف نكو هيب الذي كان قلقًا مثله تمامًا، ويود الرحيل في أسرع وقت. كان نكو قد جاء بناء على طلب روبرت. قال له روبرت: «لن يعلو الصراخ كثيرًا إذا كان هناك شخص آخر موجود». لكن لم يكن هذا هو السبب الوحيد لحضور نكو. ففي الحقيقة كان يشعر بشيء من الاضطراب. فسنوري ووالدتها كانتا قد أخذتا مركبهما ألفرون في رحلة إلى الميناء. وكانت سنوري قد وعدته قائلة: «سنقوم بجولة صغيرة في البحر يا نكو، وسنعود بعد بضعة أيام». وعندما سأل عن السبب، راوغته سنوري ولم تخبره بحقيقة الأمر. لكن نكو كان يعرف السبب الحقيقي، فقد كانتا تريدان اختبار صلاحية المركب ألفرون للإبحار. وكان يعرف أن والدة سنوري تريد أن تعود سنوري وألفرون معها إلى الوطن، وكان هناك شعور ينتاب نكو بأن هذه هي رغبة سنوري أيضًا.

وعندما فكر نكو بأمر رحيلها–رغم أنه حاول ألا يفكر فيه–راوده إحساس بالحرية رغم أنه كان ممزوجًا بشيء من الحزن.

وبعد حديث لوسي المتحمس عن حفلات الزفاف، شعر نكو بالشوق والحنين للعودة إلى ساحة بناء السفن، وقال في نفسه: على الأقل مع السفن والمراكب تعرف أين أنت.

ابتسمت لوسي لأخيها وهي تحاول أن تزيح الباب. كانت تحس به وتتفهم مشاعره. وكانت سترحل غدًا على السفينة في الصباح الباكر، ولم يكن بإمكانها أن تنتظر.

سألته لوسي السؤال الذي سألته إياه عدة مرات من قبل: «روب، هل حجزت مكانًا للحصان؟».

قال روبرت وقد بدا عليه الغضب: «نعم يا لوس. لقد أخبرتك من قبل أن بالسفينة التي تغادر صباحًا مكانين لمبيت الخيول، وسيحصل رعد على واحد منهما دون شك كما قالت لي ماجي».

قالت الأم وقد انتبهت فجأة وتركت الجورب الذي كانت تحله: «ماجي؟».

قال روبرت بحدة: «نعم، ربانة السفينة يا أمي».

لم يفت السيدة جرينج أن روبرت قد اكتسى وجهه باللون الوردي الذي كان متضاربًا مع لون شعره البرتقالي المصفف لأعلى.

قالت السيدة جرينج وهي تجذب إحدى العقد بإصرار؛ لكي تفكها: «يا لها من مهنة مضحكة بالنسبة لفتاة!».

كان روبرت قد كبر بما فيه الكفاية لكيلا يلتقط الطعم، فتجاهل تعليقات والدته وواصل حواره مع لوسي.

«تعالي إلى ساحة بناء السفن غدًا في الصباح الباكر، حوالي الساعة السادسة. سوف نساعدك... أقصد أساعدك في تحميله على السفينة قبل وصول الركاب».

ابتسمت لوسي لأخيها وقالت: «أشكرك يا روب. وسامحني؛ فقد كنت عصبية ومتوترة بعض الشيء».

قال روبرت: «ومن منا ليس كذلك». ضم روبرت أخته إلى صدره وضمته هي الأخرى. فلم تتح لها فرصة كبيرة للاستمتاع بصحبة أخيها رغم افتقادها له.

وبعد أن رحل روبرت شعرت لوسي أن عيون والديها كانت تراقبها، ولم يكن هذا شعورًا مريحًا. قالت: «سأذهب لأتفقد رعد. أعتقد أنني قد سمعته يصهل منذ برهة».

قالت والدتها: «حسنًا، ولكن لا تتأخري، فسيكون العشاء جاهزًا بعد قليل. من المؤسف أن أخاك لم ينتظر لتناول العشاء، فالعشاء اليوم يخنة».

تمتمت لوسي: «كما توقعت».

«ماذا؟».

«لا شيء يا أمي، سأعود سريعًا».

نزلت لوسي الدرج الخشبي، ثم دفعت الباب القديم المتهالك الذي يؤدي إلى ممر الجسر المتحرك. تنفست لوسي بعمق لتستنشق الهواء البارد النقي، وسارت بخطى سريعة نحو الإسطبل القديم في الناحية الخلفية من بيت حارس البوابة حيث يوجد رعد.

دفعت لوسي باب الإسطبل، ورأت الحصان في ضوء المصباح الذي تركته في النافذة الصغيرة العالية. كان ينظر إليها وبياض عينيه يلمع، ثم أخذ يطأ القش بحوافره، ويهز رأسه المكسو بشعر أسود ثقيل ويطلق صهيلًا مضطربًا.

لم تكن لوسي مهتمة بالخيول، ولكن رعد كان لغزًا بالنسبة لها. فقد كانت مغرمة بهذا الحصان تحديدًا؛ لأن سايمون كان يعشقه، لكنها كانت تحذر منه أيضًا. كانت لوسي تخشى حوافره الكبيرة الثقيلة، ولم تكن تثق فيما يمكن أن يفعل بهم. وكانت تعرف أن سايمون يحرص دائمًا على عدم الوقوف خلف الحصان؛ خشية أن يرفسه.

اقتربت لوسي من الحصان بحرص وحذر، وربتت على أنفه بحذر ورفق شديد. «حصان عجوز أحمق لتقطع كل هذه المسافة لتراني. لابد أن سايمون حزين للغاية على رحيلك. لابد أنه سيسعد كثيرًا برؤيتك. أيها الحصان العجوز الأحمق!».

وفجأة ارتسمت في مخيلتها صورة حية وهي تمتطي الحصان وتنزل به من السفينة، ونظرة سايمون لها وهو مندهش ومنبهر مما

استطاعت عمله. كانت تعرف أن هذا ممكن؛ فقد رأت من قبل فتيانًا مغامرين يركبون خيولهم وينزلون من السفينة بدلًا من سحبها من اللجام. وقالت في نفسها: لابد أن الأمر ليس بهذه الصعوبة. فكل ما عليها أن تعبر راكبة الحصان عبر اللوح الخشبي، ثم يمكن بعد ذلك أن يتولى سايمون الأمر ويعودا راكبين الحصان. سيكون الأمر رائعًا دون شك!

اندمجت لوسي في تخيلاتها، ثم قررت أن تجرب وترى مدى سهولة الركوب على ظهر رعد. وعرفت لوسي الإجابة، فالأمر لم يكن سهلًا على الإطلاق. نظرت لوسي للحصان الذي كان أطول منها، فكان ظهره في نفس مستوى ارتفاع رأسها. ترى كيف يمتطي الناس أحصنتهم؟ قالت لوسي في نفسها: «آه... السروج»، إنهم يضعون سرجًا يتدلى منه شيئان على جانبيه لوضع الأقدام. لكن لوسي بالطبع لم يكن لديها سرج. فجرينچ لم يجد سرجًا زهيد الثمن ليشتريه، واستبدل به بطانية ثقيلة للأحصنة كانت تفضلها لوسي، فقد كانت منقوشة برسوم لنجوم، كما أنها كانت أنسب له في الأيام الباردة.

لكن على أي حال لم يثنها ذلك عن عزمها، فقد عقدت العزم على امتطاء رعد، فأحضرت السلم الخشبي الذي يصل إلى المعلف المليء بالتبن ووضعته بجوار الحصان. ثم صعدت ووقفت بحذر وهي ترتعش على قمته، وتسلقت ظهر الحصان

العريض. كان رد فعل رعد الوحيد هو أنه تحرك حركة طفيفة للغاية، فقد كان حصانًا ثابتًا، وبدا الأمر للوسي وكأنه لم يشعر بها. كانت لوسي محقة، فرعد لا يكاد يشعر بها، فقد كان عقله منشغلًا بشخص آخر وهو سايمون.

سمعت لوسي صوتًا قريبًا من الأرض يقول: «تبًّا!». عرفت لوسي هذا الصوت، وقالت وهي تنظر لأسفل من موقعها المرتفع: «ستانلي! أين أنت؟».

بدا على الصوت شيء من الاستياء، وقال: «هنا. أعتقد أنني قد دست على شيء ما». وظهر فأر بني يتفحص قدمه، وقال متبرمًا: «لا يجب أن يتجول المرء هنا حافي القدمين».

كانت لوسي في غاية الحماس لتلقي الرد من سايمون بهذه السرعة، لكن ستانلي كان منشغلًا بتفحص قدمه وقد بدا على وجهه القرف والاشمئزاز. كانت لوسي تريده أن يتخلص سريعًا من روث الحصان الذي لطخ قدمه لتحصل على رد سايمون على رسالتها.

فقالت له: «هاك، خذ منديلي». وألقت له من فوق رعد منديلًا صغيرًا أرجواني اللون منقطًا بالوردي، ويحيط به إطار من الدانتيل الأخضر نزل محلقًا من أعلى. التقط الفأر قطعة القماش، ونظر له بارتباك، ثم مسح قدمه به.

وقال: «أشكرك» ثم وثب نحو السلم وأخذ يقفز صاعدًا درجاته، وقفز فوق رعد ليهبط أمام لوسي تمامًا، وقدم لها منديلها.

قالت لوسي وهي تلتقطه بحذر بين سبابتها وإبهامها: «مممم، أشكرك يا ستانلي. والآن، أخبرني أرجوك بمحتوى الرسالة».
أمسك ستانلي بشعر رعد الأسود الخشن بإحدى يديه ليحميه من السقوط، ثم وقف وقال بصوته الذي يستخدمه في مهامه الرسمية كساعٍ للبريد:
«لَم يتم استلام أية رسائل. فقد رحل المستلم المذكور».
«رحل، ماذا تقصد؟».
«أقصد أنه لم يكن موجودًا لاستلام الرسالة».
قالت لوسي وقد بدا عليها الاستياء: «حسنًا، ربما كان قد خرج لسبب ما. ألم تنتظر؟ لقد دفعت لك مبلغًا إضافيًّا من أجل ذلك يا ستانلي. أليس كذلك؟».
قال ستانلي وهو غاضب: «لقد انتظرت حسب الاتفاق، ثم -بناء على طلبك- تحملت عناء البحث والسؤال عنه في الجوار، ثم اكتشفت أنه لا جدوى من الانتظار».
سألته لوسي: «ماذا تعني لا جدوى من الانتظار؟».
«لقد أخبرني من كانوا هناك أنه من غير المتوقع أن يعود».
قالت لوسي بحدة: «من تقصد؟ سايمون ليس لديه خدم».
«أقصد الفئران التي تعيش بغرفته».
قالت لوسي وقد شعرت بشيء من الإهانة: «لا توجد أية فئران في غرفة سايمون».

ضحك ستانلي، وقال: «بالطبع هناك فئران في غرفته كما هو الحال مع الجميع. تسكن - أو بالأحرى كانت تسكن- أسفل أرضية غرفته ست عائلات منهم. ولكنهم رحلوا عندما ظهر شيء كريه وأخذه.

لقد التقيت بهم بالصدفة البحتة عندما كانوا يبحثون عن مكان آخر بجوار رصيف الميناء، لكنه ليس بأمر سهل، فكل المساكن الجيدة بالجوار مزدحمة عن آخرها بالفئران، لن تصدقي كم الفئران بها..».

قالت لوسي وهي مذعورة: «**شيء** كريه أخذه؟ ماذا تقصد يا ستانلي؟».

هز الفأر كتفيه، وقال: «لا أدري. انظري، يجب أن أعود للمنزل؛ لأطمئن على صغاري، فقد قضيت اليوم كله بالخارج. لا أدري كيف ستكون حالة المكان الآن..» همَّ ستانلي بالقفز من على ظهر الحصان لكن لوسي أمسكت بذيله. بدا ستانلي مصدومًا، وقال: «ماذا تفعلين؟ ليس هذا من حسن الأدب».

قالت لوسي: «هذا لا يعنيني الآن، لن تذهب من هنا إلا عندما تخبرني بالضبط بما سمعته عن سايمون».

وفجأة فتحت الرياح باب الإسطبل لتنقذ ستانلي من الإجابة على سؤال لوسي.

رفع رعد رأسه، واستنشق الهواء، وراح يطأ الأرض وهو مضطرب، وبدأت لوسي تشعر بشيء من عدم الأمان. بدا رعد وكأنه قد أصابه مس من **السحر**، وبدا مخيفًا بعض الشيء. كان رعد هو حصان سايمون الوفي خلال أكثر اللحظات ظلامًا، وكانت العلاقة بينهما علاقة قوية أبدية، والآن عرف رعد أن سيده على مقربة منه. وأينما كان سيده، كان يجب أن يكون رعد في نفس المكان.

وهكذا انطلق رعد. ألقى برأسه إلى الوراء، وأطلق صهيلًا عاليًا، وانطلق خارجًا من الإسطبل وحوافره تنزلق على الحصى المغطى بالثلوج، وهو يركض في ظلام الليل غير عابئ بلوسي، وكأنها مجرد بعوضة على ظهره، وراح يركض حتى المكان الذي يعرف أن سيده ينتظره فيه.

حطم صوت حوافر رعد سكون الشوارع المهجورة التي تصل بيت حارس البوابة الشمالية بطريق السحرة.. إلى جانب بعض الصرخات التي اخترقت سكون الليل.

«قف! قف. قف أيها الحصان الغبي!».

32

يوم استلام العهد



بعد أن أقلع لافظ اللهب من فناء التنين، قاده سبتيموس إلى خارج القصر، وطار به فوق النهر. ثم انحرفا يمينًا قبل صخرة الغراب المسننة، وطارا فوق الخندق.

انحنى سبتيموس فوق عنق لافظ اللهب العريض القوي، ونظر محدقًا لأسفل نحو القصر على يمينه.

شهق سبتيموس عندما رأى القصر الذي بدا وكأن أحدهم قد أسقط نقطة ضخمة من الحبر عليه وعلى طريق السحرة. ورأى الظلام يمتد وينتشر، ويطفئ مزيدًا من الشموع والمشاعل.

جلست چينا في موقع الملاح في مكانها المعتاد بين كتفي التنين خلف سبتيموس تمامًا.

صاحت چينا ليعلو صوتها على صوت جناحي لافظ اللهب: «المكان شديد الظلام بالأسفل!».

راح سبتيموس يبحث عن أي أثر لستار مارشا الأمني. ظن سبتيموس أنه ربما رأى ضوءًا أرجوانيًّا خافتًا وسط الظلام، لكنه لم يكن متأكدًا. لكن كل ما كان متأكدًا منه هو فشل الستار الأمني.

لكن على الأقل، لاحظ سبتيموس بارتياح أن مارشا كانت على دراية بما يحدث. توقف انتشار الظلام عند السور المحيط بفناء برج السحرة، ورأى من على حدوده الدرع الأمني الحي وقد بدأ يمتد لأعلى عبر سماء الليل، مغلفًا البرج كله بمخروط من الأضواء الأرجوانية والزرقاء، وكان هذا دليلًا بالنسبة لسبتيموس واسع المعرفة على وجود مارشا بالبرج. كان المنظر رائعًا ومبهرًا، وجعله يشعر بالفخر أنه جزء من برج السحرة، ولكنه في الوقت نفسه أشعره بالحزن مرة أخرى، لكونه بعيدًا عما يحدث.

طاروا بمحاذاة الخندق وأسوار القلعة على يمينهم. راحت المنطقة المظلمة تنتشر بسرعة، وأدرك سبتيموس أنه سريعًا لن يكون هناك أي مكان آمن في القصر. كانت بارقة الأمل الوحيدة في برج السحرة الذي أغلقت أبوابه الآن في وجهه هو وچينا. وكان عليهما الاختيار، إما أن يغادرا القلعة ويهربا لمكان آمن، أو أن يجدا مكانًا آمنًا داخل القلعة يمكنهما الاختباء به والعمل على مقاومة المنطقة المظلمة.

نقرت چينا على كتف سبتيموس، وقالت له: «سِب، ماذا نحن فاعلون؟ يجب أن نصل إلى القصر. يجب أن نخرج أمي من هناك!».

كانا الآن قد وصلا إلى الطرف الآخر للخندق. كان الجسر الأحادي الاتجاه على يسارهم، وكانوا يرون أمامهم على الناحية الأخرى من النهر حيث الأنوار المضاءة في كل مكان مبنى حانة الترسة الممتنة المتداعي. فكر سبتيموس في الهبوط هناك -فقد كانت الأضواء مشجعة للغاية، وتعطي شعورًا بالترحيب- لكنه كان يحتاج وقتًا للتفكير. دار سِبتيموس بلافظ اللهب، وبدأ يعود أدراجه في نفس الطريق الذي جاء منه.

راح سبتيموس يطير بلافظ اللهب ببطء وهدوء؛ ليرى إلى أي مدى تنتشر المنطقة المظلمة وكذلك سرعة انتشارها.

طار ثلاثتهم فوق الجسر المتحرك الذي كان مرفوعًا كما هو المعتاد ليلًا. لم يكن الظلام قد وصل إلى هناك بعد، إلا أن شمعة آل جرينچ الوحيدة الضعيفة المشتعلة في نافذة الدور العلوي من بيت حارس البوابة قد جعلت من الصعب التأكد من هذا. لكن كانت هناك علامات أخرى تدل على أن كل شيء ما زال على ما يرام. فقد كان سبتيموس لا يزال يرى طبقة الثلج التي تغطي الطريق وهي تعكس ضوء شموع المنازل التي توجد خلف منزل حارس البوابة. وعندما مال قليلًا ليحصل على رؤية أفضل رأى مستطيلًا من ضوء مصباح آتيًا من باب مفتوح في الجهة الخلفية من بيت حارس البوابة، منعكسًا على الطريق.

طار سبتيموس بلافظ اللهب على ارتفاع منخفض بمحاذاة الخندق. وشعر بالراحة؛ لرؤيته الشموع التي كانت لاتزال مضاءة في نوافذ المنازل خلف أسوار القلعة، مثل المصابيح في ساحة چانيت مارتين لبناء السفن، وعلى السفينة التي وصلت لتوها في وقت متأخر من الليل وكانت ترسو. ولكن ما بعد ذلك كان مظلمًا. فمرفأ دار المخطوطات كان مظلمًا. ولم يكن يعني هذا أنه لم يكن مضاء فحسب، ولكنه كان مظلمًا تمامًا، لدرجة أنه يكاد يكون غير مرئي. وإذا لم يكن سبتيموس متأكدًا من وجوده في هذا المكان لكان قد ظن هذا المكان خاويًا. ولكن بالرغم من ذلك، كانت

المنازل على الجانبين لاتزال مضاءة، الأمر الذي أثار دهشة سبتيموس.

ولكن ما لم يستطع سبتيموس أن يراه هو أن المنطقة المظلمة قد تبعت ميرين حتى دار المخطوطات، وانتشرت في المنطقة كلها، وامتدت حتى الخندق. كان ميرين يخطط لجعل دار المخطوطات مقره المؤقت؛ حتى يتمكن من دخول برج السحرة. لكن كونه مسئولًا عن المكان لم يكن أمرًا ممتعًا كما كان متوقعًا، وخاصة في عدم وجود چيلي دچين التي كان يتفنن في تخويفها. كان المكان قديمًا وخاويًا ومخيفًا، وخاصة في وجود التشميع الهرمسي على الحجرة الهرمسية، فقد كان يشع ضوءًا غريبًا وسط الظلام، وكان يوجد خلفه -دون علم ميرين- بيتل الذي راح يبحث بجنون عن تميمة التعطيل المؤقت، التي كانت تقبع في صندوق القمامة في الفناء بالخارج مع باقي محتويات درج الحصار.

شعر ميرين وكأن الشفرة المقترنة واقفة في حلقه، فصعد إلى غرف چيلي دچين؛ ليحاول أن يبتلعها بتناول بعض من البسكويت الذي تخبئه، ويخطط لخطوته القادمة. أخذ ميرين يحدق من النافذة وفمه محشو بالبسكويت القديم، ثم لمح لافظ اللهب وهو يطير مارًّا بالمكان. قال ميرين في نفسه ساخطًا: ماذا يفعل هناك؟ يا لحماقة هذه الأشياء الغبية. لم يستطيعوا أن يقوموا بمهمة بسيطة كالتخلص من تنين مثير للشفقة. حسنًا، سأريه.. هذا التنين

الأحمق. ونظر ميرين إلى صورته المنعكسة على زجاج النافذة القذرة مبتسمًا: سأصلح الأمر... بطريقة أو بأخرى.

لم يكن ليسمح لأي شيء أن يفسد ما خطط له. وقال ميرين في نفسه: سيكون الأمر ممتعًا.

طار لافظ اللهب ببطء مارًّا بنوافذ العلية الصغيرة التي تحتوي على الشموع ذات الأضواء المتراقصة، حتى وصل إلى المنزلق الثعباني. وأسفلهم إلى يسار المنحدر كان يوجد مرفأ سفن روبرت جرينچ الذي كان لا يزال مضاء بفضل دلوين يحتويان على مشعلين. كانت المنازل على جانبي المنزلق هي الأخرى كما هي لم تمس. وكان يبدو أن كثيرًا منها تتبع عادة مارسيلوس في إشعال أعداد كبيرة من الشموع، فتلألأ المنزلق بأضواء براقة.

كان سبتيموس قد اتخذ قراره؛ فقد كان على ألثر أن ينتظر قليلًا. وكان على سبتيموس أن يستخدم تمويه الظلام لإنقاذ سارة، ثم يمكنه أن يبقى ويحارب الظلام المنتشر. لكنه لم يكن من الممكن أن يخاطر بسلامة چينا. طار بلافظ اللهب عبر الخندق وفوق حدود الغابة؛ ليعطي للتنين مجالًا ليتمكن من الدوران والهبوط على المنزلق الثعباني، حيث قرر سبتيموس أن يهبط.

صرخت چينا: «ماذا تفعل؟».

صاح سبتيموس: «سوف أهبط!».

«هنا؟».

«لا، ليس هنا. على المنزلق الثعباني!».

مالت چينا للأمام، وصرخت في أذن سبتيموس: «لا يا سِب! يجب أن نذهب لنحضر أمي!».

التفت سبتيموس ليواجه چينا: «لن تذهبي يا چين، ستكون مهمة خطرة. سأذهب أنا!».

صاحت چينا ليرتفع صوتها على صوت أجنحة التنين وقالت: «لا يمكن! سآتي معك!».

كان لافظ اللهب يستعد للهبوط على المنزلق الثعباني لكن سبتيموس لم يكن يستطيع التركيز وچينا تصرخ في أذنه، فدار بلافظ اللهب مرة أخرى.

صاح سبتيموس بينما طار لافظ اللهب عائدًا عبر الخندق نحو الغابة: «سآخذك إلى مكان آمن أولًا؛ فنحن لا نعرف ماذا يوجد في القصر الآن!».

«أمي هناك أيها الأحمق!».

صدم سبتيموس؛ فهو لم يسمع چينا تستخدم مثل هذه الألفاظ من قبل. وألقى باللوم على عباءة الساحرات التي ترتديها. دار سبتيموس بلافظ اللهب مرة أخرى، ليستعد مرة أخرى للهبوط على المنزلق الثعباني.

وبدأ لافظ اللهب في محاولته الثانية للهبوط.

صاحت چينا: «سبتيموس هيب أنت لن تلقيني هنا!».

«ولكن يا چين..».

ثم صاحت ملاحة التنين قائلة: «لافظ اللهب... ارتفع لأعلى!».

أطاع لافظ اللهب أوامر ملاحته چينا في غياب أي أوامر من قائده سبتيموس، وبدأ يطير مرتفعًا لأعلى ولكن لم يستمر هذا طويلًا.

فقد أمره قائده قائلًا: «انخفض يا لافظ اللهب» فانخفض لأسفل؛ فقد كان قائده هو المسئول.

صرخت چينا: «ارتفع لأعلى».

ارتفع لافظ اللهب لأعلى.

صاح سبتيموس: «انزل لأسفل!» انصاع تنينه. حاول سبتيموس أن يقنع چينا لمرة أخيرة.

قال لها: «چينا استمعي لي! القصر الآن مكان خطر! وإذا أصابك مكروه فستكون النهاية. لن يكون هناك ملكات في القصر إلى الأبد. يمكننا أن نهبط هنا وآخذك إلى منزل مارسيلوس -حيث توجد غرفة آمنة- أو حتى يمكننا الذهاب إلى منزل العمة زيلدا، لك الاختيار. ولكن يجب أن تكوني في مأمن!».

كانت چينا في قمة الغضب؛ فكم من المرات تم تهميشها! فقط لأنها كان يجب أن تكون في مأمن. مالت چينا للأمام، لتصرخ في سبتيموس، وتخبره أنها لا تعبأ بكونها ملكة. كانت چينا تحمل كتاب قواعد الملكة في جيبها. فمدت يدها وأخرجت الكتاب من

جيبها، وكانت تنوي أن تلقي بالكتاب في الخندق بالأسفل، لكن شيئًا منعها.

كان الكتاب الأحمر في يدها، وأحست فجأة أنه جزء لا يتجزأ منها، وأنها لا تستطيع أن تلقيه، في الواقع كان من المستحيل أن تلقيه.

فقد كان هذا الكتاب الأحمر الصغير المهترئ يحتوي على تاريخها كله. وأيًّا كان رأيها بالكتاب، كان هذا الكتاب يمثلها ويمثل أسرتها، وكانت تعرف وهي تنظر لأسفل نحو القلعة التي أخذ ينتشر بها الظلام، أن هذا هو المكان التي تنتمي إليه. ولم يكن هذا ليتغير تحت أي ظرف.

وهكذا، أدركت چينا وهي جالسة على التنين المحتار المعنى الحقيقي ليوم استلام العهد. فبشكل أو بآخر وبدون أية احتفالات رسمية أو مواكب أو هتافات تم تسلم العهد بالفعل. فهمت چينا حقيقتها وتقبلتها. وأدركت أنه كان اعترافًا بشيء كانت تعرفه منذ فترة لكنها آثرت ألا تلحظه. كان الوقت متأخرًا قليلًا، إذ سمعت أجراس ساعة ساحة التجار تدق مشيرة إلى الساعة العاشرة، لكن كان لا بأس بذلك.

اعتبر سبتيموس أن صمت چينا المفاجئ يعني أنها توقفت عن الحديث معه بقرف واشمئزاز.

صاح: «فلنهبط!».

صاحت چينا: «هيا بنا!».

التفت لها سبتيموس في دهشة وقال صائحًا: «حقًّا؟!».

ابتسمت چينا: «نعم! حقًّا!».

ابتسم سبتيموس لچينا ابتسامة واسعة تنم عن ارتياحه؛ فقد كان يكره الجدال معها، ومرة أخرى واصل لافظ اللهب تقدمه نحو المنزلق الثعباني المحاط بالمنازل على جانبيه. مالت بعض المنازل على بعضها، فلم يكن أي منها يريد أن تهشم نوافذه من قبل ذيل تنين وضع في غير محله. لم يكن الهبوط سهلًا حتى بالنسبة لتنين معتاد على الحدود الضيقة للقلعة. اتجه لافظ اللهب نحو الأسفل وهو يصدر شخيرًا حماسيًّا، فقد كان يعشق التحدي.

هبط التنين هبوطًا مثاليًّا، فقد استقر بخفة في وسط المنزلق، ثم ضم جناحيه ليصدر صوت صرير الجلد القديم وانتابه شعور بالرضا.

انزلق القائد والملاح من مكانيهما على التنين ووقفا على المنزلق المغطى بالبَرَد اللامع.

قال القائد: «لافظ اللهب، ابقَ هنا!».

نظر لافظ اللهب إلى قائده متحيرًا، فلماذا طلب منه قائده أن يبقى في هذا المكان الكريه؟ هل اقترف ذنبًا ما؟ ثم جاءت ملاحته لتنقذه.

وقالت: «لا يمكنك أن تأمر لافظ اللهب بالبقاء يا سِب».

«فقط لبضع دقائق يا چين، سأذهب لأحضر أمي».

قالت الملاحة بإصرار: «لا ياسِب. ماذا لو عادت تلك الأشياء. يجب أن تلغي أمر البقاء. هذا ليس عدلًا».

أطلق سبتيموس تنهيدة. فقد كانت چينا على حق. «حسنًا يا لافظ اللهب سأستبدل أمر البقاء بأمر البقاء آمنًا». ثم ربت على أنف التنين، وقال له: «اتفقنا؟».

أصدر لافظ اللهب شخيرًا، وضرب مياه الخندق بذيله ليندفع عمود من مياه الخندق عاليًا في الهواء. راقب التنين قائده وملاحته وهما يسيران صوب الباب على بعد بضع ياردات على اليسار، حيث يستوي المنزلق. وضع قائد التنين المفتاح في الباب وأداره، ثم اختفيا بالداخل، وانغلق الباب خلفهما.

راح لافظ اللهب يراقب الباب في انتظار خروجهما مرة أخرى، وفي هذه الأثناء مد جناحيه ليكون مستعدًّا للإقلاع سريعًا إذا اقتضى الأمر ذلك. لم يكن لافظ اللهب يحب المنزلق؛ فقد كان ضيقًا ويوجد على جانبيه أماكن كثيرة للاختباء. ولم يكن مرتاحًا أيضًا لما يحدث في القلعة، كان يستطيع أن يشم رائحة الظلام، وكان يعلم أنه يقترب. ثم فجأة، رأى التنين حركة في الظلال. وبدأ أمر البقاء آمنًا الذي أمره به قائده في العمل، وهكذا وبينما تسللت جماعة من الأشياء فوقه وقاموا بتطويقه وهم يحملون السكاكين، رفع لافظ اللهب جناحيه، وبضربة واحدة قوية كان يطير في الهواء.

وبعد لحظة واحدة كان هناك صوت سقوط شيء من أعلى، وكان هذا الشيء هو كتلة ضخمة من فضلات التنين مصوبة بدقة.

لم تحب چينا منزل مارسيلوس كثيرًا، فقد ذكرتها رائحته بعصر مضى منذ خمسمائة عام.

سألت چينا سبتيموس بعدم ارتياح: «هل يجب أن نأتي إلى هنا؟».

قال سبتيموس: «منزل مارسيلوس به غرفة آمنة». ثم نظر حوله، وأردف قائلًا: «حيث يمكن أن تكوني، ممم، آمنة..» كان المدخل الضيق والدرج المؤدي للدور العلوي مضاءين بالشموع، كما كان الحال دائمًا، لكن السكون ساد المكان، فعرف أن المنزل مهجور. شعر سبتيموس بالضياع، وأدرك أنه كان يتمنى صحبة مارسيلوس ونصيحته. ثم قال ببرود: «إنه ليس هنا».

شعرت چينا بالحيرة: «لابد أن يكون هنا، فكل هذه الشموع مشتعلة..».

قال سبتيموس: «دائمًا ما يفعل هذا. لقد أخبرته من قبل أنه يومًا ما سيأتي ليجد منزله محترقًا، لكنه لا يستمع إليَّ».

قالت چينا بقلق: «أنا لا أريد أن أبقى هنا بمفردي، لا أريد حقًّا. المكان مخيف جدًّا..».

قال سبتيموس: «هيا بنا، فلنخرج ونجلس على متن لافظ اللهب حتى يأتي».

قالت چينا بلهجة تحذيرية: «أنا لن أغادر القلعة».

قال: «ولا أنا. سنقوم فقط بالتحليق قليلًا، فسنكون في أمان على متن لافظ اللهب». وفتح الباب وخرج من المنزل.

سمعت چينا شهقة عالية.

سألت: «ما الأمر؟».

«إنه لافظ اللهب، لقد اختفى».

33
لصوص الليل

بينما وقف سبتيموس وچينا وحدهما على المنزلق، وعن يمينهما مياه الخندق المظلمة، والظلام المنتشر في القلعة كلها يحيط بهما، سمعا وقع أقدام متجهة نحوهما.



«بسرعة يا چين، هيا نعود للداخل».

أومأت چينا، فقد كان هذا الصوت فظيعًا، يشبه صوت اقتراب أحد الأشياء.

أخذ سبتيموس يتحسس المفتاح عندما سمع صوتًا ينادي: «أيها التلميذ!».

ظهر شبح مارسيلوس باي من إحدى الفتحات بين المنازل، وقد بدا عليه الاضطراب، وبدت إحدى فردتي حذائه وكأن كلبًا قد قطعها، وأسرع باتجاههما. «حمدًا لله أنكما هنا». وانحنى انحناءة بسيطة لچينا كما كان يفعل دائمًا، ثم نجح في مضايقتها كما يفعل دائمًا: «سمو الأميرة، لم أعرفك في البداية. هل تعرفين أنك ترتدين عباءة ساحرة حقيقية؟».

قالت چينا: «نعم، أعرف. أشكرك. وقبل أن تسأل، فالإجابة لا. لن أخلعها».

فاجأها مارسيلوس بقوله: «وأنا لا أريدك أن تخلعيها؛ فربما يكون لها فائدة. وعلى كل حال فأنت لن تكوني أول أميرة ساحرة في القلعة!».

قالت چينا وهي تشعر بشيء من الاستياء: «أوه، حقًّا؟». فقد كانت چينا تظن أنها أول أميرة ساحرة.

قال سبتيموس بسرعة: «مارسيلوس، يجب أن تبقى چينا في مكان آمن. فكرت في **غرفتك الآمنة**..».

لم يدع مارسيلوس سبتيموس ينهي كلامه، وقاطعه قائلًا: «ليس المكان هنا آمنًا أيها التلميذ. فالآنسة دچين تعلم أن لدي **غرفة آمنة**،

حيث يتم إخبار رئيسة كتبة النصوص الهرمسية بكل الغرف. وأنا أخشى أن تكون قد أفشت أسرارنا».

وهز مارسيلوس رأسه بأسى؛ فقد كان يشعر بالحزن لما آل إليه حال دار المخطوطات. ثم أردف قائلًا: «هناك **أشياء** بالخارج بالفعل، وسرعان ما سيأتون إلى هنا وستحبس الأميرة چينا كالفأر في المصيدة. يجب أن نذهب إلى مكان لا تجدنا فيه **المنطقة المظلمة**».

قال سبتيموس: «لكن **المنطقة المظلمة** تنتشر بسرعة، وسرعان ما ستكون في كل مكان. يجب أن تغادر چينا القلعة».

قالت چينا وهي مستاءة: «اسمع يا سِب، أنا ما زلت هنا بالفعل، ولن أغادر القلعة».

قال مارسيلوس: «أنت على حق يا سمو الأميرة. والآن، أنا أعتقد أن **المنطقة المظلمة** ستجد صعوبة في دخول العشوائيات، وحتى إذا دخلت فهي لن تنتشر بسهولة. لذا فأنا أقترح أن نتجه إلى هناك و... ماذا كان هذا المصطلح المستخدم في جيش الشباب أيها التلميذ؟».

قال سبتيموس: «إعادة تنظيم الصفوف؟».

«أجل، نعيد تنظيم صفوفنا. سيكون المكان المثالي للاختباء بيتًا قديمًا مهجورًا في زقاق نهايته مغلقة، ويجب أن تكون له نافذة تطل على الخارج».

كانت چينا تعرف بالضبط أين تجد هذا المكان. وأخرجت المفتاح الذي أعطاه سايلاس لها منذ قليل.

سألها سبتيموس: «ما هذا؟».

قالت چينا لتغيظه: «إنه مفتاح يا سِب».

«أنا أعرف. ولكن مفتاح ماذا؟».

ابتسمت چينا، وقالت: «مفتاح بيت قديم مهجور في زقاق نهايته مغلقة، وله نافذة تطل على الخارج».

أغلق مارسيلوس باي باب بيته خلفه وهو يتنهد، ونظر لأعلى إلى النوافذ المظلمة، فقد كان سبتيموس قد أصر على إطفاء كل الشموع، وهذا جعله يشعر بالكآبة والحزن.

قال مارسيلوس: «هيا بنا، علينا أن نذهب».

قال سبتيموس: «سأنادي لافظ اللهب، لابد أن شيئًا ما قد أفزعه، لكن لا أعتقد أنه قد ابتعد كثيرًا».

بدا مارسيلوس متخوفًا، فقد كان على ما يرام لأكثر من خمسمائة عام دون أن يجرب الطيران على ظهر تنين. ولم يكن يرغب في تغيير ذلك. لكن سبتيموس بدأ يعوي بالفعل لينادي تنينه. ترددت أصداء نداء سبتيموس بين أرجاء المنزلق الثعباني المكتظ بالمنازل، وجعلت الكيميائي العجوز يرتعد. قال مارسيلوس في نفسه إنه صوت بدائي للغاية، وربما يعود إلى عصور ما قبل الكيمياء.

وقف ثلاثتهم على المنزلق قلقين ينتظرون ظهور التنين، وهم ينظرون إلى الظلال ويتخيلون أشياء تتحرك.

وبعد بضع دقائق همس مارسيلوس: «أنا لا أصدق أن تنينك هذا سيأتي يا سبتيموس».

قال سبتيموس وهو قلق: «شيء غريب، لكنه يجب أن يأتي عندما أناديه».

همست چينا: «ربما لا يستطيع أن يأتي يا سِب».

«توقفي يا چين».

«أنا لا أقصد أنه قد... حسنًا، أنا...» ثم صمتت چينا؛ فقد رأت أنها تزيد الأمر سوءًا.

قال مارسيلوس: «سواء أتى التنين أو لم يأتِ، لا يمكننا الانتظار أكثر من ذلك». ثم أردف: «يمكننا أن نتحرك بحذر لمسافات قصيرة عبر المنطقة المظلمة. فعباءتي لها بعض ال... القدرات. وأنت أيها التلميذ لديك علبة معدنية صغيرة قد تساعدنا أيضًا».. رمقت چينا سبتيموس بنظرة متشككة. وأردف مارسيلوس: «وأنت أيتها الأميرة، ستكونين في أمان، فستحميك عضويتك في...» ثم حدق في النقوش والعلامات التي تكسو العباءة التي ترتديها چينا، وقال: «يا إلهي! أنت لا ترضين بالحلول الوسط، أليس كذلك؟ أنت عضوة في عصبة ساحرات الميناء! يجب أن نذهب الآن، سنسير بمحاذاة أخاديد القلعة».

قالت چينا - التي كانت دائمًا تحب أن تظن أنها تعلم كل شيء عن القصر- متسائلة: «أخاديد القلعة؟ لم أسمع بها من قبل».

قال مارسيلوس وابتسامة مرسومة على شفتيه: «أعتقد أن معظم الأميرات لم يسمعن بها من قبل، لكنك الآن صرت تدينين بالولاء لجهات أخرى، وهذا قد يحدث بعض التغييرات..» وأردف قائلًا: «قد تكون الأخاديد بيئة غير صحية، وعادة لا يسلكها سوى من يريدون الاختباء من شيء ما، غير أنني أعرفها وأعرف مسالكها جيدًا، ويمكننا أن نتسلل بها ليلًا دون أن يلحظنا أحد. وأنا متمرس كثيرًا في هذا الأمر».

لم يدهش هذا چينا. ألقى مارسيلوس عباءته السوداء الطويلة حول جسده وهو يدور حول نفسه بشكل مسرحي دراماتيكي. وقلدته چينا بعباءة الساحرات، ثم جذبت قلنسوة العباءة على رأسها لتغطي تاجها الذهبي. ومقارنة بمرافقيه شعر سبتيموس - بزي التلاميذ الأخضر الذي كان يرتديه - أنه يبدو لافتًا ومثيرًا للريبة. تبع سبتيموس خطاهما وهو يشعر كلص صغير يسير في ظل لصين محترفين.

أسرع مارسيلوس في الدخول في فتحة صغيرة بين البيوت. وكانت هناك لافتة مختبئة قليلًا خلف شجرة لبلاب مكتوب عليها: ممر البوابة الضيقة. ساروا وعباءاتهم تعلق بالطوب الخشن، وشقوا طريقهم في المنطقة المكتظة بالبيوت خلف المنزلق

الثعباني، وهم يمرون بحذر بينها. لم يكن لخطواتهم أي صوت على الإطلاق؛ فقد كانوا يدوسون على أكوام من أوراق الأشجار والطحالب، وبين حين وآخر على جثة أحد الحيوانات الميتة. شعر سبتيموس وكأنه حيوان صغير يجري عبر الجحور، وظل ينظر لأعلى أملًا في رؤية السماء. لكن إظلام القمر والسحب المحملة بالثلوج كانت تحجب السماء تمامًا. ظن لمرة أو اثنتين أنه قد رأى نجمة في السماء، لكن سرعان ما كانت تحجبها مدخنة أو سطح أحد المنازل وهو يدخل أحد المنعطفات. كان الضوء الوحيد الذي يشعره بالراحة هو الضوء الصادر من خاتم التنين وهو يمد يده اليمنى أمامه.

وبينما توغلوا أكثر وأكثر ازدادت الأخاديد ضيقًا لدرجة أنهم كانوا أحيانًا يضطرون إلى المشي بشكل جانبي، وهم يعتصرون أجسامهم ليمروا بين الجدران التي أخذت تضغطهم حتى كادوا أن ينسحقوا بينها. تخيل سبتيموس أنهم سينسحقون بين الجدران كالأعشاب الجافة التي تحتفظ بها سارة هيب بين صفحات كتاب الأعشاب الخاص بها. كان سبتيموس يتوق لمد ذراعيه عن آخرهما دون أن تصطدم يداه بالطوب، ويتوق لأن يركض في أي اتجاه يريد بدلًا من الزحف بين الصخور كالكابوريا. ومع كل خطوة كان يشعر وكأنه يتوغل بعمق في مكان لن يستطيع الخروج منه أبدًا.

حاول سبتيموس أن يصرف عقله عن التفكير في الجدران التي تضغط عليهم بأن يبحث عن شموع مشتعلة في النوافذ، لكنه لم يكد يرى أي نوافذ على الإطلاق. فقد ارتفعت الجدران الحجرية على جانبيه لتحجب أي رؤية، فمن النادر أن تجد أحدًا يصنع نافذة في جدار يطل على جدار آخر لا يفصل بينهما سوى مسافة ذراع واحد. لكنه رأى مرة أو اثنتين ضوء شمعة أعلى منهم بكثير ينعكس على الجدار المقابل، لترتفع روحه المعنوية بعض الشيء.

وأخيرًا، تبعا مارسيلوس في مساحة أوسع قليلًا، ورفع الكيميائي يده محذرًا إياهم. توقف ثلاثتهم، ففي نهاية هذا المكان كانت توجد بداية **الضباب الظلامي** كانوا قد وصلوا إلى حافة **المنطقة المظلمة**.

تبادلت چينا وسبتيموس النظرات القلقة.

قال مارسيلوس: «أيها المتدرب، لقد حان الوقت لتفتح علبتك المعدنية». راقبت چينا سبتيموس باهتمام شديد وهو يخرج العلبة القديمة المنبعجة من جيبه، ويفتح غطاءها. ثم رأته وهو يجذب شيئًا منها، لكن ترى ماذا كان هذا الشيء؟ لم تستطع أن تعرف. تمتم سبتيموس ببعض الكلمات المبهمة التي لم تستطع أن تتبينها، ثم ألقى بيديه لأعلى. شعرت وكأن شيئًا قد طار لأعلى وهبط ببطء واستقر فوقه، لكنها لم تكن متأكدة من ذلك، فشكله لم يتغير على الإطلاق. كان الأمر يشبه التمثيل الصامت الذي كانوا يتدربون

عليه في فصول الدراما على المسرح الصغير في العشوائيات. والذي كانت دائمًا ما تجده چينا محرجًا.

لكن بدت السعادة على وجهي سبتيموس ومارسيلوس، مما أكد لها أن شيئًا ما قد حدث. وبعد ذلك لاحظت چينا تغييرًا، وهو أن الضوء الصادر من خاتم التنين قد خفت قليلًا، وكأن قطعة رقيقة من الشاش تتحرك عبره. وحين نظرت إلى سبتيموس شعرت أن شيئًا به يحيرها. فلقد كان هناك ولكن كأنه ليس هناك. شعرت چينا بشيء من الخوف، وتراجعت للوراء. أحيانًا ما كانت تشعر أنه جزء من أشياء لن تنجح أبدًا في فهمها تمامًا.

كان مارسيلوس يراقب چينا وسبتيموس اللذين قد صار مسئولًا عنهما جيدًا، ورأى أنهما مستعدان أفضل من أي وقت مضى. والآن كان يجب أن يمرا باختبار... فقد حان الوقت للدخول إلى **المنطقة المظلمة**. أشار لهما نحو نهاية الممر، وتوقفوا حيث أخذ الضباب يتحرك أمامهم في حركات دائرية. كان الضباب قد أصبح شديد القرب منهم، حتى إنهم كان يمكنهم أن يمدوا أيديهم ويلمسونه. قال مارسيلوس: «سأذهب أنا أولًا، ثم اتبعاني وسيرا معًا بخطى ثابتة وتنفسا ببطء. حافظا على ذهنكما صافيًا؛ لأن عقلكما قد يغريكما بالانحراف عن طريقنا بأفكار مضللة عن أحبائكما. لا تتفاعلا مع أي شيء، وأهم ما بالأمر ألا تفزعا؛ فالفزع يجذب إليه **الظلام** وأتباعه كالمغناطيس، أتفهمان؟».

أومأ سبتيموس وچينا. لم يكن أي منهما مصدقًا أنهما على وشك اختراق حاجز **الظلام** المتحرك بإرادتهما الحرة. كانت عباءة چينا **وتمويه الظلام** الخاص بسبتيموس تحميهما من الأفكار المضللة التي تجذب الناس نحو **المنطقة المظلمة**. قالت چينا في نفسها: «أمر غريب، فعباءة الساحرة تجعلني أرى حقيقة **المنطقة المظلمة**؛ فهي غطاء مرعب من الشر».

مرة أخرى، تبادلا النظرات، ثم تبعا مارسيلوس معًا إلى داخل الضباب الظلامي.

شعر سبتيموس وكأن **تمويه الظلام** طبقة ثانية من الجلد تكسو جسده. كان يمر بسهولة ويسر عبر الضباب **الظلامي** الكثيف، بينما كان مارسيلوس وچينا يجدان صعوبة شديدة في ذلك؛ فقد كانت عباءة چينا تمنحها حماية أقل، حيث لم تكن تغلف چينا تمامًا كما كان **تمويه الظلام** يغلف سبتيموس وكذلك لم تكن بنفس القوة. أما عباءة مارسيلوس فكانت تمنحه درجة أقل من الحماية. لم يكن مارسيلوس قد تعامل مع **الظلام** كثيرًا من قبل، بالرغم من أنه كان يحب أن يظن الناس ذلك، لكن أي شيء من بقايا **الظلام** كان يوفر حماية لا بأس بها من **الظلام**، لذا تمكنت چينا ومارسيلوس من مواصلة طريقهما، وإن كان بشيء من الصعوبة، كانا يشعران وكأنهما يخوضان في بركة من الصمغ، ويتنفسان من خلال قطعة

من القطن. كانا قد اعتراهما التعب، لكن بفضل إرادتهما الحديدية تمكنا من مواصلة طريقهما.

وبعد بضع دقائق توقفا، وكانا قد وصلا للطريق السحري. نظر مارسيلوس حوله بحذر، نظر يمينًا ويسارًا، ثم يمينًا مرة أخرى . تذكرت چينا سارة عندما كانت تنظر حولها بنفس الطريقة قبل أن تعبر الطريق عندما كانت صغيرة. عرفت چينا بعد ذلك ما كانت سارة تبحث عنه، لكنها الآن لم تكن تعرف ما يبحث عنه مارسيلوس وكيف يرى أي شيء حوله. أشار لهما مارسيلوس أن يتقدما للأمام نحو طريق السحرة.

لم يكن هذا المكان مريحًا، فقد كانت **المنطقة المظلمة** هنا أثقل، وكانت تدور حولهم وكأنها كائن حي. كانوا أحيانًا يشعرون وكأن شيئًا مر بجوارهم واحتك بهم، وشعر مارسيلوس بإصبع أحد **الأشياء** يوخزه، ولكنه استخدم ضده إحدى **لعنات الظلام** فابتعد مسرعًا. سار ثلاثتهم بخطى ثابتة، حتى منتصف طريق السحرة، وركزوا على التنفس ببطء وهدوء، شهيق وزفير، شهيق وزفير، بينما كانوا يقيسون خطواتهم في طريق السحرة المألوف لهم، والذي أصبح الآن غريبًا ومرعبًا.

وبينما واصلوا المسير، بدأ يتسرب إحساس قوي لسبتيموس أن هناك **شيئًا** خلفهم يقترب منهم. كانت حاسة تعلم أن ينميها يومًا بعد يوم طوال فترة تدريبه، وكان يعلم أنها جيدة. تذكر ما قاله

مارسيلوس، وحاول أن يقاوم رغبة قوية في النظر خلفه. لكنه لم يتمكن من التخلص من الإحساس بأن هناك مخلوقًا هائلًا يقترب منهم بسرعة، ويهدد سلامتهم. كان يقترب بسرعة رهيبة، لدرجة أنهم إذا لم يقفزوا بعيدًا عن طريقهم على الفور... دفع سبتيموس چينا ومارسيلوس دفعة قوية -رغم أن هذا لم يكن سهلًا في **المنطقة المظلمة**- وقفز على جانب الطريق.

كان الوقت مناسبًا تمامًا، فبمجرد أن تنحوا جانبًا اندفع حصان ضخم أسود، عيناه واسعتان جامحتان، وشعره يطير وراءه وسط الظلام، وكانت لوسي جرينچ تركبه وتتشبث به وهي تصرخ صرخات مكتومة مرعوبة.

أدى اندفاع رعد إلى صنع ممر مؤقت واضح خالٍ من الظلام.

سرعان ما استعاد مارسيلوس السيطرة على نفسه، ووجه چينا وسبتيموس إلى مسار الحصان، ليتحركا بسرعة عبر النفق الذي اتخذ شكل الحصان والذي صنعه رعد وسط الظلام الدامس. شعر مارسيلوس وچينا بشيء من الارتياح؛ لخروجهما من الظلام ثقيل الوزن حتى وإن لم يدم هذا طويلًا. فسرعان ما بدأ هذا الفراغ في الامتلاء بضباب باهت. وفي نهاية النفق، رأيا رعدًا قد توقف وتناهى إلى سمعهم أصوات صراخ مكتوم.

خاطرت چينا وهمست بصوت متحمس لسبتيموس: «أمي... أسمع صوت أمي».

لم يكن سبتيموس متأكدًا من أن هذا هو صوت سارة، كان يبدو له الصوت أقرب لصوت لوسي جرينچ، وكان هناك صوت أعمق أيضًا. كان نفق رعد ينهار ببطء تحت وطأة خيوط الضباب الظلامي التي تتحرك في الفضاء كدخان صادر من احتراق شيء كريه الرائحة. كانت الأصوات في نهاية النفق قد تلاشت، وتحولت إلى همسات شبحية، ولكن وسط هذه الأصداء البعيدة كانت چينا مقتنعة تمامًا أنها تستطيع أن تسمع صوت سارة. وفجأة انطلقت چينا وراحت تركض، الأمر الذي أثار استنكار مارسيلوس. لم تستطع چينا أن تحتمل صوت أمها والظلام يحجبها عنها مرة أخرى، كان يجب أن تصل إليها هذه المرة.

طارت چينا في الفضاء الممتد لتجبر سبتيموس ومارسيلوس على اتباع عباءتها الطائرة خلفها كجناح أسود ضخم. وصلوا عند مشهد لم يستطع سبتيموس -ناهيك عن مارسيلوس- أن يفهماه على الإطلاق.

في البداية كل ما استطاع سبتيموس أن يراه هو رعد وهو يتحرك ويطأ الأرض بقدميه بعصبية ويحرك رأسه، ويجول بعينيه يمنة ويسرة، ويتصرف كحصان مرعوب يتوق للفرار. وكان هناك رجل يقف ممسكًا بشعره، ويتحدث إليه بصوت خفيض دون تأثير كما بدا لسبتيموس. وعلى الناحية الأخرى من الحصان - ورغم أن جسده الضخم وغطاءه الثقيل المنقوش بالنجوم كانا يخفيان

الجزء الأكبر منها- رأى طرف ثياب لوسي جرينج المطرزة وحذاءها العريض، ثم رأى عباءة چينا وأربع أقدام تظهر من تحتها. ثم حانت من رعد التفاتة مفاجئة فرأى سِبتيموس چينا التي كانت سارة تطوقها بذراعيها، وكانت چينا تلفها بعباءتها، وكأنها لن تتركها أبدًا. وكانت لوسي تتعلق بشخص ما...

شهق سبتيموس: «سايمون!» ثم التفت لمارسيلوس، وقال: «إنه أخي. إنه هو وراء كل ما يحدث. وهذا يفسر خطابه المخيف: احذروا الظلام. لقد فهمت كل شيء الآن».

سمع سايمون كل كلمة، وقال معترضًا: «لا! هذا غير صحيح، أنا لم..».

قال سبتيموس بحدة: «اخرس أيها الضفدع القبيح!».

لم يكن مارسيلوس يفهم ما يجري، لكن كل ما كان يعرفه هو أن **المنطقة المظلمة** لم تكن هي المكان المناسب للمشاجرات العائلية.

قال سايمون وهو تقريبًا يتوسل إليه وفي نفس الوقت يشعر بالغضب من الاتهامات الموجهة إليه مرة أخرى دون أن يكون مسئولًا عنها: «صدقني، ليس لي أي علاقة بالموضوع».

انفجر فيه سبتيموس قائلًا: «أنت كاذب! كيف تجرؤ على المجيء إلى هنا و..».

قال مارسيلوس بحدة: «اصمت أيها التلميذ!».

صدم سبتيموس ولم يكمل كلامه عندما سمع مارسيلوس يتحدث إليه بهذه الطريقة، فدائمًا ما كان مارسيلوس شديد الأدب والتهذيب.

استغل مارسيلوس هذا الصمت، وقال بلهجة آمرة: «إذا كنتم تودون الحفاظ على حياتكم فيجب عليكم جميعًا أن تفعلوا ما أقوله لكم، وفورًا».

جعلت خطورة الموقف الجميع ينصاعون له بمن فيهم سايمون الذي أومأ برأسه.

قال مارسيلوس: «عظيم. چينا أنت تعرفين وجهتك، لذا ستقودين أنت المسيرة مع الحصان؛ لتصفية الأجواء قليلًا».. كاد سايمون أن يعترض، لكن مارسيلوس قاطعه قائلًا: «إذا أردت أن تنقذ حياتك فعليك أن تفعل ما أمليه عليك. اسمع يا سبتيموس، إن والدتك ضعيفة للغاية، ستجد أن تمويه الظلام الذي تحمله يمكن أن يمتد ليكفي شخصين. سيحميها من أسوأ ما بالظلام.

وأنا سأتبعكم مع الآنسة وسايمون هيب.. كما أظنه، أليس كذلك؟». أومأ سايمون. «سنتحرك بهذا التشكيل، واحد، اثنان، ثلاثة. فإنه أفضل طريقة للتحرك عبر هذه اللزوجة المسيطرة على المكان. سنسير في هدوء كشخص واحد. لا يجب أن يكون هناك أي معارضة من أي شخص. هل هذا مفهوم؟».

أومأ الجميع.

وهكذا انطلق الجميع كسرب من إوز الشتاء بهذا التشكيل المثلث. كانت چينا ورعد في المقدمة، ثم يتبعهما سبتيموس وسارة اللذين كانا يتشاركان **تمويه الظلام**، ثم مارسيلوس الذي ألقى عباءته على سايمون من جانب ولوسي من الجانب الآخر.

وبينما انطلق الجميع، كانت چينا تتمتم بوجهتهم بصوت هامس. لم تدرك چينا سبب ما تفعله، ولكن بمجرد أن فعلت ذلك شعرت أنها ستجد الطريق إلى هناك. تحركت چينا بسرعة خارجة من طريق السحرة متجهة إلى الأزقة التي ستأخذها إلى أقرب مدخل «للعشوائيات».

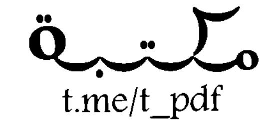
وبينما كانت تسير في أعماق ضباب الظلام، شعرت چينا أن الصمت والهدوء يناسبها تمامًا، ويساعدها على التركيز. وكانت عباءة الساحرة تمنحها إحساسًا بالأمان وسط الأخطار المحيطة بهم. كانت چينا تتحرك بسهولة وسط الظلام، وعندما نظرت حولها، لتتأكد من أن الجميع ما زالوا يتبعونها، رأت أنها أصبحت مثل رعد تزيل ضباب الظلام من الطريق الذي تسير به، وتفتح الطريق لمن يتبعونها.

وراحت تفكر مرة أخرى، وتتساءل عن قدرات هذه العباءة.

لم يكن هناك أحد في القلعة يسير وسط ضباب الظلام في هذه الليلة العصيبة يشعر بمثل الارتياح الذي كانت تشعر به چينا، فقد كانت سعادتها بسبب أنها وجدت سارة سالمة لا تضاهى، لدرجة

أنها لم تكد تعبأ **بالمنطقة المظلمة**، ولا بظهور سايمون المفاجئ المريب. فكان كل ما يهمها هو أنها قد استعادت والدتها.

وكان كل طريق تعلمته من أجل الحصول على شهادة ما وراء أسوار العشوائيات خلال كل السنوات الماضية يؤدي إلى المكان الذي تتجه إليه الآن: ألا وهو الباب الأحمر الكبير، **زقاق الذهاب والعودة**.



34
الباب الأحمر الكبير

توقفت المنطقة المظلمة عند العشوائيات. كانت قد بدأت في الخفوت تدريجيًّا، ففي البداية كانوا يسمعون صوت حوافر رعد مكتومًا وبعيدًا، ولكن مع كل خطوة أخذ الصوت يعلو ويعلو، وبدأت الظلال الضبابية المشوشة في تكوين أشكال واضحة. سمعت لوسي ثم رأت حذاء مارسيلوس المقطوع وهو يسير على الأحجار التي تغطي أرض الطريق. لكنهم عرفوا أنهم قد وصلوا إلى الحدود عندما تمكنوا من رؤية ضوء شمعة بعيدة. وعندما خرجوا من المنطقة المظلمة وجدوا أنفسهم في زقاق لا يبعد كثيرًا عن متجر ماكاسترد للكعك.



كان الجميع يشعرون أنهم قد تخلصوا من حمل ثقيل على كاهلهم، وتبادلوا النظرات التي تنم عن التعب والإرهاق. وبالرغم من أن عيون لوسي وسارة قد التقت مع عيني سايمون فإنهم لم ينطقوا بكلمة واحدة.

وبعد أن تحرر رعد من ضباب الظلام، صهل وحرر نفسه من قبضة چينا. اتجه رعد عائدًا مرة أخرى إلى جوار صاحبه، وتركته چينا التي فوجئت بفأر متعلق بشعره.

قالت: «ستانلي؟». لكن الفأر لم يرد، كانت عيناه مغلقتين بإحكام، وكان يتمتم بكلمات بدت وكأنه يقول: «فأر غبي... غبي... غبي» وبدا لچينا أنه لم يكن سعيدًا.

أخذ مارسيلوس ينظر حوله وهو قلق ومتوتر؛ فقد كانت حدود **المنطقة المظلمة** ليست بمكان مثالي للاسترخاء... وكانت دوريات من فرسان الظلام تجوب هذا المكان، ويمدون حدوده ويجذبون **المنطقة المظلمة** للخارج. وضع مارسيلوس إصبعه على شفتيه، مشيرًا لهم أن يهدءوا ويصمتوا، وعاد لاستخدام ما كان يسميه سبتيموس اللغة القديمة-كعادته عندما يشعر بالقلق والتوتر- وهمس للأميرة چينا: «والآن، ماذا نحن فاعلون؟ إلى أين سنتجه أيتها الأميرة؟».

أشارت چينا إلى الشمعة الوحيدة التي تنير مدخل العشوائيات الذي كانت متجهة إليه. كان عبارة عن مدخل ذي قنطرة مغطى

بنبات اللبلاب وبنبات ذي زهور أرجوانية اللون، وكانت هذه النباتات تنمو خارجة من أسوار القلعة المهملة.

كانت الزهور الأرجوانية قد تساقطت منذ وقت طويل مع دخول الشتاء، لكن فروع النبات الخشبية كانت تتدلى على الأسوار، لتحتك برؤوسهم، وهم يمرون عبر الأحجار القديمة إلى سكون مياه العشوائيات الراكدة.

كان سبتيموس منشغلًا بإعادة **تمويه الظلام** إلى العلبة المعدنية مرة أخرى، وهو يتمتم: «كركشأ، عجرئ نم كلضف».. طواه سبتيموس بسهولة شديدة ليصبح كمنديل ورقي، ثم وضعه في العلبة المعدنية، وأغلق غطاءها بإحكام، ودسها بعمق في جيبه هي ومفتاح الزنزانة رقم واحد الثمين.

قال: «سأضع **حاجزًا أمنيًّا** على القوس، سيساعد على إبعاد الظلام عن المنطقة لفترة أطول».

عارضه مارسيلوس قائلًا: «لا أيها التلميذ، يجب ألا تترك أي أثر يدل على أننا قد مررنا بهذا الطريق. يجب أن نترك المكان كما وجدناه تمامًا».

بمجرد أن تحررت المجموعة من **المنطقة المظلمة**، عادوا مرة أخرى إلى تحالفاتهم السابقة، فابتعد سايمون وسبتيموس عن بعضهما بقدر ما استطاعا. أخذ مارسيلوس وسبتيموس يقودان المسيرة، أما سايمون الذي كان ممسكًا بلوسي بيد وسارة بيده الأخرى، فقد ظل في

المؤخرة وهو يخفي حرجه لقربه من چينا وسبتيموس باللعب مع رعد. أما چينا فكانت تتأرجح بين المجموعتين، فتارة يجذبها وجود أمها، وتارة أخرى يبعدها وجود سايمون.

وفي النهاية -بعد منعطفين خاطئين- انضمت چينا إلى مارسيلوس وسبتيموس لتقود المسيرة مرة أخرى.

كانت العشوائيات تبدو مكانًا غريبًا هذه الليلة. ففي العادة، كانت هذه المنطقة في أطول ليلة تتسم بأجواء احتفالية جميلة. ففي أطول ليلة كانت تفتح الأبواب، لتظهر الغرف التي ترحب باستقبال الضيوف والتي تمتلئ بالشموع المشتعلة، والمناضد التي يرتص فوقها ما لذ وطاب من مأكولات من سوق التجار. كان الناس يجلسون يثرثرون مع أصدقائهم، وكان يسمح للأطفال في هذه الليلة بالسهر لوقت متأخر والركض بحرية واللعب في الردهات. كان وقتًا مليئًا بالصخب والضوضاء. وكانت أطباق البسكويت المسكر وسلطانيات الحلويات توضع بجوار الشموع التي توجد على الأعمدة الخاوية في الممرات.

لكن چينا كانت تقود المسيرة عبر الردهات الخاوية، حيث ساد السكون إلا من بعض المحادثات القلقة الهامسة التي تتسرب عبر الأبواب المغلقة، ونحيب أحد الأطفال المحبطين بين الحين والآخر. وقالت چينا في نفسها: إن الأمر يبدو وكأن الجميع في انتظار هبوب عاصفة عنيفة.

ولكن بالرغم من إحساس الخوف الذي ساد المكان، كانت الشموع ماتزال تلقي بضوئها الدافئ على الممرات التي تم تنظيفها منذ وقت قصير وسلطانيات البسكويت والحلويات التي بقيت في أماكنها لم تمس، ولكن هذا لم يستمر طويلًا.

فقد رأت چينا- التي لم تكن قد تناولت أي طعام منذ أن تناولت شطائر البرج مع بيتل- النوع الذي تفضله من البسكويت، وهو بسكويت الأرانب المغطى بالسكر الوردي والتقطت حفنة منه. أما سبتيموس فكان سعيدًا؛ لأنه وجد سلطانية كاملة من حلوى الموز على شكل دببة وحتى مارسيلوس سمح لنفسه بأخذ قطعة صغيرة من الطوفي.

واصلت المجموعة المسير عبر الردهات المهجورة وحوافر رعد تطقطق على الأرضيات. جذب صوت حوافر رعد وجهًا أو اثنين قلقين إلى النوافذ الصغيرة المضاءة بالشموع المطلة على الممرات. وحدث مرة أو اثنين أن فتحت أحد الأبواب فتحة صغيرة لتظهر منها عيون خائفة. لكن سرعان ما كان الباب ينغلق وتطفأ الشموع بسرعة. ففد كان منظر هذه المجموعة غير مريح على الإطلاق، فمن يمكن أن يثق في مجموعة تتكون من تلميذ أعظم بصحبة ساحرة وكيميائي عجوز وفتى آل هيب سيئ السمعة... ما اسمه؟

قادتهم چينا -واضعة رعد في اعتبارها- أعلى ما يسمى طريق العربات، وهو ممر منحدر دون درجات. كانت ممرات العربات في العادة أطول -وإن لم تكن دائمًا أعرض- من الممرات العادية والتي كان بها درج شديد الانحدار. وكانت هذه الممرات مصممة من أجل العربات التي كانت ملمحًا من ملامح الحياة اليومية في العشوائيات، وأحد المعدات الأساسية في حياة من يسكنون الأدوار العليا. والمقصود بالعربات هنا مجموعة متنوعة من العربات ذات العجلات التي تختلف في عددها التي تبدأ من عجلتين إلى ست عجلات.

أما سكان الأدوار السفلى في العشوائيات فقد كانوا يعتبرونها مصدر الإزعاج الرئيسي في هذا المكان، وخاصة في الأوقات المتأخرة من الليل عندما كانت مجموعات المراهقين المشاغبين يأخذونها إلى قمة أعلى ممرات العربات، ويندفعون لأسفل عبر المستويات المختلفة. كانت العربات ذات العجلتين هي الأكثر شعبية لممارسة هذه الرياضة، حيث إنها أسهل في القيادة والتوجيه وكذلك فقد كانت تحتوي على ميزة إمكانية استخدام المقابض كمكابح في نفس الوقت إذا مالت للخلف في اللحظة المناسبة. لكن تلك الليلة لم يكن هناك خطورة في السير على طريق العربات، أما في الأيام العادية فكان يمكن أن تصدمك إحدى العربات

المسرعة التي يقودها أحد الفتيان المتهورين وهو يصرخ محذرًا: «ابتعد عن الطريق، ابتعد عن الطريق».

ففي تلك الليلة كان كل قائدي العربات محبوسين خلف الأبواب المغلقة خائفين ويشعرون بالملل والسأم، ومضطرين للتعامل بتهذيب وأدب مع عماتهم وخالاتهم اللاتي يحللن ضيفات عليهم. بينما كانت الخالات والعمات تشعرن بالندم على قرارهن بزيارة القلعة لحضور احتفالات أطول ليلة.

وبالرغم من أن حوافر رعد راحت تنزلق على السطح البال للطوب الذي يغطي أرض طريق العربات، فإن المجموعة قد تمكنت من الوصول إلى نهاية الطريق بعد أن اجتازت أكثر المناطق انحدارًا، وخرجوا من الطريق وهم يشعرون بالارتياح، واتجهوا نحو ممر عريض يعرف محليًّا باسم بيرثا الكبيرة. كان ممر بيرثا الكبيرة يتلوى عبر المنطقة العليا من العشوائيات كنهر كسول، وكانت تتفرع منه كثير من الممرات الفرعية. وكان من الصعب حقًّا فهم تداخل المنطقة. فكانت بعض الممرات تنتهى بنهايات مغلقة، وإن كان لا يبدو عليها ذلك، والبعض الآخر كانت نهاياتها مفتوحة وإن كانت قد بدت أن نهاياتها مغلقة.

وكانت معظم الممرات ملتوية بشكل يجعل حتى أكثر المسافرين تمرسًا يضل طريقه.

لكن چينا كانت قد حصلت على الدرجات النهائية في اختبارات شهادة العشوائيات، وكانت مهارتها تبدو واضحة جلية، وهي تقود هذه المسيرة. كانت چينا تحمل مفتاح الباب الأحمر الكبير في يدها، وكأنه بوصلة، وكانت تسير أمامهم مباشرة عبر بيرثا الكبيرة إلى ممر كان يبدو وكأن نهايته مغلقة، ولكنه في حقيقة الأمر لم يكن كذلك، فقد كان الجدار الذي يوجد في نهايته ما هو إلا شاشة تحتوي على مدخلين لممرين مختبئين خلفها. دارت چينا حول الجدار الذي كان يعرض صفًّا من الأواني متعددة الألوان يحتوي كل منها على شمعة طويلة ورفيعة مغروسة في كومة من الحلوى المغلية، واتبعت الطريق الأيمن. كان هذا الطريق منعطفًا ضيقًا، وواجه رعد بعض الصعوبة في الدوران. تساءلت چينا إن كان رعد يصاب بالفزع من الأماكن الضيقة، لكن بالنسبة لحصان عاش يومًا في جحور دودة الأرض القديمة، فلا شك أن ممرات العشوائيات كانت بالنسبة لها مكانًا مفتوحًا واسعًا وجيد التهوية.

كان هذا الممر يؤدي إلى ساحة البئر، وهي ساحة دائرية مفتوحة يتوسطها بئر محاط بسور منخفض وغطاء خشبي، وعليه ثلاثة دلاء بأحجام مختلفة. وفوق البئر كان يوجد جهاز رفع معقد يسمح برفع الدلاء الثقيلة من صهريج المياه العذبة المبني في عمق العشوائيات.

راحت الشموع تلقي بضوئها الدافئ على الأحجار الناعمة الرطبة، وكان دفء ضوئها أحيانًا ما يذيب قطع الثلج الصغيرة التي تنجرف إلى المكان بين الحين والآخر. وكانت الجدران المقوسة تحتوي على مقاعد حجرية بالية وأوانٍ بها شموع وحلوى ملفوفة تركت على المقاعد، منحت غرفة البئر جوًّا احتفاليًّا جميلًا. ولكن حتى هذا الملتقى المحبوب كان كباقي الأماكن مهجورًا.

انتظرت چينا بجوار البئر، بينما لحقت بها باقي المجموعة. التقت عيناها بعيني سارة، وابتسمت أملًا في أن تتذكر سارة المكان الذي كانت تجلب منه المياه، وتقضي به ساعات طويلة في الثرثرة مع جيرانها. ولكن للأسف شعرت چينا بالحزن عندما نظرت سارة إليها دون أن يبدو عليها أي تعبير أو انفعال.

قالت چينا وهي تحاول أن تحتفظ بروحها المرحة: «كدنا نصل».

قال سايمون: «أتذكرين يا چينا عندما أسقطت دبك المحشو في البئر والتقطته أنا بالدلو؟».

تجاهلته چينا، فلم تكن چينا ترى أن من حقه أن يستخدم الاسم القديم الذي كان يناديها به قبل أن يختطفها ويخطط لقتلها، بالتأكيد لم يكن له أي حق في ذلك. دارت چينا حول نفسها، وسارت نحو الممر الأبيض الذي اصطفت على جانبيه شموع متعددة الألوان. وبعد حوالي دقيقة ظهرت المجموعة مرة أخرى في بيرثا الكبيرة بعد أن قطعوا دائرة ضخمة.

داروا حول منعطف آخر، ثم انعطفت چينا مرة أخرى نحو زقاق واسع يسمى زقاق الذهاب والعودة. وبعد بضع دقائق كانت تقف خارج باب الحجرة التي قضت بها العشر سنوات الأولى من حياتها.

لكنه كان يبدو مختلفًا، فلم يعد بابًا أسود مغطى بالخدوش، هو الآن مطلي باللون الأحمر اللامع كما كان في الأيام الخوالي كما يطلق عليها الناس. كانت چينا تحمل في يدها المفتاح الثمين الذي كان سايلاس يستخدمه ليوصد الباب كل ليلة كما تتذكر، وكان يعلق على خطاف عالٍ على المدخنة باقي اليوم. ولم يكن مسموحًا لأي أحد بلمسه إلا سايلاس أو سارة؛ لأن سايلاس قد أخبر الجميع في ليلة من الليالي -عندما سقط الخطاف من على الحائط، وأخفاه ماكسي تحت غطائه، إنه إرث عائلي ثمين لعائلة هيب. فقد كان الباب الأحمر الكبير بقفله ومفتاحه (واسم بنيامين هيب المحفور على قوس الباب) هو الشيء الوحيد الذي تركه والد سايلاس له.

كانت چينا تعرف بالضبط ما يمكنها أن تفعله بالمفتاح، فقد أعطته لسارة.

قالت: «افتحي الباب يا أمي».

أخذت سارة المفتاح ونظرت له.

راقبت چينا سارة بقلق، ونظرت لأعلى، ورأت أن باقي المجموعة كانوا يراقبونها أيضًا، حتى مارسيلوس.

وكأن الزمن قد توقف، ظلت سارة هيب تحدق في المفتاح النحاسي الكبير في يدها. وببطء شديد بدأ يظهر في عينيها أنها قد تعرفت عليه، وبدأت ابتسامة خفيفة تتسلل إلى شفتيها.

وضعت سارة المفتاح في القفل وهي مترددة. تعرف الباب على سارة، وعندما بدأت بضعف شديد تدير المفتاح أكمل القفل المهمة وانفتح الباب.

35

أطول ليلة

بالرغم من أن هناك مجموعة كبيرة متنوعة من الحيوانات قضت وقتًا -قد يصل إلى حياتهم كلها- في الحجرة وراء الباب الأحمر الكبير، فإن رعد كان أول حصان يدخل هذا المكان.

كان سام قد اشترى في إحدى المرات نعجة، ولكنها لم تبق في الحجرة إلا لبضع ثوانٍ. ففي هذه الأيام لم تكن سارة هيب تحب أن تتواجد أية مخلوقات ذات حوافر في غرفتها. ولكن هذه المرة لم يكن لدى سارة أي اعتراض على الحوافر. كانت سعيدة بوجود حصان أسود ضخم يقف في الركن بينما كان سايمون ابنها يطعمه بعض التفاح الذابل الذي وجده في سلطانية على الأرض.

كانت سارة مبهورة بالتحول الذي طرأ على منزلها القديم. وبينما وقفت تنظر حولها إلى كل التغييرات التي قام بها سايلاس سرًّا طوال السنة الماضية. تدفقت الذكريات السعيدة إلى عقلها، لتحل محل الخوف والكآبة التي خلفها الظلام بداخلها. والآن فقط فهمت لِمَ كان سايلاس يختفي دائمًا.

لم يكن چينا وسايمون قد عادا إلى منزلهما القديم منذ رحيلهما المتعجل في عيد ميلاد چينا العاشر، ولذا فهما يكادان لا يعرفان المكان، وخاصة بعد اختفاء أكوام الكتب والفوضى والأغطية والمهملات المنزلية كما كان يطلق عليها سايلاس. وحل محلها صفوف من رفوف الكتب الأنيقة -وإن كانت منزلية الصنع- تحمل جميع كتب السحر التي كان سايلاس قد أنقذها بإخفائها في العلبة. وكان الموقد في المدخنة المركزية قد تم تنظيفه وملؤه بقطع كبيرة من الحطب، والأواني المعلقة على المدخنة نظيفة ومرتبة بحسب حجمها، والأرضيات الخشبية البالية مغطاة بالسجاد (الذي تعرفت چينا على بعض منه، فقد رأته من قبل في القصر) تتناثر عليه بعض الوسائد الصغيرة المعدة للمقاعد التي كان يخطط سايلاس لصنعها.

أما بالنسبة لسبتيموس، فقد كان شعورًا غريبًا أن يكون في نفس المكان الذي ولد فيه إلا أنه لم يقض به سوى الساعات القليلة الأولى من حياته.

كان سبتيموس يقف محرجًا على عتبة الباب عندما رأى سايمون وهو يحيط لوسي بذراعه ويشير إلى شيء ما من بين أعمدة النافذة المطلة على النهر، وهنا أدرك سبتيموس لماذا كان يشعر بعدم الراحة. فقد كان سايمون في بيته الذي ينتمي إليه، بينما كان سبتيموس غريبًا عن المكان.

كانت سارة هيب الآن ترى ابنها الأصغر واقفًا عند الباب يبدو وكأنه في انتظار الإذن بالدخول. وكانت رؤيتها له هي ما أزالت آخر بقايا **الظلام** من رأسها. اتجهت سارة نحو سبتيموس، ووقفت بجواره، وأحاطت كتفيه بذراعها، وقالت: «مرحبًا بك في بيتك يا حبيبي» ثم جذبته للداخل برفق وأغلقت الباب.

اعترى سبتيموس شعور غريب، كان لا يدري إن كان يريد أن يضحك أم يبكي، لكنه كان يشعر وكأنه فجأة قد تخلص من حمل ثقيل ظل يحمله على كتفيه دون حتى أن يدرك ذلك. كان الأمر حقيقة وليس خيالًا... لقد عاد إلى بيته.

استمرت أطول ليلة، وخارج العشوائيات كانت **المنطقة المظلمة** تزداد قوة، وانتشرت انتشارًا واسعًا في شتى أرجاء القلعة، وراحت تسرق الطاقة من كل من انحبس بداخلها.

كانت المناطق الوحيدة التي لم تصبها **المنطقة المظلمة** هي برج السحرة الذي يحميه درع الأمان والحجرة الهرمسية المؤصدة

بالشمع الهرمسي، حيث كان بيتل محبوسًا كفراشة في شرنقة، وغرفة آمنة صغيرة في أعماق المغارة القوطية... والعشوائيات.

كانت منطقة العشوائيات مأهولة بالسكان منذ عهد بعيد يعود إلى الأيام التي كانت فيها سكان القلعة يمارسون قليلًا من السحر الخاص بهم بشكل هاوٍ، ولهذا كانت لاتزال هناك بقايا من حواجز الأمان وحاميات الممرات والبركات والبيوت السعيدة وكل أنواع التعاويذ الطيبة عند المدخل. كان **السحر** ضعيفًا، لكن تأثيره التراكمي على مدار السنوات الماضية كان قد تسرب إلى داخل الأحجار القديمة بشكل يكفي لإيقاف **المنطقة المظلمة** عند كل مدخل وبوابة وباب ونافذة تؤدي إلى العشوائيات، إلا أنه لم يكن قويًّا بما فيه الكفاية ليصمد أمام الهجوم الضاري الذي بدأ لتوه.

فعند المدخل المقنطر المغطى باللبلاب بالقرب من متجر ماكاسترد للكعك–وعند كل مدخل من مداخل العشوائيات–كان يظهر ظل أشعث لأحد **الأشياء** وهو يخرج من **المنطقة المظلمة**. مر أحد الأشياء عبر الممر المقنطر مخترقًا أصداء السحر القديمة، وجاء معه أول خيوط الظلام خانقًا الشمعة بصوت فحيح هادئ، وواصلا التقدم إلى الممر.

مر **الشيء** –الذي كان لافظ اللهب قد ألقاه في النهر– بخفة بمحاذاة البلاطات الحجرية وهو يطفئ الشموع، ويجذب **الظلام** الذي يدور كالدوامة خلفه. وبينما كان يمر بين الغرف والشقق

أخذت **المنطقة المظلمة** تتسلل من تحت الأبواب وعبر ثقوب المفاتيح لتصمت الأصوات الخائفة. أحيانًا ما كان يُسمع صوت صرخة أو صيحة فرح لشخص كان يظن أنه على وشك لقاء حبه القديم الذي فقده منذ سنوات، إلا أنها سرعان ما كانت تصمت، ويحل محلها الصمت المطبق.

وفي الدور العلوي من أقدم مناطق العشوائيات، في الحجرة التي توجد خلف الباب الأحمر الكبير، كانت سارة هيب تستعد **للحصار**. وبالرغم من كل الاعتراضات فإنها أصرت على الذهاب إلى ساحة البئر؛ لإحضار الماء منه.

قال سايمون وسبتيموس في نفس الوقت: «سأذهب معك» ثم رمق كل منهما الآخر بنظرات غاضبة.

نظرت سارة لابنيها الأكبر والأصغر وقالت بحزم: «يمكن أن يأتي كلاكما معي، لكنني لا أريد أية مشاجرات في طريق الذهاب والعودة من وإلى ساحة البئر. هل كلامي مفهوم؟»

تمتم سايمون وسبتيموس بالموافقة، ثم عبسا وهما متضايقان من أنهما عبرا عن موافقتهما بطريقة متشابهة.

سارت سارة وابناها الأكبر والأصغر اللذان أصبحا أطول منها يحيطان بها لتبدأ رحلتها إلى البئر والتي كانت يومًا ما رحلتها المعتادة.

وبينما سارت بينهما وهي تتحرك بسرعة بمحاذاة الممرات التي سادها الصمت لم تكن تستطيع أن تصدق ما يحدث؛ فقد تحققت كل أحلامها. فبالرغم من أن ولديها رفضا الحديث معًا، وبالرغم من كل الأشياء البشعة التي تحدث في القلعة... والتي دون شك سرعان ما ستصل إليهم هم أيضًا، فإنها قد حصلت على دقائق قليلة ثمينة عندما عاد ولداها إليها مرة أخرى.

وبالرغم من عدم عودة كل أولادها، لكنها كانت قد فقدت الأمل في عودة هذين الولدين تحديدًا، وظنت أنها لن تراهما مرة أخرى، وكثيرًا ما ظنت أنهما قد ماتا.

ولكن للأسف لم تدم لحظات الرضا والارتياح هذه لفترة طويلة، فبينما كانوا عائدين من البئر يحمل كل منهم دلوين ثقيلين من المياه، رأوا خيطًا من **خيوط الظلام** عند منعطف بيرثا الكبيرة منذرًا بقدوم المزيد. وبسرعة أسرع ثلاثتهم إلى زقاق الذهاب والعودة لينفتح الباب الأحمر الكبير من تلقاء نفسه. دخلوا سريعًا لينغلق الباب خلفهم. دفعت سارة المفتاح في القفل وأدارته.

قال سبتيموس: «يجب أن نستخدم أداة **مضادة للظلام**، سأصنع واحدة».

لم تكن سارة تحب الأدوات **المضادة للظلام**؛ فقد نشأت في أسرة تحتوي على سحرة وساحرات، ولم تكن تحب أن تسمع كلمة **الظلام** تذكر في منزلها حتى وإن رافقتها كلمة **مضاد**.

كانت سارة تؤيد وجهة النظر التي تتبناها الساحرات في أن: ما تذكره بلسانك سوف يحضر أمامك. قالت: «لا، أشكرك يا حبيبي، سنكون بخير بدونها، فالباب يحتوي على سحر خاص به».

أما مارسيلوس الذي كان يشعر أنه بلا فائدة منذ أن وصلوا إلى الحجرة، فقد كان سعيدًا بإسداء بعض النصائح، فقال: «سنحتاج لكل حماية ممكنة يا سيدة هيب. إن تلميذي على حـق».

نظر سايمون وسارة إلى مارسيلوس نظرة متسائلة وقالت سارة: «تلميذك؟».

قرر مارسيلوس -كما كان سبتيموس سيقترح - ألا يتطرق لهذا الأمر. وقال: «أكاد أجزم أن استخدام أحد الأدوات **المضادة للظلام** سيكون ضروريًّا لبقائِنا على قيد الحياة».

لم يستطع سايمون أن يمنع نفسه من الكلام أكثر من ذلك، وقال: «هذا صحيح، سنحتاج إلى سائل **مضاد للظلام** ممزوج بساتر أمني قوي. وبمجرد أن يستقرا في مكانهما يجب أن يتم تمويههما بشكل فعال... هذا أمر غاية في الأهمية».

أصدر سبتيموس صوتًا ينم عن السخرية والاستخفاف. فهل تصور سايمون للحظة أنه يمكن أن يأخذ بنصيحة نفس الشخص الذي تسبب في حدوث كل هذا؟

أساء سايمون تفسير سخرية سبتيموس، فحاول أن يشرح ما يقصد: «اسمع، يمكنك أن تصنع أقوى أدوات **مضادة للظلام** على الإطلاق، لكنها لن تصبح ذات جدوى إذا كانت واضحة ومرئية. ستقوم **المنطقة المظلمة** بالطرق عليها حتى تختفي إن عاجلًا أو آجلًا. ثق بي، أنا أعرف جيدًا ما أقول».

قال سبتيموس متلعثمًا؛ فقد أقلقته فكرة أنه يؤيد كل ما قاله سايمون: «أثق بك؟ لابد أنك تمزح».

واستمر الجدال.

كانت سارة تحاول أن تتجاهل ولديها، كانت تريدهما أن يحلا الخلاف بينهما بنفسيهما، وكانت تأمل أن معرفتهما بقدوم **المنطقة المظلمة** يمكن أن يساعدهما على التركيز. شغلت سارة نفسها بتفقد كل الطعام المحفوظ والمجفف الذي كومه سايلاس في دولاب حفظ اللحوم، وطلبت من سايمون وسبتيموس أن يتوقفا عن المشاحنة. وهدأت من روع رعد بالنفخ على فمه والهمس في أذنه، وأمرت سايمون وسبتيموس ألا يتجادلا بعد الآن على أي شيء. وبدأت في كنس بعض نشارة الخشب التي خلفها سايلاس، وطلبت من چينا أن تبتعد عن مشاجرات الآخرين. وطلبت من لوسي أن تدع چينا وشأنها. ثم عندما رأت سارة أنه لا مفر من نشوب مشاجرة كبرى بين چينا وسبتيموس من جهة، وسايمون

ولوسي من جهة أخرى، نفد صبرها، وفقدت السيطرة على أعصابها.

وصاحت وهي تدق بمقشتها على الأرض: «توقفوا، توقفوا كلكم فورًا!».

توقف الشجار، ونظر الجميع إلى سارة مندهشين.

قالت سارة: «لن أسمح بأية عبارات غاضبة في هذه الحجرة، هل تفهمون؟ أنا لا يعنيني ما فعله أي منكم في الماضي، ولا يعنيني كيف كنتم في الماضي أغبياء أو مضللين أو سيئين -وبعضكم كان يحمل كل هذه الصفات معًا- لأنكم أبنائي. كلكم أبنائي، وأنت أيضًا يا لوسي واحدة من أبنائي. وأيًّا كان ما فعله أي منكم، وأيًّا كان الأذى الذي تسببتم فيه لبعضكم في الماضي، عندما تكونون في هذه الحجرة يجب أن تنحوا كل هذا جانبًا، وتتعاملوا مع بعضكم كما ينبغي أن يعامل الأخوة بعضهم.

هل تفهمون؟».

تمتم مارسيلوس قائلًا: «أحسنت قولًا».

عقدت الدهشة ألسنة چينا وسبتيموس وسايمون ولوسي.

أومئوا جميعًا برؤوسهم بخجل. ذهب سايمون ولوسي ليجلسا بجوار النار تاركين أمر الأداة **المضادة للظلام** لسبتيموس ليتعامل معها بطريقته، والتي كانت أيضًا كما لاحظ سايمون هي نفس طريقته.

تحركت چينا نحو النافذة حيث كان يجلس على إفريزها فأر هادئ بشكل غير معتاد محدقًا خارجها.

قالت: «مرحبًا ستانلي».

رد ستانلي مطلقًا تنهيدة طويلة: «مرحبًا سمو الأميرة».

نظرت چينا في اتجاه نظره نحو النهر، كانت تظهر على الجهة الأخرى من النهر أضواء حانة الترسة الممتنة ترتعش وتومض من بين الأشجار وبالأسفل يبدو النهر كشريط أزرق يجري ببطء.

قالت چينا: «الجو صاف بالخارج. أليس هذا رائعًا؟ لا يوجد ظلام».

رد ستانلي بحزن وكآبة: «مسألة وقت لا أكثر».

سمعا صوت الحذاء المقطوع خلفهما، وانضم لهما مارسيلوس عند النافذة، وقال: «هذا غير صحيح، **فالمنطقة المظلمة** لا يمكنها عبور المياه الجارية وخاصة التي يؤثر بها المد والجزر الناتج عن القمر».

قالت چينا: «حقًّا؟ إذن... هناك، المنطقة خارج هذه النافذة، هل ستظل آمنة؟».

نظر مارسيلوس نحو الأسفل، كانت الأرض منحدرة انحدارًا شديدًا إلى حافة المياه، وقال: «أعتقد ذلك، فالنهر شديد القرب من هنا».

كانت چينا تعرف كل شيء عن هذا الأمر، فقد كانت تراقب النهر طويلًا من نافذتها الصغيرة في خزانتها منذ زمن بعيد، وقالت: «إنه يمتد حتى الأسوار، ليس له أي ضفاف على الإطلاق، توجد فقط بعض الجسور العائمة تستخدم لربط وتثبيت القوارب».

قال مارسيلوس: «إذًا لن يكون هناك مكان تذهب إليه المنطقة المظلمة».

قال ستانلي الذي كان ينصت باهتمام شديد: «في هذه الحالة، يجب أن أذهب الآن».

قالت چينا: «سترحل؟».

قال: «يجب أن أرحل يا سمو الأميرة، فهناك أربعة فئران صغار وحدهم هناك بالخارج، الله وحده يعلم ما يحدث لهم».

نظرت چينا من النافذة، وقالت: «ولكن كيف ستنزل إلى هناك؟». كان طريقًا طويلًا للأسفل دون شك.

قال: «للفئران أساليبها الخاصة يا سمو الأميرة، بالإضافة إلى أنني أعتقد أني أرى ماسورة صرف. إذا تكرمت بفتح النافذة فسأنطلق فورًا».

نظرت چينا لمارسيلوس نظرة متسائلة وسألته: «هل يجدر بي أن أفعل ذلك، هل سنكون بمأمن؟».

قال: «نعم يا أميرة... لا بأس للحظة واحدة فقط. نحن بالطبع لا نعرف ماذا يمكن أن يتسرب من السقف فيما بعد. فإذا أراد هذا الفأر أن يرحل فمن الأفضل أن يذهب الآن».

بدا على ستانلي الارتياح، وقال: «إذا تكرمت علي يا سيدي، سأذهب في الحال».

قال مارسيلوس وقد بدت عليه الحيرة: «ماذا تعني؟».

قالت چينا التي قضت مع ستانلي وقتًا كافيًا لتتمكن من ترجمة ما يقول: «يعني تكرمت بفتح النافذة».

فتح مارسيلوس النافذة فتحة صغيرة، لتدخل الرياح الباردة إلى الحجرة.

صرخت سارة مذعورة: «ماذا تفعل؟ ستدخله إلى هنا. أغلق النافذة فورًا!».

وبسرعة قفز الفأر على إفريز النافذة، ونظر لأسفل، محاولًا أن يكتشف أفضل طريق عبر أراضي العشوائيات الوعرة.

همت چينا بالحديث، بينما جاءت سارة مسرعة عبر الحجرة حاملة مقشتها: «ستانلي من فضلك هل يمكنك أن ..».

سأل ستانلي وهو متوتر كفأر له تجارب سيئة مسبقة مع المقشات: «هل يمكنني ماذا؟».

«ابحث عن نكو... نكو هيب في ساحة سفن چانيت. أخبره بما يحدث وأخبره بمكاننا، أرجوك؟».

وأغلقت سارة النافذة بعنف.

وعلى الناحية الأخرى من الزجاج، رأت چينا فم ستانلي الصغير مفتوحًا عن آخره وهو مشدوه، ثم رأته وهو يسقط لأسفل ويختفي وسط ظلام الليل.

صاحت چينا: «أمي! ماذا تفعلين؟ لقد قتلته».

قالت سارة: «من الأفضل أن يموت فأر بدلًا من أن نموت جميعًا. على كل حال سيكون بخير؛ فالفئران دائمًا ما تهبط على أقدامها».

قالت چينا: «هذه القطط يا أمي وليست الفئران. مسكين ستانلي».

نظرت چينا لأسفل، ولكنها لم تر أثرًا له في أي مكان. وتنهدت. لم تكن چينا تفهم والدتها، حقًّا لم تكن تفهمها. فكيف لها أن تتسبب في مقتل فأر في حين تخاطر بحياتها من أجل بطة.

قال مارسيلوس: «لا تقلقي يا أميرة، سيجد شيئًا يتعلق به».

قالت چينا: «أتمنى ذلك».

شعر الجميع بالاستياء لطرد ستانلي بمن فيهم سارة نفسها، فهي لم تقصد أن تسقط الفأر، ولكن حدث هذا وهي تغلق النافذة مذعورة وهي لا تدرك أنه خارج النافذة، لكنها لم تكن لتعترف بهذا. كانت تحتاج أن تحكم سيطرتها على الأمور، وإذا ظن

الجميع أنها قاسية لدرجة أن تلقي بفأر من النافذة ليلقى حتفه فلن يكون هناك ضرر من ذلك.

بدأت سارة في تنظيم الجميع وتوزيع المهام، وسرعان ما اشتعلت النار، وعلق فوقه إناء من الحساء الذي يغلي ويبقبق. لاحظت لوسي أن حساء سارة مختلف كثيرًا عن حساء والدتها، لدرجة أنه يستحق اسمًا مختلفًا. وعندما تذكرت لوسي والدتها تنهدت بحسرة. كانت لا تجرؤ على التفكير في ما يحدث لوالديها الآن أو لروبرت في ساحة السفن.

كان الأمر مرعبًا بالنسبة لها لدرجة أنها لم تجرؤ على التفكير على الإطلاق. جلست بالقرب من سايمون بجوار النار وهي تتمسك به بقوة، فقد كانت سعيدة بعودة سايمون سالمًا، حتى وإن كان جسمه مليئًا بالجروح والكدمات من جراء تعويذة الإحضار.

جذب سايمون لوسي لتقترب منه، وقال لها مطمئنًا إياها: «سيكونون بخير يا لو، لا تقلقي».

لكن لوسي كانت في غاية القلق، كما كان الحال مع كل من هم خلف الباب الأحمر الكبير.

36

بالخارج



سقط ستانلي من ارتفاع أكبر من أي ارتفاع سقط منه من قبل. إن حياة الفئران حياة محفوفة بالمخاطر وخاصة الفئران الرسل، وكثيرًا ما سقط ستانلي من أماكن مرتفعة لكن ليس بنفس ارتفاع الدور العلوي من العشوائيات، وبالتأكيد لم يُدفع بهذه الطريقة من قبل قط.

لكن في الغالب كان دفعه بهذه الطريقة هو ما أنقذ حياته. كانت مفاجأة له عندما وجد نفسه طائرًا في الهواء وكان مسترخيًا عندما أُطلق في الفضاء، وهكذا عندما هبط وسط إحدى الشجيرات الهزيلة التي كانت تنمو خارجة من أسوار العشوائيات، ارتد لأعلى، ثم سقط لأسفل حوالي عشرة أقدام ليهبط مرة أخرى في شجيرة أكبر من سابقتها.

كان يمكن أن تمزق عظام ستانلي الفأر الصغير إربًا إذا كانت عضلاته مشدودة متشنجة في انتظار لحظة موته. رقد ستانلي وهو مذهول وسط الشجيرة وهو يستمع لصوت فروعها الشتوية العارية وهي تتشقق وتتكسر بسبب حمل وزنه عليها.

كان صوت الانكسار الأخير قد جعل ستانلي يشعر بشيء من القلق والتوتر، وفجأة انكسر الفرع ليتدلى ويتأرجح كعظمة مكسورة. وفي اللحظة المناسبة، قفز قفزة احترافية نحو حجر كبير يبرز من السور، والتفت مخالبه الطويلة الرقيقة لتتشبث بالحجر، ليبدأ ببطء في رحلة نزوله الخاضعة لسيطرته كما ظل يصفها فيما بعد مرارًا وتكرارًا.

كانت الأسوار عند هذه النقطة من العشوائيات تنتهي مباشرة داخل النهر، لكن لحسن حظه، أن بعيدًا عند الميناء كان المد ينحسر وتأثر النهر بهذا الأمر حتى في هذه المنطقة البعيدة عند القلعة. وفي نهاية رحلة نزوله تسلق ستانلي الكتل الحجرية الضخمة المغطاة بمادة لزجة خضراء، التي تكون أساس العشوائيات (والتي تظل معظم الوقت تحت سطح الماء)، ثم انزلق من عليها ليسقط في طين النهر.

والآن كان الفأر قد بدأ رحلة طويلة نحو المنزل. دار حول أسوار القلعة، وراح يقفز على ضفة النهر عندما يستطيع، ويقفز على الصخور المتعفنة وعلى الأرض الطينية عندما لا يستطيع.

كانت رحلة صعبة كئيبة، بل أحيانًا مرعبة. فمثلًا في إحدى المرات ظن ستانلي أنه قد سمع صوت زئير بعيد قادم من أعماق القلعة وأقلقه كثيرًا، لكنه لم يتكرر بعد ذلك، وأقنع نفسه أنه كان يتخيل. وبينما واصل ستانلي طريقه لم يستطع أن يقاوم النظر لأعلى نحو القلعة بحثًا عن أي نافذة مضاءة لترفع من روحه المعنوية، ولكنه للأسف لم ير أيًّا منها. كان قد مر على واحدة فقط وأصبحت الآن على بعد مسافة طويلة، وأخذ يتساءل إن كانت هي أيضًا قد أصابها **الظلام**، كان **الظلام** يرعب ستانلي. لم يكن ستانلي ينتبه كثيرًا لأضواء القلعة، فالفئران لا تستوعب كثيرًا سبب حب البشر للضوء والنار؛ فهم يفضلون الظلام؛ حيث يمكنهم أن يتحركوا دون أن يلحظهم أحد. كان الضوء بالنسبة لهم يعني الخطر وشخص يطاردهم بمقشة... أو ما هو أسوأ. ولكن هذه الليلة كان ستانلي قد بدأ يقدر حب البشر للضوء. فبينما كان يتقافز على الأرض الطينية الدبقة التي تنبعث منها رائحة الأسماك، أدرك أنه في الماضي عندما كان يرفع بصره ويرى الضوء في النوافذ كان يعرف أن هناك خلف اللهب المرتعش لكل شمعة شخصًا ما أضاءها، وشخص ما في الحجرة مشغول بعمل ما في ضوء الشمعة. كان الضوء يعني الحياة بالنسبة لستانلي. بينما الآن عندما يرى كل النوافذ مظلمة كان يشعر أن القلعة خاوية وتخلو من

مظاهر الحياة البشرية، وماذا يمكن أن تفعل الفئران في غياب البشر؟

وهكذا وصل الفأر ـ الذي تملأ رأسه الهواجس ـ أخيرًا إلى السور الخارجي لبرج مراقبة البوابة الشرقية والذي كان مقر مكتب خدمة الفئران الرسل وبيت ستانلي وأبنائه الأربعة المراهقين، وراح يتسلقه. نظر ستانلي إلى داخل البيت من نافذة صغيرة، لم ير شيئًا، لكنه شم شيئًا. شم أنفه الدقيق الحساس رائحة **الظلام**؛ كانت رائحته حمضية عفنة وبها ما يشبه رائحة القرع المحروق. عرف ستانلي أنه قد وصل متأخرًا، وأن **المنطقة المظلمة** قد غزت بيته الذي كان بداخله أربعة فئران صغار لقطاء يحبهم أكثر من أي شيء آخر في هذا العالم.

كان فلورينس وموريس وروبـرت وجوزفين المعروفون للجميع- عدا ستانلي - بأسماء: فلو ومو وبو وجو، يبدون لأي فأر آخر أربعة فئران هزيلة خرقاء في سن المراهقة، بينما كانوا يبدون لستانلي الكمال نفسه. عندما وجدهم لم يكن عمرهم يتعدى بضعة أيام، وقد هجرتهم أمهم في فتحة في جدار بالممر الخارجي. أخذ ستانلي- الذي لم يكن يومًا مهتمًّا بالصغـار مـن قـريب أو بعيد - الفئران الصغار العمياء الصلعاء إلى منزله ببرج مراقبة البوابة الشرقية . أحبهم ستانلي كما لو كانوا صغاره، أطعمهم وكان يلتقط البراغيث من فرائهم، وشعر بالقلق عليهم عندما ذهبوا

لأول مرة ليبحثوا عن طعامهم في القمامة، ومؤخرًا علمهم المهارات الأساسية للفئران الرسل. كانوا هم كل حياته وكانوا المستقبل الواعد لمكتب خدمة الفئران الرسل.

والآن ذهبوا. سقط ستانلي من النافذة وهو يشعر بالكآبة والبؤس.

صرخ فأر صغير: «آااي! انتبه يا أبي».

شهق ستانلي: «روبرت! يا إلهي! حمدًا لله».. شعر ستانلي بالارتباك.

قال بو بحدة: «أنت ثقيل الوزن. لقد سحقت ذيلي».

أزاح ستانلي جسمه متألمًا وهو يقول: «آسف». لقد بلغ من العمر الذي يجعله يشعر بسقوطه من ارتفاع مئة قدم.

سألت فلو: «هل أنت بخير يا أبي؟».

وقالت جو: «أين كنت؟».

وقال مو ذو العواطف الجياشة دائمًا وهو يحتضن ستانلي: «أبي، لقد ظننا أنه قد نال منك». كان لحضن مو فعل السحر لستانلي الذي شعر أنه أصبح على خير ما يرام.

جلس الفئران الخمسة بجوار بعضهم وهم يشعرون بالحزن والبؤس على الممر الخارجي، الذي كان مجرد حافة ضيقة أسفل برج مراقبة البوابة الشرقية. روى لهم ستانلي كل ما حدث في الساعات القليلة الماضية.

قال مو بعد برهة: «إنه سيئ، أليس كذلك يا أبي؟».

قال ستانلي بحزن: «لا يبدو الأمر جيدًا. ولكن طبقًا لما قاله الكيميائي سنكون بخير هنا طالما كنا خارج الأسوار».. ثم تنهد، وقال:«ولكن الخوف كل الخوف على الفئران المساكين المحبوسين في القلعة».

«كنت قد انتهيت لتوي من تعيين موظفين جدد في مكتب خدمة الفئران الرسل».

سأل بو وهو يركل بعض الحصى بنفاد صبر: «والآن أين سنذهب يا أبي؟».

«لن نذهب لأي مكان يا روبرت، إلا إذا أردت أن تسبح عبر الخندق. سنقضي ليلتنا هنا، ثم نرى ماذا سيجلب الصباح معه».

قالت فلو وهي تنظر بحزن للثلج المتساقط: «لكن الجو بارد حقًّا يا أبي».

قال ستانلي بحزم: «ولكنه سيكون أكثر برودة في القلعة يا فلورنس، إذا تحركنا للأمام قليلًا سنجد حجرًا ناقصًا من السور. يمكننا أن نقضي ليلتنا هناك، سيكون هذا تدريبًا جيدًا».

قالت جو وهي مستاءة: «على ماذا؟».

«تدريب على أن تكونوا رسلًا مهرة ويعتمد عليهم يا جوزفين».

قوبل هذا بسيل من التأوهات إلا أن الفئران الصغار لم يكن لديهم مزيد من الاعتراضات، كانوا متعبين وخائفين، لكنهم كانوا

في نفس الوقت يشعرون بالارتياح لعودة ستانلي سالمًا. قادهم ستانلي إلى فتحة الجدار، وكأنهم عادوا إلى طفولتهم، تكوموا في الفتحة تمامًا كما وجدهم ستانلي في الماضي، وهيئوا أنفسهم لقضاء ليلة غير مريحة.

عندما تأكد ستانلي من أنهم قد استقروا في أماكنهم، قال متضررًا: «هناك شيء على عمله، لن أتأخر. ابقوا هنا ولا تتحركوا ولو لخطوة واحدة».

قالوا في صوت واحد يغلبه النعاس: «حسنًا، لن نتحرك».

انطلق ستانلي بمحاذاة الممر الخارجي متجهًا نحو ساحة سفن چانيت مارتين وهو يتمتم باستياء.

«لابد أنك قد تعلمت الدرس يا ستانلي. لا يجب أن تعبث مع السحرة أو الأميرات، ولا حتى أميرة واحدة. فأميرة واحدة بنفس سوء ستة سحرة. ففي كل مرة تتورط مع أميرة أو ساحر -وخاصة آل هيب- ينتهي بك الأمر في رحلة محكوم عليها بالفشل للبحث عن إبرة في كوم قش في منتصف الليل بدلًا من أن تكون متدثرًا بغطائك في سريرك الدافئ. متى ستتعلم الدرس؟».

سار ستانلي مسرعًا في الممر الخارجي، وسرعان ما راح يفكر ويعيد التفكير إن كان من الحكمة أن يواصل رحلته.

«ماذا تفعل أيها الفأر الغبي؟ لست مضطرًا للذهاب والبحث عن فرد آخر من أفراد عائلة هيب التي لا نجني من ورائها سوى

المشاكل. وعلى كل حال أنت لم تقل بالفعل أنك ستبحث عنه. في الواقع، لم تكن لديك الفرصة أن تقول أي شيء. أليس كذلك يا ستانلي؟ ولماذا كل هذا؟ إذا عدت بذاكرتك للوراء قليلًا فستتذكر أن أمهم نفسها كادت تقتلك. هل نسيت؟!

ألا تلاحظ أيضًا أن البرد قارس، وأنك يمكن أن تلقى حتفك في هذا الممر. والله وحده يعلم ما يجري في القلعة، ولا يجب أن تترك الفئران الصغار بالخارج وحدهم. أليسوا في نفس أهمية مجموعة من السحرة المزعجين؟».

اخترق هدوء المكان صوت زئير حاد ووحشي. وهذه المرة كان الصوت قريبًا... قريبًا جدًّا. في الحقيقة كان الصوت وكأنه يأتي من فوقه مباشرة. التصق ستانلي بالحائط، ونظر لأعلى. لم يكن هناك ما يمكن رؤيته سوى سماء الليل المظلمة حالكة السواد تظهر بها بضعة نجوم يغشاها السحاب. وكانت أسوار القصر ترتفع عاليًا خلفه وفوقها، كان ستانلي يعرف مكان المنازل العالية النحيلة المطلة على الخندق، لكن الفأر لم يكن يستطيع أن يرى شيئًا في هذا الظلام الحالك الذي يخلو من أي بصيص من الضوء.

وبينما وقف ستانلي يفكر إن كان من الحكمة أن يواصل تحركه، وهل سيكون في أمان؟ أدرك أنه لا يستطيع أن يرى شيئًا. ولكن بعد برهة جذب انعكاس باهت لضوء ما على السطح الساكن للخندق عند المنعطف التالي عين ستانلي الثاقبة. واكتشف

أن هذا الضوء يأتي من نفس المكان الذي كان يتجه إليه وهو ساحة سفن چانيت مارتين. رفع بريق الضوء الذي رآه ستانلي من روحه المعنوية كثيرًا، وقرر أن يواصل تنفيذ مهمته حتى وإن كانت تخص أحد أفراد أسرة هيب المزعجين.

وبعد بضع دقائق قفز ستانلي بخفة لأسفل من الممر الخارجي، وجرى عبر ساحة السفن متفاديًا أكوام مخلفات القوارب والسفن التي تسكن ساحة چانيت، متجهًا صوب المنظر الرائع للنافذة المضاءة. كان ستانلي واثقًا من أن هذا الضوء ينتمي لإحدى السفن، وتحديدًا من إحدى نوافذها الصغيرة، لكن ستانلي لم يكن يأبه بذلك. فالضوء هو الضوء أيًا كان مصدره، وحيث يوجد ضوء توجد حياة.

كان باب القمرة ذات النافذة المضاءة موصدًا ومغلقًا بقضبان حديدية، إلا أن هذا لم يثنِ الفأر الرسول عن عزمه، فقفز على سطح القمرة، ووجد فتحة التهوية - التي كانت عبارة عن ماسورة مفتوحة تتخذ شكل يد المظلة- وقفز بداخلها.

لم يسمع نكو چانيت مارتين تصرخ من قبل، كانت صرختها حادة عالية تشبه صرخة فأر. لم يصدق أن هذا الصوت قد صدر من چانيت.

صرخت: «فأر، فأر»، وقفزت من مكانها والتقطت مفتاح ربط كان بجوارها - فكان دائمًا هناك مفتاح ربط بجوار چانيت-

وضربت به بقوة. كانت ردود فعل ستانلي التي قام بها بسرعة البرق تستحق الدراسة، فقد قفز جانبًا في اللحظة المناسبة بالضبط وهو يلوح بذراعيه في الهواء ويقول: «فأر رسول!».

رفعت چانيت المفتاح استعدادًا لتسديد ضربة أخرى نحوه، ثم حدقت بالفأر وفجأة نزلت به في منتصف المائدة حتى كادت أن تصيب الشمعة المشتعلة.

راقب ستانلي المفتاح باهتمام شديد، بينما راقب كل من كانوا حول المائدة ستانلي.

كانت چانيت مارتين بوجهها النحيل المكتسي بسمرة الشمس كثمرة جوز وشعرها الرمادي المجدول في ضفيرتين -كأغلب البحارة- سيدة تبدو عليها ملامح الصرامة والجدية. وضعت چانيت المفتاح ببطء شديد، ليتنفس ستانلي -الذي كان يحبس أنفاسه- الصعداء. ورفع عينيه ليرى وجوهًا مترقبة تحيط به، وبدأ يستمتع باللحظة. كانت من مزايا مهنة الرسول أنه يتمتع بالدراما والإثارة والاهتمام والسلطة.

أخذ ستانلي يتفحص الوجوه بنظرات واثقة، وهو يعرف أن أحدًا لن يطيح به بمفتاح، لبضع دقائق على الأقل. نظر ستانلي إلى متلقي رسالته نكو هيب ليتأكد من شخصيته. عرف ستانلي نكو من ضفيرتيه الصغيرتين الصفراوين، وكذلك من عينيه الخضراوين البراقتين اللتين تميزان آل هيب. كان بجواره روبرت الذي كان

شعره يلمع، وقد بدا برتقاليًا في ضوء الشمعة، ولأول مرة لم يكن عابسًا، بل في الحقيقة كان مبتسمًا بينما كان ينظر لفتاة ممتلئة قليلًا تجلس بالقرب منه. كان ستانلي يعرفها جيدًا، كانت قبطانة سفينة الميناء.

كانت صهباء هي الأخرى، ربما أكثر من روبرت جرينچ نفسه. وكانت لها أيضًا نفس الابتسامة، وفي ضوء الشمعة كانت تبدو ودودة للغاية، بالرغم أن ستانلي لم يكن مقتنعًا، فآخر مرة رآها قذفته بثمرة طماطم متعفنة، على أي حال فهي أفضل من مفتاح الربط».

قاطع نكو تأملات الفأر وقال: «إذن لمن؟».

«ماذا؟».

«الرسالة؟ لمن؟».

تنحنح ستانلي ووقف على رجليه الخلفيتين، وقال: «إحم إحم، أرجو ملاحظة أنه نظرًا للموقف...ممم... الموقف الحالي وما يتعلق به من ظروف، لن يتم تسليم هذه الرسالة بالشكل المعتاد. لذلك فأنا أخلي مسئوليتي من دقة محتوى هذه الرسالة، إذ إن توصيل هذه الرسالة غير مدفوع الأجر، لكن يوجد صندوق للتبرعات الموجهة لإنشاء مواسير صرف جديدة عند برج مراقبة البوابة الشرقية أمام مكتب خدمة الفئران الرسل. وأرجو ملاحظة أنه لا يتم الاحتفاظ بأي أموال في الصندوق خلال الليل».

سأل نكو: «هل هذا هو الأمر الذي جئت من أجله؟ هل جئت لتحدثنا عن مواسير الصرف؟».

قال ستانلي الذي عادة ما كان لسانه يسبق تفكيره: «أية مواسير؟». ثم عندما استجمع أفكاره قال بشيء من الحدة: «لا، بالطبع لم آت لهذا السبب».

قال نكو فجأة: «أنا أعرف أي فأر أنت؟ أنت ستانلي أليس كذلك؟».

قال ستانلي متشككًا: «لماذا تقول ذلك؟».

ابتسم نكو، وقال: «كما ظننت. حسنًا يا ستانلي، لمن هذه الرسالة؟».

رد ستانلي وقد شعر بشيء من الإهانة بالرغم من جهله بالسبب: «نكو هيب».

قال نكو وقد بدت عليه الدهشة: «أنا؟!».

«إذا كان هذا اسمك، فنعم».

«بالطبع أنا. ما هي الرسالة؟».

أخذ ستانلي نفسًا عميقًا، وقال: «ابحث عن نكو... نكو هيب عند ساحة سفن چانيت، وأخبره بما يحدث. وأخبره بمكاننا. أرجوك».

امتقع وجه نكو وسأله: «من أرسل هذه الرسالة؟».

جلس ستانلي على كومة من الورق، وقال: «حسنًا، أنا بالتأكيد لن أقوم بتوصيل الرسائل لأي أحد، وخاصة في ظل هذه... هذه الظروف الحالية. ولكن على كل حال أنا لا أعتبر نفسي مجرد رسول، ولكنني أُعتبر ممثلًا شخصيًا لـ... آااي!».

وخز نكو بطن الفأر الكبير بإصبعه. صاح ستانلي معترضًا: «آاااي! أنت تؤلمني. لا داعي لاستخدام العنف. لقد جئت فقط بسبب طيبة قلبي».

مال نكو على المائدة، وحدق في عيني الفأر، وقال: «ستانلي، إذا لم تخبرني فورًا بمن أرسل هذه الرسالة، فسأخنقك بيدي، أتفهم؟».

«نعم نعم أفهم».

«والآن من أرسل هذه الرسالة؟».

«الأميرة».

«چينا؟».

«نعم، الأميرة چينا».

نظر نكو لرفاقه، وكان ضوء الشمعة الوحيدة الموضوعة في وسط المائدة يلقي بظلاله على وجوههم القلقة. ولبضع دقائق كانت تصرفات ستانلي الغريبة قد شغلتهم عما يحدث بالخارج... ولكن لم يستمر ذلك طويلًا. فسرعان ما استعادوا خوفهم وقلقهم على ذويهم وأصدقائهم الموجودين بالقلعة.

قال نكو ببطء: «حسنًا، والآن أخبرني. أين چينا ومن معها؟ وهل هم بخير؟ ومتى أرسلت هذه الرسالة؟ وكيف...؟

كان دور ستانلي في مقاطعته، وقال وقد بدا عليه التعب: «اسمع... لقد كان يومًا طويلًا، وواجهت مصاعب كثيرة، سأخبرك بكل شيء. ولكني محتاج حقًّا لفنجان من الشاي وبسكويتة».

همت ماجي بالنهوض لكن روبرت منعها، وقال: «لقد كان يومك طويلًا أنت الأخرى، سأقوم أنا بذلك».

ساد الصمت، ولم يخترقه سوى صوت الموقد الخافت والزئير المرعب المفاجئ الآتي من الخارج من عمق **الظلام**.

37
الأخوان

مر الليل في الحجرة خلف الباب الأحمر الكبير، ونام شاغلو الحجرة نومًا متقطعًا على التشكيلة الغريبة من الوسائد والسجاد. وكان رعد - الذي هو اسم على مسمى - قد أيقظهم مرتين بخشونة وعنف. ولكن بعد الاعتراضات والكثير من التهوية راح الجميع في النوم مرة أخرى. رتبت چينا سريرها القديم الذي يشبه الصندوق والذي كان ما يزال موجودًا في الخزانة ومفروشًا بأغطية خشنة ورثة.



كــانت هـذه الأغطيـة تختلف كثيـرًا عـن الأغطية الموروثة المصنوعة من أفخر الأقمشة والفراء الناعم التي تكسو فراشها ذا الأربعة أعمدة في القصر، إلا أن چينا كانت تحب ملاءاتها وأغطيتها القديمة وفراشها القديم البسيط أكثر من أي شيء. انحنت چينا على الفراش، ونظرت من النافذة الصغيرة لبضع دقائق، وراحت تتأمل النجوم في السماء والنهر بالأسفل كما كانت تفعل دائمًا قبل أن تنام. لكن مزيج إظلام القمر -التي تذكرت وقد بدأ يغلبها النعاس العمة زيلدا وهي تشرحه لها في يوم من الأيام عندما كانا في مستنقعات مارام- مع السحب الكثيفة كان يغطي معظم النجوم. كانت خزانتها أبرد مما تتذكر، ولكن سرعان ما استغرقت هي الأخرى في النوم منكمشة في فراشها (وهو الأمر الذي كانت مضطرة له لكون فراشها قد صار صغيرًا جدًّا عليها الآن). تدثرت چينا بالأغطية الخشنة وعباءة الأميرة المزينة بالفراء الفاخر على حافتها وعباءة الساحرة التي كانت قد حصلت عليها مؤخرًا. كان مزيجًا غريبًا، لكنه جعلها تشعر بالدفء.

أما سبتيموس ومارسيلوس فقد تناوبا طوال الليل في مراقبة الباب، كان كل منهما يراقب الباب لمدة ساعتين، ثم ينام لمدة ساعتين، ثم يتبادلان الأدوار. وفي الساعة الرابعة فجرًا بدأ **الضباب الظلامي** في التحرك عبر زقاق الذهاب والعودة، وراح يدفع الباب الأحمر الكبير، كانت هذه هي نوبة حراسة سبتيموس الذي أيقظ

مارسيلوس وراحا يراقبان الباب والقلق والرعب يكادان يفتكان بهما.

قام الباب بشد مفاصله بإحكام، ومرت الدقائق طويلة لكن **المنطقة المظلمة** لم تتمكن من اقتحام المكان.

لم يكن هذا بفضل سحر سبتيموس فحسب، ولكن أيضًا بفضل الباب الأحمر نفسه. فقد كان بنيامين هيب قد زوده بسواتر أمنية سحرية خاصة به قبل أن يسلمه لابنه سايلاس؛ حرصًا منه على حماية ابنه وأحفاده حتى بعد رحيله. وبالرغم من أن السواتر الأمنية السحرية الخاصة ببنيامين لم تكن قادرة على منع أي شيء أو شخص يدخل المكان بدعوة من أصحابه (مثل القابلة التي اختطفت سبتيموس) فإنها كانت فعالة في منع أي شيء لم يقم آل هيب بدعوته للدخول، وكانت توقفه عند الباب. لم يخبر بنيامين سايلاس بهذا الأمر من قبل لكي لا يظن أنه يشكك بقدراته السحرية، بالرغم من أن هذا كان صحيحًا. لكن سارة هيب كانت قد خمنت ذلك منذ زمن بعيد.

وهكذا كانت **المنطقة المظلمة** قد بدأت هجومها بلا هوادة، تمامًا كما كان يحدث في الثلاثة أماكن الأخرى في القلعة التي كانت تحمي نفسها: برج السحرة والحجرة الهرمسية والحجرة الآمنة السرية الخاصة بإيجور في المغارة القوطية والتي كان يختبئ بها بالإضافة إلى إيجور، ماريسا ومات وماركوس. لكن من كانوا

خلف الباب الأحمر الكبير كانوا في أمان في الوقت الحالي. وعندما بزغ أول بصيص من ضوء الشمس المشرقة مخترقًا زجاج النافذة المتسخ، خفف سبتيموس ومارسيلوس من حراستهما، وراحا يغطَّان في نوم عميق بجوار جمر النار المشتعل.

استيقظت سارة هيب مع بزوغ أول خيط من خيوط الشمس كما تفعل دائمًا. كانت تتحرك بارتباك، فقد كانت رقبتها متيبسة من جراء الليلة التي قضتها نائمة على سجادة بالية ووسادة صلبة كالحجر. نهضت سارة وسارت وعضلاتها متيبسة نحو النار، وخطت من فوق مارسيلوس ووضعت وسادة أسفل رأس سبتيموس برفق وحنان. ثم أضافت مزيدًا من الحطب إلى الجمر، ووقفت وهي تحيط نفسها بذراعيها وتراقب النار وهي تشتعل. وكانت في داخلها تشكر سايلاس على كل ما خزنه في المكان؛ الحطب المرصوص بنظام أسفل فراش چينا والأغطية والسجاد والوسائد، وخزانتان ممتلئتان عن آخرهما ببرطمانات الخضر والفواكه المحفوظة، وصندوق كامل من العصي السحرية التي تصبح شرائح لذيذة من السمك أو اللحم المجفف عند إعادة تشكيلها باستخدام التعويذة الصحيحة (التميمة الصغيرة التي تشبه العصا التي تركها سايلاس مدسوسة بجوارها). وبالإضافة لكل ذلك قام سايلاس أيضًا بإصلاح دورة المياه التي كانت مصدر إزعاج مستمر لسارة عندما كانت تعيش هنا عائلة هيب. لم تكن

السباكة في العشوائيات في أفضل حال، وكانت المراحيض - التي تشبه الأكواخ على الأسوار الخارجية- دائمًا في حالة من الفوضى العارمة. ولكن الآن وبعد طول انتظار قام سايلاس بإصلاحها. كل هذا، واكتشافها في وقت متأخر من الليل وجود قزم الماء مخبأً في الخزانة، جعل سارة تشعر بالاشتياق لسايلاس.

كانت تود أن تشكره وتعتذر له عن كل المرات التي شكت وتذمرت من اختفائه المستمر دون أن يخبرها بمكانه، وكانت تتمنى أيضًا أكثر من أي شيء آخر أن يعرف أنها بخير.

أخرجت سارة أيضًا قزم الماء ووضعته أعلى الخزانة، حيث وجدته، وابتسمت؛ فقد عرفت لم كان يخبئه، لأنه كان أحد الأقزام الوقحين. قالت سارة في نفسها بينما كان القزم يملأ الغلاية بالماء: «هذا القزم ليس سيئًا على أي حال». كان الماء هو أكثر ما يقلق سارة؛ لأنه سيضطرها أن تذهب إلى البئر، ولاشك أنها كانت رحلة خطرة بالفعل. ولكن الآن صار لديهم مخزون وفير من الماء بفضل سايلاس.

علقت سارة الغلاية فوق النار، وجلست تراقبها وهي تغلي وهي تتذكر كيف كانت تفعل ذلك كل صباح. كانت تحب هذه اللحظات النادرة عندما يسود الهدوء والاطمئنان.

عندما كان الأطفال صغارًا كان واحد أو اثنان منهم يجلس عند قدميها وعيونهم يغشاها النعاس، لكنهم كانوا دائمًا هادئين، وبعد

أن كبروا لم يكن أي منهم يستيقظ إلا عندما تقرع على مقلاة العصيدة، لتعلن عن أن الإفطار معدٌّ. تذكرت سارة كيف كانت تأخذ الغلاية من فوق النار قبل أن تنطلق صفارتها وتصنع لنفسها فنجانًا من شاي الأعشاب، وتجلس في هدوء وهي تراقب أطفالها النائمين على الأرض، تمامًا كما تفعل الآن.

غير أنها كانت ممتعضة قليلًا من وجود رعد الذي أعلن عن وجوده بطريقته الخاصة، ففي الماضي لم تكن تحدق في كومة من فضلات الحصان.

أحضرت سارة جاروفًا، وفتحت النافذة، وألقت بالكومة ذات الرائحة النفاذة من النافذة، ثم مالت للخارج قليلًا، واستنشقت هواء الصباح المنعش والذي كان برائحة الثلج وطمي النهر. تدفقت على عقلها الذكريات السعيدة لأيام عيد منتصف الشتاء مع ذكرى حزينة لليلة مرت منذ أربعة عشر عامًا مضت. التفتت ونظرت لابنها الأصغر الذي كان نائمًا، وقالت في نفسها: أيًّا كان ما حدث في الماضي، فهو الآن يقضي ليلته في الحجرة التي كان يجب أن يكبر بها.

راقبت سارة شمس الشتاء الباهتة وهي تشرق فوق التلال البعيدة وتسطع سطوعًا خافتًا من بين فروع الأشجار العارية على الناحية الأخرى من النهر. وتنهدت، كم كان رائعًا أن ترى ضوء الشمس مرة أخرى... ترى ماذا سيأتي به هذا اليوم؟

أتى هذا اليوم بمشاجرة أخرى بين سبتيموس وسايمون.

كان سبتيموس ومارسيلوس قد أويا إلى ركن هادئ بجوار مكتبة سايلاس، وراحا يطالعان بعض كتب السحر القديمة، ويحاولان أن يجدا أي شيء يخص المناطق المظلمة.

إلا أنهما لم يجدا أي شيء ذا قيمة. فقد كانت كتب سايلاس مجرد كتب مدرسية تقليدية، أو نسخًا رخيصة من كتب غامضة وبها صفحات ناقصة، ودائمًا ما تكون هي الصفحات التي كانت أغلب الظن تحتوي على شيء مهم.

ولكن على الرغم من ذلك وجد سبتيموس كتيبًا صغيرًا مخبأ داخل نسخة ملطخة بالحبر من كتاب سحر الصف الثالث: مصادر الإزعاج المتقدمة. ثم اقترب منه سايمون ليرى إن كانت أي من كتبه المفضلة ماتزال موجودة على الأرفف. ثم نظر لأسفل ورأى عنوان الكتيب: **قوة الظلام للخاتم ذي الوجهين.**

قرأ سبتيموس: أداة معيبة وشديدة الخطورة. كان يستخدمها بالماضي سحرة الظلام ومساعدوهم. وعادة ما يلبس في الإبهام الأيسر، وبمجرد ارتدائه يتحرك الخاتم في اتجاه واحد، ولا يمكن خلعه إلا من قاعدة الإبهام. ومن المعتقد أن هذين الوجهين يمثلان الساحرين اللذين قاما بصنعه. كان كل منهما يريد أن يمتلك الخاتم وتقاتلا حتى الموت للحصول عليه. (انظر كتيب هذا الكاتب عن

نشأة الدوامة بلا قاع. فقط بستة جنيهات فضية من متجر وايوالد للسحر).

وبعد ذلك انتقل الخاتم من ساحر إلى آخر وهو يثير الفوضى ويعيث في الأرض فسادًا. ومن المعتقد أنه قد ساهم بدور فعال في وباء الوحل الذي أصاب الميناء، وهجمات أفعى نهر الليل التي شنتها على العشوائيات وفي الغالب في الحفرة المظلمة التي بني فوقها فيما بعد مستودع النفايات المحلي. يمتلك الخاتم ذو الوجهين قوة تراكمية؛ فكل من يرتديه يحصل على **قوة الظلام** لكل من ارتدوه من قبله. وهذه القوة تصل لأقصى حد لها فقط بعد ارتدائه لمدة ثلاثة عشر شهرًا قمريًا. وبالرغم من أن كثيرًا من الناس يقولون: إن الخاتم ذا الوجهين ما يزال موجودًا فإن الكاتب لا يؤمن بذلك. فلم يسمع أحد به منذ مئات السنين، وفي الغالب أنه قد فقد إلى الأبد.

قال سايمون وهو يقرأ من فوق كتف سبتيموس: «هذا مثير للاهتمام، لكنه ليس دقيقًا بما فيه الكفاية».

كان رد سبتيموس مقتضبًا ومباشرًا: «اغرب عن وجهي».

سعل مارسيلوس: «إحم، إحم» ولكن دون فائدة.

قال سايمون: «لقد أردت فقط أن أقدم المساعدة. فكلنا نريد أن نتخلص من هذه المنطقة المظلمة».

قال سبتيموس وهو ينظر لمارسيلوس: «نحن نريد، لكنني لست متأكدًا منك».

قال سايمون بعد أن أطلق تنهيدة أثارت استياء سبتيموس: «انظر، لقد توقفت عن ممارسة هذه الأشياء. صدقني، أقسم لك أنني توقفت عن ذلك».

قال سبتيموس بازدراء: «حقًّا؟».

قال مارسيلوس: «مهلًا، مهلًا أيها التلميذ. تذكر وعدك لأمك».

تجاهل سبتيموس مارسيلوس.

وقال سايمون غاضبًا: «أنت لا تفهم شيئًا. لقد ارتكبت خطأً. وكان خطأً فادحًا. لكنني أفعل كل ما بوسعي لأعيد الأمور إلى نصابها. ولا أدري ماذا يمكنني أن أفعل أكثر من ذلك. وأنا الآن يمكنني أن أقدم مساعدة مفيدة، فأنا أعرف أكثر منكما معًا عن هذا... هذا الأمر».

قال سبتيموس بحدة: «أنا واثق من ذلك».

«أيها التلميذ، أعتقد أنك يجب أن تهدأ و..».

انفجر سايمون وقال: «أنت تظن أنك تعرف كل شيء لمجرد أنك تلميذ مارشا الصغير المفضل، لكن في الحقيقة هذا غير صحيح».

قال سبتيموس: «لا تتفضل علي».

وفجأة ظهرت سارة وقالت: «يا أولاد، يا أولاد. ماذا قلت لكما؟».

رمق سبتيموس وسايمون بعضهما بنظرات غاضبة، والغضب يكاد يفتك بهما. وتمتما وهما يجزان على أسنانهما: «معذرة يا أمي».

كان مارسيلوس بمثابة وسيط بينهما. فقد ذهب إلى سبتيموس الغاضب، وقال له: «اسمع أيها التلميذ، تمر بنا أحيانًا أوقات حرجة، وهذه الأوقات تستلزم اتخاذ تدابير استثنائية. يجب أن نحصل على كل مساعدة ممكنة. وسايمون لديه ميزة فريدة وهي معرفته بعالم الظلام و...».

تمتم بصوت خافت: «أنت على حق».

تجاهل مارسيلوس هذه المقاطعة، وأردف قائلًا: «وأنا أعتقد أنه قد تغير. وإذا كان هناك أحد يعرف طريقة للتغلب على هذه المنطقة المظلمة، فهذا الشخص سيكون دون شك هو سايمون. ولا داعي لأن ترسم هذا التعبير على وجهك يا سبتيموس».

«هه».

«يجب أن نفعل كل ما بوسعنا؛ فنحن لا نعرف إلى متى يمكننا منع المنطقة المظلمة من اقتحام الحجرة؟ ولا ندري إلى متى يمكن أن يبقى سكان القلعة المساكين على قيد الحياة داخل

المنطقة المظلمة، وبالتأكيد لا نعرف إلى متى سيصمد برج السحرة؟».

قال سبتيموس: «يمكن أن يصمد برج السحرة إلى الأبد».

«بكل صراحة، أشك. وحتى إذا صمد، فما الجدوى؟ فسرعان ما سيصبح جزيرة معزولة في قلعة الموت».

«لا!».

«تذكر كلامي أيها التلميذ! كلما طالت مدة مكوث المنطقة المظلمة في مكان ما زادت احتمالية تطور الأحداث كالتالي: سيبقى معظم الناس على قيد الحياة لبضعة أيام فقط، أما من هم أقل حظًّا فسيبقون على قيد الحياة لفترة أطول، ولكن سيصيبهم مس من الجنون مما سيمرون به ويرونه. وواجبنا أن نفعل كل ما بوسعنا لمنع ذلك. ألا تتفق معي؟».

أومأ سبتيموس وقال بصعوبة: «نعم».

ثم وصل مارسيلوس إلى الموضوع الذي كان سبتيموس يعرف أنه يريد أن يتحدث عنه.

«ومن أجل هذا، أعتقد أننا يجب أن نستعين بمساعدة أخيك».

لم يستطع سبتيموس أن يتحمل هذه الفكرة، فقال معترضًا: «ولكننا لا يمكن أن نثق به».

«أنا أعتقد أنه يمكننا الوثوق به أيها التلميذ».

«لا، لا يمكننا الوثوق به. إنه يعبث **بالظلام** عن عمد. أي نوع من البشر هذا؟».

قال مارسيلوس مبتسمًا: «مثلنا».

«الأمر مختلف».

«وأنا أعتقد أن أخاك مختلف أيضًا».

«بالتأكيد».

قال مارسيلوس بحزم: «أيها التلميذ لا تسئ فهمي متعمدًا، لقد ارتكب أخوك أخطاء، لكنه دفع ثمنًا باهظًا، وما زال».

«وهو يستحق ذلك!».

«أيها التلميذ، أنت حقود بعض الشيء، ولديك رغبات انتقامية، وهذه ليست صفة جذابة في شخص له قدراتك السحرية. يجب أن تكون أكثر تسامحًا عندما تنتصر».

«أنتصر؟!».

«اسأل نفسك، أي شخص يحب المرء أن يكون؛ سبتيموس هيب، التلميذ الأعظم الذي يحبه ويحترمه كل من بالقلعة والذي يملك مستقبلًا باهرًا واعدًا، أم سايمون هيب المنفي المكروه الذي يعيش في الميناء، وبالكاد يجد قوت يومه، وليس له أي طموح؟».

لم يفكر سبتيموس في هذا الأمر بهذه الطريقة من قبل. نظر نحو سايمون ليجده يقف وحيدًا يحملق من النافذة. كان

مارسيلوس محقًّا؛ فلا يمكن أن يتبادل الأدوار مع سايمون مقابل أي شيء.

قال: «حسنًا، حسنًا. أنا موافق».

وهكذا اندهشت سارة هيب، وفرحت كثيرًا عندما قضى ولداها الأكبر والأصغر الساعات القليلة التالية جالسين بجوار مكتبة سايلاس هيب يتناقشان مع مارسيلوس باي، الذي غيرت سارة رأيها فيه تمامًا. وبين الحين والآخر كان أحدهما يأخذ كتابًا من المكتبة، ولكنهما كانا يقضيان معظم وقتهما جالسين بهدوء، وكان يبدو عليهما أنهما يستمتعان بصحبة بعضهما.

وبحلول الليل، كان سبتيموس ومارسيلوس قد عرفا الكثير من سايمون. روى لهما سايمون كيف رأى الخاتم ذا الوجهين على العظام اللزجة لمعلمه القديم دومدانيال عندما أوشكت على خنقه، وكيف تمكن من حبس العظام في جوال، وألقاها في خزانة بلا قاع في المرصد. وكيف أن ميرين قد تمكن بطريقة أو بأخرى من استعادة الخاتم من عظمة إبهام دومدانيال اللزجة، الأمر الذي جعلهم جميعًا يرتعدون.

كان سبتيموس يظن أنهم إذا تمكنوا من القبض على ميرين وإجباره على خلع الخاتم فستختفي المنطقة المظلمة، لكن سايمون شرح له أن بمجرد أن تدخل المنطقة المظلمة مكانًا ما يحتاج الأمر أكثر من مجرد خلع الخاتم لطردها منه. وأن الأمر

يحتاج لأقوى أنواع السحر لتنفيذ ذلك. وعندما جاء ذكر الشفرة المقترنة روى لهما مارسيلوس ما حدث على مضض، وساد المكان الحزن والصمت.

وقال سايمون بعد برهة: «هناك طريقة أخرى؛ فالتلاميذ الذين ينتمون لنفس الساحر الأعظم دائمًا ما تكون بينهم رابطة سحرية. وكل من ألثر وميرين كانا تلاميذ لدى دومدانيال، وألثر هو الأكبر سنًّا ورتبة. لذا هناك احتمال ضعيف أن يتمكن من فك لعنة المنطقة المظلمة؛ لأنها من صنع تلميذ أقل في السن والرتبة، ولكن..».

كان سبتيموس يستمع له باهتمام وسأله: «ولكن ماذا؟»

كان هذا هو أول سؤال يطرحه سبتيموس ولم يكن اتهامًا موجهًا له.

قال سايمون: «لست متأكدًا من أن هذا الأمر ينطبق على الأشباح أيضًا».

«قد ينطبق.. قد ينطبق وقد لا ينطبق».

اتخذ سبتيموس قراره؛ فقد قرر أن يذهب إلى **الردهات المظلمة** ويجد ألثر. لم يكن سبتيموس مهتمًّا إن كان ألثر يملك القوى التي يعتقد سايمون أنه يملكها أو لا، لكنه كان بكل تأكيد سيعرف ما يجب عليهم عمله. كان سبتيموس واثقًا من ذلك، كان ألثر هو أملهم الوحيد.

قال سبتيموس: «مارسيلوس، قلت من قبل: إن هناك بوابات أخرى **للردهات المظلمة**؟».

كان مارسيلوس يعلم ما سيقوله سبتيموس بعد ذلك وقال: «نعم».

«كنت أريد أن أعرف أكثرها فعالية، سأذهب وأحضر ألثر».

صعق سايمون وقال: «لا، لا يمكنك الدخول إلى **الردهات المظلمة**!».

«لا سأذهب، لقد كنت ذاهبًا إلى هناك على أي حال حتى قبل أن يحدث كل هذا».

بدا القلق على ملامح سايمون، وقال: «انتبه يا سبتيموس، لقد أرسلت لك الرسالة لهذا السبب.. إلى جانب الاعتذار عن... ممم.. عن محاولة قتلك. إنني نادم على ما فعلت، نادم حقًّا. وأنت تعرف ذلك، أليس كذلك؟».

قال سبتيموس: «نعم، أعتقد ذلك. أشكرك».

«حسنًا، وآخر ما أريده أن يكون أخي الأصغر فريسة **للظلام**. فهو يجذبك ويغيرك، إنه شيء مريع. **والردهات المظلمة** هي أكثر الأماكن **ظلامًا** على الإطلاق».

قال سبتيموس: «سايمون أنا لا أريد أن أذهب ولكن ألثر هناك، وإذا كانت هناك فرصة في تقديم المساعدة فلابد أن أستغل هذه

الفرصة. كما أنني قد وعدت أليس أنني سأعيد ألثر ويجب أن أنفذ وعدي».

أطلق سايمون آخر سهم في جعبته، وقال: «ولكن ترى ماذا ستقول أمي؟».

نادت سارة -التي كانت تمتلك حاسة سمع أقوى من سمع الخفافيش خاصة عندما يذكر الأولاد اسمها- من الناحية الأخرى من الحجرة: «أقول عن ماذا؟».

رد سايمون وسبتيموس في آن واحد: «لا شيء يا أمي».

وفي ظل المكتبة أخرج مارسيلوس نسخة الجيب الخاصة بباب التقويم من كتابه: «أنا مارسيلوس»، وفتح فصل حسابات البوابة: نقاط الإحداثيات والبوصلة.

حل الظلام، وحاول سبتيموس مجددًا أن ينادي لافظ اللهب بالرغم من أنه لم يتوقع منه ردًّا. أحزن الصمت الذي تلا نداءه سبتيموس لكنه حاول ألا يظهر ذلك.

طهت سارة حساء آخر بمساعدة لوسي التي كانت تريد معرفة طريقة صنع حساء صالح للأكل. وبعد العشاء، عاد سبتيموس وسايمون ومارسيلوس إلى المكتبة. وكان لحساء سارة مفعول السحر، فقد تمكنوا من الانتهاء من أول مجموعة من الحسابات والتي بينت لهم مكان البوابة المؤدية لردهات الظلام، ولكن ربما تزيد أو تنقص نصف ميل أو نحو ذلك. لم يفاجأ أي منهم بالنتيجة.

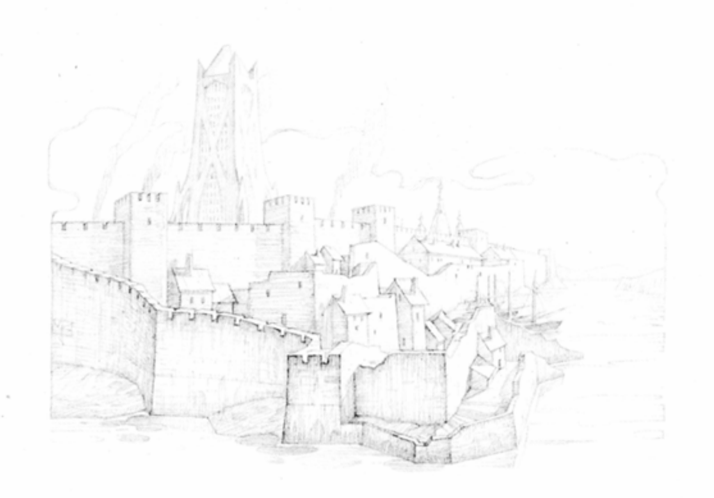
اقترب المساء، وبدأت الرياح الشمالية الغربية في الهبوب، كانت تهز زجاج النافذة، وترسل تيارات الهواء الباردة إلى داخل الحجرة. تدثر شاغلو الحجرة بالأغطية، وسكنوا استعدادًا لحلول الليل. وسرعان ما ساد الصمت الحجرة التي تقع وراء الباب الأحمر الكبير.

وبعد منتصف الليل بوقت قصير على الناحية الأخرى من الباب الأحمر الكبير وصل أحد **الأشياء** الذي راح ينظر للباب باهتمام، ووضع يده المجعدة على الخشب الأحمر، ولكن سرعان ما أبعدها عندما لمست السحر المموه الذي يغطي سطحه. لم يلحظ مارسيلوس-الذي كان مسئولًا عن نوبة الحراسة، لكن غلبه النعاس- أن الباب ارتعش قليلًا وشد مفاصله.

سار **الشيء** في الممر مبتعدًا وهو يتمتم لنفسه بكلمات **ظلامية** غير مفهومة.

38

حوض الخنازير



انطلق نكو لينقذ چينا ورفقاءها في العشوائيات بمجرد أن رحل ستانلي. لم يكن يريد أن يركب سفينة الميناء، لكنه لاقى معارضة واسعة. حتى چانيت اتفقت مع روبرت وماجي، وأخبرته أن آل هيب ليسوا هم الوحيدين المحتاجين للمساعدة والإنقاذ.

ولابد أن هناك آخرين، لذا يجب عليهم أن يأخذوا أكبر سفينة ممكنة. إلى جانب أنهم لم يكن لديهم سفن أخرى مناسبة. كانت معظم سفنهم خارج المياه وموضوعة على دعائم. وافق نكو على مضض، ولكنه سرعان ما ندم على موافقته هذه، فسفينة الميناء أو حوض الخنازير، كما أطلق عليها فيما بعد، لم تجلب له سوى المتاعب.

فمنذ بداية الرحلة لم يكن التحرك بها سهلًا، كانوا يجب أن يسلكوا طريقًا طويلًا؛ لأن سفينة الميناء لا تستطيع أن تبحر في الخندق فيما وراء ساحة السفن. بالإضافة إلى أن الرياح كانت ضدهم، واضطر روبرت ونكو أن يدفعا السفينة الطويلة الثقيلة- التي كانت تبحر بصعوبة بالغة في الخندق الضيق- بالأعمدة الخشبية الطويلة لتسير قدمًا. فوقف كل منهما على أحد جانبي السفينة دافعين إياها في المياه بأعمدة خشبية مخصصة للسفن. ولكن لحسن الحظ سهل انحسار المد في اتجاههم من تحرك السفينة في المياه إلى حد ما، لكنها كانت ماتزال تتحرك بسرعة السلحفاة، مما سمح لهم بالتأمل طويلًا في القلعة المظلمة.

همست ماجي لروبرت: «تبدو القلعة وكأن كل سكانها قد... هجروها». فلم تكن تريد أن تقول: إنها تبدو وكأن كل سكانها قد ماتوا، وإن كان هذا ما قصدته حقًّا.

فهي لم تكن تدري كيف يمكن لأي شخص حُبس في القلعة أن يظل على قيد الحياة، وكانت ترى أنه كلما أسرعت هي وروبرت في الرحيل إلى الميناء كان أفضل.

دفع نكو المجداف في المياه بكل ما أوتي من قوة، دافعًا السفينة التي سارت ببطء شديد نحو صخرة الغراب، وهو مشتاق للحظة التي يخرجون بها إلى النهر العريض، لتملأ أشرعتهم الرياح، وتدفعهم قدمًا. ولكن لسوء الحظ قبل أن يصلا لنقطة اتصال الخندق مع النهر، جنحت السفينة وارتطمت بالقاع عند الضفة الطينية عند مدخل الخندق.

لم يكن نكو مصدقًا نفسه.

وبالرغم من الجهود المضنية المبذولة باستخدام هذه الأعمدة المصنوعة خصيصًا لدفع السفينة من على الضفة الطينية فإن السفينة الحمقاء التي تشبه حوض الخنازير- على حد تعبير نكو- لم تتزحزح من مكانها قيد أنملة. كانت ثابتة في مكانها تمامًا.

كانت ماجي في غاية الحرج، فمن العار على قبطان سفينة أن تجنح سفينته. ولكن على الأقل لم تكن سفينتها مليئة بالركاب أو الماشية، لتظل محبوسة معهم لأكثر من ست ساعات متحملة شكواهم وأنينهم ونباحهم ونهيقهم دون أن تجد مهربًا من كل هذا. وإذا حالفها الحظ، فلن يسمع أحد بهذا الأمر. بالإضافة إلى

أن سفن الميناء كانت قد صنعت لتستقر على الطمي، لذا فلا ضرر مما حدث.

لكن بالنسبة لنكو وروبرت كان هناك ضرر قد وقع عليهما بالفعل. ظلا يحدقان بحزن في المياه الطينية الثقيلة، فقد كانا يدركان أن كل دقيقة تمر عليهما وهما محتجزان على الضفة الطينية تعني دقيقة أخرى من الخطر تمر على چينا وسارة وسبتيموس ولوسي (كانا قد نسيا مارسيلوس، ولم يكن أي منهما يهتم إن كان سايمون في خطر). وبالرغم من أن أيًّا منهما لم يقل ذلك صراحة، فإن روبرت ونكو كان يساورهما الشك إن كانوا مايزالون على قيد الحياة. كل ما كانا يملكانه هو بصيص من الأمل، ولكنه انطفأ بمجرد أن انحسر التيار. وبعد ذلك، لم يكن هناك ما يمكنهما فعله سوى الجلوس والحملقة في القلعة، ومحاولة شغل ذهنهما عن التفكير في ماهية الشيء الذي يصدر هذا الزئير المرعب الذي تتردد أصداؤه عبر الأسوار بين حين وآخر، وتجعل أبدانهما تقشعر. كان عزاؤهما الوحيد، أنهما من موقعهما هذا كان يمكنهما رؤية البريق الأزرق والأرجواني لما قال نكو لروبرت: إنه لابد أن يكون **الستار الأمني** للبرج.

وعند منتصف الليل، في الميناء، ارتفع المد، وبدأت المياه المالحة في الزحف نحو الأخاديد الخاوية في الرمال، وبدأ منسوب المياه يرتفع مرة أخرى في المرافئ الساكنة، وبدأت تدفع

المياه أعلى النهر. وفي حوالي الساعة الثالثة بعد منتصف الليل تحركت سفينة الميناء، بمصاحبة الزئير المرعب القادم من داخل القلعة.

أحضر نكو وروبرت الأعمدة مرة أخرى، وراحا يدفعان بها بكل ما أوتيا من قوة وهما واثقان من أنهما سينجحان هذه المرة. وبعد عشر دقائق كانت السفينة تبحر ببطء نحو النهر. ووفقًا لچانيت كانا بالقرب من صخرة الغراب. دفعت ماجي الدفة يمينًا، لكن السفينة سارت ببطء، وبينما كانوا يبحرون أسفل صخرة الغراب اصطدموا بشيء ما.

عرفت چانيت من فورها أنهم قد اصطدموا بأحد المناقير؛ وهي صف من الصخور الصغيرة التي تبرز من صخرة الغراب، ولا تكون مرئية عند ارتفاع المد. كانت ماجي في حالة من الذهول والاضطراب. قالت چانيت لماجي: إنها قد حذرتها أنهم يقتربون أكثر من اللازم من الصخرة، ولكنها أجابتها بحدة: إنها تعرف، أشكرك يا چانيت.

أخذ روبرت ونكو شراعًا احتياطيًّا، وهرعا للأسفل. كانت المياه تملأ عنبر الشحن، كان روبرت مذعورًا، ولكن نكو كان يعرف أن منظر المياه وهي تتسرب داخل السفينة غالبًا ما يبدو أسوأ كثيرًا من حقيقته. حشا روبرت ونكو قماش الشراع الثقيل داخل الكسر الذي حدث في هيكل السفينة، ووجدا أن حجمه لا

يتعدى حجم قبضة روبرت، الأمر الذي جعلهما يشعران بشيء من الارتياح. توقف الماء عن الاندفاع من الفتحة، وصار لون الشراع الأحمر داكنًا عندما بللته المياه. كانت المياه ماتزال تتسرب من الفتحة، ولكن بسرعة أقل من ذي قبل، وكانت تنقط من الشراع بسرعة سمحت لنكو وروبرت أن ينزحاها باستخدام دلو.

كان يجب الوصول بالسفينة المثقوبة إلى الشاطئ بأسرع وقت ممكن، وهكذا قرروا أن يأخذوا سفينة الميناء إلى أقرب رصيف إنزال من ناحية القلعة، فلا أحد كان يريد المخاطرة بالرسو ناحية الغابة ليلًا. وبينما كان روبرت ونكو يصبان دلاء مياه النهر خارج السفينة، كانت كل من ماجي وچانيت تجذبان الدفة التي كانت متصلبة بشدة على غير العادة، وتوجهان السفينة نحو رصيف الإنزال الخاص بالقصر. وبينما اقتربتا رأتا القصر الذي كان في الظروف العادية يتلألأ بأضوائه البراقة -حتى إنه كان علامة مميزة للبحارة العائدين- وقد أصبح مظلمًا تمامًا.

همست چانيت وهي تحدق نحو مكان القصر الذي تعرفه جيدًا، ولا ترى سوى الظلام والسواد: «يبدو القصر وكأنه قد اختفى من الوجود». وبينما اقتربا من رصيف الإنزال الخاص بالقصر والذي كان ما يزال مرئيًا -بعكس كل ما خلفه- كان الجميع يعيدون التفكير في اقترابهم منه، وإن كان هذا سيكون قرارًا حكيمًا أم لا. وجه نكو ضوء أحد مصابيح السفينة القوية نحو

ضفة النهر، لكنه لم يتمكن من رؤية أي شيء؛ فقد تلاشى الضوء خلف رصيف الإنزال، وبدت ضفة النهر ضبابية، ولكن مختلفة. كان الضوء يصل إلى الضباب، ولكن الضباب صده. قال نكو في نفسه وهو يرتعد: الضباب يجذب الضوء ويقتله.

وقال: «أعتقد أننا لا ينبغي أن نقترب أكثر من هذا، فالمكان ليس آمنًا».

لكن ماجي التي كانت تخشى غرق سفينتها كانت تعتقد أن النهر أيضًا ليس مكانًا آمنًا. فدفعت الدفة بقوة يمينًا -كانت السفينة تبدو وكأنها ترفض الانصياع لها- واتجهت نحو رصيف الإنزال.

وفجأة أتى صوت عبر مياه النهر بدا وكأنه صوت أحد الأشباح، قال: «احترسوا، احترسوا. لا تقتربوا. اهربوا... اهربوا من هذا المكان. إنه مكان الهلاااااك».

نظر كل منهما إلى الآخر في ضوء المصباح، وقد امتقعت وجوههم.

قال نكو: «لقد حذرتكم، هذا المكان ليس آمنًا. يجب أن نذهب إلى مكان آخر».

قالت ماجي التي لم تعد تثق في قراراتها بسرعة: «حسنًا، حسنًا. ولكن إلى أين؟ يجب أن يكون مكانًا قريبًا. وماذا لو كانت كل الأماكن مثل هذا المكان، ماذا سنفعل حينئذ؟» استغرق نكو في تفكير عميق. فقد أخبره ستانلي أن هذه كانت **منطقة مظلمة**.

وبالرغم من أنه لم يكن يهتم كثيرًا بدروس السحر في المدرسة – وخاصة بعد أن كبر (وأصبح شجاعًا) بما في الكفاية ليتركها ويذهب إلى ساحة السفن– فإنه كان لايزال يتذكر بعض الأناشيد السحرية. فقد تذكر تلك التي تقول:

__المنطقة المظلمة__ تقتل الحياة

يجب أن تظل داخل حدود المياه

و:

أسوار القلعة عالية وقوية

لا تسمح للظلام بالدخول

ولكن إذا نما الظلام بداخلها

فالأسوار ستمنعه من الخروج

قال نكو ردًّا على سؤال ماجي: «لا، لن تكون كل الأماكن مثل هذا المكان. فالظلام لا يستطيع عبور الماء وكذلك أسوار القلعة. ولهذا لم يصبنا أي أذى عندما كنا في ساحة السفن؛ لأننا كنا خارج أسوار القلعة. يمكننا أن نرسو عند رصيف الميناء الجديد أسفل جسر سالي العائم وسنكون بأمان هناك، ثم يمكنني أنا وروبرت أن نبحث عن سفينة أخرى. اتفقنا؟».

أومأت ماجي برأسها. وافقت ماجي على اقتراح نكو؛ ففي هذا الوقت كان أي شيء يمكن أن يكون صحيحًا، وكان هذا شيئًا لا يدعو للدهشة من وجهة نظرها. رفعت ماجي وچانيت الأشرعة ودارا بالسفينة واتجها مرة أخرى نحو النهر.

وفي هذه اللحظة اكتشفوا أن الدفة كانت عالقة، فكانت هذه هي أحد الأضرار التي أصابت السفينة من جراء اصطدامها بالقاع. وأدركت ماجي أن بسبب هذا العطل كانت السفينة مصرة على الاستدارة نحو اليمين بشكل مستمر، وفي الغالب كان هذا هو سبب ارتطامها بالصخور. والآن كانت السفينة ترفض أن تستدير نحو اليسار لتتجه إلى الرصيف الجديد. وللأسف جنحت السفينة نحو مجرى صخور الغراب، ثم جذبها التيار العكسي وسحبها عبر المياه العميقة والأمواج المتلاطمة عند قاعدة الصخرة بحيث صارت تتجه بسرعة شديدة بعيدًا عن القلعة. أخذوا يحاولون توجيه السفينة خارج هذا المجرى باستخدام المجاديف لتكون بمثابة دفات، ولكن دون جدوى، فقد سارت السفينة في خط مستقيم نحو الغابة، وبينما اقتربوا من الضفاف ذات الأشجار المتشابكة بدءوا يسمعون الأصوات المرعبة لمخلوقات الغابة الليلية. لم يزعج هذا نكو كثيرًا، حيث كان يرى أنهم على الأقل يسمعون شيئًا طبيعيًا، وكان هذا أفضل من الصمت المطبق الذي يسيطر على القلعة بمصاحبة الزئير الغريب.

لحسن الحظ، اصطدمت سفينتهم مرة أخرى، هذه المرة بشريط من الأرض المغطاة بالحصى على بعد بضع ياردات من الضفة، مما ترك مساحة مريحة من الماء بين السفينة والغابة.

أصرت ماجي على استلام نوبة الحراسة، وعندما اعترض روبرت قالت: «أنا قبطانة هذه السفينة، بالإضافة إلى أن ثلاثتكم ستنهمكون غدًا في إصلاح الدفة. يجب أن تحصلوا على قسط من النوم».

قضى نكو وروبرت وچانيت اليوم التالي في إصلاح الدفة. كان إصلاح الدفة عملًا سهلًا، ولا يستلزم وقتًا طويلًا، ولكن في ساحة السفن. أما في غياب الأدوات اللازمة لإصلاح هذا العيب فقد استغرق الأمر وقتًا أطول بكثير، وكذلك فقد كان الجو أكثر برودة ورطوبة من ساحة السفن. وبحلول منتصف النهار كانت أعصاب الجميع على وشك الانهيار وحتى أكواب الشيكولاتة الساخنة التي كانت تقدمها لهم ماجي باستمرار لم تفلح في تهدئتهم.

كانت شمس الشتاء تشرف على المغيب عندما تم إصلاح السفينة، وتمكنت أخيرًا من الطفو بعيدًا عن الضفة المغطاة بالحصى، واتجهت أعلى النهر نحو الرصيف الجديد. وبينما كانت السفينة تدور حول صخرة الغراب، رأوا القلعة التي كان يسودها الظلام في ضوء النهار لأول مرة، الأمر الذي كان صدمة عنيفة لهم. في الليل كان الدليل الوحيد المرئي على وجود المنطقة المظلمة هو غياب الأضواء الليلية المعتادة. أما ضوء النهار فقد

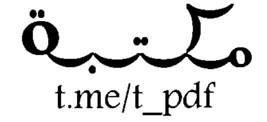
كشف عن الحجم الحقيقي للكارثة التي أصابت القلعة. كان هناك قبة من السحاب الأسود تحتل كل المنطقة داخل أسوار القلعة، وكانت تحجب المنظر البهيج المعتاد للأسطح والمداخن المتداخلة، وتحجب الأبراج التي تقوم من حين إلى آخر بتحية السفن التي تدور حول صخرة الغراب.

شعر نكو أن الأمر يشبه وسادة داكنة يدفعها أحدهم نحو وجه شخص بريء نائم في سلام. ولكن كان ما يزال يوجد بصيص من الأمل يتلألأ فوق الضباب الأسود، وهو برج السحرة المغلف بضوء **سحري** براق والذي كان يرسل ضوءًا متألقًا باللونين الأزرق والأرجواني، متحديًا قوى الظلام. تبادل نكو وروبرت الابتسامات المتعبة؛ فبالرغم من كل شيء لم يضع كل شيء بعد.

وبينما راحوا يقتربون من الرصيف الجديد رأوا الأضواء المرحبة الصادرة من مقهى سالي مولن للشاي والجعة تتألق وقت الشفق، وتأكد نكو أنه كان محقًّا بشأن **المنطقة المظلمة**. كانت سالي مولن بخير، وعندما اقتربوا رأوا من خلال نوافذ المبنى الخشبي المنخفض الطويلة المغطاة بالبخار المتكثف أن المكان كان مليئًا بمن أسعدهم الحظ وتمكنوا من الهرب. رفع هذا من روحهم المعنوية؛ فقد عرفوا أنهم ليسوا الناجين الوحيدين.

ولكن بينما سارت السفينة بمحاذاة الرصيف الجديد، سمعوا صوت الزئير المرعب آتيًا من القلعة -وكان أعلى من أي مرة

سمعوه فيها من قبل- مما جعل رعدة تسري في أجسادهم. ومرة أخرى، تبادل روبرت ونكو النظرات، ولكن دون ابتسام هذه المرة. لم يكونا محتاجين لأي كلمات، فكل منهما يعرف تمامًا ما يفكر به الآخر: كيف يمكن أن يبقى أي شخص على قيد الحياة وهو بداخل هذا المكان؟



39

الهبوط

في الحجرة التي تكمن وراء الباب الأحمر الكبير، كان الضوء الأحمر المتوهج الصادر من جمر النار يلقي ضوءًا دافئًا على النائمين المتدثرين بالأغطية. وكانت الرياح الشمالية الشرقية قد بدأت تهب وتهز زجاج النافذة. وبدأ أحد أحلام سارة في التحول إلى كابوس.

شهقت سارة وانتفضت من نومها جالسة في مكانها: «إيثيل!».

كان دور سايمون في تولي نوبة الحراسة، ولكن كان قد غلبه النعاس، ثم أيقظه صوت أمه وسألها: «هه! هل أنت بخير يا أمي؟»

لم تكن سارة متأكدة، وقالت: « كنت أحلم... كنت أحلم أنني أختنق. وإيثيل الصغيرة المسكينة... آه يا إيثيل».

وفجأة، نهض سايمون واقفًا عندما رأى خيطًا صغيرًا من دخان **الظلام** يلتف حول نفسه أسفل باب «بنيامين هيب».

صاح سايمون: «استيقظوا، استيقظوا جميعًا!

راح رعد يصهل بصوت عالٍ، فاستيقظ الجميع على الفور.

اتجه سبتيموس نحو الباب، ليضع عليه نوعًا من الإيقاف الطارئ، ولكن مارسيلوس أمسك به ليمنعه.

«لا تلمسه أيها التلميذ! فهو شديد الخطورة، وكذلك فقد فات الأوان».

توقف سبتيموس. وظهر خيط آخر من دخان **الظلام** عند أحد مفاصل الباب. لاشك أن الأوان قد فات.

ظهرت چينا عند باب خزانتها منفوشة الشعر تلف نفسها بعباءة الساحرة حتى ذقنها؛ لتحميها من البرد. وسألت وعيناها يغشاهما النعاس: «ما الأمر؟» بالرغم من أنها كانت تنبأت بالإجابة.

قال سايمون: «إنه يدخل إلى الحجرة». وكأنها سمعت سايمون، دخلت سحابة من **الظلام** من ثقب الباب مندفعة وكأن أحدهم قد استخدم كير الحداد لنفخها وإدخالها.

قال مارسيلوس: «يجب أن نرحل على الفور. سارة هل كل شيء جاهز؟».

قالت سارة بحزن: «نعم».

كان من ضمن التجهيزات التي قاموا بإعدادها في اليوم السابق، حبل طويل ملفوف ومكوم على الأرض أسفل النافذة. كان أحد طرفي الحبل مربوطًا في العمود الذي يتوسط النافذة، ثم يمر على الأرض عبر الحجرة ويلف حول قاعدة المدخنة الحجرية التي كانت تتوسط الحجرة لينتهي بعقدة محكمة. فتحت سارة النافذة لتدخل الرياح الباردة إلى الحجرة وتخطف أنفاسها. لم يكون جو هذه الليلة مناسبًا للخروج، ناهيك عن النزول بحبل من على حائط شمالي لا يحيط به أي شيء ويبلغ ارتفاعه حوالي مائة قدم. لكن لم يكن لديهم أي اختيار. رفعت سارة الحبل الملفوف من على الأرض بمساعدة چينا، وألقتاه خارج النافذة في ظلام الليل. ثم قفزتا للوراء، وراقبتا الحبل الملفوف حول عمود النافذة، وقد أصبح مشدودًا بينما سقط باقي الحبل إلى النهر بالأسفل.

اقترب سايمون من رعد وهمس له: «وداعًا يا صديقي. أنا آسف، أنا جد آسف». ووضع يده في جيبه، وأخرج آخر حبات من النعناع في جيبه. تشمم رعد يده، ثم فرك أنفه على كتف سايمون.

خلف سايمون وعده للوسيط ألا يعود مرة أخرى لممارسة سحر **الظلام**. صنع سايمون تعويذة النوم التي تحمل بداخلها ما يكفي من **الظلام** ليتيح لرعد الفرصة ليبقى على قيد الحياة. وبينما استقر الحصان على سجادة لوسي المفضلة مغمضًا عينيه، وضع سايمون بطانية ثقيلة فوقه.

في اليوم السابق، عندما كانوا يرتبون خططًا للهرب، اتخذوا قرارًا بالرحيل بترتيب أهميتهم لسلامة القلعة. كان ترتيب سايمون من الأكثر للأقل أهمية الثالث تليه سارة وفي النهاية لوسي، إلا أن سايمون أصر أن يكون آخر من يرحل من المكان. فكان من المستحيل أن يترك لوسي وأمه يواجهان الظلام. وبينما كان سبتيموس ومارسيلوس يقفان بجوار النافذة جلس سايمون بجوار رعد، وراح يتساءل إن كانا سيقضيان وقتهما معًا في المنطقة المظلمة.

ثم جاء خيط آخر من دخان الظلام منزلقًا من أسفل الباب.

قال مارسيلوس: «حان وقت الرحيل أيها التلميذ!».

حاول سبتيموس أن يشجع نفسه، ثم أخذ نفسًا عميقًا، ونظر لأسفل، ورأى الحبل يتدلى كثعبان على صخور العشوائيات الخشنة، ويختفي في ظلام الليل. كان سبتيموس قد صنعه في اليوم السابق من ثلاث سجاجيد وملاءتين وكومة من المناشف القديمة.

لم يكن قد صنع شيئًا مثل هذا من قبل، وبينما كان ينظر من النافذة محاولًا -دون جدوى- أن يرى الأرض كان يتمنى أن يكون صنعه كما ينبغي.

أخذت سارة تتذمر وهي تتفحص العقد بقلق بالغ. كانت واثقة أنه إذا لم يتحمل عمود النافذة وزنهم، فلاشك أن المدخنة ستتحمله، لكنها كانت قلقة بشأن العقد. وكانت تأمل أن تكون قد ربطتها كما ينبغي. تمنت سارة -في نفسها- لو كان نكو موجودًا؛ لأنه هو من يجيد ربط العقد بإحكام. شعرت سارة بقلق بالغ عندما تذكرت نكو لكنها سرعان ما أبعدته عن تفكيرها. قالت في نفسها: «سيكون لدي وقت كافٍ للقلق على نكو عندما نصل جميعًا سالمين».

قال سبتيموس محاولًا تأجيل لحظة بدء التسلق المرعبة: «سأنادي لافظ اللهب مرة أخرى».

التفت مارسيلوس نحو الباب ناظرًا إليه بقلق بالغ، ورأى خيطًا طويلًا من الضباب الظلامي يلتف حول نفسه أسفل الباب، ويتسلل عبر الأرض متجهًا صوب المدفأة.

قال مارسيلوس: «لم يعد لدينا وقت الآن. افعل هذا عندما نصل لأسفل».

أمسك سبتيموس بالحبل وهو يرتعش، كانت يداه مبللة بالعرق، لكنه صنع حبلًا خشنًا وسميكًا؛ ليتمكن من يستخدمه أن يحكم قبضته عليه. تسلق سبتيموس إفريز النافذة، وبينما كان يدور

بجسمه نحو الخارج سرت رعدة في جسده وأصيب بالدوار، فلم يكن هناك أي شيء بين قدميه والنهر بعيد بالأسفل.

قالت سارة لسبتيموس بصوت مرتفع ليكون مسموعًا وسط الرياح: «انتبه لنفسك يا حبيبي. لا تسرع، أريدك أن تصل سالمًا. وعندما تصل لأسفل شد الحبل ثلاث مرات لتتبعك چينا».

كان سايمون يحيط الحصان النائم بذراعه، ويراقب أخاه الأصغر وهو يتقدم ببطء في ظلام الليل، حتى لم يعد يظهر منه سوى يديه التي تمسك بالحبل وشعره المجعد الذي يتطاير في الرياح.

بدأ سبتيموس رحلة هبوطه للأسفل. وكان يعرف أنه من أجل أن يعطي الفرصة لكل منهم أن يخرج من المكان كان عليه أن يتناسى خوفه من المرتفعات ويركز ويسرع في النزول على الحبل. لم تكن مهمة سهلة؛ فالرياح كانت تدفعه نحو الحائط ليرتطم بأحجاره البارزة، وتخطف أنفاسه وتفقده تركيزه. ولكن عندما أفلتت قبضته الحبل وكاد أن يقع ووجد نفسه يقف على الجدار متعامدًا على الحبل -بشكل مرعب- اكتشف أنه إذا تعمد أن يميل بجسمه بعيدًا عن الحبل فلن تطيح به الرياح كما كان يحدث في السابق، علاوة على أنه يمكنه أن يسير على الأحجار الخشنة التي يبرز كثير منها خارج الجدار، وكانت تساعده في تثبيت أقدامه على الجدار.

استمر سبتيموس في رحلة نزوله من أعلى حتى داس بقدمه على الشجيرة التي أنقذت ستانلي من قبل. أفزع التغيير المفاجئ سبتيموس الذي شعر بشيء مختلف تحت قدمه، حتى إنه كاد يُفلت الحبل من يده، لكن عندما تمالك نفسه واستعاد توازنه أدرك أنه يشم رائحة النهر، ويسمع صوت مياهه، فأسرع إلى النزول، وسرعان ما هبط على الطمي كما فعل ستانلي من قبل. وبسرعة، شد الحبل ثلاث مرات، ومال على حائط العشوائيات وهو يرتعش. لقد فعلها. شعر بالحبل يتحرك في يده وعرف أن چينا قد بدأت رحلة نزولها للأسفل.

وبعد فترة قصيرة، وجد چينا تهبط بجواره وهي لاهثة الأنفاس ومليئة بالحماس، فبعكس سبتيموس كانت چينا معجبة بحالة الإثارة التي شعرت بها في رحلة الهبوط. وقفا معًا ينظران إلى النافذة الوحيدة المضاءة في حائط العشوائيات، ورأيا شبح شخص آخر ينزل من النافذة، كان هذا الشخص ينزل سريعًا، وكان سبتيموس في ذهول من رشاقة مارسيلوس، لكن الصرخة التي سمعاها عندما قابل هذا الشخص الشجيرة ذات الأشواك البارزة من الحائط أخبرتهم أن هذا الشخص هو لوسي، وليس مارسيلوس كما اتفق جميعهم من قبل.

قالت لوسي وهي تشد الحبل لاهثة الأنفاس: «لقد جعلني أنزل أولًا، لقد قال: إنه عاش لمدة طويلة جدًّا بالفعل، وقال: إن سايمون سيتبعني».

غمغم سبتيموس: «سايمون! لكننا نحتاج مارسيلوس».

لم تنطق لوسي، ولكن نظرت لأعلى، ولم تحول نظرها عن سايمون وهو ينزل على الحبل بسرعة وسهولة، وسرعان ما كان واقفًا بجوارهم، وبسرعة شد الحبل ثلاث مرات، ونظر إلى النافذة بقلق بالغ.

قال: «لن يصمد الباب أكثر من ذلك، يجب أن يتحركوا على الفور». كان الأمر أكبر من احتمال چينا، كانت قد وقفت قبل ذلك في انتظار أمها خارج غرفة ينتشر بها **الظلام**. ومرة واحدة كانت تكفي حقًّا، لم تكن تستطيع تحمل فكرة أن يتكرر هذا مرة أخرى.

نادت: «أمي! أمي! أسرعي! أسرعي أرجوك!».

لكن أحدًا لم يأتِ.

وبالأعلى في الحجرة خلف الباب الأحمر الكبير كان هناك شخصان أكثر معرفة ودراية يتجادلان في أي من هما يجب أن ينزل أولًا. جالت سارة بنظرها في الحجرة التي تحبها -والتي كانت تعرف أيضًا مدى حب سايلاس لها- وارتجفت. لم تكن تعبأ بباب «بنيامين هيب» الذي بدأ يتغير وهي تنظر إليه، كان الطلاء الأحمر يتحول تدريجيًّا إلى الأسود، وكأن على الناحية الأخرى

نيرانًا مشتعلة. ولم تكن تعبأ بخيوط الضباب الظلامي المتعلقة في الحجرة كسحب عاصفة تنذر بقدوم إعصار. وقفت سارة في مكانها لا تتحرك، وكانت مصرة على أن تكون آخر من يترك المكان».

«مارسيلوس يجب أن تذهب أولًا».

«لن أتركك هنا وحدك يا سارة. هيا أرجوك».

«لا، اذهب أنت يا مارسيلوس».

«لا، بل أنت».

كان باب «بنيامين هيب» هو الذي حسم الموقف عندما انشق وتسرب منه تيار طويل من الظلام وبعد لحظة واحدة انطفأت نار الموقد.

قالت سارة وهي ما تزال تتلكأ: «يا إلهي! مسكين هذا الحصان».

قال مارسيلوس: «سارة اخرجي». وأخذ يدها وجذبها إلى النافذة وقال: «سنخرج معًا».

استسلمت سارة، وخرجت من النافذة برشاقة غريبة وأمسكت بالحبل، فقد كانت تعيش يومًا ما في بيت شجرة جالين. وتبعها مارسيلوس الذي أغلق النافذة خلفه بسرعة، لكنها لم تغلق بإحكام لخروج الحبل منها.

نزل هو أيضًا على الحبل بسهولة ويسر، فقد كان هذا الحبل لا يقارن بمدخنة الطريق القديم التي كان يتسلقها كثيرًا في عصره

القديم. وبالأسفل كان سبتيموس وچينا وسايمون ولوسي ينظرون لبعضهم في ارتياح.

نزل مارسيلوس وسارة بسرعة، لكنهما أبطآ من سرعتهما فقط عند شجيرة ستانلي التي ركلتها سارة بعصبية، لتسقط من أعلى مع وابل من الحصى والحجارة التي أمطرت الواقفين بالأسفل. وعندما نظروا لأعلى مرة أخرى وجدوا أن الضوء الصادر من النافذة قد انطفأ.

والآن صار حائط العشوائيات مظلمًا بالكامل.

وأخيرًا خطت سارة مترنحة على الأرض. ولفت چينا ذراعيها حولها وقالت: «أمي!».

دفع مارسيلوس نفسه بعيدًا عن الحائط وقفز قفزة رياضية بعيدًا عن المجموعة المجتمعة حول سارة، كما تمنى. هبط بجوارهم، ثم تمتم قائلًا: «حصان مسكين».

قال سبتيموس وقد بدا عليه الاستياء: «وأنت فعلتها بالكاد». كان سبتيموس يرى أنه كان يتعين على مارسيلوس أن يلتزم بالترتيب المتفق عليه.

قال مارسيلوس وهو يتفحص حذاءه المقطوع: «بالتأكيد».

انزعج سبتيموس كثيرًا من استهتار ولا مبالاة مارسيلوس وقال بإصرار: «لكننا كنا قد اتفقنا على ترتيب ترك المكان بناء على سبب محدد. والأمر في غاية الأهمية بالنسبة للقلعة كلها».

تنهد مارسيلوس وقال: «لكن الأشياء في ضوء العقل والمنطق البارد تختلف تمامًا عند مواجهتها في الواقع، أليس كذلك يا سايمون؟».

قال سايمون وهو يتذكر **الشيء** وهو يخنق سارة: «نعم، هذا صحيح».

قالت سارة: «إنه خطئي، أردت أن أكون آخر من يترك المكان كقبطان يغادر سفينته. على أي حال، لا يهم، مادمنا كلنا سالمين الآن».

أفصحت لوسي بما كان يفكر به الجميع: «لا أشعر أننا بأمان تمامًا» ونظرت إلى چينا نظرة اتهام وقالت: «لقد قلت إنه دائمًا ما يكون هناك قوارب في هذا المكان. لكنني لا أرى شيئًا».

نظرت چينا على طول الشريط الطيني الذي كان يمتد بين حافة النهر وأسوار العشوائيات. لم تستوعب چينا هـذا الأمر، فدائمًا ما كان هناك قوارب صغيرة مربوطة في الحبال العديدة التي تتدلى من الحلقات المعدنية المثبتة بالجدار ومربوطة في أثقال ملقاة في قاع النهر، لكن الآن لم يكن هناك أي من هذه القوارب.

شعرت لوسي بالغضب وقالت: «ماذا سنفعل الآن؟ منسوب المياه يرتفع وأنا لا أجيد السباحة».

قال سبتيموس وهو يحاول أن يبدو واثقًا أكثر مما هو في الحقيقة: «لا بأس يا لوسي، سأنادي لافظ اللهب الآن، وأغلب الظن أنه سيأتي الآن مادمنا بعيدين عن **الظلام**».

أخذ سبتيموس نفسًا عميقًا طويلًا، ونادى بأطول نداء تنين قام به على الإطلاق. ترددت أصداء النداء بين جنبات أسوار العشوائيات وعبر النهر، وعندما بدأ الصوت يتلاشى، كان قد تمت تلبية ندائه، ولكن ليس كما تمنى بصوت خفقان أجنحة التنين في الهواء ولكن جاءه الرد بصرخة عالية من الوحش داخل القلعة.

همست چينا: «سبتيموس... ماذا ناديت؟».

رد عليها سبتيموس هامسًا: «لا أدري».

لم يأت لافظ اللهب. ولم يجرؤ سبتيموس على النداء مرة أخرى.

كان شريط الأرض الطينية الضيق بين أسوار العشوائيات والنهر العريض العميق البارد مجرد ملجأ مؤقت لهم، فعندما يعلو المد سيختفي تدريجيًا أسفل مياه النهر. نظروا بشوق إلى الضفة المقابلة التي لم يصبها أذى. وبعيدًا، ناحية اليمين كانت أضواء بيت المزرعة البعيدة تتلألأ من بين فروع الأشجار الشتوية العارية. وأعلى النهار جهة اليسار كان يظهر ضوء النار من نافذة الدور السفلي لحانة الترسة الممتنة، وكان من المستحيل الوصول لأي منهما.

قال سبتيموس: «سنضطر أن نمشي حتى المرسى القديم، ونحاول أن نجد قاربًا هناك».

قالت چينا: «نعم، ولكن على ألا يكون شبه غارق بالفعل».

سألها سبتيموس: «هل لديك فكرة أفضل؟».

قالت سارة: «توقفا، أنتما الاثنان. ليس لدى أي منا فكرة أفضل، أليس كذلك؟».

وساد الصمت.

قالت سارة: «إذن هيا بنا إلى المرسى القديم، اتبعوني».

قادت سارة المجموعة المنهكة التي كانت ترتجف من البرد عبر الطين. وبالرغم من أن ستانلي كان يركض مسرعًا على سطح الطين، نظرًا لخفة وزنه كفأر إلا أن الأمر كان مختلفًا بالنسبة للبشر الأثقل وزنًا. فكانوا يواجهون صعوبة كبيرة في المشي في الطين وأرجلهم تغوص بعمق في الطين اللزج وأصابع أقدامهم تصطدم بالحجارة المختبئة أسفل الطين، ويتعثرون في الحبال الخاوية. وبينما راحوا يشقون طريقهم بصعوبة بالغة في الطين المتجمد رأوا أعدادًا من النوافذ المفتوحة لا تعد ولا تحصى كانت تتدلى منها حبال وملاءات معقودة. والآن عرفوا لماذا لم يكن هناك أية قوارب. وحتى الجسور العائمة كانت قد تم فكها واستخدمت كقوارب هي الأخرى ولم يكن أي منها موجودًا في هذا الجانب من النهر.

وأخيرًا وصلوا عند المجرى السفلي، وهو مجرى مائي يجري أسفل القلعة. لم تكن سارة تعرف أين هو، فخطت خطوة غير محسوبة في الظلام لتسقط في المياه العميقة المتدفقة.

شهقت سارة وهي مصعوقة: «آآاه» والمياه تحملها صوب النهر.

وسُمع صوت عالٍ لشيء سقط في الماء تلته صرخة من لوسي، ثم ظهر سايمون على سطح النهر وهو يسعل ويحاول طرد المياه من فمه، ثم سبح في الظلام في الاتجاه الذي ذهبت به سارة .

صرخت لوسي: «سايمون! يا إلهي!».

وقف سبتيموس وچينا ومارسيلوس على الضفة الطينية للمجرى السفلي وهم مصدومون. كانوا يحدقون في ظلام الليل دون أن يتمكنوا من رؤية أي شيء. توقفت لوسي عن الصراخ، وابتعد صوت سايمون وهو يسبح في الماء. وقفوا يرتعدون من البرد وسط الرياح المتجمدة، واستمعوا في صمت إلى صوت طرطشة خافت من مكان ما في وسط النهر.

40
آني

أصرت سالي مولن أن يأخذ نكو مركبها الجديد آني. قالت: «أتمنى أن تمنحك حظًّا سعيدًا كما كان الحال مع موريال، لكن لا تحولها إلى زورق هذه المرة».

وعدها نكو أن يحافظ عليها. كانت آني مركبًا واسعًا جميلًا، وبه قمرة مريحة، وكانت مركبًا فاخرًا يصعب تحويله إلى أي شيء آخر.

وبعد أن ساعد نكو وروبرت چانيت وماجي في إرساء حوض الخنازير بسلام انتظرا حتى ما بعد منتصف الليل وبدآ رحلتهما. أبحر كلاهما إلى أعلى النهر متجهين إلى العشوائيات على الجانب الشمالي للقلعة.

في البداية، كان الإبحار بطيئًا؛ لأن الرياح الشمالية الشرقية العنيفة تهب ضدهما، ولكنهم أبحروا في النهر حول أسوار القلعة، ورويدًا رويدًا تغير وضع آني، وأصبحت الرياح حليفتها وبدأت تكتسب سرعة تدريجيًا.

كانت رحلة بائسة تعسة، فكان منظر القلعة المهجورة التي يحتلها **الظلام** قد جعل روبرت ونكو يساورهما الشك في إمكانية نجاة أي من آل هيب الموجودين في الحجرة أعلى العشوائيات. وعندما ترددت أصداء الزئير مرة أخرى عبر النهر، بدآ يشعران بالخوف مما قد يلاقونه.

همس روبرت: «ما هذا؟».

هز نكو رأسه، ففي ذلك الوقت لم يرد أن يعرف. وبينما أبحرا نحو المرسى القديم، شعر نكو بغصة في حلقه، فمن هذا المكان تمكن لأول مرة أن يرى نافذة غرفة آل هيب الصغيرة ذات الأعمدة في أعلى مكان في «العشوائيات». كان نكو دائمًا ما ينظر لأعلى عندما يمر بها، ويشعر بشيء من الشجن والحنين للماضي، ولكنه الآن لم يكن يجرؤ على فعل هذا. ظل نكو مركزًا نظره على مياه النهر الداكنة؛ لأن كل لحظة تمر دون أن ينظر صوب النافذة كانت بالنسبة له لحظة أمل. طارت بعض قطع الثلج الصغيرة في عينيه فمسحها على الفور. وفي أثناء ذلك نظر لأعلى دون أن يقصد،

ورأى النافذة التي لم تكن مضاءة، وكان حائط العشوائيات يبدو وكأنه مجرد جرف مظلم تمامًا.

شعر نكو بالحزن والأسى، وانقبض قلبه وانهار ناظرًا إلى الدفة. وفي هذه اللحظة سمع صوت طرطشة في الماء.

قال روبرت ردًّا على نظرة نكو المتسائلة: «مجرد بطة».

قال نكو: «بطة كبيرة». ونظر محدقًا نحو مصدر الصوت ولسبب ما بدأ الأمل يتسرب إلى نفسه مرة أخرى. ثم سمع صوت الطرطشة مرة أخرى، ثم دوت صرخة عالية مخترقة السكون.

شهق روبرت: «لوسي! إنها لوسي» كانت صرخة أخته مميزة، ولم يكن هناك أحد يصرخ مثلها.

وجه نكو آني نحو مصدر صوت الطرطشة، وأضاء روبرت مصباح المركب ووجه الضوء عبر المياه.

صاح قائلًا: «أستطيع أن أراها. إنها في الماء. لوسي! لوسي! نحن قادمون». ثم ألقى بسلم على جانب السفينة.

وهناك بجوار المجرى السفلي كانت المجموعة التي تقطعت بها السبل تسمع صرخات آتية من ناحية النهر، ورأت ضوءًا ظهر فجأة وسط الظلام. وفي شعاع الضوء الذي راح يتحرك بجنون رأوا سارة تُجذب من الماء ورأس سايمون يظهر عند نهاية السلم.

ثم سمعوا سبابًا يأتي من ناحية الماء وتلاه صوت يقول: «إنه أخوك الوضيع».

ثم سمعوا الرد الذي تبين للجميع أنه صوت نكو: «أيهم؟»

تمتم سبتيموس: «ماذا يقصد بأيهم؟».

احتاج الأمر لعدة رحلات بقارب صغير من وإلى آني لإحضار چينا وسبتيموس ولوسي ومارسيلوس. ولكن في النهاية أصبح الجميع على متن المركب. كانوا مبتلين قليلًا ولكن على أي حال - كما قالت چينا - كانوا سيكونون أكثر بللًا إذا لم يكن نكو قد ظهر.

لم يستطع نكو أن يتوقف عن الابتسام وهو يحتضن أخاه- ليس أخاه الوضيع بالطبع- وأخته.

سألته چينا وهي تدثر نفسها بأحد الأغطية الكثيرة التي كانت سالي مولن قد وضعتها في المركب: «هل أخبرك ستانلي بمكاننا؟»

قال نكو: «في النهاية، هذا الفأر ثرثار حقًّا. على أي حال قررنا أن نبحر حول المنطقة وننتظر بالأسفل، وكنت أعرف أنك إن آجلًا أو عاجلًا ستطلين من النافذة وترييننا يا چين». وابتسم نكو وقال: «يبدو أنني قد تذكرت أنك كنت دائمًا تطلين من النافذة عندما كنت صغيرة».

قالت چينا: «ستانلي العجوز الطيب، أتمنى أن يكون أولاده بخير».

«من؟».

همت چينا بالإجابة، لكن قاطعها صوت زئير ترددت أصداؤه عبر مياه النهر.

«أو... يا إلهي! نكو سِب يا إلهي! انظروا لهذا ... ما هذا؟».

وفي ضوء برج السحرة رأوا شبحًا لوحش رهيب وسط الضباب الظلامي.

شهقت چينا وقالت: «إنه ضخم..».

فتح المخلوق فمه الكبير، وزأر مرة أخرى بصوت بشع ترددت أصداؤه عبر النهر.

شهق نكو وقال: «إنه... تنين».

قال سبتيموس الذي شعر بقلق بالغ على تنينه: «إنه أكبر من لافظ اللهب بعشر مرات على الأقل».

قال نكو: «يمكنه أن يأكل لافظ اللهب على الإفطار».

قالت چينا معترضة: «نكو، توقف!».

لكن نكو قد نطق بما يقلق سبتيموس بالفعل.

حدق الجميع في الضباب يراقبون الوحش الذي يبدو أنه كان يجرب أجنحته الستة. ارتفع قليلًا في الهواء، ثم وقع وهو يزأر زئيرًا ينم عن الإحباط.

تمتم سبتيموس: «ستة أجنحة. إنه تنين الظلام».
قال نكو وهو يهز رأسه: «هذا ليس جيدًا».
انضم لهم مارسيلوس وقال: «الأمور صارت أسوأ مما كنا نتصور. لن يجد أي شخص الأمان داخل القلعة وهذا المخلوق حر طليق. ما هي السرعة القصوى لهذه المركب يا نكو؟».
هز نكو كتفيه، وقال: «هذا يعتمد على الرياح، لكنها تهب بقوة بعض الشيء الليلة. يمكننا أن نصل إلى الميناء بعد الفجر بقليل إذا حالفنا الحظ».
سأل مارسيلوس وقد بدت عليه الحيرة: «الميناء؟». ثم نظر إلى سبتيموس وقال له: «ألم تخبره أيها التلميذ؟».
سأل نكو متشككًا: «يخبرني بماذا؟».
قال سبتيموس: «إننا سنذهب إلى النهر البارد».
«النهر البارد؟».
«نعم آسف يا نيك، ولكن يجب أن نذهب إلى هناك وبسرعة».
«عجبًا لك يا سِب. ألا يكفيك ما نواجه هنا من متاعب؟ أتريد المزيد من الظلام؟».
هز سبتيموس رأسه وقال: «ليس لدينا خيار، يجب أن نذهب إلى هناك. إنه الأمل الوحيد لإيقاف ما يحدث هنا».
قال نكو: «حسنًا، لكنك لن تأخذ أمي».

كانت أذنا سارة ذات السمع الحاد كالخفاش تعمل جيدًا، فأطلت برأسها من باب القمرة المضاءة، وقالت: «لن تأخذ أمي إلى أين؟».

قال نكو: «النهر البارد».

قالت سارة: «إذا كان هذا هو المكان الذي يحتاج سبتيموس أن يذهب إليه إذن يجب أن أذهب إليه أنا أيضًا، لا أريدكم أن تضيعوا أي وقت بسببي يا نكو. فقط افعل ما يطلبه منك سبتيموس... ومارسيلوس أيضًا».

بدا الاندهاش على نكو وقال: «حسنًا يا أمي، كما تريدين».

أبحر المركب بجوار الأضواء الطبيعية المشجعة لحانة الرنجة الممتنة، ثم احتك صاري آني بجسر الطريق الواحد. كانت أعصاب نكو تحترق من فرط التوتر. وبينما داروا حول المنعطف الأول تجمع الجميع على ظهر السفينة ليلقوا النظرة الأخيرة على القلعة. كان الصوت الوحيد المسموع هو طقطقة حبال المركب وصوت المياه التي تشقها سريعًا. كان الركاب صامتين متجهمين وهم ينظرون إلى شبح القلعة الذي كان موطنهم يومًا ما، ويفكرون في كل المحبوسين هناك. كانت لوسي تتساءل إن كان والداها لا يزالان من الأحياء... وكم من الوقت يمكنهما أن يظلا على قيد الحياة في غفوة الظلام؟ كان سايمون قد أخبرها أنه قضى أربعين يومًا في غفوة وكان بخير في نهايتها. لكن لوسي كانت تعرف أن

سايمون مختلف، فهو قد مارس كل أنواع سحر الظلام بالرغم من أنه لا يحب أن يتحدث عن هذا الأمر، لكن والديها لا يعرفان شيئًا عن مثل هذه الأمور. تخيلتهما لوسي وهما ينهاران خارج بيت حارس البوابة والثلج يغطيهما وقد أخذا يتجمدان رويدًا رويدًا. حاولت لوسي أن تكتم دموعها، وأسرعت للدور السفلي وتبعها سايمون.

وبينما ابتعد المركب، أصبح برج السحرة في مرمى البصر، لكنه كان بالكاد مرئيًا. فالمنطقة المظلمة كانت تعلو أكثر وأكثر، ولم يبق سوى الطابقين الأخيرين اللذين يضمان حجرات مارشا والهرم الذهبي لم يغطيهما الضباب. كان درع الأمان لايزال يلمع بلونيه الأزرق والبنفسجي، لكن بين الحين والآخر كان يظهر لونٌ جديدٌ؛ ومضة برتقالية خافتة.

شعرت چينا وسارة بالارتياح عند رؤيتهما الأضواء، فقد تصورتا أن سايلاس موجود في مكان ما في البرج مضيفًا نصيبه من السحر - بالرغم من كونه صغيرًا وضعيفًا - إلى دفاعات برج السحرة. أما سبتيموس ومارسيلوس فلم يشعرا بالراحة على الإطلاق.

أخذ مارسيلوس سبتيموس بعيدًا عن باقي المجموعة وقال له: «أعتقد أنك تعرف معنى هذا الوميض البرتقالي أيها التلميذ».

قال سبتيموس وهو يهز رأسه غير مصدق ما يحدث: «نعم، درع الأمان في خطر، وهذا لا يبشر بخير».

قال مارسيلوس: « بالتأكيد لا يبشر بخير».

سأله سبتيموس: «كم من الوقت يمكن أن يصمد درع الأمان قبل أن... ينهار؟».

هز مارسيلوس رأسه وقال: «لا أدري، كل ما يمكننا عمله هو الإسراع نحو النهر البارد. أقترح أن تحصل على قسط من الراحة».

قال سبتيموس: «لا، سأظل مستيقظًا. يجب أن نعرف مكان بوابة النهر البارد تحديدًا».

«أيها التلميذ، يجب أن تذهب للنوم؛ فلديك مهمة ستحتاج فيها لكل ما تملك من قوى وقدرات. وسأقوم أنا وسايمون بعمل الحسابات الأخيرة... لا تعترض أرجوك. إنه رياضي بارع».

كان سبتيموس يكره فكرة الذهاب للنوم، بينما سايمون يحتل مكانه بجوار مارسيلوس فهم بالاعتراض وقال: «ولكن..».

أحاط مارسيلوس سبتيموس بذراعه، وحاول أن يأخذه إلى القمرة وقال له: « اسمع يا سبتيموس، هذا من أجل مصلحة القلعة وبقاء برج السحرة. يجب أن نفعل كل ما نقدر عليه، وما نقدر عليه الآن هو النوم. ابتعد عن البرج الآن فلا جدوى من بقائك هنا».

قال سبتيموس: «حسنًا، سآتي بعد قليل».

قال مارسيلوس: «حسنًا أيها التلميذ، ولكن لا تتأخر». ترك مارسيلوس سبتيموس بمفرده ونزل للطابق السفلي.

كان سبتيموس يشتاق لرؤية مارشا، كان يود أن يرى وجهها يطل من إحدى النوافذ؛ ليتأكد من أنها بخير. فسأل نكو: « نكو، هل لديك تليسكوب؟ ».

كان نكو لديه تليسكوب بالفعل، وقال وهو يعطيه إياه: « يبدو البرج جميلًا، أليس كذلك؟ أحب اللون البرتقالي ».

لم يجبه سبتيموس وركز التليسكوب على برج السحرة، وأضاف تكبيرًا للصورة من عنده. فكانت قمة البرج التي تظهر فوق الضباب واضحة أمامه.

شهق سبتيموس، كانت قمة البرج تبدو قريبة جدًّا لدرجة أنه شعر وكأنه يمكن أن يمد يده نحوها ويلمسها. أخذ يبحث بلهفة عن نافذة مكتب مارشا التي ظن أنه يمكن رؤيتها، وكان ظنه في محله. ليس هذا فحسب بل استطاع أن يرى ظل رأس وكتفي مارشا يظهر في النافذة المضاءة. بدا الأمر وكأنها تحدق من النافذة وتنظر نحوه مباشرة. لوح لها سبتيموس بيده بالرغم من أنه شعر بالحماقة، لكن سرعان ما التفتت مارشا للداخل، وعرف سبتيموس أنها لم تره إطلاقًا. شعر سبتيموس بالوحدة، كان يشتاق للحديث مع مارشا، يشتاق لأن يخبرها أنه ما زال هناك أمل ويقول لها: «اصمدي بقدر ما تستطيعين. لا تستسلمي. أرجوك، لا تستسلمي».

قطعت چينا أفكاره بقولها: «دعني ألقِ نظرة يا سِب. أريد أن أرى... حسنًا، أريد أن أرى إن كان يمكنني أن أجد أبي في أي مكان».

لم يكن سبتيموس يريد أن يترك ما شعر أنه الشيء الوحيد الذي يربطه ببرج السحرة الآن، ووجهه لأعلى ليلقي نظرة أخيرة على الهرم الذهبي. وشهق في دهشة. فقد فوجئ برؤية لافظ اللهب جالسًا على مكان مسطح أعلى الهرم .

قالت چينا وهي قلقة: «ما الأمر يا سِب؟».

أعطاها سبتيموس التليسكوب وهو يبتسم ابتسامة عريضة، وقال: «إنه لافظ اللهب. إذن لهذا لم يأت. لقد دخل في درع الأمان بطريقة أو بأخرى. إنه يجلس على قمة الهرم الذهبي».

قالت چينا: «حقًّا؟ رائع. يا له من تنين ذكي. سيكون في أمان هناك».

قال سبتيموس: «على الأقل في الوقت الحالي. سأذهب لأنام قليلًا يا چين». ثم ذهب إلى القمرة.

جلست چينا فوق سطح القمرة، وراحت تنظر من التليسكوب إلى النوافذ القليلة المرئية في برج السحرة حتى دارت آني حول المنعطف، واختفت القلعة من الأنظار، ولم تر چينا أثرًا لسايلاس.

وفي صباح اليوم التالي أشرقت شمس الشتاء كاشفة عن منظر غير معتاد. فعلى كلا جانبي النهر كانت توجد حقول خاوية مغطاة بالجليد، وتتناثر بها أشجار متفرقة كانت تمتد حتى مجموعة من التلال الزرقاء عند خط الأفق. كانت الأرض تبدو مهجورة، ولم يكن لبيت المزرعة أي أثر.

كانت القمرة في المركب آني دافئة لكن مزدحمة. صعد نكو وروبرت ولوسي إلى سطح المركب؛ ليفسحوا مكانًا لسارة في المطبخ الصغير، لتعد لهم طبقًا ضخمًا من البيض المقلي للإفطار. أما مارسيلوس وسايمون فقد وقفا عند طاولة التخطيط ومعهما مثلثات الرسم والمناقل لرسم الرسوم النهائية لبوابة **الردهات المظلمة** باستخدام كتيب الإحداثيات المشفرة.

كان سبتيموس ما يزال نائمًا محشورًا في سرير صغير ولا يظهر منه إلا شعره المجعد فوق عباءته وأحد أغطية سالي، ولم يكن أحد يتعجل إيقاظه.

لكن رائحة البيض الشهية قد تسربت إلى أنفه ففتح عينيه بصعوبة.

رفع سايمون عينيه التي احمرت من التعب، وقال: «لقد عرفنا مكان البوابة».

جلس سبتيموس في مكانه وهو يشعر بالخوف مما سوف يفعل في هذا اليوم وسأله: «أين؟».

قال مارسيلوس: «فقط تناول إفطارك أولًا أيها التلميذ. سنناقش هذا فيما بعد».

عرف سبتيموس أن مارسيلوس يحمل أخبارًا سيئة؛ فقال: «لا، أخبرني الآن. أريد أن أعرف. يجب أن... أستعد».

قال مارسيلوس: «أنا آسف يا سبتيموس، إنها في **الدوامة المفتوحة**».

41

النهر البارد

كان النهر البارد مكانًا باردًا وكئيبًا يسكنه **شبح الانتقام**، وهي إحدى سفن **الظلام** التي رست هناك ذات يوم، ولأن مياه النهر عميقة وساكنة انحبست السفينة بين تلين صخريين. وكانت هناك بضعة أشجار هزيلة تتعلق بصعوبة بالمنحدرات، لكن معظمها قد سقط في الماء، حيث بقي هناك ليتعفن، ويصبح بيئة مثالية لثعبان النهر البارد سيئ السمعة- وهو عبارة عن كتلة سوداء من مادة لزجة مسممة- هو والكائن الطفيلي المصاحب له؛ العلقة الطويلة البيضاء.

وفي الصيف كانت أسراب الذباب اللادغ تجوب ضفتي النهر، ولكنها كانت لحسن الحظ تختفي في الشتاء.

لكن غيابها كان يعوضه وجود خنافس الجذوع القافزة، والتي كانت تنتقل إلى البر عندما تصبح المياه باردة. كانت هذه الخنافس تستطيع أن تقفز لارتفاع يصل إلى ستة أقدام، وتغرز مخالبها في أي لحم تقابله، وتبدأ في مضغه، وكانت الطريقة الوحيدة للتخلص منها هي قطع رأسها، ثم الانتظار حتى تموت مخالبها، وكانت بعض الرءوس يمكنها أن تظل تمضغ لحمك لأيام وأيام حتى تقع.

وبين الصخور الحادة التي كانت تتناثر على جانبي التل كانت توجد بعض الأكواخ بناها قديمًا النساك والمجانين وغريبو الأطوار الذين كانوا يريدون بيوتًا بجوار المياه. كانت هذه الأكواخ الحجرية قد أصبحت مهجورة تمامًا الآن بالرغم من أن سبتيموس كان يعرف أن واحدًا منها على الأقل **مسكون بالأشباح**.

كان من الطبيعي ألا يستقبل هذا المكان كثيرًا من الزائرين، ولم يكن هذا بسبب السفينة الشبحية أو وجود حيوانات وحشرات مؤذية أو رائحة العفن المعلقة بالجو. كان السبب الأساسي هو أن مدخل هذا المكان تحرسه الدوامة المفتوحة سيئة السمعة.

كان كل طفل في القلعة يعرف قصة الدوامة المفتوحة، وكيف نشأت أثناء معركة طاحنة حدثت قديمًا بين اثنين من السحرة. أما عن كيفية حدوث ذلك؛ فيقول الناس: إن كلًّا من الساحرين كان يحاول أن يعمل على تهييج وإثارة المياه ليغرق الآخر. وقام كل منهما بإحاطة الآخر بدائرة من المياه راحت تدور أسرع وأسرع، حتى غرقا في أعماق المياه ولم يظهرا منذ ذلك الوقت. كان الجميع يعلم أن الدوامة تمتد لأسفل، حتى تصل إلى مركز الأرض، وكان البعض يعتقد أنها تنتهي في الناحية الأخرى من الكرة الأرضية.

أحيانًا ما يكون هناك رحلات يومية من القصر لمشاهدة الدوامة المفتوحة، وكانت هذه هي عادة هدية عيد الميلاد الثالث عشر. بعد الإبحار في النهر البارد ومحاولة تحديد مكان **الانتقام**، كانت المراكب المليئة بالمراهقين الذين يصرخون بحماس تدور حول الدوامة. لكن مثل هذه الرحلات كانت تدار من قبل قباطنة محنكين يعرفون جيدًا مسافة الأمان التي يجب أن يحافظوا عليها بينهم وبين الدوامة، وكذلك يعرفون علامات الخطر إذا بدأت الدوامة في سحب المركب. فقد كانت السفن الكبيرة ثقيلة الوزن هي فقط التي يمكنها الاقتراب منها.

وكان نكو يعرف جيدًا أن آني بالتأكيد ليست واحدة من هذه السفن، وأنه ليس واحدًا من هؤلاء القباطنة الذين يعرفون على

وجه الدقة المسافة الآمنة التي يجب أن تكون بينهم وبين الدوامة، لكنه كان يتمنى أن يعرف العلامات التي تخبر بأن المركب يتم سحبها نحو الدوامة.

وهكذا عندما لاحت لهم الصخور المحظورة التي تشير إلى قرب الوصول إلى مدخل النهر البارد، بدأ نكو يشعر بالتوتر، ولكن ليس أكثر من سبتيموس.

كان سبتيموس يجلس وحيدًا في مقدمة المركب خلف الصاري المائل وشراعه الأحمر الكبير الذي راح يهتز بشدة في الرياح الشتوية العنيفة. لم يشعر سبتيموس بالخوف كما شعر به الآن حتى في ليلة تدريبات الفعل أو الموت في الغابة. ونظر إلى الورقة الصغيرة التي كتب عليها مارسيلوس بخطه الأنيق مجموعة من الأسئلة والإجابات في نقاط كان سبتيموس يحاول أن يثبتها في عقله. كانت تشبه الإرشادات التي تسبق تدريبات جيش الشباب التي كان يتعين على الأولاد حفظها، ثم إنشادها قبل كل حملة استكشافية. زاد إحساس الرؤية المسبقة من شعور سبتيموس بقرب هلاكه، ولكنه كان يعني أيضًا أنه قد استعاد طرق التركيز على البقاء التي كان قد تعلمها في جيش الشباب ولا شيء آخر. وهكذا راح سبتيموس يحدق في المياه الرمادية وهو جالس خلف الصاري المائل، وينشد بصوت خفيض ليحفظ الرد الذي يجب أن يستخدمه إذا تحداه أي شيء من عالم **الظلام**.

«من أنت؟ سوم».

«كيف أنت؟ **الظلام**».

«ماذا أنت؟ تلميذ تلميذ تلميذ دومدانيال».

«لماذا جئت إلى هنا؟ أبحث عن تلميذ دومدانيال».

كان سبتيموس منهمكًا تمامًا فيما يفعل، حتى إنه لم يلاحظ چينا ونكو وهما يتسللان ليقف كل منهما على أحد جانبيه. وقفا ينتظران بفارغ الصبر حتى ينتهي من همهمته، ثم قالت «چينا: سنأتي معك».

بدا سبتيموس مصدومًا وقال: «ماذا؟».

قالت: «أنا ونيك... لقد قررنا أن نأتي معك. لا نريدك أن تذهب وحدك».

لكن كان لهذا تأثير عكس ما كانت تريده چينا؛ فقد شعر سبتيموس أنه وحده تمامًا. أدرك أنهما لا يعرفان شيئًا عن استحالة طلبهما، فهز رأسه وقال:

«لا يا چين. لا يمكنك ذلك. صدقيني».

رأت چينا هذه النظرة في عيني سبتيموس، وقالت: «حسنًا، أنا أصدقك. لكن إذا لم نستطع أن نأتي معك، يجب أن تخبرني أنا على الأقل إلى أين تذهب. مارسيلوس يعرف وحتى سايمون يعرف، فأعتقد أنه من حقي أن أعرف أنا أيضًا».

لم يرد سبتيموس، فقط أخذ يحدق في المياه متمنيًا لو يدعه نيك وچينا وشأنه. كان يحتاج لأن ينقطع عن العالم.

لكن چينا لم تتركه. ومدت يدها أسفل عباءة الساحرة، وأخرجت كتاب قواعد الملكة، وفتحته على صفحة تعرفها جيدًا، ودفعته أسفل أنف سبتيموس.

قالت وهي تضع إصبعها على مقطع بالٍ قذر: «انظر».

نظر سبتيموس إلى الكتابة الدقيقة على مضض مضيقًا عينيه، ثم استسلم. وأخرج هدية مارشا له في عيد ميلاده، وحرك العدسة المكبرة عبر الصفحة وقرأ:

«للأميرة الحق في أن تعرف كل الحقائق المتعلقة بأمن ومصلحة القلعة والقصر. ويتعين على الساحر الأعظم - أو التلميذ الأعظم في حالة غيابه - أن يجيب على كل أسئلة الأميرة المرتقبة كافة بصدق وبشكل كامل وبدون تأخير».

كان رأس سبتيموس مشغولًا بما يجب عليه أن يفعله، لذا لم يتعرف على ما كان ينظر إليه على الفور، ثم عادت له الذكرى. تذكر صباح يوم عيد ميلاده والذي بدا بعيدًا جدًّا الآن. ابتسم وتذكر تعليق مارشا عن الكتاب الأحمر البالي وكتابته السخيفة التي تشكل مصدر إزعاج لكل ساحر أعظم، إذن هذا هو الكتاب الذي كانت تقصده. وعندما تذكر سبتيموس برج السحرة والقلعة

كما كانت في الماضي وكان يحمل هدية مارشا الجميلة في يده، بدأ شعوره بالوحدة في التلاشي إلى حد ما.

عاد لسبتيموس مرة أخرى إحساسه بأنه جزء لا يتجزأ مما حوله، وشعر بشيء من الراحة. وشعر أنه يريد أن يخبر چينا بوجهته، ويريدها أن تكون جزءًا مما يفعله. وبالرغم أنه لم يكن بمقدورها أن تذهب معه فإنها يمكن أن تفكر فيه وهو هناك، وتتمنى له السلامة في عبور **الردهات المظلمة** إلى الناحية الأخرى. لم يدر سبتيموس إن كان يجب عليه أن يخبر نكو أيضًا أم لا، لكنه على أي حال لم يعد يأبه بما يجب وما لا يجب.

وهكذا، وبينما اقتربوا من النهر البارد، رأوا منطقة في الماء تنذر باقترابهم من الدوامة المفتوحة. أخبر سبتيموس چينا ونكو بأمر بحثه عن ألثر وإعادته إلى القلعة عبر الزنزانة رقم واحد. وطلب منهم ألا يقلقوا؛ لأنه يحمل **تمويه الظلام**. وبالرغم من عدم تصديقه، قال لهما: إنه سيكون بخير، وإنه سيراهما قريبًا. مسحت چينا عينيها بكمها، وسعل نكو.

قالت چينا: «سنكون في انتظارك هناك يا سِب».

قال نكو: «خارج الزنزانة رقم واحد».

«لا، لا يمكنكما أن تفعلا ذلك».

قالت چينا بصوت جميل: «سأكون أنا ونكو في انتظارك عند مدخل الزنزانة رقم واحد. لا، لا تقل شيئًا يا سِب. يمكننا أن نمر

في **الظلام** باستخدام عباءة الساحرة الخاصة بي. أنت لن تخوض هذا بمفردك. أتفهم؟».

أومأ سبتيموس برأسه. لم يكن يثق بقدرته على الكلام.

صرخ روبرت صرخة مفزعة: «نيك، إنها تجذبنا».

قفز نكو لأعلى، كان يستطيع أن يشعر بجذب التيار أسفلهم، وأخبرته رفرفة أشرعة آني أن مقدمة المركب كان تنجذب داخل الرياح، وبدأت تضل الطريق، وراحوا يتجهون صوب خيط الرذاذ الذي يعتبر علامة على القرب من الدوامة المفتوحة. هرع نكو عائدًا إلى مؤخرة السفينة، وأخذ الدفة من روبرت الذي لم يكن بحارًا ماهرًا، وصاح: «المجاديف، أحضروا المجاديف!».

تم إحضار المجاديف الأربعة الطويلة من سطح السفينة بأقصى سرعة. وقف سارة وسايمون ولوسي وروبرت على جانبي السفينة، وأمسك كل منهم بمجداف، وبدءوا في التجديف. ورويدًا رويدًا توقف تقدم السفينة نحو الدوامة المفتوحة بعد أن أصيب الجميع بالرعب والفزع.

نهض سبتيموس، وقال: «يجب أن أذهب يا چين، أنا أعرض الجميع للخطر».

«سِب! يا إلهي!».

ضم سبتيموس چينا إلى صدره، ثم تراجع سريعًا، وقال: «عباءة الساحرة هذه ... وكأنها حية. إنها تصدر طنينًا عندما ألمسها».

كانت چينا مصممة أن تكون إيجابية وقالت: «رائع، هذا يعني أنها مليئة بـ... سحر الساحرات، وهكذا ستساعدني أنا ونيك على المرور عبر القلعة».

رسم سبتيموس ابتسامة مصطنعة على وجهه وقال: «نعم، صحيح. حسنًا، أراكما هناك إذن».

«عند باب الزنزانة رقم واحد. سننتظرك هناك، أعدك».

«نعم، اتفقنا. سأذهب لأبحث عن مارسيلوس الآن».

«حسنًا، إلى اللقاء يا سِب».

أومأ سبتيموس برأسه، وعبر سطح السفينة متجهًا للمؤخرة مارًّا بسايمون ولوسي الذين كانا يجلسان على سطح القمرة كزوج حزين من طيور النورس.

قالت لوسي: «حظًّا سعيدًا يا سِب».

«أشكرك».

مد سايمون يده بتميمة معدنية سوداء صغيرة، وقال: «خذها ياسبتيموس، ستساعدك وترشدك».

هز سبتيموس رأسه. في ذلك الوقت، كان من الصعب رفض أية مساعدة حتى لو كانت من سايمون، لكنه كان مصرًّا وقال: «لا، شكرًا. أنا لا آخذ تمائم السلامة من أي شخص».

«إذن اقبل نصيحتي. الزم اليسار».

وصل سبتيموس إلى قمرة القيادة بالمركب التي كان مارسيلوس خارجًا منها.

قال مارسيلوس وهو ينظر بقلق إلى سارة: «لقد حان الوقت أيها التلميذ».

كان قد انتهى لتوه من مناقشة مشحونة معها، محاولًا إقناعها بأن تدع سبتيموس يذهب دون أن تسبب له أي إزعاج أو مضايقة. ولم يكن واثقًا من أن سارة ستتمكن من ذلك.

لكنها في الحقيقة فعلت ما طلبه منها مارسيلوس، وضمت سبتيموس إلى صدرها، وعانقته وهي تشعر باليأس وقالت له: «سبتيموس! انتبه لنفسك».

قال سبتيموس: «سأفعل يا أمي. أراك قريبًا، اتفقنا؟».

قالت: «اتفقنا يا حبيبي» وبمجرد أن أنهت كلمتها هرعت إلى القمرة. أنزل نكو وروبرت القارب الصغير من على الصاري، ثم أنزلوه إلى الماء بجوار المركب، وظلا ممسكين بالحبل. سقط القارب المستدير الضعيف المصنوع من الجلد وفروع الصفصاف بخفة على سطح الماء كورقة شجر. رسم سبتيموس ابتسامة مصطنعة على وجهه؛ فقد كان مدركًا أن الجميع -فيما عدا- سارة يراقبونه، ثم نزل السلم وركب القارب. ناوله نكو المجداف، وقال له بصوت أجش: «مستعد؟»

أومأ سبتيموس برأسه.

رمى نكو الحبل في القارب مطلقًا سراحه في الماء وكل ذرة به تشعر أنه يقتل أخاه الأصغر. في البداية سار القارب بلا هدف وهو يطفو بخفة ومرح وكأنه في رحلة في البحيرة الهادئة في يوم من أيام الصيف، ولكن فيما بعد بدأ القارب يلف ببطء في البداية كأنما يدفعه نسيم لطيف.

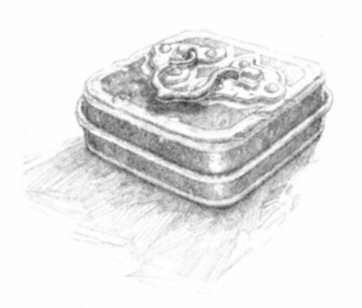
ثم راح يتحرك بشكل مستمر نحو خيط البخار في وسط الدوامة، وبدأ القارب يتسارع ويدور حول نفسه بسرعة وكأنه إحدى ألعاب الملاهي، التي تدور بلا توقف، وازدادت سرعته كلما انجذب بشكل حتمي نحو حافة الدوامة.

ثم وصل إلى نقطة اللاعودة، وانجذب بشكل مفاجئ -جعل جميع من على متن المركب آني يشهقون فزعًا- إلى المسار الانزلاقي للدوامة، وأخذ يدور كالنحلة في دوائر راحت تصغر بشكل مستمر. كانت عباءة سبتيموس الخضراء هي المحور الذي يدور حوله قاربه الأسود الصغير. تسارع القارب للمرة الأخيرة قبل أن ينقلب في مركز الدوامة ويختفي.

سكن النهر، وساد الصمت والوجوم المركب آني؛ فلم يكن أحد منهم مصدقًا ما قد فعلوه لتوهم.

42

الردهات المظلمة



استخدم سبتيموس **تمويه الظلام** في الوقت المناسب تمامًا، فبمجرد أن انقلب القارب في مركز الدوامة تمتم: «طغ سوم»، وشعر ببرودة الغطاء **الظلامي** وهو ينتشر فوقه ويغطيه وكأنه طبقة ثانية من جلده. لكن بعد ذلك لم تسر الأمور على ما يرام.

انجذب سبتيموس وسط هدير الدوامة، وراح يدور ويدور كقطعة من حطام سفينة، وانجذب داخل أعماقها، وظل يسقط لأسفل ويغوص ويغوص ويغوص بها وهو يدور بسرعة شديدة داخل الدوامة، لدرجة جعلت الأفكار تختلط في رأسه، وتتركز في نقطة صغيرة مظلمة وسط عقله، ولم يعد مدركًا لأي شيء سوى هدير المياه وقوة الجذب الشديدة التي تجذبه لأسفل إلى الفراغ الواسع.

ولولا أن سبتيموس كان يرتدي **تمويه الظلام** لكان قد غرق مثل باقي ضحايا الدوامة السابقين. كان سيأخذ نفسًا أخيرًا يملأ رئتيه بالماء، ثم ينجذب عبر فتحة في قاع النهر إلى كهف كبير تحت الماء محفور في صخرة في قاع النهر، تبدو كبيضة عملاقة يصل طولها لمئة قدم. وفي هذا الكهف كان سيبقى لبضعة أسابيع يدور ويدور حتى تتساقط عظامه واحدة تلو الأخرى، وتختلط بكومة من العصي النظيفة البيضاء الرقيقة المتناثرة على أرضية الكهف؛ وهي بقايا كل من مروا عبر الدوامة المفتوحة طوال القرون الماضية من بعد المعركة الكبرى بين سحرة **الظلام**.

لم يحم **تمويه الظلام** سبتيموس من فتحة قاع النهر -حيث تم سحبه عبرها كما يسحب شخص جائع عودًا من المكرونة- ولا من الاندفاع في الكهف، لكنه حماه وكأنه قفاز يغلفه ومنحه ميزة **ظلامية** وهي: فن الظلام للتعلق تحت الماء، الذي قضى سايمون شهورًا طويلة صعبة ورأسه في دلو من الماء لكي يتعلمه. وبينما كان سبتيموس يدور تحت الماء حول الكهف استرخت أفكاره وفتح عينيه، وأدرك أنه ما زال حيًّا.

كان فن الظلام للتعلق تحت الماء قد نقل إليه شعورًا غريبًا بالابتعاد والانفصال عن المكان، من أجل تهدئة مشاعر الخوف والفزع والحفاظ على الأكسجين، لكن سبتيموس- الذي كان يمارس هذا الفن حاليًّا-لم يكن مدركًا لهذا الأمر. كان أيضًا يجعل عينيه ترى بوضوح في الماء، فكان التحرك تحت الماء يشبه الطيران أكثر من السباحة. وهكذا سبح سبتيموس مع التيارات الدائرية للكهف البيضاوي الشكل. شعر سبتيموس بالاستمتاع بوجوده تحت الماء، الأمر الذي أثار دهشته. توهج خاتم التنين الذي يرتديه بشدة محولًا الماء من حوله إلى لون أخضر حليبي خلاب، وعندما انجرف بالقرب من جدران الكهف، جعل الضوء البلورات الموجودة في الصخرة تتلألأ بينما كان يمر بجوارها.

لكن للأسف لا يستمر **فن الظلام للتعلق تحت الماء** للأبد؛ فبمرور الوقت بدأ سبتيموس يشعر أنه مضطرب ولا يستطيع أن يتنفس جيدًا. حاول سبتيموس أن ينحي مشاعر الخوف التي بدأ يشعر بها جانبًا، وراح يسبح لأعلى نحو ما كان يتمنى أن يكون السطح، ومن بعده الهواء لكي يتنفس، لكن رأسه اصطدم بسقف الكهف. تملكه شعور قوي بالخوف والفزع، فلم يكن هناك سطح ... ولا هواء.

غطس سبتيموس قليلًا وهو يمد يده بخاتم التنين، كان يسبح بسرعة وهو ينظر لأعلى، متمنيًا أن يرى أي فراغ يستطيع أن يلتقط أنفاسه منه.

لم يكن يحتاج سوى نفس واحد عميق... نفس واحد فقط. كان منشغلًا بالنظر لأعلى، حتى إنه لم يلاحظ الدرج المنحوت في الصخرة أمامه. لكن عندما سقط الضوء الصادر من خاتم التنين الذي يرتديه على شريط من اللازورد في حافة إحدى درجات الدرج، ثم درجة ثانية تعلوها، ثم درجة ثالثة ورابعة، أدرك أنه قد وجد سبيل نجاته. تبعت يداه الدرجات بلهفة، حتى وصل لفتحة تحت الماء في السقف الصخري، واختفت يداه في الفتحة. كان سبتيموس الآن في أشد الاحتياج للهواء، فجذب نفسه لأعلى عبر الصخرة، وخرج وهو لاهث الأنفاس إلى الهواء المتجمد في الردهات المظلمة.

صدمه الجو البارد، وراحت أسنانه تصطك والماء يقطر منه. نهض سبتيموس على قدميه وهو يرتعش. عندما كان يحضر لأسبوعه الظلامي قرأ وصفًا قديمًا لمكان يظنه الكثيرون الآن مكانًا خياليًّا تحت الأرض، لكنه عرف الآن أنه مكان حقيقي. فهو يعيش الآن كل ما قرأ على أرض الواقع: رائحة الأرض العفنة، والشعور الخانق بأن الصخرة المحيطة به تضغط عليه بشدة، وصوت عويل مرعب يشعر وكأنه يحفر في عظامه. كان أيضًا قد

قرأ وصفًا لمشاعر الخوف الطاغية، لكنه لم يشعر بها؛ بفضل تمويه الظلام الذي يغطيه من رأسه حتى أخمص قدمه. فقط شعر بالنشوة؛ لأنه ما يزال على قيد الحياة، وقادرًا على التنفس مرة أخرى.

استنشق سبتيموس مزيدًا من الأنفاس العميقة، وبدأ يقيم الموقف. كانت توجد خلفه الفتحة بيضاوية الشكل التي خرج منها لتوه، وكان الضوء الخافت الصادر من خاتم التنين الذي يرتديه قد كشف عن بريق الذهب من شريط اللازورد على الدرجة العليا. وكان أمامه المجهول: ظلام كثيف عميق. لم يكن سبتيموس يرى أي معالم واضحة، ولم يكن يملك أي أدوات ترشده، وكان يقف في مساحة خاوية هائلة. كل ما كان يملكه نصيحة سايمون والتي قرر أن يتبعها. انعطف يسارًا، وبدأ المسير.

وفي أثناء سيره، خرج عقله من حالة الفزع التي تعرض لها منذ بضع ثوانٍ تحت الماء، وبدأ يفكر بشكل أوضح مرة أخرى. وفقًا لمارسيلوس، كان يجب عليه أن يسير عبر الردهات المظلمة، حتى يصل للمدخل السفلي لغرفة انتظار صغيرة تؤدي إلى الزنزانة رقم واحد، وهو المكان الذي من المرجح أن يوجد به ألثر، كما قال مارسيلوس. لم يتم نفيه منذ مدة طويلة أيها التلميذ، وفي الغالب لم يتجول ويبتعد كثيرًا. كان مارسيلوس قد وصف له المدخل بالتفصيل الممل، حتى إن سبتيموس كان يشك أن الكيميائي قد

رآه رأي العين. كان الرواق المعمد -كما أطلق عليه مارسيلوس- عبارة عن مدخل مربع، على جانبيه أعمدة قديمة من اللازورد.

قدر مارسيلوس طوله بنحو سبعة أميال سيرًا، وهي المسافة التي يطيرها الغراب من الدوامة المفتوحة حتى القلعة.

سار سبتيموس بخطى سريعة، كان من المفترض أن يقطع سبعة أميال في حوالي ساعتين طبقًا لحساباته. كانت رحلة مملة، فلم يكن يرى إلا الأرضية الترابية المضغوطة أسفل قدميه، وعندما مد يده أمامه بخاتم التنين لم يرَ شيئًا سوى دائرة من الضوء. كان الأمر مربكًا حقًّا، لكنه كان يشعر بحماس شديد عندما يتذكر أن ألثر على مقربة منه، وسرعان ما سيراه ويقول له: «ها أنت يا ألثر». وكأنه قد اصطدم بالشبح بينما يسير في طريق السحرة. حاول سبتيموس أن يتخيل رد ألثر ومدى سعادة الشبح عندما يراه. واستعدادًا لهذه اللحظة، أخذ سبتيموس يراجع في عقله التعويذة المضادة للنفي التي تعلمها من مارشا، كانت معقدة، ويجب أن تستمر لمدة دقيقة بالتمام والكمال - مثل تعويذة النفي- وتتم دون أي تردد أو تكرار أو خطأ.

واصل سبتيموس المسير وهو يسمع صوت حذائه يخبط الأرضية الترابية. كان يشعر أنه يسير عبر مساحة شاسعة من الأرض، ولكن ليست خاوية. كان يحيط به عويل كئيب وكأن الرياح تصرخ في يأس وحزن!

وبينما شق طريقه عبر هذا الجو الرطب المترب مرت به رياح؛ بعضها بارد والبعض الآخر يحمل شرًّا شديدًا خطف أنفاسه وذكره بخطورة المكان.

مر بعض الوقت- أكثر من ساعة ونصف بكل تأكيد- وبدأ سبتيموس يشك أن الردهات المظلمة أكبر كثيرًا مما كان يتصور هو ومارسيلوس. كان أحد الكتَّاب القدامى يطلق عليها: قصور النحيب اللانهائية. كان سبتيموس قد انتبه لكلمة النحيب، ولكنه لم ينتبه للجزء الخاص بالقصور اللانهائية. لكن لاشك أن الكهف الذي كان يسير فيه أكبر من دستة قصور من قصور القلعة، ولم يبدُ أن له نهاية. صدم سبتيموس من ضخامة مهمته وصعوبتها؛ فلم يكن هناك أية خرائط للردهات المظلمة، وكل ما يعرفونه عنها كان مبنيًّا على الأساطير أو كتابات بضعة سحرة زاروا هذا المكان وعادوا ليرووا مغامراتهم، وسرعان ما فقد معظمهم عقله. قال سبتيموس في نفسه بينما واصل المسير على قدميه المنهكتين: كلها ليست مصادر موثوقًا بها.

ولهذا شعر سبتيموس براحة شديدة عندما رأى أخيرًا علامة مميزة ظهرت وسط كآبة المكان. كانت فتحة مربعة كبيرة في الصخور على جانبيها عمودان من اللازورد. كان كما وصفه مارسيلوس تمامًا، المدخل لزنزانة رقم واحد.

هرع سبتيموس إلى الرواق المعمد وقد صارت معنوياته مرتفعة للغاية، والآن كل ما كان عليه أن يفعله هو أن يمر عبره ليجد الأثر في الناحية الأخرى.

وعندما اقترب سبتيموس من الرواق المعمد رأى شيئًا أبيضَ أسفله، وعندما اقترب أكثر وأكثر عرف أنها... عظام. كانت نظيفة وناصعة البياض إلا من خاتم رفيع من النحاس به حجر أحمر في خنصر اليد اليسرى. كان الهيكل العظمي يجلس مستندًا إلى الحائط، وكانت الجمجمة مائلة بثقة وكأنه يشير برأسه نحو الداخل.

شعر سبتيموس أنه لا يجب أن يمر على هذا المكان مرور الكرام؛ فوقف بجوار العظام التي كانت تنتمي لشخص قصير القامة لا يزيد طوله عن طول سبتيموس نفسه منذ عام مضى. كانت العظام تبدو ضعيفة وحزينة ووحيدة، وشعر سبتيموس بالتعاطف معها. فأيًّا كان الشخص صاحب هذه العظام، فهو شخص تمكن من عبور الدوامة المفتوحة بكل ما بها من مصاعب فقط ليجد في انتظاره صحراء جرداء باردة.

وفجأة هبت رياح باردة عبر الرواق المعمد جعلته يرتعد بردًا بالرغم من ارتدائه تمويه الظلام وانتابته رجفة شديدة، وهنا قرر أنه قد حان الوقت للدخول لحجرة الانتظار، ومنها إلى الزنزانة رقم

واحد والعثور على ألثر، وإنجاز المهمة التي أتى من أجلها. أومأ باحترام للعظام، ودخل إلى الرواق المعمد.

لم تكن حجرة الانتظار الملحقة بالزنزانة كما تخيلها سبتيموس، كانت تشبه إلى حد كبير الأرض الخاوية التي كان يسير فيها من قبل، ولم يكن هناك أثر لألثر، بل لم يكن هناك أي أثر لأي شبح على الإطلاق. ووفقًا للكتب، كانت حجرة الانتظار هي أكثر مكان مسكون في العالم كله، حيث كان يسكنها كل الأشباح الذين ألقوا في الزنزانة على مر القرون الماضية. وكانت أحد أكبر المخاوف المتعلقة بالزنزانة رقم واحد أن من يموت هناك لا يُرى كشبح بعد ذلك أبدًا. كان الجميع يصبحون عبيدًا للردهات المظلمة، وكانوا يقضون كل فترة حياتهم كأشباح تحت الأرض دون أن تتاح لهم أي فرصة لرؤية الأشخاص أو الأماكن التي كانوا يحبونها يومًا ما. وكان كثير منهم يقررون بعقلانية أن يبقوا بصحبة الأشباح الأخرى بدلًا من التجول في قصور النحيب اللانهائية.

كانت حجرة الانتظار توصف بأنها غرفة دائرية الجدران مبطنة بطوب أسود، وهو نفس الطوب المستخدم في بناء الأصيص الطوبي الصغير الموضوع أعلى مدخل الزنزانة. وإذا كانت هذه الأوصاف صحيحة -كما كان يعتقد سبتيموس- فلاشك أن هذه ليست حجرة الانتظار الملحقة بالزنزانة رقم واحد.

شعر سبتيموس أنه كاد أن ييأس، فإذا لم يكن في حجرة الانتظار، فأين هو إذن؟ وسرعان ما عرف الإجابة- لقد ضل طريقه. ضل طريقه تمامًا، ضل طريقه أكثر من المرة التي ضل طريقه فيها في الليلة التي قضاها في الغابة مع نكو منذ عدة سنوات.

وليبعد عنه الشعور بالخوف والفزع فكر سبتيموس فيما كان سيقوله نكو الآن. لابد أنه كان سيقول: إنهم يجب أن يواصلوا المسير، وإنهم إن آجلًا أو عاجلًا سيصلان إلى الزنزانة رقم واحد، وإن المسألة مسألة وقت فقط. أخذ سبتيموس نكو الخيالي معه وانطلق مرة أخرى وسط الظلام.

وسرعان ما تلقى مكافأته برؤية ثلاثة مداخل مربعة في حائط صخري ناعم. توقف سبتيموس، وفكر فيما يجب أن يفعل. تذكر نصيحة سايمون، واستدعى كلمات مارسيلوس: أيها التلميذ، أعتقد أننا يمكننا أن نثق به.

دخل سبتيموس إلى الرواق المعمد الأيسر.

لكنه وجد مكانًا خاويًا مرة أخرى مليئًا بالخوف والنحيب.

كان سبتيموس يتخيل نكو بجواره، وواصل المسير مسرعًا الخطى، وسرعان ما وصل إلى رواقين معمدين آخرين متجاورين، ومرة أخرى سار في الرواق الأيسر الذي أدى به إلى ممر ملتوٍ هبت منه رياح كريهة الرائحة. كانت هذه الرياح تصرخ به وتعصف به، وأحيانًا ما كانت تخبطه بالجدران، لكن سبتيموس صمد، وواصل

المسير، وفي النهاية خرج من الممر، ثم دخل مكانًا كهفيًا خاويًا، ثم انعطف يسارًا مرة أخرى.

مرت ساعة أخرى مملة من السير، وأصبح سبتيموس منهكًا، وقدماه تؤلمانه بشدة، وشعر كأن تمويه الظلام قد بدأ يبلى. أخذ الهواء البارد يضربه في العمق، ولم يكن يستطيع أن يتوقف عن الارتجاف. وكان صوت النحيب أحيانًا ما يكون عاليًا، حتى إنه كان يشعر أنه لم يفقد الاتصال بأفكاره فحسب، بل إنه يكاد أن ينسى من هو.

وبدأ الخوف الشديد المظلم يتسرب إلى نفسه وحتى نكو الخيالي لم يستطع أن يحميه منه. لكن سبتيموس قاوم وصمد. وقال لنفسه: عليك الاختيار بين أمرين، إما المقاومة والصمود أو الاستسلام والتحول إلى كومة جديدة من العظام.

وفي النهاية كوفئ سبتيموس برؤية رواق معمد بعيد. وبينما اقترب منه ارتفعت معنوياته بحذر. لاشك أن هذا هو مدخل حجرة الانتظار، فقد كانت كل المواصفات تنطبق عليه. استجمع قواه، واتجه نحوه مسرعًا. ولكن عندما اقترب منه رأى شيئًا كاد يدفعه إلى حافة اليأس. فقد رأى هيكلًا عظميًا صغيرًا يستند إلى أحد الأعمدة المصنوعة من اللازورد.

تجمد سبتيموس في مكانه، وشعر بالغثيان. فهل كان وجود هيكلين عظميين يجلسان بجوار عمودين متطابقين من قبيل

الصدفة؟ سار سبتيموس متمهلًا صوب الهيكل العظمي، حتى وقف أمامه مباشرة. كان هيكلًا عظميًّا صغيرًا ورقيقًا، وكان يشير برأسه نحو العمود. أجبر سبتيموس نفسه على النظر إلى يده اليسرى.

كان يرتدي في خنصره خاتمًا نحاسيًّا رخيصًا به حجر أحمر. سقط سبتيموس على الأرض، لقد كان يدور في دائرة طوال الوقت. استند إلى اللازورد البارد، وحدق في الظلام وقد تملكه اليأس. لقد خدعه سايمون وكان مارسيلوس أحمق. لن يجد الزنزانة رقم واحد أبدًا، ولن يجد ألثر وسيبقى هنا للأبد، ويومًا ما سيأتي أحد المسافرين سيئي الحظ ليجد مجموعتين من العظام بجوار الرواق المعمد. والآن أدرك سِبتيموس سبب وجود الهيكل العظمي هنا، فأيًّا كان صاحب هذا الهيكل فلابد أنه قد ظل يدور في دوائر مرارًا وتكرارًا مرات عدة من يدري عددها؟ نظر سبتيموس لأعلى، ووجد أنه ينظر في عيني الجمجمة مباشرة. بدت أسنانها وكأنها تبتسم له ابتسامة تآمرية، وبدت فتحة العين تبدو كأنها تغمز له. ولكن على أي حال فبعد هذه الصحراء الواسعة القاحلة كان هذا الهيكل العظمي رفقة تؤنسه.

قال سبتيموس للعظام: «أنا آسف أنك لم تنجح».

جاءه رد هامس يقول: «لا أحد ينجح بمفرده».

ظن سبتيموس أنه يسمع صوت أفكاره. لم تكن هذه علامة جيدة، ولكن بالرغم من ذلك فقد قال عندما سمع صوتًا بشريًا: «من هناك؟».

ظن أنه قد سمع ردًّا خافتًا مختلطًا بصوت نحيب الرياح: «أنا».

تمتم سبتيموس: «أنا. إنني أسمع صوتي».

قال الصوت الهامس: «لا، إنك تسمعني أنا».

نظر سبتيموس للجمجمة بجواره لتنظر له بدورها بتهكم وسخرية: «هل هذا أنت؟».

جاءه الرد قائلًا: «هذا كان أنا. أما الآن فليس أنا. إنني عظام الآن. هذه العظام هي أنا».

ثم حدث شيء جعل سبتيموس يبتسم لأول مرة منذ أن غادر آني، فقد بدأ يظهر أمامه صورة لشبح طفلة لا يتعدى عمرها عشر سنوات، كما خمن. كانت تبدو وكأنها نسخة مصغرة من چانيت مارتين، كانت لها نفس الجسد الهزيل، وترتدي نسخة مصغرة من الملابس التي ترتديها چانيت أثناء العمل، والتي كانت عبارة عن سترة بحارة خشنة، وسروال مقطع، وقد جُدل شعرها في ضفيرة صغيرة تتدلى على ظهرها. وعندما رآها سبتيموس شعر بسعادة لا تقل عن سعادته إذا رأى ألثر.

سألته ورأسها يميل إلى أحد الجانبين مثل جمجمتها: «هل تراني الآن؟».

«نعم، أراك».

«الآن أراك، لكنني لم أكن أراك قبل أن تتكلمي. تبدين... مضحكة».. مد الشبح يده القذرة إلى سبتيموس، وقال: «يجب أن تنهض. إذا لم تنهض الآن فلن تنهض أبدًا مثلي. هيا».

نهض سبتيموس واقفًا وقد بدا متعبًا.

نظر شبح الطفلة إليه وهو متحمس، وراح يتحدث بسرعة وبطاقة مكبوتة كأنه حي: «أنت أول إنسان حي أراه. لقد كنت أراقبك من الشاطئ، ورأيت كل هؤلاء الأشرار الذين ألقوك في الماء، ورأيتك وأنت تدخل، ثم تبعتك». رأى شبح الطفلة نظرة سبتيموس المتسائلة فقال: «نعم عبر الدوامة. إنه المكان الذي مررت به من قبل».

شعر سبتيموس أنه يجب أن يبرئ ساحة كل من على متن المركب آني فقال: «لم يلقني أحد في الماء، لقد جئت إلى هنا متعمدًا؛ لأنني أبحث عن أحد الأشباح اسمه ألثر ميلا وهو يرتدي ثياب الساحر الأعظم، وتوجد بقعة من الدم فوق قلبه، وهو طويل القامة وشعره الأبيض مربوط للخلف على شكل ذيل حصان. هل تعرفينه؟».

بدت الطفلة غاضبة وقالت: «الأشباح هنا سيئون حقًا، لماذا أحب أن أعرف أيًا منهم؟ لقد جئت لهذا المكان البشع مرة أخرى فقط لكي أنقذك. هيا سأريك كيف تخرج من هنا».

استجمع سبتيموس كل ما يملك من إرادة؛ ليرفض هذا العرض وقال آسفًا: «لا، أشكرك».

ضرب شبح الطفلة الأرض بقدمه، وقال: «لكن هذا ليس عدلًا، لقد جئت هنا لكي أنقذك!».

قال سبتيموس وهو منفعل قليلًا: «نعم أعرف».

كان سبتيموس مستعدًّا للعديد من الأشياء في الردهات المظلمة، لكنه لم يكن من بينها طفلة صغيرة عصبية المزاج. قال لها: «اسمعي، إذا أردت أن تنقذيني حقًّا فساعديني في الوصول إلى الزنزانة رقم واحد. هل تعرفين الطريق؟».

قال شبح الطفلة: «بالطبع أعرف!».

«إذن... هل يمكنك أن ترشديني إليها، أرجوك».

«لا، ولِمَ عليَّ أن أفعل ذلك؟! إنه مكان بشع. أنا لا أحبه».

كان سبتيموس يعرف أنها تسيطر عليه. فأخذ نفسًا عميقًا، وعد من واحد إلى عشرة. فلم يكن من الممكن أن يتحمل عواقب أي كلمة يقولها في غير محلها. كان يجب أن يجد طريقة لإقناعها بمساعدته في الوصول للزنزانة رقم واحد.

وفجأة مد شبح الطفلة يده نحوه، وشعر سبتيموس ببرودة لمسته عبر خاتم التنين، وقال: «خاتم جميل، أنا أيضًا أرتدي واحدًا». وأشارت بخنصرها الذي تضع به خاتمًا رخيصًا من النحاس، وأردفت: «ولكنه ليس أجمل من هذا».

لم يكن سبتيموس متأكدًا هل كان من الصواب أن يوافقها الرأي أم لا، فسكت ولم ينطق.

نظر الشبح إليه بجدية، وقال: «أنت ترتدي خاتم التنين الجميل هذا في يدك اليمنى».

«نعم، هذا صحيح».

قال مرة أخرى: «في يدك اليمنى».

قال سبتيموس وهو غاضب: «نعم، أعرف». فقد نال كفايته من الثرثرة عن الخواتم.

ثم قالت لسبتيموس الذي استاء من كلامها: «أنت ولد أحمق. أنت تريد أن تبقى هنا، ولكن أنا لا. سأذهب الآن. وداعًا».

واختفى شبح الطفلة. وأصبح سبتيموس وحيدًا مرة أخرى ونظرت له الجمجمة مرة أخرى وابتسمت.

43

الزنزانة رقم واحد

جلس سبتيموس بجوار كومة العظام وهو يشعر بالحزن والضيق الشديدين. كان يفكر في بيتل المحبوس في **الحجرة الهرمسية**، ويفكر في نفسه وهو محبوس في **الردهات المظلمة**، وكان يعرف أن كلًّا منهما لا يملك أي أمل في النجاة.

مد سبتيموس يده أمامه، وراح يتأمل خاتم التنين رفيقه الوحيد الآن، ورأى البريق الأصفر الدافئ والعين الزمردية الخضراء، وقال في نفسه: إن الشبح كان على حق، فالخاتم جميل فعلًا.

وفجأة لمعت فكرة في رأسه، وتذكر كلام الشبح عن الخاتم. كان يرتديه في يده اليمنى، وكان يعرف هذا جيدًا، وكان يستطيع أن يشعر به في يده اليمنى في سبابته. ولكن عندما نظر إلى يديه الآن وجد أنه يرتديه في سبابة يده اليسرى. حدق سبتيموس في يديه وهو لا يفهم. لكنه فهم بعد ذلك. كانت هذه هي إجابة سؤاله. كان الشبح يحاول أن يعطيه مفتاح حل اللغز؛ ففي الردهات المظلمة يكون كل شيء معكوسًا. فعندما كان يظن أنه ينعطف يسارًا كان في حقيقة الأمر ينعطف يمينًا. إذن فسايمون لم يكن يخدعه. ربما...

نهض سبتيموس واقفًا، وقد عاد له الأمل مرة أخرى، وانطلق ثانية. دخل الرواق المعمد الذي يبدو على الناحية اليمنى، لكنه وجد نفسه مرة أخرى في ردهة كبيرة. أسرع سبتيموس الخطى يكاد يركض متمنيًا أن يكون هذا هو حل لغز الطريق إلى الزنزانة رقم واحد. وبعد أن اختار الممر الذي يبدو ناحية اليمين وكان يصل بين مدخل مقنطر صغير ينقسم بعد ذلك إلى درجين، صعد سبتيموس الدرج الأيمن، ثم دفع بابًا ثقيلًا، ووجد نفسه في كهف ضخم مضاء.

كانت المشاعل الضخمة المشتعلة الموضوعة في الفتحات المحفورة في الجدران الصخرية الناعمة تضيء أسقف الردهة العالية، وتلقي بظلال طويلة على الأرضية الصخرية الناعمة. ود سبتيموس لو يصرخ من الفرح. فأخيرًا وصل لمكان ما يعرفه.

وبينما كان يهرول في المكان، قابل **أشياء ووحوشًا وساحرات وسحرة** وجميع أنواع المخلوقات الشريرة المشوهة، لكنه كان سعيدًا بمقابلة كل منها؛ فجميعهم قد مروا به دون أن يلحظوا وجوده، فقد كان **تمويه الظلام** يؤدي مهمته على أكمل وجه، وكان يجعلهم يرون سبتيموس **كشيء** ينتمي إلى عالم الظلام، ويجعلهم يظنونه واحدًا منهم!

كان سبتيموس يعتقد أنه يسير الآن أسفل القلعة. وبدأ يمر بمداخل مقنطرة تحميها شبكات معدنية، وكان سبتيموس يشك أنها تؤدي إلى مداخل سرية في مكان ما، تؤدي بدورها إلى مكان ما بالقلعة. مداخل لا يعرفها أحد حتى مارشا نفسها. ساد المكان جو من الإثارة، وخمن سبتيموس أنه كان بسبب بعض **الأحداث الظلامية** بالأعلى في القلعة نفسها. مر سبتيموس باثنين من السحرة سيئي السمعة كانا قد غادرا برج السحرة منذ بضع سنوات، وسمع أحدهما يقول بحماس: «لقد حان وقتنا».

وأخيرًا.. رأى سبتيموس بعد ذلك رواقًا معمدًا، كانت الخطوط الذهبية التي تزين أعمدته اللازورد تلمع في ضوء المشاعل، وكان متأكدًا من أنه هو الذي يؤدي إلى حجرة الانتظار التي تؤدي بعد ذلك إلى **الزنزانة رقم واحد**.

وبعد عدة دقائق، شعر فيها سبتيموس أن أنفاسه تكاد تتوقف من فرط الإثارة، وصل إلى الرواق المعمد.

وعندما هم بالدخول إلى الرواق، دنا منه كائن فضولي يدعى تيرتيوس فيوم كان يخيف العديد من الأشباح، ولمسه لمسة شديدة البرودة، حتى شعر أنه يحترق من فرط برودتها. تجمد سبتيموس في مكانه، وقلبه يخفق بشدة من الرعب، فكان هذا هو أكبر اختبار لتمويه الظلام حتى الآن، فلو كان له أن يُكتشف لاكتشفه تيرتيوس فيوم دون شك. لكن يبدو أن الشبح لم يكشفه. حدق تيرتيوس في سبتيموس بعينيه اللتين تشبهان عيون الماعز، وسأله: «من أنت؟».

كان سبتيموس مستعدًّا: «سوم».

«كيف أنت؟».

«**الظلام**».

«ماذا أنت؟».

«تلميذ تلميذ تلميذ دومدانيال».

بدت على وجه تيرتيوس فيوم الدهشة، وتوقف عن أسئلته، وحاول أن يعرف من هو سبتيموس على وجه التحديد. استغل سبتيموس حيرة الشبح ومر من المدخل. لابد أن سبتيموس كان أول شخص يشعر بسعادة غامرة لوجوده في الحجرة الكبيرة المستديرة المبطنة بالطوب الأسود، والمليئة بالأشباح الحزينة.

والآن كل ما كان يحتاجه هو أن يعثر على شبح معين بعينه.

جال سبتيموس بنظره في الحجرة، وفجأة قفز قلبه من بين ضلوعه. ها هو ألثر يجلس دون حراك على مقعد حجري موضوع داخل الجدار وهو مغمض العينين.

كان تيرتيوس فيوم قد توقف عن محاولة معرفة من هو سبتيموس؛ فقد كانت هناك العديد من الاحتمالات. تبعه الشبح إلى داخل حجرة الانتظار وسأله:

«لماذا جئت إلى هنا؟».

تجاهل سبتيموس تيرتيوس فيوم، وبدأ يشق طريقه صوب ألثر. وتبعه تيرتيوس فيوم مثل سحابة عاصفة بينما كان يسير في خط متعرج؛ ليتفادى المرور بين مجموعة الأشباح. وأخيرًا.. وصل سبتيموس الذي تملكه شعور بالسعادة والبهجة إلى الناحية التي يجلس بها ألثر. كان قد تخيل هذه اللحظة كثيرًا، بينما كان يسير عبر الردهات المظلمة. وكم كان متلهفًا لرؤية تعبير وجه ألثر عندما يرفع الشبح عينيه ويرى من خلال تمويه الظلام حقيقة الشخص الواقف أمامه. لكن للأسف لم يحدث شيء ولم يكن لألثر أي رد فعل، وشعر سبتيموس بالحزن والإحباط. كان ألثر يبدو كأنه لا يشعر بأي شيء يدور حوله، ظلت عيناه مغمضتين، وظل جالسًا كالتمثال. كان سبتيموس يعرف أنه قد ذهب إلى مكان بعيد وعميق داخل نفسه.

كان سبتيموس يضع في اعتباره إرشادات مارسيلوس بألا ينطق سوى مجموعة الردود التي أخبره بها، وخاصة وتيرتيوس فيوم يحوم بجواره.

وقف سبتيموس محتارًا لا يدري كيف يصل لألثر، ولكن تيرتيوس فيوم حل له هذه المشكلة.

فقد سأله مرة أخرى: «لماذا جئت إلى هنا؟».

قال سبتيموس بصوت مرتفع أملًا في أن يتعرف ألثر على صوته: «أبحث عن تلميذ دومدانيال».

وكانت اللحظة التي عرفه فيها ألثر من أجمل لحظات حياته. لم يحرك ألثر ساكنًا، ولكنه فتح عينيه قليلًا، ونظر نظرة جانبية، ورأى تيرتيوس فيوم فأغمضهما مرة أخرى. شعر سبتيموس بالابتهاج؛ فقد فهم ألثر وأصبح ألثر معه مرة أخرى.

لم يلحظ تيرتيوس فيوم أن ألثر قد استيقظ؛ فقد كان مشغولًا بتفحص الوافد الجديد. كان يرى أن هناك شيئًا غريبًا في سوم، لكن لا يدري ما هو. ابتسم الشبح لسبتيموس ابتسامة خبيثة، ورد: «حسنًا يا سوم، أنت في المكان الخطأ. تلميذ دومدانيال بخير ويبلي بلاء حسنًا بشكل مذهل، كما سمعت... بالأعلى».

انحنى له سبتيموس وابتسم له.

رد له تيرتيوس فيوم الابتسامة بسخرية وتهكم وانصرف.

جلس سبتيموس بجوار ألثر، كان يعرف أن تيرتيوس فيوم يرتاب فيه، لذا كان عليه أن يعمل بسرعة، فدخل في صلب الموضوع مباشرة. «أعطتني مارشا تعويذة إبطال النفي، وقد جئت لتسليمها» ونظر إلى الشبح. كان ألثر يبدو لأي شخص يراه أنه لم يتغير أو يتأثر، كان لا يزال جالسًا كتمثال من الحجر مغمضًا عينيه. لكن سبتيموس عرف أن الشبح في هذه اللحظة كان كقط يستعد للهجوم.

أخذ سبتيموس نفسًا عميقًا، وبدأ يردد بصوت خفيض ونغمة ثابتة تعويذة **إبطال النفي**. كان متلهفًا لإنهاء كلمات التعويذة سريعًا قبل أن يلحظ تيرتيوس فيوم ما يحدث، لكنه كان يعرف أنه لا يستطيع ذلك. فيجب أن تكون تعويذة **إبطال النفي** انعكاسًا لتعويذة **النفي** الأصلية، ويجب أن تستغرق نفس الوقت تمامًا ولا تختلف عنها ولو بجزء من الثانية. ويجب أن تبدأ من نهاية **تعويذة النفي** وتنتهي عند بدايتها.

ولكن قبل نهاية **تعويذة الإبطال** بخمس ثوان ونصف اكتشف تيرتيوس شخصية سبتيموس الحقيقية، وعبر حجرة الانتظار في لمح البصر مارًّا عبر أي شبح يقف في طريقه. ولولا شبح غاضب -كان بنَّاء سقط في الزنزانة رقم واحد وهو يصلح الجدار- لكان تيرتيوس فيوم قد أصبح بجوار سبتيموس في الوقت المناسب لمقاطعة التعويذة في الوقت المناسب، ولكن بفضل البنَّاء وصل

في اللحظة التي كان ألثر ينطق فيها كلماتها الأخيرة: «أوفرستراند مارشا أنا».

وفجأة، نهض ألثر قافزًا كالزنبرك، وجذب سبتيموس من يده -بطريقة لا تناسب الأشباح- واتجه نحو **الدوامة الظلامية** التي كانت تدور في وسط الحجرة. أسرع تيرتيوس فيوم خلفهما، لكن الأوان كان قد فات. قفز ألثر وسبتيموس في الدوامة التي جذبتهما داخلها، بينما ألقت تيرتيوس فيوم -الذي كان ما يزال منفيًّا- خارجها وراح يدور ويدور عبر الحجرة مثل أي شبح جديد أُلقي من الزنزانة رقم واحد.

وأخيرًا.. تحرر سبتيموس وألثر، وانطلقا عبر طبقات العظام واليأس والطين والوحل، ودخلا مدخنة الزنزانة رقم واحد، واندفعا لأعلى بقوة شديدة. نظر سبتيموس لأعلى، ليرى الدرجات الحديدية للسلم الذي يجب أن يصل إليه. اندفع لأعلى وأعلى، ولكن بمجرد أن أصبح قاب قوسين أو أدنى من الوصول لأول درجاته شعر بقوة اندفاعه تقل تدريجيًّا، وعرف أنه لن يصل إليه، وسرعان ما سوف يسقط مرة أخرى داخل المستنقع أسفل الزنزانة الذي لم يتمكن من الهروب منه سوى قليلين. فزع ألثر عندما رأى الجاذبية وقد بدأت تتمكن من سبتيموس.

وهتف الشبح وهو يحلق بجوار سبتيموس مشجعًا إياه: «**الطيران** ياسبتيموس! فكر في الطيران! فكر فيه، وقم به. الطيران!».

وهكذا تذكر سبتيموس زمنًا على حافة الجرف الجليدي بجوار الهاوية، وفكر في تميمة الطيران القديمة -التي تقبع الآن في قاع أحد الأوعية في سراديب دار المخطوطات- وبدأ يشعر بأن الجاذبية قد بدأت تفقد سيطرتها عليه، وتسمح لقوة الدفع بمواصلة دفعه لأعلى. وبعد لحظة واحدة كانت يده تقبض على درجة السلم الحديدية المتجمدة في أول السلم، وعرف سبتيموس أنه أصبح في أمان.

تبع ألثر سبتيموس خطوة بخطوة وهو يصعد السلم، وراح صوت هدير الدوامة يخفت تدريجيًّا بينما يصعد لأعلى والآن وأخيرًا تمكن من رؤية الباب الحديدي السميك المشوب بالصدأ، وعلى قمة السلم توقف سبتيموس، وتعلق بالسلم بيد واحدة، ومد يده نحو جيبه المزرر ليخرج مفتاحه الثمين، استغرق فك الأزرار عدة دقائق طويلة مضنية، ولكنه في النهاية أخرج المفتاح، ولف حبله حول معصمه، ودفعه داخل القفل ولفه.

انفتح الباب واندفع **الضباب الظلامي** بقوة نحو سبتيموس، الذي فوجئ به ودفعه للوراء. كاد سبتيموس أن يهوي لأسفل لولا أن أمسكت به ذراعان قويتان وجذبتاه كجوال من البطاطس خارج الباب.

«سِب! أنت بخير! والعم ألثر أيضًا! يا إلهي حمدًا لله كلاكما بخير!».

بالرغم من أن صوت چينا كان بعيدًا وسط الضباب الظلامي، لكن ضحكتها والراحة التي بدت على صوتها كانتا في شدة الوضوح.

جلس سبتيموس مستندًا إلى مخروط صغير من الطوب على قمة الزنزانة رقم واحد وهو منهك القوى، ولا يقوى على شيء سوى الابتسام. كانت چينا ونكو يقفان ملفوفين بعباءة الساحرة الثقيلة ينظران له وهما مبتسمان. لم يكن هناك كلام يمكن أن يقال... فها هم قد تجمعوا معًا مرة أخرى.

لكن ألثر كان لديه ما يقول. تمتم قائلًا: «همممم، لقد جعلتم المكان القديم في حالة سيئة في غيابي».



44

برج السحرة

طرقت تلميذة غرفة المرضى باستحياء البابَ الأرجواني الكبير الذي كان يحمي حجرات مارشا. كان الباب في حالة استعداد قصوى. لم يعرف البـــاب روز، فظل موصدًا بإحكـام، وكانــت مارشـــا بنفسهـا هـي من أدخلت روز. شعرت روز بالارتبـاك؛ لكونهـا تقف في غرف الساحرة العظمـــى، ونسيـت للحظـات ما كانت تريد أن تقول.

قالت مارشا وهي قلقة: «ما الأمر؟».

«مم... معذرة سيدة أوفرستراند. تقول الساحرة المناوبة: إنه لا يمكننا فعل شيء أكثر مما فعلناه بالفعل وهي بعد إذنك تطلب أن تعيد المريضة في أسرع وقت».

تنهدت مارشا؛ فيمكنها أن تفعل ذلك دون إذن. وقالت: «شكرًا روز. هل تتفضلين بإخبار الساحرة المناوبة أنني سأمر بنفسي وآخذها في نهاية جولاتي؟».

وبعد بضع دقائق، خرجت مارشا من غرفتها، وانطلقت نازلة الدرج الذي كان الآن بشكل دائم في وضعية الحلزون لتوفير الطاقة. كانت مارشا مصممة على رفع معنويات السحرة؛ فانطلقت عبر برج السحرة كنار متأججة من أجل الحفاظ على صمود **درع الأمان** أمام هجوم **الظلام** المستمر، كان يجب على كل ساحر أن يركز في سحره. وكانت ومضات الضوء البرتقالي المتكررة التي تظهر من النافذة تذكرة مستمرة لهم بأن **طاقة السحر** قد بدأت في النفاد. لم تكن مارشا واثقة من أن برج السحرة يستطيع الصمود أكثر من ذلك، وكانت تخشى أن العديد من السحرة لديهم نفس الشعور. وكان عليها أن تجعلهم يؤمنون بإمكانية صمود البرج السحري أمام **الظلام**.

وبينما انطلقت مارشا بين السحرة تشجعهم وتبث فيهم روح العزيمة والإصرار، بدأ السحر يزداد قوة وصلابة. كان الأمر مبهجًا ومنعشًا، ويشبه السير وسط آثار العاصفة. كان الهواء منعشًا ونقيًا ومشوبًا بقطرات صغيرة من المطر الخفيف الذي يطير في الهواء. لم يعد هناك أثر للنميمة أو المشاحنات أو المنافسات التافهة التي كانت تحدث في برج السحرة، وصار الجميع الآن يعملون معًا.

أخذت مارشا تتحرك بسرعة في برج السحرة، وكان معظم السحرة والتلاميذ قد اختاروا أن يكونوا في مكان تجمعهم في البرج، واختار قليل منهم أن يكونوا بمفردهم في ذلك الوقت. تناثر السحرة والتلاميذ في كل مكان يحاول كل منهم التركيز على سحره بالطريقة التي تناسبه. أخذ كثير منهم يقطعون البهو الكبير جيئة وذهابًا يتمتمون بصوت خافت، فسرت في البرج كله همهمة كلها عزيمة وإصرار. وجلس آخرون بجوار نافذة يحدقون باهتمام في الأضواء الأرجوانية والزرقاء لدرع الأمان، محاولين ألا يرتعشوا عندما تقاطعهم ومضة من الضوء البرتقالي.

وبعد أن حققت هدفها وجعلت أكبر عدد من السحرة يراها، صعدت مارشا السلم متجهة إلى غرفة المرضى. في البداية دخلت إلى **غرفة فك السحر** لترى سايرا سايارا. وقفت مارشا للحظة تودعها في صمت، فقد كانت تعرف أن سايرا -التي كانت لاتزال

غارقة في فك السحر لن تبقى طويلًا على قيد الحياة إذا تمكنت المنطقة المظلمة من اقتحام البرج.

خرجت مارشا وهي ترتعش لتجد چيلي دچين تنتظرها عند مكتب الساحر المناوب كطرد في غرفة المفقودات.

قالت روز: «الساحرة المناوبة ترسل لك اعتذارها، لكنها قد تم استدعاؤها لحالة طوارئ». ثم أخرجت دفترًا كبيرًا من أسفل المكتب، وقالت: «ممم، سيدة أوڤرستراند من فضلك، هل تمانعين في التوقيع على استلام رئيسة كتبة النصوص الهرمسية؟».

وقعت مارشا بشيء من الفتور على استلام چيلي دچين.

قالت روز: «الآنسة دچين جاهزة الآن للرحيل».

«شكرًا روز سأصطحبها إلى أعلى برج السحرة».

صعدت مارشا ببطء لقمة برج السحرة، وكانت تتوقف في كل طابق لتشجيع السحرة، وكانت چيلي دچين تتبعها ككلب صغير.

وبمجرد أن انغلق الباب الأرجواني خلف مارشا، اختفى سلوكها المتفائل المبتهج، وأجلست چيلي دچين على الأريكة، ثم انهارت على مقعد سبتيموس بجوار النار. أخذت مارشا علبة فضية صغيرة من المدفأة وفتحتها، كان يوجد بداخلها نصف الشفرة المقترنة الخاصة ببرج السحرة، كانت عبارة عن قرص فضي سميك لامع به فجوة دائرية في الوسط.

كان القرص مغطى بأرقام ورموز ملتصقة بجوار بعضها، وكل منها متصل بخط محفور بدقة يبدأ من مركز القرص.

ظلت مارشا تحدق به لعدة دقائق وهي تفكر فيما كان يمكن أن يحدث إذا كان معها نصف الشفرة المقترنة الخاص بدار المخطوطات. بدا القرص كأنه يؤنبها ويقول لها: «أين نصفي الآخر؟». قاومت مارشا رغبة قوية في أن تنتقل من برج السحرة، وتذهب لتطارد ميرين ميريديث. كم كانت متلهفة للإمساك به. لكن مارشا كانت تعرف جيدًا أن أي سحر يخترق **درع الأمان** سيتسبب في تدفق **الظلام** إلى داخل برج السحرة، وتكون هذه هي النهاية. لقد كانت في حقيقة الأمر سجينة دفاعاتها التي صنعتها بنفسها.

نظرت مارشا لأعلى وهي غاضبة، ورمقت چيلي دچين بنظرة غاضبة والشرر يتطاير من عينيها. كانت رئيسة كتبة النصوص الهرمسية -في نظرها- مذنبة بسبب إهمالها الجسيم، فلولا أنها احتضنت هذا الثعبان ميرين ميريديث في دار المخطوطات لما حدث كل هذا.

أغلقت مارشا العلبة بقوة، قفز جيم ني وهو يصرخ، ثم استدار الجني، واستقر على كتف چيلي دچين القذر. لم تحرك رئيسة كتبة النصوص الهرمسية ساكنًا، فقط ظلت جالسة تحدق في الفراغ بوجه شاحب خالٍ من التعبير. وفجأة انعكس الوميض البرتقالي على الجني ودچين، ليبدو مثل تمثالين مخيفين من الشمع.

عندما رأتهما مارشا انتابتها مشاعر اليأس وفقدان الأمل. لم تشعر من قبل بهذه الوحدة منذ أن أُطلقت النار على ألثر والملكة سيريس. راحت تتساءل عن مكان سبتيموس الآن، وتخيلته راقدًا في غيبوبة **ظلامية** في زقاق خاوٍ في مكان ما متجمدًا في الثلج. لامت مارشا نفسها، فتعنتها في ذلك اليوم هو الذي دفع سبتيموس للذهاب إلى مارسيلوس، كما كان خطؤها الأحمق هو الذي أدى إلى نفي ألثر. والآن ستكون هي الساحرة العظمى التي ضيعت برج السحرة ليحتله **الظلام**. وسيلعن الناس اسمها في المستقبل؛ لأنها ستعرف بأنها آخر ساحرة عظمى، وأنها قد ضيعت كل التاريخ العريق وكل المعرفة التي تم جمعها في هذا المكان السحري الرائع. سيقول الجميع: إن مارشا أوفر ستراند الساحرة العظمى رقم سبعمائة وستة وسبعين هي من ضيعت كل هذا. أصدرت مارشا صوتًا بين النشيج والأنين.

عند قمة برج السحرة، كانت توجد نافذة تنين قديمة تؤدي إلى غرفة جلوس مارشا. وخارج هذه النافذة كان يوجد إفريز عريض مصمم لجلوس التنانين، وكان أحيانًا ما يجلس عليها الأشباح الذين لا يعملون في الوقت الحالي.

حلق ألثر عند هذه الحافة وهو يشعر بالامتنان؛ لكونه قد خرج من النافذة إلى هذه الحافة -لوقت قصير- يومًا ما عندما كان تلميذًا لينفذ أحد التحديات. وحاول ألثر أن يستجمع قوته، ليفكك

نفسه ويخترق النافذة؛ لأنه عندما نظر من خلال زجاجها لم يتمكن من رؤية الكثير، فقد كانت إضاءة الحجرة خافتة، ولا يضيئها سوى ضوء النار، ولم ير سوى شخص جالس بجوار النار واضعًا رأسه بين كفيه، لكن كان من الصعب تحديد هوية هذا الشخص.

وبعد بضع دقائق، كان ألثر قد استجمع ما يكفي من قوة ليفكك نفسه، فأخذ ما يشبه النفس العميق عند الأشباح، وسار عبر نافذة التنين مخترقًا إياها.

نظرت مارشا لأعلى، واتسعت عيناها الخضراوان اللامعتان وهي فاغرة فاها عن آخره ولم تحرك ساكنًا.

قال ألثر برفق: «مارشا..».

نهضت مارشا قافزة على قدميها، وصرخت بصوت حاد: «ألثر! ألثر! ألثر! إنه أنت. أخبرني، هل حقًّا هذا أنت؟» جرت مارشا عبر الحجرة متجهة نحوه وقد نسيت أنه قد صار الآن شبحًا. ألقت مارشا نفسها نحوه لتجد أنها قد مرت من خلاله واصطدمت بالنافذة.

أخذ ألثر يترنح بعد أن مرت مارشا من خلاله وسقط بجوارها.

قالت وهي لاهثة الأنفاس: «يا إلهي! ألثر. أنا آسفة، لم أقصد حقًّا. لكن... يا إلهي، لا أصدق أنك هنا. أنت لا تعرف مقدار سعادتي برؤيتك».

ابتسم ألثر، وقال: «أعتقد أنني أعرف؛ لأنه نفس مقدار سعادتي برؤيتك».

وبالأعلى في مكتبة الهرم، كانت مارشا التي تكاد تعصف بها الرياح تغلق النافذة المؤدية إلى درجات الهرم وقد بدت عليها الدهشة، وقالت: «لقد رأيت ذيله! ترى ماذا يفعل بالأعلى بحق السماء؟»

قال ألثر: «أعتقد أنه يحاول أن يكون في مأمن من **الظلام**. لابد أنه قد وجد نقطة التقاء دروع الأمان وانسل منها. أعتقد أن هذه هي النقطة التي تلتقي فيها».

أومأت مارشا، وقالت وهي تتنهد: «لم يحالفني الحظ كثيرًا في الآونة الأخيرة في إحكام إغلاق الأشياء».

قال ألثر: «لا عليك يا مارشا، فلا يوجد دفاع حصين تمامًا. وأنا أرى أنك قد أبليت بلاء حسنًا. بالإضافة إلى أنه يمكن للتنانين أن تنسل إلى داخل وخارج دروع الأمان بطريقة لا يعرفها السحرة»..

صمت ألثر لبرهة، ثم قال: «أنا آسف يا مارشا، لا يمكنني تقديم المساعدة. لقد ظن سبتيموس أنه يمكنني أن أخلصكم من **المنطقة المظلمة**؛ لأنني لسوء الحظ كنت أنا وميرين ميريديث يومًا ما تلميذين عند نفس الساحر».

قالت مارشا: «يا إلهي! هذا صحيح. لم أفكر في هذا من قبل».

قال ألثر: «وأنا أيضًا أحاول ألا أفكر فيه. كان سبتيموس يتمنى أن يتمكن التلميذ الأكبر من إصلاح ما أفسده التلميذ الأصغر.

لكنني لست حيًّا، وبالتالي لا تنطبق علي هذه القواعد، كم كنت أتمنى أن يكون الأمر غير ذلك». تنهد ألثر، ثم قال: «إذنْ فالأمر بيدك أنت يا مارشا، فتنينك في الانتظار، وتلميذك أيضًا بالتأكيد».

«نعم وهذا الوغد».

«نعم بالتأكيد، وإن كنت أشك أن ميرين ميريديث في انتظارك حقًّا».

وبعد بضع دقائق أغلقت مارشا نافذة التنين بقوة.

وقالت: «لن يأتي. هذا الوحش التعس يتجاهلني!».

قال ألثر: «حسنًا، إذا لم يأت التنين إلى الساحرة العظمى، فيجب على الساحرة العظمى أن تذهب هي إليه».

قالت: «ماذا؟ هناك بالأعلى؟ على قمة الهرم؟».

قال ألثر: «ليس هذا مستحيلًا. ثقي بي. ربما لا أنصح بذلك لكن الأوقات الحرجة تستلزم اتخاذ..».

قالت مارشا: «تدابير استثنائية».

وبعد بضع دقائق، لو كانت الرؤية ممكنة من خلال الضباب الظلامي، كان الجميع سيرون منظرًا لافتًا للنظر لمارشا أوفرستراند وهي تتسلق -مرتعشة- جوانب الهرم الذهبي ذات الدرجات فوق قمة برج السحرة.

أخذت الرياح تُطير عباءتها الأرجوانية خلفها لتبدو كجناحي طائر، بينما كانت تتحرك عبر زغب السحر أسفل الأضواء السحرية الزرقاء والأرجوانية، وهي تتبع شبحًا باهتًا يرتدي ثيابًا أرجوانية مشابهة، ويرشدها لأعلى نحو تنين جاثم فوق مربع مستوٍ على سطح الهرم.

وبمجرد أن وصلت مارشا إلى ذيل التنين أمسكت إحدى أشواكه، وقالت وهي لاهثة الأنفاس: «أمسكت بك!».

رفع لافظ اللهب رأسه ونظر خلفه بعينين يغشاهما النعاس، وقال في نفسه: «يا إلهي! إنها تلك المرأة المستفزة ذات الرداء الأرجواني». لم يكن قائد لافظ اللهب قد طلب منه أن يأتي عندما تناديه ذات الرداء الأرجواني. لكنه كان قد أعطاه تعليمات بأن يتركها تقوده وتطير به، بالرغم من أنها لم تكن تجيد هذا الأمر كما يذكر.

تحلى لافظ اللهب بالصبر، وسمح لمارشا أن تتسلق إلى داخل فتحة القائد، وانتظر حتى رفعت عباءتها لتغطي بها رأسها، لتحمي نفسها من **المنطقة المظلمة**. وعندما قالت له: «لافظ اللهب، اتبع الشبح»، فرد جناحيه وطار ببطء وبدرجة عالية من التحكم لأعلى، وهو يتبع ألثر الذي كان متجهًا لأعلى نحو الفتحة الصغيرة التي تلتقي عندها دروع السلامة الأربعة. وعندما اقترب منها، قام لافظ اللهب بمناورة ماهرة نادرًا ما يقوم بها؛ فقد ضم جناحيه إلى جسمه، ثم انقلب ليكون في وضع رأسي تمامًا تاركًا مارشا

تستخدم شوكة الرعب للغرض الذي وجدت من أجله، فتعلقت بها مارشا وهي تشعر بالرعب والفزع. انطلق لافظ اللهب عبر فتحة الالتقاء، وأنفه يشير نحو السماء كسهم على شكل تنين ينطلق من قوس بسرعة هائلة تاركًا الدروع خلفه سليمة لم تمس تمامًا كما فعل عندما دخل منها قبل يومين.

طار الشبح والتنين عبر **الضباب الظلامي** متجهين نحو كوخ الحسابات بطريق الصناع.

وبالأسفل في حجرات مارشا، كان الباب الأرجواني الكبير قد تعرف على سايلاس هيب، وانفتح ليدخل سايلاس إلى الحجرة.

همس سايلاس: «مارشا».

لكنه لم يتلق أي رد. كان ضوء النار يرتعش ليلقي بظلال غريبة على الحائط ل... قزم و... شخص يضع كومة من حلوى الدونتس على رأسه.

شعر سايلاس بالخوف بعض الشيء، وقال: «مارشا... هل أنت هنا؟ إنه أنا، جئت لأطمئن عليك. و... حسنًا، كنت أراك وحيدة وجئت لأؤنسك. مارشا».

لكنه لم يتلقَّ أي رد فقد طار العصفور.

⸸ 45 ⸸

التنينان

قالت الساحرة الأم بصوت يشبه الجرس وسط الظلام: «الجو رائع بالخارج». ومن كوخ الحسابات بطريق الصناع راحت چينا وسبتيموس ونكو يراقبون ظلال خمس ساحرات من عصبة ساحرات الميناء وهن يتجولن بكل أريحية وكأنهن في نزهة جميلة في أحد أيام الصيف الرائعة. ورأوا أيضًا ظلًّا آخر لشخص أقل ابتهاجًا منهن؛ كان هذا هو ظل نيرسي التي كانت تهرول خلفهن في جنح الظلام.



همس سبتيموس: «إنهم عصبتك يا چينا».

همست چينا: «توقف يا سِب». كان منظر ظلال الخمسة مسوخ وهن يمررن أمامها قد جعلها تتذكر كم كانت خائفة ومرعوبة في مستودع الهلاك. وفجأة شعرت أنها لم تعد معجبة بعباءة الساحرة، بينما كانت تراقبهن وهن تختفين بخفة ومرح في طريق الاحتفالات.

كانت چينا وسبتيموس ونكو في انتظار قدوم لافظ اللهب. وكانوا قد اختاروا الانتظار في مكان مفتوح بعيدًا عن الطريق، بحيث يستطيع أن يهبط بسهولة. وكان ألثر قد ذهب لإحضار لافظ اللهب، ووعد أن يذهب بأقصى سرعة ممكنة، لكنهم كانوا جميعًا يعرفون أنه يمكن أن يواجهوا بعض المتاعب. فكل دقيقة في كوخ الحسابات كانت تمر وكأنها ساعة، ولكن اللحظة التي رأوا فيها ظل التنين يحلق فوقهم كانت وكأنها قد استمرت للأبد، فلم يتصور أي منهم -ولو للحظة واحدة- أن هذا التنين هو لافظ اللهب؛ فقد راح يطير بطريقة مختلفة تمامًا عن طريقة لافظ اللهب الأنيقة. نزل تنين **الظلام** ذو الستة أجنحة وسط الضباب بطريقة خرقاء، ثم هبط مصدرًا صوتًا مدويًّا على دائرة مرتفعة قليلًا في وسط طريق الصناع، ليزلزل كوخ الحسابات بعنف.

انكمش سبتيموس وچينا ونكو في أعماق الكوخ وهم على يقين بأن التنين قد عرف مكانهم. كان خفقان أجنحته الضخمة

وهو يهبط قد أزال الضباب بعض الشيء، ومكنهم من رؤية **تنين الظلام** المرعب بوضوح.

كان أول ما صدمهم هو حجمه الضخم الذي جعل لافظ اللهب يبدو كحشرة يعسوب رقيقة بالنسبة له. جلس التنين بشكل أخرق وهو ينقل ثقل وزنه من أحد أرجله -التي تشبه جذع الشجرة- إلى أخرى، بينما راح يدخل ويخرج لسانه الأبيض المشقوق من فمه الأحمر الكبير. ثم هز رأسه الكبير الغبي، ونظر حوله بعيونه الستة كلها التي كانت مرتبة في رأسه بحيث يحصل على رؤية 360 درجة حوله، فكانت المنطقة العمياء بالنسبة له لا تزيد عن عشر درجات بالمقارنة بالتنين العادي التي تبلغ منطقته العمياء نحو 90 درجة. كانت عيونه التي ترى كل شيء تدور ككرات حمراء متلألئة، بينما كان التنين يقوم بمسح لأنقاض السوق المتهدم. وكانت أشواكه المدببة التي تشبه خطاطيف الأسماك تبرز من ظهره وتمتد من أعلاه إلى أسفله، وكانت أرجله الأربعة الضخمة مزودة بمخالب سوداء مقوسة يبدو كل منها كسيف معقوف من حيث الشكل والحدة. كان منظرًا مرعبًا، لكن ما كان مرعبًا بالفعل هو أنه كان يتعلق بأحد هذه المخالب شريط من القماش الأزرق وملتصق به قطعة من اللحم الأحمر. غطت چينا وجهها. فيبدو أن هذا كان يومًا من الأيام شخصًا ما.. شخصًا ما كان يسكن القلعة مثلها تمامًا.

همس سبتيموس: «انظري! يوجد شخص ما أمام شوكة قائد التنين».

كانت شوكة قائد التنين في تنين **الظلام** هي أطول شوكة في جسمه تمامًا مثل لافظ اللهب. ولكنها كانت تختلف عن شوكة لافظ اللهب التي كانت صلبة ومستقيمة، أما شوكة تنين **الظلام** فقد كانت لها قمة مستديرة، وكانت معقوفة للأمام ويوجد في نهايتها نصل حاد. كان يجلس في فتحة قائد التنين شبح يرتدي ثياب كاتب قذرة ورثة. وعرفت چينا من هو.

همست: «إنه ميرين ميريديث».

قال سبتيموس: «نعم، إنه يتعامل مع الأمر بجدية الآن، أليس كذلك؟ لم يعد مجرد حشرة مزعجة كما كان من قبل. لقد كشف عن وجهه الحقيقي الآن».

قالت چينا: «أكاد لا أصدق. إنه مثير للشفقة لكنه هو من تسبب في كل ما حدث».

«إنه **الظلام** يا چين. فهو يملك الخاتم الآن، ويملك كل قوته. وهذا الأحمق لا يهمه ما يفعل بهذه القوة، هو فقط يريد أن يدمر كل شيء».

«يريد أن يدمرك أنت على وجه الخصوص».

«أنا؟».

«نعم، لقد قال بيتل: إنه كان يصرخ ويذكرك بالسوء. أنت تعرف يا سِب كيف كان هو سبتيموس هيب في البداية. إنه مستعد لأن ينال منك لكي يكون هو سبتيموس هيب ومعه تنين أفضل من تنينك بعشر مرات».

«نعم، وبالفعل صار له تنين أكبر بعشر مرات دون شك لكنه ليس أفضل».

«بالتأكيد، فلافظ اللهب هو الأفضل دون شك».

وفجأة رفع تنين **الظلام** أجنحته الستة كلها، ثم أنزلها بسرعة، لتهب رياح عاتية كريهة الرائحة داخل كوخ الحسابات، جعلت شاغليه يفرون منه وهم يترنحون. وكذلك فقد شتت هذه الرياح الضباب الذي كان قد تجمع مرة أخرى، وجعلتهم يرون بوضوح ما حدث فيما بعد. فقد راح التنين يسير في المكان متثاقلًا بطريقة خرقاء، ثم بدأ يجري بطريقة خرقاء في طريق الاحتفالات الواسع العريض وهو يخفق بجناحيه لأعلى وأسفل وكأنها أشرعة سوداء.

أخذوا يراقبونه وهو يجري أسرع وأسرع، حتى وصل إلى بوابات القصر، ثم طار لأعلى، وارتفع وسط الضباب، واختفى في ظلام الليل.

تنفس نكو الصعداء وقال: «أُف، لقد رحل أخيرًا».

همست چينا: «كم كنت أخشى أن يأتي لافظ اللهب وهذا الشيء هنا».

أومأ سبتيموس وقال: إنه هو أيضًا كان يخشى نفس الشيء، بالرغم من أنه لم يكن يجرؤ على التفكير في هذا الأمر؛ فقد كانت العمة زيلدا دائمًا ما تقول: ما يجول في أفكارك تجده أمامك.

ولكن بعد بضع دقائق حدث شيء لم يخطر ببال سبتيموس؛ فقد عاد **تنين الظلام** مرة أخرى وهبط على الأرض، مُصْدِرًا صوتًا رهيبًا، حتى اهتز كوخ الحسابات، وراح يجول بعيونه الحمراء في المكان.

وحبس الجميع أنفاسهم. ومرة أخرى مشى متثاقلًا بطريقة خرقاء في طريق الاحتفالات، ثم طار مرة أخرى. أعاد **تنين الظلام** الكرة ثلاث مرات، وفي كل مرة كان شاغلو كوخ الحسابات يتضرعون إلى الله ألا يصل لافظ اللهب في هذه اللحظة. وفي كل مرة كان خوفهم يزيد ويقتنعون أن التنين يعرف مكانهم، وإلا لماذا يعود في كل مرة؟! ولكن في المرة الثالثة كان التنين قد اكتسب بعض المهارة في الإقلاع، وأدركت چينا سبب ما يفعله.

همست: «إنه يتدرب، وهذا المكان هو الوحيد في القلعة الذي يستطيع تنين بهذا الحجم أن يتدرب فيه على الهبوط والإقلاع».

كان الجميع يعرفون علام يتدرب؛ إنه يتدرب على الهجوم على برج السحرة.

وبعد بضع دقائق من إقلاع **تنين الظلام** للمرة الرابعة، ظهر في الضباب تنين بجناحين أصغر وأرق ودون شك محبوبًا ومرحبًا به.

جاء لافظ اللهب بصحبة ألثر الذي راح يطير بطريقته المفضلة مادًّا ذراعيه إلى جانبيه.

هبط لافظ اللهب بخفة في نفس المكان الذي غادره تنين **الظلام** منذ وقت قليل.

راح لافظ اللهب يشمشم في الهواء وقد بدا عليه عدم الارتياح، تمامًا كما تشمشم قطة منزلية كومة من فضلات أسد تركها على بابها. وبعد ذلك وجد لافظ اللهب ثلاثة أشخاص يهرعون إليه كان قائده واحدًا منهم، ليشعر بشيء من الارتياح، فقد كان الطيران مع هذه السيدة ذات الرداء الأرجواني ضربًا من ضروب العذاب. والآن أخيرًا ستتركه ليحل محلها قائده الحقيقي وتعود الأمور إلى نصابها.

لكن السيدة ذات الرداء الأرجواني لم تبرح مكانها.

وبالرغم من سعادة سبتيموس برؤية مارشا مرة أخرى إلا أنه لم يكن مستعدًّا لتركها تتولى قيادة لافظ اللهب، فقد كان يجب أن يغادروا المكان بسرعة، وكان يشك في قدرتها على أن تفعل ذلك، ولهذا دخل في صلب الموضوع مباشرة.

صاح بها وسط الضباب الظلامي: «انزلي!».

قال ألثر الذي كان يتفق مع سبتيموس في رأيه بشأن مهارة مارشا في الطيران: «أسرعي يا مارشا ودعي القائد يقود تنينه».

«أنا أحاول أن أنزل، ولكن ثيابي قد علقت في هذه الأشواك الغبية..».

كان سبتيموس يقف متململًا وقد نفد صبره، فانتزع العباءة المعكوسة من على شوكة صغيرة وترجلت مارشا عن التنين، وفاجأت سبتيموس بحضن قوي وساعدته على تسلق التنين، والجلوس في مقعده أمام شوكة القائد، ثم جلست خلفه في مقعد الملاح الخاص بچينا التي كتمت غيظها بصعوبة، فلم يكن هذا الوقت المناسب أو المكان المناسب للجدال حول مكان جلوسها.

وانحشرت هي ونكو خلف مارشا.

طار سبتيموس بلافظ اللهب سريعًا، وألثر يطير بجوارهم. ثم نقرت على كتفه وصاحت في الهواء النقي الذي نتج عن خفقان أجنحة لافظ اللهب: «دار المخطوطات».

كان سبتيموس يريد أن يخرج لافظ اللهب من منطقة الخطر، وبالتأكيد لم يكن يريد أن يطير إلى دار المخطوطات فصاح: «لماذا؟».

«ميرين ميريديث. الشفرة!».

«ميرين ميريديث في الحفرة؟».

«لم أقل حفرة قلت شفرة! الشفرة المقترنة، إنها معه! وهو في دار المخطوطات!».

والآن فهم سبتيموس.

وصاح قائلًا: «إنه ليس هناك» وفي هذه اللحظة حلق فوقهم ظل ضخم بمصاحبة تيار شديد من الهواء كريه الرائحة «إنه فوقنا!».

نظر جميعهم إلى أعلى، كان اختراق تنين **الظـلام** للضـباب قد أدى إلى انقشاعه بعض الشيء، فتمكنوا من رؤية مخالبه القاسية السوداء الدامية التي ظهرت واضحة جلية بجوار بطنه البيضاء. ولأول مرة في حياته سمع سبتيموس مارشا تتفوه بلفظ ناب.

قالت مارشا: «سأطير بلافظ اللهب خلف هذا الشيء. سأمسك بميرين ميريديث حتى وإن كان هذا آخر ما أفعله في حياتي».

واعتقد سبتيموس أن هذا قد يكون فعلًا هو آخر ما تفعله في حياتها.

قالت: «سبتيموس، طر بلافظ اللهب إلى برج السحرة في الحال. واهبط به على منصة التنين. وهناك يمكن أن تنزلوا ثلاثتكم».

لم يكن لدى سبتيموس أي نية للنزول من على التنين، لكنه لم يكن يريد أن يجادلها الآن. دار سبتيموس بلافظ اللهب، وعاد أدراجه إلى برج السحرة. دخل لافظ اللهب من نقطة اتصال الدروع، وأخذهم إلى منطقة السحر المضيئة التي كانت تحيط ببرج السحرة وتمكن من الهبوط ببراعة على إفريز التنين.

قالت مارشا وهي تنزل من مقعد الملاح: «انتظروا هنا، سأفتح النافـذة». ثم قادت جينا ونكو إلى الداخل، ووقفت تنتظر سبتيموس، ليترك مقعد قائد التنين بنفاد صبر.

قالت: «هيا أسرع يا سبتيموس. دعني أركب».

لكن سبتيموس لم يحرك ساكنًا.

«سبتيموس، انزل، أنا آمرك!».

قال سبتيموس: «وأنا أرفض. سأنال منه».

«لا يا سبتيموس، انزل فورًا».

كان يمكن أن يطول هذا الموقف، لولا توقف وميض الضوء البرتقالي التحذيري الذي كان يصعد ويهبط على الجدار الخارجي لدرع الأمان بشكل مفاجئ.

شهقت مارشا، وقالت: «درع الأمان ينهار! انزل فورًا يا سبتيموس. الآن!».

كان لون درع الأمان الأزرق والأرجواني قد بدأ يتغير، ويتحول إلى لون محمر باهت. ولفت نظر سبتيموس حركة كانت تحدث فوقه، كانت خيوط **الضباب الظلامي** قد بدأت تتسرب عبر نقطة الالتقاء. وفجأة امتد مخلب أسود مقوس داخل الفتحة.

كان سبتيموس يعرف ما عليه أن يفعل.

قال: «لأعلى يا لافظ اللهب، لأعلى!».

وقبل أن تتمكن مارشا من فعل أي شيء لمنعه طار التنين وقائده لأعلى عبر الضوء الخافت للسحر الذي قارب على الانهيار لمقابلة تنين وقائد آخرين.

46
التزامن

انطلق سبتيموس ولافظ اللهب عبر الفتحة أعلى درع الأمان، واصطدمت شوكة أنف لافظ اللهب بأسفل بطن **تنين الظلام** الرخوة، ليرتد لافظ اللهب عنها وهو يترنح، بينما لم يبد على **تنين الظلام** أنه تأثر على الإطلاق وكأنه قد لدغته بعوضة لا أكثر.



لكن لافظ اللهب سرعان ما تمالك نفسه وأصدر زئيرًا حماسيًّا.

كان بحكم سنه الصغيرة يحب المغامرة، وربما لو كان موجودًا في أحد العصور القديمة التي كانت تنتشر بها التنانين لكان قد اجتهد في البحث عن أولى معاركه. في تلك الأيام في مجتمع التنانين، لم يكن لافظ اللهب يعتبر بالغًا إلا إذا تعارك مع تنين آخر وتغلب عليه. وهكذا في أعماق عقله كتنين كان لافظ اللهب يريد معركة.

وكان هذا هو الحال مع قائد **تنين الظلام**. مال ميرين للأمام بين الأشواك المنتصبة والحماس يطل من عينيه الوحشيتين. وقال لسبتيموس وهو يوجه له سبابًا دارجًا بين تلاميذ القلعة: «سأنال منك أيها الدودة!».

«في أحلامك يا وجه الفأر!».

أشار ميرين بإبهامه اليسرى لسبتيموس وكأنها مسدس وقال له: «سأقتلك، أنت ودمية التنين التي تركبها!».

وردًّا عليه انطلق سبتيموس ولافظ اللهب بجوار **تنين الظلام**. وقبل حتى أن يدرك ما يحدث، كانا قد اقتربا منهما بشدة، حتى إن سبتيموس رأى البثور الملتهبة المنتشرة في وجه ميرين الشاحب ونظرة الكراهية في عينيه والتي صدمته أكثر من رؤية وجه **تنين الظلام** عن قرب. وبينما انطلق لافظ اللهب بالقرب منهما، أشار سبتيموس لميرين بإشارة وقحة للغاية، ليرد عليه بدوره بسيل من الشتائم البذيئة تدفقت في **الضباب الظلامي**.

توقف سبتيموس ولافظ اللهب عند حافة الضباب ونظرا خلفهما.

ورأيا أسفلهما بمسافة طويلة في ممر الهواء النقي الخالي من الضباب والذي صنعه مرورهما عبره، **تنين الظلام** الضخم، ورأيا خلفه الضوء السحري الأرجواني والأزرق الآخذ في الخفوت والتحول إلى الأحمر الباهت.

وبينما كانا يحلقان فوق المنطقة المظلمة معلقين في الهواء، النجوم فوقهما والصمت والسكون من تحتهما، دخل كلاهما في حالة يسعى إليها العديد من مدربي التنانين، لكن نادرًا ما كانوا يصلون إليها. وتعرف هذه الحالة في كتيبات إرشادات التنانين (انظر كتيب التعاويذ ص.1141) **بحالة التزامن** والتي تعني توحد التنين مع مدربه، فيفكران ويعملان معًا بتناغم رائع. حلق كلاهما معًا للحظة واحدة فوق حافة المنطقة المظلمة، ونظرا لأسفل إلى **تنين الظلام** الذي كان يوجد بعيدًا بالأسفل في نهاية الممر الذي يخترق الضباب الظلامي، وكانا يعرفان أن عليهما أن يستغلا هذا الممر قبل أن يختفي.

وفجأة، مالا للأمام، واستعدا للغطس بزاوية عمودية. اصطدم سبتيموس بالشوكة العريضة المسطحة أمامه، والتصق بها وهو يشعر بالنشوة ويشعر بالهواء يلمس وجهه. واندفع كلاهما كطلقة متجهة نحو الأرض، ورأيا ميرين وهو ينظر لأعلى، ويصيح ويركل

تنينه. وبحركة رائعة متمكنة أبطأ لافظ اللهب وقائده المتزامنان معًا من سرعتهما، واتجها لليسار، واستهدفا جناحي التنين الخلفيين.

اخترقتهما شوكة أنف لافظ اللهب، ووسط قطع العظام المكسورة والجلد المقطع كريه الرائحة اخترقا الجناح الآخر ودارا حوله، وتوقفا ليريا ما صنعت أيديهما.

دار **تنين الظلام** حول نفسه، وانقلب وفقد السيطرة على نفسه تمامًا. وامتص الضباب الظلامي صرخات قائده الذي طار مندفعًا نحو برج السحرة. أما التنين فقد اصطدم بدرع الأمان المتداعي بصوت هادر انتقل لهما عبر الضباب، ليشبه صوت الرعد القادم من بعيد، مرسلًا شرارات من السحر في الهواء، ومطلقًا سلسلة من الشرارات الحمراء التي تتموج وصولًا إلى الأرض كصواعق البرق. راح التنين يضرب بذيله، ويخفق بأجنحته السليمة بجنون، وارتد من على درع الأمان، وسقط على أسطح المنازل المطلة على فناء برج السحرة. راقب التنين وصاحبه المتزامنان ما يحدث وهما يشعران بنشوة النصر. فلم يكن أي منهما يحلم بالتخلص من **تنين الظلام** بهذه السهولة.

لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة بالفعل، فأربعة أجنحة كانت كافية ليتمكن تنين من الطيران، حتى بالنسبة لوحش ضخم وثقيل مثل تنين ميرين. وفي وسط حطام المداخن

والأسقف المدمرة، عدّل التنين من وضعه، وجثم لبرهة على أحد الأسقف وبينما تقوست دعائم السقف بسبب ثقل وزنه، ارتفع لأعلى في الهواء وعيونه الستة مثبتة على لافظ اللهب. وفي اللحظة التالية كان تنين **الظلام** متجهًا نحوهما رأسًا وفمه مفتوح عن آخره، لتظهر ثلاثة صفوف من الأسنان الطويلة المتلاصقة والتي تشبه الإبر.

انتظر كلاهما متحدين التنين ليقترب منهما، وعندما صار قريبًا جدًّا منهما رأيا حدقاته السوداء في عيونه الست الحمراء. لكنهما لم يريا عيون قائده التي كانت مغلقة بشدة. دار لافظ اللهب وسبتيموس حول التنين بسرعة البرق، حتى أصبحا خلف ذيله في المنطقة العمياء البالغة عشر درجات، ثم انطلقا كالسهم تحت بطنه الأبيض، ثم أمام رأسه الذي يشبه الصندوق والذي كان لا يزال يحدق لأعلى، متسائلًا: «أين ذهبا؟». ثم طارا أمام أنفه وضرباه بشوكة الذيل. إن أنوف التنانين تعتبر مكانًا حساسًا في أجسادها، وتلا ذلك صرخة ألم قوية بينما انطلقا مبتعدين عنه مرة أخرى.

وبينما طارا بعيدًا في دائرة ضيقة سمعا ميرين يصرخ ويتوعد قائلًا: «سأنال منكما من أجل ذلك!».

صاحا: «أمنيات في الهواء!».

وهكذا ظل لافظ اللهب وسبتيموس يستهزئان بتنين الظلام وقائده، فتارة يهبطان للأسفل وتارة يدوران في دوائر حولهما،

وتارة يختفيان فقط ليظهرا مجددًا في الاتجاه المقابل للاتجاه الذي كان ينظر ناحيته التنين. وراحا يسددان له ضربات جانبية بذيلهما، ويطعنان أسفل بطنه بشوكة أنفهما، بل إنهما راحا يطلقان نيرانًا تمكنا من استدعائها من معدة نارية خاوية على أعلى زوج آخر من الأجنحة. كان تنين **الظلام** يرد على كل حركة، ولكن كان يرد متأخرًا بنحو خمس ثوانٍ، وبعد أن يكون قد فات الأوان. فغالبًا ما كان يواجه الهجمة السابقة في الوقت الذي كان لافظ اللهب وسبتيموس يبدآن هجمة أخرى، وسرعان ما وقع الوحش فريسة للغضب والإحباط وراح يخور بغيظ، وأخذ قائده يهمهم همهمات غير مفهومة وهو مذعور ومضطرب.

وبعد بضع دقائق، طارا لأعلى عبر الضباب **الظلامي** وهما لاهثا الأنفاس، ويشتعلان حماسًا لجلسة مشاورة سريعة. كانا يحلقان على حافة قبة المنطقة المظلمة والنسيم يداعبهما، وراحا يستنشقان هواء الليل النقي غير الملوث بالظلام. وأخذت النجوم فوقهم تلمع وتتلألأ، وراحت خيوط الظلام أسفلهما تسبح في الهواء كطحالب تسبح في مياه المحيط، وكانا يشعران بنشوة وبهجة غير مسبوقة وهما على قمة العالم.

ولكن بعيدًا، كان تنين **الظلام** لا يزال يترصد لهما بالأسفل. قرر كلاهما أنه قد حان الوقت لاستدراج الوحش خارج منطقته. كانا يعرفان أن التنين قد صار شديد الغضب والهياج، وأنه يمكن أن

يتبعهما إلى أي مكان في سبيل القبض عليهما. أخذا نفسًا عميقًا من الهواء النقي، ثم سقطا في الضباب مرة أخرى. رأى كلاهما عيون فريستهما الستة الحمراء المشتعلة صغيرة كرءوس الدبابيس واتجها نحوها رأسًا.

كانا يضعان في اعتبارهما أن تنين **الظلام** يحرص دائمًا أن يكونا في مجال نظره، وهكذا بدآ يلعبان مع ميرين ووحشه لعبة القط والفأر، وراحا يخاطران بالاقتراب منهما بشدة، بالرغم من إمكانية إصابتهما بمخالب تنين **الظلام** المعقوفة، ولكنهما لم يقتربا أكثر من اللازم لدرجة الاحتكاك المباشر. اقتربت المخالب منهما أكثر من اللازم مرة أو اثنين بدرجة مقلقة، حتى إن الهواء الناتج عن حركتها فوق رأسهما كان يطير شعرهما. وهكذا استمرا في الاستهزاء والإغاظة والمناورة والمبارزة كأمهر المبارزين. وبدآ يستدرجان تنين **الظلام** أبعد وأعلى دون أي مقاومة من قائده الذي استمر في النشيج والهمهمة.

خرجا بسرعة البرق من الضباب الظلامي، وكان تنين **الظلام** يركز فقط على شوكة ذيلهما المغرية - والتي كانت أصغر من عرض أحد أجنحته- أمام شوكة أنفه. وتبعهما تنين **الظلام**، واصطدم بالهواء النقي البارد وكأنه قد اصطدم بحائط، فتجمد في مكانه وهو مصدوم. فلأول مرة في حياته القصيرة الكريهة يخرج خارج غطاء

الحماية الظلامي، ولم يبق من عالم الظلام حوله سوى النهر الأسود البارد بالأسفل. وفتح قائده عينيه ونظر للأسفل وصرخ.

وعندما شعر تنين الظلام بأن قواه قد بدأت في الضعف والتلاشي، ألقى برأسه للوراء، وخار وهو يشعر بالحسرة والأسى. كان صوت خواره عاليًا وبشعًا بعد أن تحرر من تأثير كتم الصوت للمنطقة المظلمة.

انتشر الصوت عبر البلاد، وجعل كثيرًا من الناس على بعد مئات الأميال يختبئون تحت أسرّتهم وهم مرعوبون. وبعيدًا بالأسفل في مقهى سالي مولن للشاي والجعة، راحت سارة هيب وسالي مولن تنظران بقلق إلى ظلام الليل.

همست سارة: «سالي، يا إلهي. إنه بشع..».

أحاطت سالي كتفي سارة بذراعها في صمت؛ فلم يكن هناك ما يمكن أن يقال.

وبالخارج وبجوار المركب آني التي كانت قد عادت لتوها، كان سايمون يقطع الجسر العائم جيئة وذهابًا مع مارسيلوس باي. كان سايمون يخبر مارسيلوس أنه قرر الدخول إلى القلعة. فقد كان لديه الكثير ليقدمه، ويملك كثيرًا من المعرفة عن الظلام، وأخيرًا سنحت له الفرصة لاستغلال هذه المعرفة في الخير... وكان هذا ما ينوي فعله. لكن مارسيلوس لم يكن يستمع لكلمة واحدة مما يقول سايمون. فقد كانت صورة سبتيموس عندما رآه للمرة

الأخيرة في القارب الصغير وهو يدور في الدوامة لا تبرح خياله، وظلت تعيد نفسها مـرارًا وتكرارًا في رأسه، ولم يتمكن من التخلص منها، وكلما فكر فيما حدث ازداد شكه في بقاء سبتيموس على قيد الحياة. لقد ألقى بتلميذه الحبيب إلى التهلكة. كان مارسيلوس يشعر أنه حزين وتعس لدرجة لا توصف.

لكن زئير تنين **الظلام** قطع أفكاره. نظر مارسيلوس لأعلى، ليرى لافظ اللهب وهو يهبط من سماء الليل وقد انعكست عليه أضواء مقهى سالي مولن للشاي والجعة.

لقد عاد التنين لكي ينتقم. ولم يكن مارسيلوس يعبأ بذلك؛ فقد كان يرى أنه يستحق.

رأت سالي مولن مارسيلوس وهو ينظر للسماء، وهمست: «هناك شيء ما يجري بالأعلى في السماء».

قالت سارة: «أتمنى أن يدخل سايمون. أتمنى..».

ولكن في ذلك الوقت كانت سارة تتمنى أشياء كثيرة وعلى رأسها أن ترى سبتيموس مرة أخرى، ومن أجل أن تشغل ذهنها عـن كـل الأشيـاء البشعـة التـي تتخيل أنهـا حدثت لسبتيموس راحت تراقب مارسيلوس.

همست سالي بخبث محاولة التسرية عن سارة: «إنه يبالغ كثيرًا، أليس كذلك؟».

وفي ذلك الوقت كان مارسيلوس يبدو دراماتيكيًا بالفعل، فقد كان ضوء المصابيح الآتي من صف النوافذ الطويل بمقهى سالي ينعكس على النقوش الذهبية التي تزين عباءته، وكان يرفع ذراعيه نحو السماء ويداه ممدودتان. وفجأة رأته سارة وسالي وهو يدور حول نفسه ويقول شيئًا لسايمون وهو يصرخ بينما هرع إليه سايمون.

تمتمت سالي: «ماذا يحدث؟ يا إلهي! سارة! سارة . إنه ابنك سبتيموس، انظري!».

شهقت سارة وهي ترى ابنها الأصغر على تنينه مندفعًا نحو النهر ونحو الموت المحقق كما كانت مقتنعة.

وعندما رأت وحش الظلام الرهيب الذي كان يطاردهما صرخت صرخة عالية، حتى إن سالي شعرت بطنين في أذنيها. شاهدت سارة وسالي تنين **الظلام** وهو ينقض عليهما كصقر ينقض على عصفور ومخالبه الحادة مستعدة للإمساك بهما، وعندما اقترب بشدة من لافظ اللهب، حتى صار هلاكهما أمرًا محتومًا، لم تستطع سارة أن تتحمل، وصرخت صرخة يائسة ودفنت رأسها في يديها.

ولكن - وعلى بعد بضع أقدام أعلى سطح النهر- قام التنين وقائده المتزامنان بتغيير خط سيرهما فجأة-كالمتفق عليه- ولكن في اللحظة التي أبطآ سرعتهما فيها لمس مخلب القدم اليمنى لتنين **الظلام** الطويل رأسهما. كتمت سالي صرختها؛ لكي لا تزيد حالة سارة سوءًا، ورأت لافظ اللهب وهو يتراجع للوراء مترنحًا

وجناحاه يخفقان بجنون. ولكن بعد بضع ثوانٍ ارتفع في الهواء عمود ضخم من ماء النهر، فقد سقط **تنين الظلام** في الماء وغطس في القاع.

صرخت سالي صرخة حماسية، وقالت لسارة، بينما كان لافظ اللهب يعاود الطيران مرة أخرى مرتعشًا فوق سطح النهر: «يمكنك أن تنظري الآن». انفجرت سارة في البكاء وقالت: «إنهما بخير». لقد كان كل هذا أكثر مما تتحمل.

أخذت سالي تهدئ من روع سارة، بينما كانت تراقب الأحداث، وعندما رأت سبتيموس يقفز وسط النهر المتدفق بسرعة قررت ألا تخبر سارة.

كادت أنفاس سبتيموس أن تتوقف عندما سقط في المياه المتجمدة، ثم سبح سريعًا نحو ميرين الذي راح يتخبط في الماء وهو يصرخ: «النجدة! النجدة! أنا لا أجيد السباحة! النجدة!». لكن هذا لم يكن صحيحًا تمامًا، فقد ظل يحرك يديه وقدميه في الماء كالكلب لعدة ياردات، لكنها لم تكن تكفي ليصل إلى نقطة آمنة من منتصف النهر.

كان سبتيموس سباحًا ماهرًا بفضل تدريبات السباحة الليلية في جيش الشباب، لذا لم يكن منزعجًا من السباحة في النهر. أمسك سبتيموس بميرين من الخلف، ولف ذراعه حول صدره، وبدأ يسبح ببطء حتى وصلا لجسر سالي مولن العائم. كان لافظ اللهب

فوقه يقطر دمًا من جرح عميق أعلى رأسه ويطير في دوائر، ولكن بناء على تعليمات من سبتيموس طار بعيدًا، وهبط على الأحجار العريضة للرصيف الجديد. كان التيار يجرف سبتيموس بعيدًا عن الجسر العائم، لكنه كان يعرف أنه من الأفضل ألا يقاومه. فسبح في خط مائل عبر النهر متجهًا صوب الشاطئ، حاملًا ميرين الذي لم يكن يحرك ساكنًا.

راقبهما سايمون وهو قلق، وتذكر أنه منذ زمن غير بعيد كان سيسعد برؤية أخيه وهو يصارع الموت في نهر متجمد، وشعر بالخجل من شخصيته القديمة، ثم رأى سبتيموس والتيار يجرفه هو والحمل الثقيل الذي يحمله متجهًا نحو أقرب يابسة يسهل الوصول إليها؛ الرصيف الجديد حيث هبط لافظ اللهب. وبينما هرول سايمون في الممر سمع صرخة من الماء، أعقبها صوت طرطشة صاخبة. هرع إلى الرصيف، ليرى سبتيموس يصارع ميرين على بعد بضع ياردات، وهي المسافة التي يستطيع ميرين أن يسبحها بالضبط؛ ففي حقيقة الأمر كان ميرين يجيد السباحة.

بدا أن ميرين قد أفاق بأعجوبة، وراح يدفع سبتيموس أسفل الماء. كان سبتيموس يقاوم ميرين لكن القماش الرقيق لتمويه الظلام كان قد انقطع، وصار رثًا، ولم تكن قوته تضاهي قوة الخاتم ذي الوجهين والذي كان يزيد من قوة محاولات القتل بعشرة

أضعاف، وبينما كان ميرين يدفع سبتيموس تحت سطح الماء وسبتيموس يقاومه وهو يسعل ويغمغم، قفز سايمون في النهر.

ولأن قوة الخاتم ذي الوجهين وقوة ميرين نفسه كانت موجهة بالكامل لإغراق سبتيموس، كان للكمة سايمون القوية التي سددها لرأس ميرين التأثير المطلوب. فقد ترك ميرين سبتيموس، وابتلع جرعة كبيرة من الماء وبدأ يغرق. نظر سبتيموس إلى منقذه وهو مصدوم.

سأله سايمون: «هل أنت بخير؟».

أومأ سبتيموس وقال: «نعم، أشكرك يا سايمون».

أصدر ميرين صوت بقبقة في الماء، ونزل تحت سطح الماء.

شهق سايمون وقال وأسنانه تصطك ببعضها من برودة الماء المتجمد: «سأحضره».

وقال: «اذهب أنت إلى الدرج».

لكن سبتيموس لم يكن يثق بميرين، فسبح بجوار سايمون وهو يسحب ميرين وعندما وصلوا إلى الرصيف الجديد ساعده سبتيموس في إخراج ميرين من الماء وفي صعود الدرج. ألقيا ميرين على الأحجار ووجهه لأسفل كسمكة ميتة.

قال سايمون: «يجب أن نخرج الماء من جسمه، لقد شاهدت هذا في الميناء» وجثا على ركبتيه بجوار ميرين، ووضع يديه على قفصه الصدري، وراح يدفع برفق، ولكن بقوة وثبات في نفس الوقت، حتى سعل ميرين بضعف، ثم سعل مرة أخرى، وفجأة تقيأ

كمية ضخمة من مياه النهر، وخرج شيء من فمه، وسقط على الأحجار وهو يرن. ورأوا عند قدمي سبتيموس قرصًا فضيًا صغيرًا يتوسطه نتوء مرتفع. حاول سبتيموس أن يتجاهل المكان الذي جاء منه القرص والتقطه، وشعر بوزنه الثقيل في يده، وراح يلمع في ضوء المشعل الوحيد الذي كان لا يزال مشتعلًا على الرصيف.

وقال: «يا إلهي! لابد أن بلع هذا الشيء مؤلم للغاية!».

لكن سايمون لم يكن مندهشًا؛ فعندما كان ميرين يعمل مساعدًا لسايمون في المرصد كان كثيرًا ما يبتلع أشياء معدنية متنوعة. لكن سايمون لم يكن يريد أن يتذكر هذه الفترة من حياته، ولا أن يتذكرها سبتيموس. فصمت ولم يقل شيئًا.

بدأ ميرين ـ الذي كان لا يزال راقدًا على الأرض عند أقدامهما ـ يتحرك ويئن ويقول بضعف: «أعدها لي، إنها تخصني».

تجاهله سبتيموس وسايمون.

ونظر سايمون إلى القرص في يد سبتيموس، وقال بحماس وابتهاج: «إنها **الشفرة المقترنة**. يجب أن نوصل هذا القرص لمارشا على الفور».

لم يحب سبتيموس الحديث بصيغة الجمع، وقال له: «سأوصله أنا لها». ووضع القرص في حزام التلاميذ الخاص به.

قال سايمون معترضًا: «لكن أنا من يعرف طريقة استخدامه».

رفض سبتيموس ما قاله سايمون وقال: «ومارشا أيضًا تعرف».

قال سايمون غاضبًا: «كيف لها أن تعرف؟ إنها لا تعرف حتى من أين تبدأ».

قال سبتيموس بحدة: «بالطبع تعرف».

قطع صوت وقع أقدام تركض هذا الجدال الدائر بين الأخوين، كانت سارة وسالي ومارسيلوس يركضون إلى الرصيف الجديد. لم يكن سبتيموس يريد أن يتورط في هذا التجمع الآن، فلوح لهم بيده على عجل، وانطلق راكضًا وهو ممسك بقرص **الشفرة المقترنة** صوب لافظ اللهب الذي بدا مزهوًّا بالانتصار؛ فقد انتصر لتوه في أولى معاركه، وأصبح الآن تنينًا بالغًا ناضجًا.

وبعد بضع ثوانٍ كان لافظ اللهب وسبتيموس محلقين في الهواء. وراح لافظ اللهب يقطر دمًا طوال الطريق مخلفًا أثرًا وراءه حتى وصلا إلى برج السحرة.

راقب سايمون لافظ اللهب وقائده وهما يختفيان فوق الضباب الظلامي، وقد ألجمت خيبة الأمل لسانه.

لمست سارة ذراع سايمون بلطف وقالت له: «سايمون، سايمون يا حبيبي. تكاد تتجمد، تعالَ بالداخل؛ فسالي لديها نار مشتعلة».

شعر سايمون بالامتنان أنها حتى لم تذكر سبتيموس.

نظر لوالدته التي كانت ترتعش، بالرغم من أنها كانت تلف نفسها بأحد أغطية سالي. شعر بالأسى من أجلها، ولكن في ذلك

الوقت لم يكن يستطيع أن يفعل أي شيء من أجلها إلا ما كان على وشك أن يفعله.

قال لها برفق: «آسف يا أمي، لا أستطيع. يجب أن أذهب الآن. عودي أنت إلى سالي. وأخبري لوسي أنني... أنني سأراكم كلكم قريبًا». وسار مسرعًا نحو الطريق المؤدي إلى البوابة الجنوبية.

راقبته سارة وهو يبتعد دون أن تبدي أي اعتراض، الأمر الذي أقلق سالي التي قالت في نفسها: «تبدو سارة مهزومة». اصطحبت سالي صديقتها، وعادتا أدراجهما إلى المقهى، وأجلستها بجوار النار. تجمع حولها نكو ولوسي وروبرت وماجي لكن سارة لم تتحرك أو تتكلم باقي الليلة..

وضع مارسيلوس باي ميرين الذي كان يرتعش وفي حالة يرثى لها في إحدى أسوأ حجرات سالي التي كانت حجرة مقبضة وبلا نوافذ، ووضع معه كومة من الأغطية الجافة، وبينما ذهب ليوصد الباب نظر إليه سجينه والشرر يتطاير من عينيه.

بصق ميرين وأنفه يسيل بعد أن عادت له نزلة البرد بقوة، وقال: « أنت ف... فاشل! مفتاحك الغ... غبي هذا لن ي... يحبسني». وأشار بإبهامه اليسرى لمارسيلوس، ولمع الوجهان الأخضران على الخاتم ذي الوجهين بخبث: «إ... إن من يرتدي هذا الخاتم لا يقهر. أتشوو! وأنا أرتديه، ولهذا فأنا لا أقهر. يمكنني أن أفعل ما أريد. يا ر... رأس الدلو!».

لم يهتم مارسيلوس بالرد عليه، وأغلق الباب، وأوصده جيدًا، ثم نظر لمفتاح سالي الصفيحي الضعيف. وقال في نفسه: إنه حتى وإن لم يكن ميرين يحمل الخاتم ذا الوجهين كان سيمكنه أن يخرج من الحجرة بسهولة، ولكنه في الوقت الحالي يكاد يتجمد من البرد، ويعاني من صدمة شديدة من جراء ما حدث له، ولم يكن في حالة تسمح له بعمل أي شيء.

وفي الممشى البارد خارج الحجرة، وقف مارسيلوس يحرسها وهو يقطع الممشى جيئة وذهابًا ليشعر بالدفء وحذاؤه المقطوع يصدر صوتًا كلما مشى على الأحجار المتجمدة. وأخذت كلمات ميرين المليئة بالتحدي تتردد في ذهنه مرات ومرات، فقد كانت هذه الكلمات -بعكس كثير مما قاله ميرين من قبل- صحيحة. فطالما كان يرتدي الخاتم، كان مارسيلوس يعرف جيدًا أن ميرين لا يقهر، وأنه حر ليعيث في الأرض فسادًا. ولم يكن لدى مارسيلوس أدنى شك في أنه مادام يرتدي ميرين هذا الخاتم فكل سكان القلعة في خطر داهم.

راح مارسيلوس يفكر في الصبي الذي يجلس في الحجرة وحيدًا مريضًا يرتجف من البرد، وللحظة شعر بشيء من التعاطف والشفقة نحوه، لكنه سرعان ما نحى تلك المشاعر جانبًا، وذكر نفسه بالخاتم ذي الوجهين الذي يرتديه ميرين، والذي يلمع في

إبهامه التي كان يشير بها مستهزئًا به. كان يعرف أنه عندما يسترد ميرين عافيته سينتقم ويعيث في الأرض فسادًا.

لم يكن هناك وقت ليضيعه، كان يجب أن يفعل شيئًا وبسرعة وفي الحال.

صعد مارسيلوس السلالم بخفة متجهًا نحو مقهى الشاي والجعة، وتساءل إن كانت سكاكين المطبخ عند سالي حادة بما فيه الكفاية...

47
الإبطال العظيم



همت مارشا بوضع جزئي **الشفرة المقترنة** معًا. كان مكتبها الصغير مزدحمًا والجميع متحمسين، حتى نكو الذي لم يكن يهتم كثيرًا بأمور السحر راح يراقب باهتمام.

ومع خفوت ضوء درع الأمان، بدأ ضوء أحمر غريب يشع من نافذة المكتب الصغيرة، لكن المكتب نفسه كانت إضاءته مبهرة؛ بفضل الشموع العديدة الموضوعة في الشمعدان الطويل الذي يوجد على مكتب مارشا.

وكان هناك كتابان مفتوحان على مكتب مارشا: **فهرس الظلام وإبطال الظلام**. وفي ظل هذين الكتابين كانت توجد علبة فضية صغيرة وقرص فضي صغير على قطعة من القطيفة الأرجوانية. وكان ألثر يراقبهم من أعلى كالطائر. فلكي يحمي نفسه من خطر المرور من خلاله كان يجلس على أعلى درجة في سلم دار المخطوطات، وراح يراقبهم باهتمام شديد. فلم يكن ألثر يعرف أي شيء عن استخدام **الشفرة المقترنة** سوى من الناحية النظرية فقط. ففي الوقت الذي كان فيه هو الساحر الأعظم، كان هذان الكتابان اللذان يحملان مفاتيح **فك الشفرة** قد فقدا منذ زمن بعيد. لكن مارشا قد وجدت كتاب **إبطال الظلام** في كوخ العمة زيلدا منذ عدة سنوات، وكانت تعرف أن **الإبطال العظيم** -وهي تعويذة أسطورية يخشاها كل ممارسي الظلام أكثر من أي شيء آخر- توجد في مكان ما بين صفحاته. لكن كلمات هذه التعويذة كانت متناثرة بشكل عشوائي في صفحات الكتاب، وإيجادها كان يستلزم وجود فهرس الكتاب أو **فهرس الظلام**.

إلا أن الأمر لم يكن سهلًا، ولم يكن يقتصر على استخدام الفهرس فحسب، بل كان يستلزم أيضًا استخدام الصفحات الصحيحة من الفهرس، ومن هنا جاء اسم **الشفرة المقترنة**. فمن أجل معرفة أي أبواب **فهرس الظلام** بها التتابع الصحيح لأرقام

الصفحات والكلمات في كتاب **إبطال الظلام**، كان يجب قراءة **الشفرة المقترنة** وبشكل صحيح.

والآن كان هذا على وشك الحدوث. أخذ سايلاس وسبتيموس وچينا ونكو وألثر القابع بالأعلى يتابعون ما يحدث باهتمام، بينما بدأت مارشا في تجميع **الشفرة المقترنة**.

رفعت مارشا نصف الشفرة الخاصة ببرج السحرة، ووضعتها على قطعة القطيفة التي كانت تنتظر عليها قرينتها التي كانت في الفترة الأخيرة في محيط غير صحي بالمرة. ثم التقطت شفرة دار المخطوطات التي كانت أصغر كثيرًا، ووضعت الجزء الناتئ الذي يتوسطها في الفتحة التي تتوسط الشفرة الخاصة ببرج السحرة. ظهرت شرارة زرقاء، وفجأة طفت شفرة دار المخطوطات فوق شفرة برج السحرة بمسافة أقل من مليمتر واحد. وبدأت شفرة دار المخطوطات في الدوران حول نفسها ببطء في البداية، ثم أسرع وأسرع حتى أصبحت عبارة عن ضوء يدور حول نفسه. ثم سمع الجميع صوت طقطقة، وتوقف القرص عن الدوران. رفع الجميع رءوسهم؛ ليروا ما حدث عن قرب. بدا وكأن القرصين قد اندمجا معًا وصارا قرصًا واحدًا، وكان من الواضح أن الخطوط التي كانت تمتد في شفرة دار المخطوطات قد أصبحت موصولة ببعض الخطوط الأخرى على شفرة برج السحرة، وكان كل منها ينتهي برمز. ساد المكان صمت مشوب بالخوف.

وكانت هذه هي الرموز التي ستبدأ بها تعويذة **الإبطال العظيم** التي ستبطل تأثير **الظلام** وتحرر القلعة.

أخرجت مارشا عدستها المكبرة ودققت النظر في الرموز، ثم قالت: «مستعد يا سبتيموس؟».

كان سبتيموس يحمل في يده دفتر مذكرات التلميذ الخاص به، ووضع قلمه أعلى صفحة جديدة استعدادًا للكتابة، وقال: «مستعد».

كان الضوء الأحمر من درع الأمان الموشك على الانهيار قد بدأ يملأ حجرة المكتب، ليطغى على ضوء الشموع ويسقط على الصفحة البيضاء الناعمة لمذكرات سبتيموس، ويلقي بظلال تنذر بالشر عبر الحجرة. كان سبتيموس يعرف أنه سرعان ما سيتم اختراق درع الأمان، وقال في نفسه: هذا يمكن أن يحدث في أي لحظة الآن. انتظر سبتيموس وهو مستعد لكتابة تسلسل الرموز التي ستوصلهم لتعويذة **الإبطال العظيم**. لماذا لم تبدأ مارشا في قراءة الرموز؟ لم يعد هناك وقت لنضيعه.

خمنت چينا السبب، لكنها كانت تتمنى من كل قلبها أن تكون مخطئة. لم تكن چينا تستطيع أن تتحمل هذا القلق، وقررت أن تختبر حقها بالمعرفة.

«لكن يا مارشا كيف ستعرفين الرمز الذي يجب أن تبدئي به؟».

كانت مارشا تعلم جيدًا أنها قد أصبح عليها أن تجيب عن كل أسئلة الأميرة المرتقبة كافة بصدق وبشكل كامل وبدون تأخير.

نظرت مارشا لأعلى والتقت عيناها بعيني چينا.

قالت مارشا: «لا أدري».

ساد الصمت المطبق المكان بعد أن أدرك الجميع الآثار المترتبة على رد مارشا.

شق سايمون طريقه وسط الضباب الظلامي وهو يشعر بالرعب من أن يراه أحد الأشياء. ولحسن الحظ عندما وصل للبوابة الجنوبية مد الشيء الذي كان يحرسها يده العظمية، وجذبه للداخل دون أن ينظر إليه. لكنه كان يعلم أنه ربما لن يحالفه الحظ بهذا الشكل مرة أخرى. كان يتمنى لو لم تجبره لوسي على إلقاء ثيابه الظلامية والتي كانت تطلق عليها: الأشياء القديمة المقرفة، فلو كانت هذه الثياب معه الآن لكان استطاع أن يستفيد منها. فبدونها كان الضباب الظلامي خانقًا، أكثر بكثير مما كان عليه في القصر عندما كان لا يزال خديثًا؛ فالآن اكتسب الضباب قوة من كل الذين هزمهم وتغلب عليهم، وراح يضغط بها على سايمون. كان كوسادة خانقة تسد أذنيه وعينيه وتجعل كل نفس يتنفسه صعبًا وشاقًّا للغاية.

كان سايمون يشعر وكأنه يسير تحت الماء مرتديًا أحذية من الرصاص. سار سايمون على طريق السحرة بمشقة شديدة متجهًا

نحو الضوء الأحمر الذي كان ينذر بانهيار درع الأمان الذي يحمي برج السحرة.

وبينما كان يخوض في الضباب الظلامي ويرزح تحت ثقله مارًّا بدار المخطوطات، رأى ظلالًا باهتة **لأشياء** تظهر وتتجه صوب القوس العظيم حيث مكان تجمعهم في انتظار اللحظة التي سينهار فيها هذا الحصن. راح سايمون يسير ببطء وصعوبة شديدين، كان الأمر يشبه الكابوس، ثم عبر إلى الناحية الأخرى من الطريق وشق طريقه بجهد جهيد إلى الزقاق الضيق الذي كان يمتد بمحاذاة سور فناء برج السحرة. كان سايمون يتجه إلى البوابة الجانبية الخفية السرية المؤدية إلى الساحر الأعظم والتي لم يكن من الممكن رؤيتها من الخارج، وهكذا لم يكن سيجذب انتباه أي من **الأشياء**، كما كان يأمل.

وعندما وصل سايمون عند عتبة الباب التي كانت علامة وجود الباب السري، شعر أن رأسه يدور وكأن الضباب قد اخترق رأسه. كان يتوق لأن يريح أطرافه الثقيلة، وأن يستلقي ويتمدد للحظة، فقط لحظة واحدة...

استند إلى الجدار، وشعر وكأنه يستند على سطح خشبي لا أحجار، وأن هناك قفلًا أسفله، وبدأ ينزلق نحو الأرض.

كانت هناك أشياء غريبة تحدث في المراحل الأخيرة لانهيار درع الأمان الحي. فالمكونات المستقلة له كانت قد بدأت تتخذ

قراراتها الخاصة بها. فعندما انزلق سايمون عند البوابة السرية عرف الدرع أنه يحتاج لأن يدخله، فانفتح وتدحرج سايمون قليلًا إلى الداخل، وبحركة رشيقة قامت البوابة بدفعه للداخل، وانغلقت بأسرع ما يمكن. كانت بعض خيوط الضباب قد دخلت معه، لكنها سرعان ما توقفت عندما اتحدت البوابة مع الجدار مرة أخرى.

ساعد الهواء النقي داخل فناء برج السحرة سايمون على الإفاقة قليلًا. فنهض واقفًا وهو يرتعش وأخذ نفسًا عميقًا. ونظر لأعلى إلى البرج العالي الذي أصبح شبه مظلم الآن-إلا من الضوء الأحمر لدرع الأمان الموشك على الانهيار- وشعر بخوف ورهبة. عبر سايمون الفناء، واتجه مرتعشًا نحو السلالم الرخامية المؤدية إلى الأبواب الفضية التي تحمي البرج.

ومرة أخرى عرف درع الأمان النجدة عندما رآها، فانفتحت الأبواب الفضية العالية بهدوء. كان قلب سايمون يخفق بعنف وهو يدخل إلى البهو الكبير. وعندما أُغلقت الأبواب، بدأ سايمون في تقييم الموقف، فهو لم يكن يصدق أنه داخل برج السحرة، فطالما كان يحلم بأن يدخله يومًا وينقذه من الأخطار، والآن هذا ما كان يقوم به بالفعل، كان يشعر وكأنه يحلم.

لكن الأشياء في برج السحرة تغيرت كثيرًا. لم يكن سايمون قد دخل البهو الكبير منذ كان طفلًا صغيرًا، لكنه كان يتذكر أنه كان مكانًا متألقًا مبهجًا وكان السحر منتشرًا في كل مكان، والصور

الجميلة تحلق على الجدران، وكان هناك أرضيات رائعة تكتب اسمك عندما تطؤها. كم كان يحب رائحة السحر والهواء اللطيف والهمهمة الهادئة للسلالم الحلزونية الفضية المتحركة. ولكن الآن كل هذا يكاد أن ينتهي.

كانت الأضواء ضعيفة وكئيبة والجدران مظلمة والأرضيات خاوية والسلالم متوقفة؛ كل شيء يوشك على الانتهاء. كانت ظلال السحرة والتلاميذ متناثرة في البهو الكبير. راح الصغار يقطعون المكان جيئة وذهابًا وهم يشعرون بالذعر والقلق، بينما الكبار يكادون ينهارون من الإرهاق، حيث يركزون على المجهود المضني الذي يبذلونه من أجل إضافة أجزاء صغيرة من طاقتهم السحرية إلى درع الأمان.

ظهرت هيلدا جارد من الظلال، كانت شاحبة الوجه، وتحيط بعينيها هالات سوداء وراقبت سايمون وهو يسير متجهًا للدرج، ولم تحاول أن توقفه أو تسأله؛ فقد كان هذا مضيعة للطاقة. فإذا كان البرج قد سمح له بالدخول فلابد أنه هناك سبب لذلك. لكنها تمنت أن يكون سببًا وجيهًا.

صعد سايمون السلالم المتوقفة ركضًا، وكان يسمع من حين إلى آخر في الأدوار المظلمة أصوات تمتمة خافتة لأنشودة سحرية، لكن في أغلب الأحيان لم يسمع شيئًا سوى الصمت. وبالخارج رأى الضوء الأحمر يخفت سريعًا، وكان يعرف أنه

بمجرد انطفائه ستدخل المنطقة المظلمة إلى برج السحرة. لم يكن سايمون يعرف كم ستستغرق هذه العملية، لكنه اعتقد أنها ستستغرق دقائق وليس ساعات.

وفي الطابق العشرين قفز من على السلالم، وركض عبر الردهة العريضة المؤدية لباب الساحرة العظمى الأرجواني، وألقى بنفسه عليه.

كانت مارشا داخل حجرة المكتب تملي الرموز المكتوبة على الخطوط التي التقطتها شفرة دار المخطوطات. كانت قد قررت أن تبدأ بكل رمز كل في دوره. كان يبلغ عدد الرموز تسعة وأربعين رمزًا. وكان هذا يعني أنه كان هناك تسعة وأربعون كلمة في **الإبطال العظيم**، وتسعة وأربعون بداية محتملة، ولم تكن هناك أي طريقة تمكنها من معرفة أيهم البداية الصحيحة. ولأن **الإبطال العظيم** كان تعويذة بالغة القدم، كانت مارشا تعلم أنه ليس من الضروري أن تحمل أي معنى، ولذا لم يكن هناك أي شيء يمكن أن يرشدها لمعرفة ما هي الكلمة الأولى. كان الأمر مخاطرة كبيرة، لكن لم يكن لديها أي خيار آخر. فقد كان من المحتمل أن يجدوا الترتيب الصحيح على الفور. كانت هذه هي فرصتهم الوحيدة وكانت مارشا تعرف أنها يجب أن تستغلها.

وهكذا بدأت في تمليتها بسرعة: «صفر، نجمة، ثلاثة، سحر، متاهة، ذهب، مفتاح الحياة، مربع، بطة... نعم، قلت بطة... اثنان، توأم، سبعة، جسر...يا إلهي!» نظرت مارشا لأعلى فجأة.

همست قائلة: «بابي... لقد أدخل باب شخصًا ما. شخص ينتمي لعالم **الظلام**، من الخارج».

شهق الجميع شهقة قوية. قال سايلاس متجهًا صوب باب حجرة المكتب: «سأذهب لأتحقق من الأمر».

نهض ألثر من مكانه أعلى السلم، وقال: «انتظر يا سايلاس، سأذهب أنا. أوصد الباب عندما أخرج».

قالت مارشا بينما فكك الشبح نفسه سريعًا، وسار مخترقًا الباب: «شكرًا ألثر. والآن أين توقفنا؟ تبًّا، لا أعرف. سبتيموس، سأبدأ من البداية مرة أخرى. صفر، نجمة، ثلاثة، سحر، متاهة، ذهب، مفتاح الحياة، مربع، بطة، اثنان، توأم، سبعة، جسر، حلزون، أربعة، قطع ناقص، زائد، برج... ألثر هل هذا أنت؟».

«نعم مارشا افتحي الباب من فضلك. أسرعي. هناك شخص يريد مقابلتك».

تبادل الجميع نظرات متسائلة. ترى من كان هذا الشخص؟

اصطحب ألثر سايمون إلى المكتب وسط حالة من الصمت الذاهل سادت المكان، وقال: «قبل أن تقولي أي شيء يا مارشا، هذا الفتى يعرف معلومات قيمة. فهو يعرف من أين نبدأ».

عبست مارشا وقالت: «حقًّا؟ اسمع يا ألثر هناك تعاويذ أخرى على هذه الشفرة منها ما يحمل شرًّا ويمثل خطورة بمعنى الكلمة. كيف لي أن أتأكد أنه سيخبرني بالبداية الصحيحة للتعويذة المطلوبة؟».

نظر سبتيموس ونكو وچينا إلى بعضهم. تعاويذ أخرى؟ إذن فمارشا كانت تخاطر مخاطرة غير محسوبة وغير مأمونة العواقب. كانت الأمور أسوأ مما كانوا يعتقدون.

قال ألثر: «أنا أعرفه منذ ولد، وأنا أعتقد أنك يمكن أن تثقي به».

قال سايمون بهدوء: «يمكنك أن تثقي بي، أعدك أنني سأكون أهلًا لهذه الثقة».

نظرت مارشا لسايمون الذي كان مبتلًّا تمامًا ويرتجف من البرد واليأس يطل من عينيه؛ يأسٌ يعكس مشاعره في هذه اللحظة. واتخذت مارشا قرارها.

قالت: «حسنًا يا سايمون، هل يمكنك أن ترينا أين تبدأ تعويذة الإبطال العظيم؟».

وهكذا وجد سايمون نفسه في مكان لم يكن يتوقع أبدًا أنه يمكن أن يكون فيه. فقد كان في قمة برج السحرة يجلس خلف مكتب الساحر الأعظم محاطًا بكتب وأغراض السحر بما فيها -كما لاحظ- كرته الخاصة التي كانت بمثابة جاسوسه الخاص أو

مخبره السري. والآن وفي حضور أبيه وأخيه الأصغر كان على وشك إخبار الساحرة العظمى بشيء سينقذ القلعة.

قال سايمون: «نقطة البداية مذكورة في فهرس الظلام».

أخذ سايمون الكتاب بيدين مرتعشتين. وللحظة شعر وكأنه صديق قديم، حتى تذكر أنه في الحقيقة عدو قديم.

تذكر الليالي الكثيرة الطويلة الباردة والمرعبة أحيانًا التي قضاها وحيدًا يقرؤه، وتذكر آخر مرة حمله فيها في محاولة مبكرة للتوقف عن ممارسة **الظلام**. كان قد وضعه في نهاية الخزانة، وأوصدها جيدًا. لم يكن يحلم بأن المرة القادمة التي يحمله فيها ستكون في برج السحرة.

فتح سايمون فهرس الظلام بحذر شديد من ناحية الغلاف الخلفي. ومر بإصبعه عبر الصفحة الأخيرة البالية وهو يتمتم بتعويذة قصيرة، لتبدأ الحروف في الظهور أسفل أصابعه.

بدا على مارشا الامتعاض والاستياء. تعويذة إظهار بسيطة، كيف لم تفكر في ذلك من قبل؟

وأسفل إصبع سايمون المتحرك ظهرت قائمة بالأحرف الهجائية، ثم بدأت حركة إصبعه تبطؤ عند حرف الألف، ووقف الجميع في الانتظار، لكن تعويذة **الإبطال العظيم** لم تكن مدونة في القائمة. ساد شعور من انعدام الثقة في الحجرة الصغيرة، لكن عندما وصل سايمون إلى حرف العين ارتعشت يده، وفجأة ظهرت

كلمتا: **العظيم. الإظهار**. ابتسم سايمون بارتياح، وأعطى الفهرس المُظهّر إلى مارشا.

قرأت مارشا بصوت عالٍ: «العظيم. الإظهار، تبدأ بالسحر وتنتهي بالنار. شكرًا سايمون».

أومأ سايمون، فلم يكن يثق في نفسه ليتكلم.

جلست مارشا، ولبست نظارتها وفتحت **فهرس الظلام** وقالت: «والآن يا سبتيموس اقرأ الرموز بصوت عالٍ، وابدأ بالسحر. وببطء أرجوك».

وبينما كان سبتيموس يقرأ القائمة كان يتوقف عند كل رمز بينما كانت مارشا تقلب صفحات الكتاب البالية المتسخة بالدهون من يدي ميرين القذرتين. كانت كل صفحة تحمل أحد الرموز في بداية النص المكتوب.

وفي أسفل الصفحة كان يوجد رقمان، يبدوان لأي شخص عادي أنهما أرقام الصفحات. وكانت مارشا تدون هذه الأرقام وتقول بسرعة: «التالي». كان الأمر يبدو وكأنه سيستمر للأبد، لكن بعد مرور بضع دقائق كان قد أصبح لدى مارشا عمود يتكون من تسعة وأربعين زوجًا من الأرقام.

أعطت مارشا سبتيموس الأرقام، ثم فتحت كتاب **إبطال الظلام**.

«اقرأ عليَّ هذه الأرقام من فضلك يا سبتيموس».

وفجأة انطفأ الضوء الأحمر الذي كان يغمر غرفة المكتب. وشهق كل الموجودين في فزع.

قالت مارشا وهي متجهمة: «لقد انهار درع الأمان!».

وهناك بالأسفل، انهار الحصن على الأرض، ثم عبره أول **الأشياء**، ودخل إلى فناء برج السحرة، ثم تبعه اثنا عشر **شيئًا** آخر مع سيل من الضباب الظلامي.

وفي قمة البرج كان سبتيموس يقرأ أول رقم من أول زوج من الأرقام. «أربعة عشر».

راحت مارشا تقلب صفحات كتاب **إبطال الظلام** السميكة بسرعة شديدة، حتى وصلت لصفحة رقم أربعة عشر.

قرأ سبتيموس بصوت عالٍ الرقم التالي: «ثمانية وتسعون».

راحت مارشا تعد الكلمات في الصفحة رقم أربعة عشر، حتى وصلت للكلمة الثامنة والتسعين.

كانت الكلمة هي: «ليكن». كانت كلمة صغيرة جدًّا بالرغم من كل هذا العناء لإيجادها.

وهكذا بدأت مارشا تجمع ببطء مميت كلمات تعويذة **إبطال الظلام**.

وخارج برج السحرة على آخر درجة من درجات السلم الرخامي، مد أحد **الأشياء** إحدى أصابعه العظمية ودفع الباب

الفضي العالي. انفتحت الأبواب كأبواب سقيفة تركت غير موصدة في نسمات الصيف.

دخل **الشيء** إلى برج السحرة، واندفعت خلفه المنطقة المظلمة. انطفأت الأنوار وصرخ شخص ما. وفي ظلال مكتبها الصغير شعرت هيلدا جارد فجأة بأنها واثقة أن أخيها الأصغر الذي اختفى وهو في السابعة من عمره أثناء تدريب الفعل أو الموت في جيش الشباب كان خارج الباب. هرعت هيلدا جارد وفتحته واندفع الضباب الظلامي منه.

عبرت **الأشياء** عتبة الباب، وأحضروا المنطقة المظلمة معهم. انتشرت **الأشياء**، وأخذوا يدورون في المكان ساحقين الأرض المحتضرة تحت أقدامهم وهم يراقبون السحرة ينهارون على الأرض. وبينما بدأ الضباب الظلامي يملأ البهو، سارت **الأشياء** صوب السلالم المتوقفة، وبدأوا في الصعود. كانت المنطقة المظلمة خلفهم تتحرك صاعدة لأعلى عبر برج السحرة، لتملأ كل مكان **بالظلام**.

وفي أعلى نقطة بالبرج كانت مارشا تمسك بورقة مدون عليها سلسلة من تسع وأربعين كلمة تكون-كما كانت تتمنى من كل قلبها-تعويذة **إبطال الظلام**. ثم صعدت هي وسبتيموس الدرجات الحجرية الضيقة ركضًا إلى المكتبة الهرمية يتبعهما أثر. ألقيا

بنفسيهما عبر الباب الصغير، وهرعت مارشا إلى النافذة المؤدية للخارج، ثم التفتت لسبتيموس قائلة:

«لست مضطرًّا للمجيء معي».

قال سبتيموس: «لا. يجب أن آتي معك، فأنت تحتاجين كل السحر الذي يمكنك الحصول عليه».

قالت مارشا: «أعلم».

«إذن سأذهب معك».

ابتسمت مارشا وقالت: «حسنًا، هيا بنا، لا تنظر لأسفل».

لم ينظر سبتيموس لأعلى أو لأسفل، فقط كان يركز عينيه على حافة عباءة مارشا الأرجوانية، وتبعها صاعدين الناحية المدرجة من الهرم الذهبي. ولسبب ما تجهله، خلعت حذاءها الأرجواني المدبب المصنوع من جلد الثعبان، ووقفت حافية القدمين على الكتابة الهيروغليفية الفضية القديمة المنقوشة على قمة الهرم الذهبية. وانتظرت سبتيموس لينضم إليها ويبدآ معًا بصوت واحد يخترق الضباب الظلامي في قول تعويذة **الإبطال العظيم**.

«ليكن..».

وهناك بعيدًا بالأسفل، كان **الشيء** القائد يدس إصبعه بعدم اكتراث في الباب الأرجواني الكبير الذي يحمي حجرات مارشا، ووقف خلفه اثنا عشر شيئًا في انتظار الاستيلاء على مسكنهم الجديد.

انفتح الباب، والتفت الشيء لرفاقه وعلى وجهه ما يشبه الابتسامة، ووقفوا يستمتعون باللحظة وهم يشاهدون الضباب الظلامي وهو يملأ الحجرة ويدور حول أريكة مارشا الثمينة.

وعند قمة الهرم الذهبي كانت مارشا أوفرستراند الساحرة العظمى وتلميذها سبتيموس هيب ينطقان بآخر كلمات تعويذة الإبطال العظيم.

انغلق باب مارشا بعنف في وجه **الأشياء**، وأعقب ذلك طنين عالٍ، ثم أوصد الباب نفسه جيدًا، ولمزيد من الأمان أرسل موجة صادمة شديدة لتصرخ ثلاثة عشر من **الأشياء**. وبالرغم من أن صراخ **الأشياء** ليس صوتًا جميلًا متناغمًا إلا أن هذه الأصوات بالنسبة لسبتيموس ومارشا كانت أجمل شيء سمعاه في حياتهما.

ثم رأيا أجمل منظر وقعت عليه عيونهما، فقد بدأ الضباب الظلامي يتراجع، ومرة أخرى بدأت تظهر القلعة التي يعرفونها ويحبونها؛ أسقف منازلها المتناثرة وأبراجها وأسوارها وجدرانها المتداعية، وظهرت خلفها السماء الوردية لفجر يوم جديد. وبينما كانا يشاهدان شروق الشمس وهو يبدد الظلال التي راحت تتوارى بالأسفل، تساقطت قطع الثلج الأولى التي تبشر بمجيء الصقيع العظيم وابتسم سبتيموس ومارشا لبعضهما، فقد انتهت المنطقة المظلمة.

وبعد بضع دقائق اصطحبت مارشا - التي ارتسمت ابتسامة عريضة على وجهها - الجميع إلى غرفة جلوسها، وانشغلت بفتح نوافذها لطرد رائحة الظلام العفنة. وكان جيم ني يجلس ملتفًّا حول نفسه في مكانه المعتاد على الأريكة وچيلي دچين تجلس بجواره كما تركتهم مارشا تمامًا. لكن كان هناك شيء غريب في رئيسة كتبة السحر جعل مارشا تهرع إليها.

شهقت مارشا: «لقد ماتت!». ثم صاحت بمزيد من الحزن والأسى: «لقد ماتت على أريكتي!».

كانت چيلي دچين تجلس مائلة للوراء فاغرة فاها قليلًا وعيناها مغلقتان كأنها نائمة. كان جسدها موجودًا، ولكن كان من الواضح أنها هي نفسها قد رحلت، أيًّا كان ما حدث لم تعد چيلي دچين موجودة، فقد كان **الإبطال العظيم** إبطالًا لها هي الأخرى.

48

الإصلاح



خرج سبتيموس ومارشا وچينا من القوس العظيم وتوقفوا لبرهة ينظرون إلى طريق السحرة الذي تحرر لتوه من **الظلام**. كان يومًا جميلًا باردًا، وكانت الشمس تتسلل من خلف السحب، لتلقي بأشعتها الصباحية على طريق السحرة. كانت أولى قطع الثلج الحقيقية للصقيع العظيم قد بدأت في السقوط، تدفعها الرياح في ضوء الشمس العابر لتستقر على الرصيف المكسو بالجليد.

أخذت مارشا نفسًا عميقًا من الهواء النقي الألق، وانتابتها سعادة غامرة، لكنها لم تسمح لنفسها أن تكتمل سعادتها حتى تقوم بإزالة التشميع الهرمسي وفتح الحجرة الهرمسية لتجد بيتل حيًّا.

شجعت مارشا نفسها، حيث كانت تتوقع أن تجد كثيرًا من الأشياء في انتظارها في المكتب الأمامي للمكتبة، لكن ليس عصبة ساحرات الميناء، اللاتي كن قد ذهبن في نزهة لمشاهدة اللحظات الأخيرة لبرج السحرة، وعندما شعرن بالملل من طول الانتظار قمن بخلع الألواح من على الباب المؤدي لمتجر الكتب والتعاويذ ودلفن إليه. وعندما خرجن منه يكسوهن الفراء والريش وبعض القشور المتناثرة، صدمن عندما وجدن أن الضباب الظلامي الجميل قد اختفى، وأن تلك المرأة البغيضة التي يطلق عليها الساحرة العظمى في انتظارهن. صرخت دوريندا صرخة حادة عبرت عن صدمتهن جميعًا.

وقامت مارشا بطردهن خارج حدود المكان، الأمر الذي أسعد چينا كثيرًا. رحلت الساحرات سريعًا -وحتى الساحرة الأم كانت تهرول وهي تعرج مرتدية حذاءها ذا المسامير- حتى إنهن قد نسين نيرسي التي كانت جالسة دون أن يلاحظها أحد بجوار كومة منهارة من الكتب.

وكانت نيرسي قد وجدت بعض شرائط العرقسوس المترب في أحد الأدراج، وجلست تمضغه باستمتاع؛ فقد كانت تعشق العرقسوس.

أسرعت مارشا إلى داخل دار المخطوطات نفسها يتبعها سبتيموس وچينا. تناثرت في أرجاء المكان مكاتب مقلوبة وأوراق مقطعة ومصابيح مكسورة، وكان كل شيء مغطى بغبار رمادي دبق، عرف سبتيموس أنه كان عبارة عن جلود **الأشياء** المتساقطة المقرفة. وبسرعة شقوا طريقهم وسط هذا الحطام، ووصلوا إلى المدخل المقنطر المؤدي إلى الحجرة الهرمسية ووقفوا هناك.

قالت مارشا بأسى: «لقد انفك الشمع الهرمسي، أخشى أن نكتشف الأسوأ». كان من الواضح أن **الأشياء** كانت قد مرت بالممر ذي السبعة أركان، فقد تركوا أثرًا من مادة لزجة على الأرض، قال سبتيموس في نفسه إنها تشبه بزاقات ضخمة. سار سبتيموس في الممر وهو ينادي بحذر في الظلام: «بيتل... بيتل». لكنه لم يتلق أي رد.

همس قائلًا: «يبدو أنه لا يوجد أي أثر للحياة في المكان».

قالت چينا ببطء: «لكنني أشعر أن صوتك قد اصطدم بشيء أبعد قليلًا يغلق الممر».

قالت مارشا: «من المحتمل أن يكون الشمع الهرمسي قد صمد، ولكنه ابتعد بعض الشيء عن مكانه».

سأل سبتيموس: «وهل يستطيع ذلك؟ لقد ظننت أنه إذا سقط فإنه يسقط في الحال في مكانه».

قالت مارشا سريعًا: «من الأفضل أن نستطلع الأمر، أليس كذلك؟». واختفت في الممر ذي السبعة أركان، وانطلق سبتيموس وچينا خلفها.

وبينما كان يدور حول الركن السادس، اصطدم سبتيموس بمارشا «أُف!».

كانت مارشا تقف عند نهاية الممر المغلقة بالحجر المنقر، وقالت: «لا يزال المكان مغلقًا **بالشمع الهرمسي**. شيء مذهل. لقد تحطم بعض الشيء، لكني أعتقد... أعتقد أنه ما زال يعمل جيدًا».

«هل هذا يعني أن بيتل..».. لم يستطع سبتيموس أن ينهي سؤاله. ففكرة أن بيتل قد لا يكون بخير جعلته يشعر بالغثيان.

قالت مارشا وهي متجهمة: «لا نملك سوى التمني».

وضعت مارشا يديها على سطح الشمع القذر الدبق وهي متجهمة. وفي ضوء خاتم التنين، راقب سبتيموس وچينا سطح الشمع الهرمسي وهو يعالج نفسه بنفسه. وسرعان ما عاد ناعمًا متألقًا باللون الأرجواني السحري مرة أخرى، لينير الممر ذا السبعة أركان.. ليظهر الغشاء المكون من جلد **الأشياء** الدبق المقزز

بالتفصيل. تخيل سبتيموس كيف كان الشمع يضيء في **الظلام** عندما وصلت **الأشياء** مستهزئًا بهم، فلا عجب أنهم قد هاجموه، فأضاف تمويهًا ما.

والآن بدأت مارشا في إزالة الشمع. تراجعت چينا بسرعة عند الهجوم المفاجئ للسحر، والذي كان مركزًا تركيزًا شديدًا في الحدود الضيقة للممر فجعلها تشعر بالغثيان. لكن سبتيموس كان مبهورًا وهو يراقب سطح الشمع وهو يزداد توهجًا ولمعانًا، وبدأ يتراجع أمامهم تدريجيًّا. تبع سبتيموس ومارشا الشمع خطوة بخطوة، حتى توقف في نهاية الممر. وقفوا في قلق يراقبون السطح الصلب كالماس يصبح شفافًا تدريجيًّا، حتى بدأ يظهر ظل الحجرة الهرمسية خلفه.

راح الشمع يتلاشى تدريجيًّا، حتى لم يتبق منه سوى دوامة متحركة من السحر تفصلهم عن الحجرة الهرمسية، استطاع سبتيموس من خلالها أن يرى بيتل منهارًا على المنضدة، حتى إنه لم يستطع أن يحدد إن كان حيًّا أم ميتًا.

ومرة أخرى مدت مارشا يديها - التي لاحظ سبتيموس أنها كانت ترتعش- ووضعتها على آخر بقايا الشمع الذي بمجرد أن لمسته تلاشى واندفع هواء إلى داخل الحجرة مارًّا بهما.

هرع سبتيموس إلى صديقه، وهزه من كتفيه وهو يناديه: «بيتل!». كان جسم بيتل باردًا للغاية، حتى إن سبتيموس تراجع

للوراء في فزع. ظهرت چينا عند مدخل الحجرة ونظر كلاهما إلى مارشا برعب وفزع.

سارت مارشا نحو درج الحصار والذي كان مقلوبًا فوق المنضدة، تخرج منه بعض شرائط العرقسوس. «أين تميمة التعطيل المؤقت؟».

قال سبتيموس: «جسده بارد، بارد جدًّا».

نظرت مارشا إلى شرائط العرقسوس نظرة لا تبشر بخير، وقالت: «حسنًا، سيكون باردًا إذا..».

سألها سبتيموس: «إذا ماذا؟».

قالت مارشا وهي قلقة: «إذا استخدم التعطيل المؤقت».

قال سبتيموس في نفسه: وكان سيصبح كذلك أيضًا إذا لم يستخدمه، لكنه لم يقل شيئًا. راقب سبتيموس وچينا مارشا وهي ترفعه برفق ليجلس معتدلًا، لكن عينيه كانتا مغلقتين ورأسه ساقطًا للأمام كالأموات.

شهقت چينا بحزن وأسى.

نادته مارشا وهي تهزه من كتفيه: «بيتل، يمكنك الخروج الآن». لكن لم يكن هناك أي رد. نظرت مارشا لچينا وسبتيموس اللذين امتلأت عيونهما رعبًا!

راح الوقت يمر بطيئًا، جثت مارشا على ركبتيها؛ لكي يكون وجهها في نفس مستوى وجه بيتل، ووضعت يديها على جانبي

رأسه، ورفعته برفق بحيث صار وجهه أمام وجهها. ثم أخذت نفسًا عميقًا، وملأ طنين السحر الحجرة الهرمسية مرة أخرى، وخرج من فم مارشا ضباب وردي استقر على وجه بيتل وغطى أنفه وفمه.

حبس سبتيموس وچينا أنفاسهما وهما يراقبان بيتل، ولكنه لم يحرك ساكنًا. استمرت مارشا في إخراج هذا الضباب من فمها، ولكن بيتل ظل ساكنًا لا يتحرك وشحوب الموت الذي يكسو وجهه يلمع عبر الضباب الوردي فوقه. ولكن فيما بعد رأى سبتيموس خيوطًا من الضباب تدخل في أنف بيتل وتختفي داخله كدخان يخرج من مدخنة. لقد كان يتنفس. فتح بيتل عينيه ببطء، ونظر لمارشا بوجه خالٍ من التعبير.

أسرع سبتيموس نحو بيتل وقال: «بيتل، بيتل إنه نحن. بيتل، يا إلهي!».

ابتسمت مارشا بارتياح وقالت: «تهانيَّ يا بيتل، قلب دار المخطوطات لم يمس، وهذا بفضلك أنت».

استجمع بيتل قواه وقال برباطة جأش: «عظيم..».

تجمعوا جميعًا وسط حطام المكاتب المقلوبة. كان بيتل يبدو شاحبًا، وكان يرتعش وهو يشرب مشروب الفواكه الفوارة المقوي والذي وجده سبتيموس مخبَّأً في مطبخ بيتل القديم في الفناء الخلفي للمكتبة. لاحظ بيتل أن چينا لم تبق معهم، وأنها أسرعت إلى القصر في أسرع وقت. كان بيتل صافي الذهن بعد فترة التعطيل

المؤقت، ولذا أدرك ما كان يعنيه هذا. لو كانت چينا هي من خرجت لتوها من غرفة مؤصدة بسد هرمسي خالية من الهواء قضت يومين محبوسة بها لما كان تركها، وهرب عند أول فرصة. قال لنفسه: كن واقعيًّا يا بيتل.

قاطعت مارشا أفكاره بقولها: «يجب أن أبدأ الليلة عملية اختيار رئيس جديد لكتبة النصوص الهرمسية. يجب أن أرحل الآن؛ فأنا أنوي أن أزور كل كاتب بنفسي. أريد أن أتأكد أنهم ما زالوا... موجودين».

فكر بيتل في فوكسي وبارتريدج وروميلي. وفكر أيضًا في لاري ومات وماركوس وإيجور في المغارة القوطية وحتى في الأشخاص المزعجين في متجر الشطائر السحرية. ترى كم منهم ما زال... موجودًا؟

توقفت مارشا لتتحدث إلى بيتل. قالت له: «شيء مؤسف أنك لم تعد تنتمي إلى دار المخطوطات، فكم كنت أتمنى أن يكون قلمك في الوعاء».

كانت سعادة بيتل غامرة بهذا الإطراء، وقال: «أشكرك، لكنه لم يكن ليختارني، فأنا ما زلت صغيرًا جدًّا. ولم أكن حتى كاتبًا جيدًا».

قالت مارشا: «ليس هذا مهمًّا. فالوعاء يختار الشخص المناسب». ولكنها أحجمت عن التعليق على سبب اختيار الوعاء لچيلي دچين.

«ولكن ربما تحب أن تبقى هنا حتى بدء القرعة؛ لتحرس دار المخطوطات؛ فأنا لا أريد أن أترك دار المخطوطات دون حراسة».

مرة أخرى سعد بيتل بهذا الإطراء، لكنه كان قد هم بالرحيل بالفعل فقال: «آسف، لكن من الأفضل أن أذهب إلى لاري؛ فأنا لا أريد أن أفقد وظيفتي هناك أيضًا».

قالت مارشا وهي تفتح له الباب المؤدي إلى المكتب الأمامي: «حسنًا بيتل، أنا أتفهم»، وقد أدركت أنه ما كان يجب عليها أن تطلب منه مثل هذا الطلب، فمن الواضح أن بيتل لا يزال يجد دار المخطوطات مكانًا مزعجًا بالنسبة له. راقبت مارشا بيتل وهو يسير مبتعدًا في ضوء شمس الصباح، ثم نادت داخل دار المخطوطات: «سبتيموس أنت المسئول عن دار المخطوطات الآن. وأنا آذن لك باستخدام **تعويذة الإصلاح**، وسأعود بعد قليل ومعي كل الكتبة».

ومن الجانب الآخر من الحاجز سمع سبتيموس مارشا تقول بصوت عالٍ: «دار المخطوطات مغلقة اليوم. أقترح أن تعودي غدًا عندما تصبح تحت إدارة جديدة. ماذا؟ لا، ليس لدي أي فكرة أين ذهبت الساحرات. لا، لست ساحرة، ما الذي جعلك تقولين هذا؟ أنا السيدة الساحرة العظمى».

ابتسم سبتيموس وهو يسمع صوت نيرسي عبر الحاجز الضعيف وقد تم اصطحابها بعيدًا خارج حدود المكان.

فهكذا عادت مارشا إلى طبيعتها مرة أخرى.

وخارج دار المخطوطات، وجدت مارشا نفسها قد ابتليت بتطفل غير مرغوب فيه، فقد كانت نيرسي ملتصقة بها كجلد أحد **الأشياء**، وليزيد الطين بلة رأت مارسيلوس باي قادمًا. وقررت مارشا أن تتظاهر بأنها لا تراه.

نادى مارسيلوس: «مارشا! مارشا. انتظري!».

نادت مارشا: «معذرة، يجب أن أذهب فورًا».

لكن لم يكن من السهل التخلص من مارسيلوس. فأسرع الخطى نحوها وهو يجر خلفه رفيقًا عنيدًا يقاومه. وبينما اقترب الاثنان عرفت مارشا من يكون.

قالت متلعثمة: «ميرين ميريديث!».

لم يكن سمع نيرسي كما كان عليه في السابق فقالت: «ماذا؟».

قالت مارشا لنيرسي بحدة: «أعتقد أنني قلت لك: إنك يجب أن تعودي للمنزل».

لكن نيرسي لم تكن تسمع شيئًا، فقط كانت تحملق في الشخص الذي كان يسير بصعوبة وأنفه يسيل ويجره مارسيلوس خلفه.

وصل مارسيلوس -الذي كان أحمر الوجه ويبدو عليه الانزعاج- إلى مارشا ونيرسي.

قال مارسيلوس: «مارشا، لدي شيء من أجلك». دس يده في جيب عميق، وأخرج علبة بنية صغيرة مصنوعة من ورق مقوى رخيص، وأعطاها لمارشا.

نظرت مارشا إلى العلبة بنفاد صبر وقرأت: «صنابير جعة الربيع».

ثم قالت: « مارسيلوس، لماذا يمكن أن أحتاج لصنابير جعة «الربيع؟».

قال مارسيلوس: «كان هذا هو الصندوق الوحيد لدى سالي، ولا يحتوي على صنابير، وأيًّا كان ما يحتوي عليه فمن الأفضل أن تلقي نظرة عليه».

تغلب فضولها على نفاد صبرها، وفتحت العلبة الكرتونية الضعيفة، وأخرجت منها قطعة من القماش الملطخة بالدماء. وشعرت بشيء ثقيل في يدها، وشهقت.

«يا إلهي، مارسيلوس كيف حصلت على هذا؟».

رد مارسيلوس بهدوء وهو ينظر لميرين الذي كان يحملق في الأرض نظرة ذات معنى: «كيف في رأيك؟».

نظرت مارشا لميرين متفحصة إياه، لترى يده اليسرى مربوطة بضمادة اكتسى الجزء الداخلي منها باللون الوردي القاني، فعرفت مارشا أن إبهامه لم يعد موجودًا. حدقت مارشا في الخاتم ذي

الوجهين الذي كانت تحمله في يدها والذي كان باردًا وثقيلًا، وشعرت بشيء من الخوف.

قال مارسيلوس بهدوء: «هل لي أن أقترح تدمير هذا الخاتم والتخلص منه؟ فحتى إذا احتفظنا به في أكثر الأماكن سرية في العالم فيمكنه أن يقع يومًا في يد أحد الحمقى - أو من هو أسوأ - ليمنحه قوى لا حدود لها».

وافقته مارشا الرأي، وقالت: «نعم، يجب أن يتم تدميره، لكن لم يعد لدينا نار لنفعل ذلك».

شعر مارسيلوس بالتوتر وهو يقدم لها حله المقترح وقال: «مارشا أرجو أن تثقي بي بما فيه الكفاية؛ لتفكري في عرضي بجدية. أود أن أعود لغرفة الكيمياء الخاصة بي. وإذا سمحت لي بذلك يمكنني أن أشعل نارًا، وخلال شهر يمكننا أن نخلص القلعة من هذا الخاتم الخبيث للأبد. وأتعهد لك بأنني سأحافظ على الأنفاق الجليدية ولا أتدخل في أي شيء».

«حسنًا مارسيلوس أنا موافقة. وحتى ذلك الحين سأضع الخاتم على الرف السري الخفي».

قال مارسيلوس وهو متردد: «ممم... لي طلب آخر».

كانت مارشا تعرف ما هو فقالت وهي تتنهد: «نعم، سوف أعيرك سبتيموس طوال الشهر القادم؛ لأنك ستحتاج مساعدته. فالأمر يخصنا جميعًا. ونحن نحتاج إلى الكيمياء جنبًا إلى جنب

مع السحر ليبقى **الظلام** في حالة من التوازن والاستقرار. أليس كذلك؟».

ابتسم مارسيلوس ابتسامة عريضة، بينما انفتحت له حياته القديمة مرة أخرى بكل آفاقها المذهلة. وقال وهو يشعر بسعادة غامرة: «نعم بالطبع أتفق معك، أتفق معك تمامًا».

وبينما كان هذا الحوار دائرًا، كانت نيرسي تمسك بيد ميرين الملفوفة بالضمادة وهي تبدي أسفها وتعاطفها معه، فقد كانت قد اتسخت تمامًا وحتى مارسيلوس كان يرى هذا.

نظرت مارشا لهما باستياء، فلم تكن تدري ماذا تفعل مع ميرين. كانت تلقي باللوم على التأثير الشرير للخاتم ذي الوجهين في كثير مما فعل ميرين، لكنه لا يمكن إنكار أنه هو من اختار أن يلبسه في بداية الأمر.

كانت مارشا تعرف أن نيرسي هي مالكة بيت الدمية، وهي استراحة حقيرة في الميناء قضى فيها سبتيموس وچينا ليلة مليئة بالأحداث يومًا ما. كانت العمة زيلدا في الماضي قد أخبرتها بشيء عن نيرسي لم تعره اهتمامًا كبيرًا في ذلك الوقت، ولكن الآن وبينما كانت تنظر لنيرسي وميرين معًا، لاحظت الطريقة الخرقاء التي يقفان بها وأنفيهما المعقوفين اللذين يشبهان المناقير، وبشرتهما الشاحبة، وتأكدت من أن ما قالته العمة زيلدا كان

صحيحًا. التفتت مارشا لنيرسي وقالت: «هل تستقبلون مستأجرين؟».

بدا الاندهاش على نيرسي وقالت: «لماذا؟ هل مللت السكن في البرج؟ نعم، لابد أنه متعب في التنظيف، وأيضًا كل هذه السلالم لابد أنها قد أتعبت ركبتيك. حسنًا، أنا آخذ نصف كرونة في الأسبوع أقبضها مقدمًا. وهناك مبلغ إضافي إذا أردت ماء ساخنًا وأغطية».

قالت مارشا ببرود: «أشكرك، أنا سعيدة بالسكن في البرج، على كل حال، سأدفع لك أجرة سنة مقدمًا لهذا الشاب».

شهقت نيرسي غير مصدقة: «سنة مقدمًا؟». فالآن يمكنها أن تعيد طلاء المنزل، والأفضل من ذلك أنها سيمكنها أن تترك العمل عند هؤلاء الساحرات البشعات.

قالت مارشا: «وسيتضمن المبلغ المدفوع خدمات التمريض والرعاية والاهتمام، بالإضافة إلى الماء الساخن والأغطية والطعام. ولاشك أن هذا الشاب سيرحب بالمساعدة بمجرد أن تشفى يده».

قال ميرين غاضبًا: «لن تشفى يدي أبدًا، فلم يعد لدي إبهام».

قالت مارشا مبتهجة: «سرعان ما ستعتاد على ذلك. لقد تحررت الآن من الخاتم، ويجب أن تستغل هذا أفضل استغلال.

أقترح أن تقبل باقتراحي وأن تذهب مع هذه الممرضة. وإلا فكل ما ستراه في المستقبل المنظور هو الحجرة الآمنة في برج السحرة».

قال ميرين: «حسنًا، سأذهب معها، فهي لا بأس بها على أي حال».

ربتت نيرسي على يد ميرين السليمة وقالت: «ولد صالح».

قالت مارشا: « مارسيلوس هل معك ستة جنيهات؟ ».

صرخ مارسيلوس: «ستة جنيهات؟ »

«نعم، فجيوبك دائمًا تمتلئ بالذهب. سأردها لك».

مد مارسيلوس يده في جيبه على مضض، وأعطاها ستة جنيهات لامعة جديدة».

جحظت عينا نيرسي؛ فهي لم تر كل هذا الذهب من قبل قط. أضافت مارشا نصف كرونة أخرى من جيبها، وأعطت المال لمالكة المنزل التي ألجمتها المفاجأة.

قالت مارشا بسرعة: «هناك مبلغ إضافي بسيط، هذا من أجل ركوب سفينة للميناء. إذا أسرعت يمكنك أن تلحقي بسفينة المساء».

تأبطت نيرسي ذراع ميرين السليم، وقالت له: «هيا يا عزيزي، فلنرحل من هذا المكان؛ فأنا لا أحب القلعة؛ إنها تحمل لي ذكريات سيئة».

قال ميرين: «وأنا أيضًا، إنها مستودع نفايات».

راقب مارسيلوس ومارشا ميرين ونيرسي وهما يرحلان. وقال مارسيلوس: «يشبهان بعضهما تمامًا».

قالت مارشا: «بالطبع، فهما أم وابنها».

* * *

كان فوكسي هو أول كاتب وجدته مارشا وأرسلته إلى دار المخطوطات. وهو في طريقه إليها قابل بيتل آتيًا من مكتب لاري لخدمات ترجمة اللغات الميتة.

«مرحبًا، بيت!».

«مرحبًا، فوكسو!».

نظر كل منهما للآخر للحظة وهما يبتسمان ابتسامة عريضة.

ثم سأله بيتل: «هل أنت بخير يا فوكسو؟».

قال فوكسي مبتسمًا: «نعم».

«إذًا لم تكن بالخارج عندما هاجم **الظلام**؟».

«لا، لقد نمت بجوار النار، واستيقظت بعد يومين. أشعر بفمي كأرضية قفص ببغاء لكن كل شيء آخر على ما يرام. ولكن...».

تنهد فوكسي وقال: «خالتي مفقودة. فقد كانت بالخارج عندما جاءت المنطقة المظلمة إلى طريقنا، ولم تعد منذ ذلك الحين ولا أجدها في أي مكان. والآن، حسنًا... الآن يقولون: إنه كان هناك تنين يخطف الناس». كان فوكسي يرتجف.

قال بيتل: «يا إلهي، كم أنا آسف يا فوكسي».

قال فوكسي: «نعم». ثم قال محاولًا تغيير الموضوع: «ولكن أخبرني، أنت لا تبدو بخير. هل كان الأمر صعبًا داخل الحجرة؟»

قال بيتل: «نعم، كان هناك طرق شديد بالمطارق، ومحاولات عديدة للاقتحام».

قال فوكسي: «هذا ليس جيدًا».

«بالتأكيد. ولا أريد أن أرى شرائط العرقسوس مرة أخرى للأبد».

قرر فوكسي ألا يسأل عن السبب؛ فقد كان بيتل وهو يذكر شرائط العرقسوس يبدو عليه الإحباط وخيبة الأمل بشكل غريب!

قرر فوكسي أن يغير الموضوع وقال: «إذن كيف حال لاري؟»

قال بيتل: «ليس على ما يرام. ففي الحقيقة، لقد طردني لتوه لمجيئي متأخرًا».

«متأخرًا؟».

«نعم، لقد تأخرت ليومين».

أحاط فوكسي كتفي بيتل بذراعه. فلم يكن قد رآه محبطًا بهذا القدر من قبل، وقال له: «هون عليك، فكل هذا لا قيمة له، أليس كذلك؟».

«ليست الأمور على ما يرام يا فوكسي».

«أتريد شطيرة سجق؟».

رأى بيتل أضواء مرحبة تصدر من متجر الشطائر السحرية، وتلمع في الضوء الخافت لعصر يوم شتوي، وفجأة شعر بجوع شديد وقال: «بالطبع».

سارت چينا على مهل إلى القصر، وآثار أقدامها تظهر على الحشائش المدهوسة في الثلج. كان القصر أمامها مظلمًا وخلفه سماء العصر، وكانت الشمس قد بدأت تختفي خلف الأسوار العتيقة، وكل هذا يصاحبه نعيق الغربان التي تُسمع من حين إلى آخر من فوق أشجار الأرز بالأسفل بجوار النهر. لكن چينا لم تكن ترى الصورة بهذه الطريقة. وكانت قد رفضت عروضًا من سايلاس وسارة بأن يأتيا معها. كانت هذه هي الطريقة التي تريد بها أن تعود للقصر... وحدها.

كانت الأبواب القديمة المزدوجة مفتوحة قليلًا، فقد تركها سايمون هكذا عندما هرب حاملًا سارة بين يديه. وكان يحرس الأبواب شخص مألوف.

قال سير هيروارد: «أهلًا بك في بيتك أيتها الأميرة المرتقبة».

ردت چينا بينما دلفت إلى القصر: «أشكرك سير هيروارد».

ودخل إلى القصر معها وابل من الثلوج.

علقت چينا عباءة الساحرة في غرفة العباءات، وأغلقت الباب عليها وهي تشعر بالامتنان لها، فقد ساعدتها كثيرًا، ومن يعرف؟ ربما تحتاجها مرة أخرى يومًا ما.

قالت لسير هيروارد الذي كان لا يزال واقفًا بالخارج تحت الثلج المتساقط: «من الأفضل أن تدخل أنت أيضًا».

قال سير هيروارد: «في الحقيقة يا أميرة، بعد أن أصبح القصر كله ملكك وليس غرفتك فقط، أعتقد أنني يجب أن أبقى بالخارج».

قالت چينا: «أفضل أن تدخل سير هيروارد. سأستمتع بوجود صحبة معي، إذا كنت لا تمانع».

دخل سير هيروارد إلى القصر وهو مبتسم، وبسرعة دفعت چينا البابين معًا محدثة دويًّا عاليًا ترددت أصداؤه بين جنبات المبنى الخاوي. وقفت چينا في البهو الذي كان يعج بظلال وأشباح تنظر حولها. ثم مدت يدها في جيبها باحثة عن تميمة ضوء الشموع التي كان سبتيموس قد أعطاها لها بعد ظهيرة ذلك اليوم، وبدأت تشعل أول شمعة من الشموع الكثيرة المطفأة.

وفيما بعد، في المساء، كانت چينا تجلس في غرفة جلوس سارة القديمة وهي تحتضن بطة متحيرة بين ذراعيها، عندما سمعت صوت وقع أقدام يأتي من الردهة الطويلة. لم يكن هذا صوت وقع أقدام الأشباح الخفيفة، ولكنه كان صوت أقدام آدمية ترتدي حذاء ثقيلًا.

ذهب سير هيروارد الذي كان يقف حارسًا بجوار النار؛ ليستطلع الأمر. وعاد ومعه العمة زيلدا والفتى الذئبي، الأمر الذي أدهش چينا، وأسعدها كثيرًا في نفس الوقت.

احتضنتها العمة زيلدا بكل حب واشتياق، وكان الفتى الذئبي مبتسمًا ابتسامة عريضة.

وقال: «نحن جد آسفين أننا قد فوتنا حفلك. لكن حدث شيء غريب للغاية، فنحن لم نتمكن من الخروج من حجرة الملكة ليومين كاملين».

جلست العمة زيلدا بجوار النار، ونظرت إلى البطة بين ذراعي چينا، وقالت بشيء من الاستهجان: «هذا المخلوق كان في **الظلام** يا عزيزتي، أرجو ألا تكوني تعبثين بأشياء لا يجب أن تتعاملي معها. ففي الماضي فعلت بعض الأميرات في سنك نفس الشيء».

«آه نعم»... لم تدر چينا ماذا تقول، فكأن العمة زيلدا كانت تعرف بأمر عباءة الساحرة التي تعلقها في الخزانة.

قالت العمة زيلدا: «والآن يا عزيزتي چينا، أخبريني بكل ما حدث».

وضعت چينا مزيدًا من الفحم في النار، فيبدو أنها ستكون أمسية طويلة.

49

رئيس كتبة النصوص الهرمسية

في يوم عيد منتصف الشتاء، وقفت چينا تنظر من نافذة قاعة الحفلات الراقصة بالقصر تشاهد الثلج وهو يتساقط بغزارة، ليغطي المروج، ويزين أغصان الأشجار العارية، ويمحو أي أثر **للمنطقة المظلمة**. كان منظرًا رائعًا بحق.

وكانت چينا تستضيف احتفالات عيد منتصف الشتاء، مصممة على التخلص من كل آثار **الأشياء** بالقصر، وقررت أن أفضل طريقة لتحقيق ذلك هي أن تملأه بكل من تحبهم. جاء سايلاس وسارة وماكسي من العشوائيات.

وبعد لقاء مؤثر -دمعت فيه عيون سارة- بين سارة وإيثيل، بدأوا في مساعدة چينا في تجهيز قاعة الاحتفالات لحفل الليلة. كانت هناك مهام كثيرة يجب إنجازها كما تقول چينا.

ابتسم سايلاس وقال: «هذا ما تقوله أمك دائمًا».

طلع الصباح الشتوي الجميل، وتراكمت الثلوج خارج النوافذ الطويلة، بينما كانت قاعة الاحتفالات في أبهى صورها، وقد تزينت بالأشجار وفروع اللبلاب والشرائط الحمراء والشمعدانات الفضية الضخمة وصندوق كامل من اللافتات والشرائط الملونة، كان سايلاس يحتفظ بها لمناسبة خاصة.

وفي الناحية الأخرى من طريق السحرة، كان يتم اختيار رئيس جديد لكتبة النصوص الهرمسية.

كانت مارشا في ظهيرة اليوم السابق قد نجحت في جمع كل الكتبة معًا في دار المخطوطات. وفي حفل رسمي، وضعت الوعاء التقليدي المصنوع من المينا على الطاولة في الحجرة الهرمسية، ثم قام كل كاتب بوضع قلمه في الوعاء الذي ترك في الحجرة الهرمسية طوال الليل، وقضت مارشا ليلة متعبة في حراسة مدخل الحجرة.

والآن حان وقت الاختيار، تجمع كل الكتبة بثيابهم النظيفة المغسولة وشعرهم المصفف بعناية.

دخلوا إلى دار المخطوطات خافتة الإضاءة وهم ينظرون لبعضهم وهم يتساءلون أيهم سيكون رئيس كتبة النصوص الهرمسية القادم. كان بارتريدج يحاول أن يصل لبعض التخمينات، لكنه فشل في ذلك.

كانت قد فرشت على الأرض سجادة جميلة مربعة، طلبت مارشا من الكتبة أن يتجمعوا حولها. كان الكتبة الأكبر سنًّا يشعرون بالحيرة، فلم تكن هذه السجادة موجودة في المرة السابقة عند اختيار رئيس الكتبة السابق.

بدأت مارشا المراسم بإلقاء بضع كلمات مختارة بعناية عن چيلي دچين استمع إليها الكتبة بكل توقير واحترام، ثم أعلنت خبرًا مفاجئًا.

«أيها الكتبة، لقد كان وقتًا عصيبًا، وبالرغم من أن معظم الناس قد تمكنوا من الخروج بسلام من هذه العاصفة، فإن البعض لم يتمكن من ذلك. ونحن نعزي ونواسي كل من فقد عزيزًا في هذه الأحداث المؤسفة».

كانت هناك نظرات عطف وشفقة موجهة للكتبة الذين اختفى بعض من ذويهم أو أصدقائهم. انتظرت مارشا قليلًا، ثم أردفت.

ولكن، رب ضارة نافعة. فمنذ **الإبطال العظيم** الذي قمنا به أمس، لاحظنا اختفاء بعض بؤر سحر الظلام العنيدة التي كان من

الصعب التخلص منها، وأعتقد أن نفس الشيء قد حدث هنا. وبهذا تمكنا أخيرًا من الوصول لتوازن بين سحرنا والظلام».

توقفت مارشا لبرهة، بينما دوت عاصفة من التصفيق.

ثم أردفت: «وخلال الأيام القليلة الماضية في برج السحرة، وبينما كنت أحاول إيجاد وسيلة لهزيمة الظلام توصلت للعديد من الاكتشافات. أحدها سيؤثر علينا اليوم تأثيرًا كبيرًا. ففي الفترة الأخيرة، لم يكن اختيار رئيس كتبة النصوص الهرمسية -في رأيي الشخصي- اختيارًا... مثاليًّا تمامًا. وأعتقد أن هذا يرجع إلى أنه على مر السنين الماضية، شهدت الحجرة الهرمسية الكثير من سحر الظلام، مما تسبب في إفساد عملية الاختيار. ولكن الآن بعد أن عادت الأمور إلى نصابها، أتوقع أن يكون لعملية الاختيار شكل مختلف وتعطينا نتائج حقيقية».

نظر الكتبة إلى بعضهم. ماذا كانت مارشا تقصد؟ تركت مارشا لهم بعض الوقت لاستيعاب ما قالت، ثم أعلنت بصوت عالٍ لتُسكت الهمهمات التي سرت في المكان، وقالت: «فليتفضل أصغر الكتبة سنًّا بالتقدم خطوة للأمام».

دفع بارتريدج وفوكسي روميلي بادجر التي اكتست وجنتاها بحمرة الخجل إلى الأمام.

وهمس بارتريدج: «هيا تقدمي، ستكونين بخير، لا تقلقي».

قالت مارشا بطريقة رسمية: «روميلي بادجر، بما أنك أصغر الكتبة سنًّا، أطلب منك أن تدخلي إلى الحجرة الهرمسية وتخرجي **الوعاء**».

سرت همهمات في المكان؛ فقد كان من المعتاد أن يحضر الكاتب الأصغر سنًّا القلم الموضوع على المنضدة، وليس الوعاء.

قالت مارشا للكتبة: «هذه هي الكلمات الأصلية كما جاء في كتاب إبطال **الظلام**. وإذا عادت عملية **الاختيار** إلى سابق عهدها كما أتمنى، فسيكون هناك قلم واحد في الوعاء والباقي سيكون على المنضدة. وسيكون القلم المتبقي في الوعاء هو قلم رئيس كتبة النصوص الهرمسية الجديد. أما إذا كان هناك قلم واحد على المنضدة والباقي موجودًا في الوعاء فسيكون علينا أن نتقبل هذا الاختيار كما كنا نفعل في السابق، بالرغم من أن رأيي الشخصي هو أن هذه الطريقة غير صحيحة. موافقون؟».

كانت هناك بعض الهمهمات والمناقشات لكن في النهاية وافق الجميع على ما قالته مارشا.

قالت مارشا: «حسنًا يا روميلي إذا وجدت قلمًا واحدًا على المنضدة فعليك إحضاره، ولكن إذا كانت هناك كومة من الأقلام فأحضري **الوعاء**. أفهمت؟».

أومأت روميلي.

استمرت مارشا في سرد الكلمات المنصوص عليها.

«روميلي بادجر أطلب منك أن تقومي بهذه المهمة من أجل أن يتم اختيار رئيس كتبة النصوص الهرمسية الجديد بشكل قانوني سليم. هل تقبلين بهذه المهمة؟ نعم أم لا؟».

همست روميلي: «نعم».

«والآن أيتها الكاتبة ستدخلين الحجرة، وكوني أمينة ولا تتلكئي».

سارت روميلي بخجل داخل الممر ذي السبعة الأركان. شعر الجميع وكأنه قد مرت أكثر من ساعة من الزمن، بالرغم من أن الأمر لم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة، وبعدها سُمع صوت وقع أقدام روميلي وهي عائدة عبر الممر. ضج المكان بالتصفيق عندما ظهرت حاملة **الوعاء**.

وابتسمت مارشا ابتسامة عريضة؛ فقد كانت قد بدأت تشعر بالندم على ما قالته قبل قليل عن عملية الاختيار، ظنًّا منها أنه إذا استمرت الطريقة القديمة في **الاختيار** فمن سيتم اختياره - أيًّا من كان - لن تصبح له السلطة المطلقة. ولكن الآن كان كل شيء على ما يرام، فقد عادت عملية الاختيار إلى الطريقة الصحيحة، وكل ما تبقى الآن هو أن تأخذ روميلي القلم من **الوعاء**.

قالت مارشا: «والآن أيتها الكاتبة روميلي ضعي الوعاء على السجادة».

وضعت روميلي الوعاء على السجادة بيدين مرتعشتين. كان الوعاء الأزرق المصنوع من الإيناميل عاليًا وقديمًا باليًا.

«والآن أيتها الكاتبة روميلي ضعي يدك في **الوعاء** وأخرجي القلم».

أخذت روميلي نفسًا عميقًا؛ فهي لم تكن ترغب في وضع يدها في الوعاء، فلم تكن تستطيع أن تتخلص من فكرة وجود عناكب كبيرة مشعرة تختبئ بداخله. إلا أنها بكل شجاعة مدت يدها داخل الوعاء البارد المظلم.

همست مارشا: «كم قلمًا بالداخل؟».

ردت روميلي همسًا هي الأخرى: «واحد».

شعرت مارشا بالارتياح؛ فلقد نجح الوعاء في الاختيار.

«والآن أيتها الكاتبة روميلي أخرجي القلم، وأريه لباقي الكتبة».

أخرجت روميلي قلمًا أسود جميلًا مصنوعًا من العقيق ومرصعًا بشكل حلزوني بقطع من الزمرد الأخضر.

«أيتها الكاتبة روميلي، اقرئي الاسم المكتوب على القلم».

نظرت روميلي إلى القلم. كانت تجد صعوبة شديدة في قراءة الاسم بسبب الخطوط الحلزونية الملتوية التي تزينه.

قالت مارشا: «فليحضر أحدكم شمعة من فضلكم».

أخذ بارتريدج شمعة ورفعها لأعلى؛ لتتمكن روميلي من قراءة الحروف. رأى فوكسي القلم بوضوح لأول مرة، وامتقع وجهه

بشدة، وبعد لحظة واحدة سُمع صوت سقوط شيء ما؛ فقد سقط فوكسي مغشيًّا عليه.

شعرت مارشا بشعور سيئ. فلقد عرف فوكسي القلم، لذا فلا يمكن أن يكون رئيس كتبة النصوص الهرمسية الجديد هو فوكسي.

تخلت مارشا عن اللهجة الرسمية لمراسم **الاختيار**، وقالت بسرعة: «روميلي لمن هذا القلم؟».

دققت روميلي النظر بشدة وقالت: «الاسم مكتوب هو...هو... آه نعم. الاسم المكتوب هو بيتل!».

دوى المكان بتصفيق حاد من كل الكتبة.

كان لفوكسي حجرة صغيرة في منطقة قذرة وحقيرة في العشوائيات، وكان قد دعا بيتل للمكوث بها بعد أن طرده لاري من غرفته بمكتب خدمة ترجمة اللغات الميتة. وكان ينام على الأرض، حتى يجد مكانًا يسكن به.

وعندما اندفع فوكسي داخلًا الحجرة وهو محمر الوجه وقد أتى ركضًا من دار المخطوطات حتى الحجرة، كان بيتل مشغولًا بفرك بعض الحساء المحترق من إحدى الأواني. لم يكن بيتل يعرف أنه من الممكن أن يحترق الحساء، واكتشف أنه يجهل كثيرًا من المعلومات عن الطهي.

قال بيتل وقد بدا عليه الانشغال: «مرحبًا فوكسو. إذن من هو الرئيس الجديد؟».

هتف فوكسي: «أنت!».

قال بيتل: «بارنابي إيو؟ حسنًا كان من الممكن أن يكون أسوأ. آسف حقًّا لقد أفسدت إناءك».

هرع فوكسي إلى الحوض الصغير، وشد الإناء من يد بيتل وقال له: «لا، إنه أنت أيها المعتوه...إنه أنت. أنت يا بيتل! أنت رئيس كتبة النصوص الهرمسية الجديد!».

قال بيتل وهو غاضب: «فوكسي، توقف عن هذا الهراء وأعطني الإناء؛ لأنظفه».

«اترك هذا الإناء السخيف الآن. إنه أنت يا بيتل. لقد تم اختيار قلمك أنت. أقسم لك».

حدق به بيتل وإسفنجة تنظيف الأواني في يده تقطر ماء.

«لكن كيف حدث هذا، لا يمكن، كيف دخل قلمي داخل الإناء؟»

«أنا وضعته بالإناء. أتذكر عندما فُصِلت ولم تأخذ قلمك معك؟ أنا احتفظت به من أجلك، لهذا احتفظت به. ولا توجد أي قواعد تشترط أن تكون كاتبًا عاملًا في دار المخطوطات، ليتم وضع قلمك في الوعاء. لقد بحثت في هذا الأمر كثيرًا. المهم أن يوضع قلمك داخل الوعاء، وهذا ما فعلته أنا».

كان بيتل في ذهول وقال: «ولكن لماذا؟».

«لأنك تستحق أن تكون رئيس كتبة النصوص الهرمسية؛ لأنك الأفضل على الإطلاق يا بيت، ولأنك أنقذت دار المخطوطات وخاطرت بحياتك من أجل ذلك. من يمكن أن يكون رئيسًا سواك الآن؟ لا أحد يا بيت لا أحد. لا أحد غيرك أنت».

هز بيتل رأسه، فمثل هذه الأشياء لا تحدث.

«هيا يا بيتل. لقد أرسلتني مارشا لإحضارك لتتقلد منصبك. لقد جهزت المخطوطات المشفرة والأختام والجميع في انتظارك. هيا».

ورويدًا رويدًا بدأ بيتل يصدق فوكسي؛ وأدرك أن ما يحدث له الآن هو نقطة تحول خطيرة في حياته قلما تحدث.

منذ دقائق معدودة لم تكن حياته تمت بصلة لحياته الآن. كانت بالفعل نقطة تحول خطيرة. وكان في ذهول تام مما حدث.

كان القلق قد بدأ يتملك من فوكسي الذي قال له: «بيتل...هل أنت بخير؟».

أومأ بيتل وشعر بسعادة لا حدود لها تغمره، وقال: «نعم يا فوكسي أنا بخير. أنا بخير تمامًا».

* * *

جاء الصقيع العظيم مبكرًا، كان من النادر أن يبدأ في يوم عيد منتصف الشتاء لكن كل من بالقلعة رحب كثيرًا بالغطاء الأبيض الذي كسا كل آثار المنطقة المظلمة محولًا القلعة إلى مكان

سحري مرة أخرى. حتى الذين فقدوا أحدًا من أسرتهم أو أصدقائهم- وكان عددهم كبيرًا نسبيًا- رحبوا به، فقد كان سكون الثلج جميلًا ومريحًا.

كان سبتيموس يسير نحو القصر عندما قابل سايمون ذاهبًا من نفس الطريق.

قال سبتيموس بشيء من الحرج: «مرحبًا، أين لوسي؟».

ابتسم سايمون وهو متردد قليلًا، وقال: «ستأتي فيما بعد، فقد ذهبت لتحضر والديها، إنهما بخير، ولكن والدتها أحيانًا ما تثير بعض المشاكل!».

«آه حسنًا».

سار كلاهما معًا عبر بوابة القصر واتجها نحو القصر. قال سبتيموس ليكسر حاجز الصمت غير المريح: «أردت أن أشكرك».

نظر سايمون لأخيه بحيرة وسأله: «لماذا؟».

«لإنقاذك حياتي في النهر».

«آه نعم، نعم. لا داعي للشكر؛ فأنا مدين لك».

«نعم، حسنًا. وأعتذر لك على أنني لم أصغِ لما قلته عن **الشفرة المقترنة**».

هز سايمون كتفيه، وقال: «لا داعي للاعتذار؛ فنحن جميعًا نخطئ. وأنا أيضًا مدين لك باعتذار».

«نعم، أعرف».

التفت سايمون إلى سبتيموس وسأله وهو يبتسم: «إذن متعادلان؟».

ابتسم له سبتيموس وقال: «متعادلان!».

أحاط سايمون كتفي سبتيموس بذراعه- وقد لاحظ أنه صار في نفس طوله تقريبًا- وسارا معًا إلى القصر، تاركين خلفهما آثارًا لزوجين من الأقدام في غطاء الثلج الأبيض المكسو بالصقيع.

وفي هذه الليلة كانت قاعة الحفلات تتمتع بإضاءة مبهرة، ولأول مرة منذ سنين طويلة كانت ممتلئة عن آخرها بالناس، حتى ميلو والد چينا كان هناك بعد أن وصل من رحلته متأخرًا قليلًا على عيد ميلادها، كما هي العادة.

وعلى كل طرف من أطراف المائدة، جلس سايلاس وسارة بناء على طلب وإصرار چينا. فعندما انتقلوا حديثًا إلى القصر كان سايلاس وسارة أحيانًا ما يجلسان على هذين الكرسيين، ولكن على سبيل المزاح، وكانت چينا تجلس في مكان ما بينهما، ولكن الآن كانت المائدة الطويلة بينهما تمتلئ بالناس الذين يتحدثون ويضحكون.

وفي ناحية سارة، جلس ميلو وثيابه المصنوعة من الحرير الأحمر والذهبي تلمع في ضوء الشموع، بينما كان يروي لها عن رحلته الأخيرة بالتفصيل. وكانت تجلس أمامه الساحرة العظمى والتي كانت تجلس بطبيعة الحال بجوار رئيس كتبة النصوص الهرمسية. وقد أصرت سارة أن تجلس چينا بجوار والدها، لكنها

كانت تتحدث طوال الوقت مع سبتيموس الذي كان يجلس بجوارها وأمام بيتل. نظر سبتيموس إلى صديقه الذي بدا متألقًا في ثيابه الجديدة التي تناسبه تمامًا. بدا بيتل مستريحًا في ثيابه الزرقاء الداكنة الثقيلة المصنوعة من الحرير، ذات الأكمام المطوقة بالذهب. كانت هذه الألوان تذكره بسترة البحرية الخاصة به، والتي لاحظ سبتيموس أنه ما زال يرتديها أسفل ثيابه الجديدة. كانت السعادة تبدو على وجه بيتل بشكل لم يلحظه سبتيموس من قبل وسُرَّ لرؤيته.

أما في ناحية سايلاس، فقد كانت تُسمع الضحكات الصاخبة، حيث كان نكو يجلس مع روبرت وماجي وفوكسي، وراح نكو يقلد صوت طيور النورس.

وفي منتصف المائدة جلست سنوري بجوار والدتها، وكانتا تتحدثان بهدوء، بينما كان أولر يرقد بجوارهما لحراستهما. وبين الحين والآخر كانت سنوري تنظر إلى نكو باستهجان، ولكن لم يكن يبدو أن نكو يلاحظ ذلك.

أما سايمون فقد جلس بجوار سبتيموس، وكان كل اهتمامه منصبًا على لوسي والسيد والسيدة جرينچ الذين كانوا يتكلمون عن الزفاف، أو بالأحرى كان يستمع إلى لوسي وهي تتحدث عن حفل الزفاف. ومن حين إلى آخر كان سايمون ينظر إلى علبة خشبية صغيرة يضعها على ركبتيه ويبتسم وعيناه الخضراوان

-التي أصبحت صافية لأول مرة منذ أربع سنوات- تلمعان في ضوء الشموع. كان مكتوبًا على العلبة الخشبية كلمة: الجاسوس. كانت هذه العلبة هدية شكر من مارشا وكانت تعني له أكثر من أي هدية تلقاها من قبل.

أما إيجور ومات وماركوس وموظفتهم الجديدة ماريسا فكانوا منهمكين في حديث شيق مع الفتى الذئبي والعمة زيلدا.

لكزت چينا سبتيموس الذي كانت تجلس بجواره قائلة: «انظر إلى الفتى الذئبي بعد أن قص شعره الطويل، ألا تعتقد أنه يشبه مات وماركوس؟».

«مات وماركوس؟».

«من المغارة القوطية. انظر».

«يشبههما تمامًا، شيء غريب».

«وحتى صوته يشبه صوتهما. هل تعرف أي شيء عن أسرة الفتى الذئبي يا سِب؟ هل الفتى الذئبي يعرف أي شيء؟».

«لم يقل لي شيئًا من قبل. كان هذا هو أسلوب جيش الشباب. حتى أنا لم أكن أعرف أن لي أسرة حتى التقيت بك» وابتسم سبتيموس.

ابتسمت چينا قائلة: «وكانت صدمة».

«نعم».. لم يكن سبتيموس يفكر كثيرًا في أنه ربما لم يكن ليعرف حقيقته أبدًا، ولكن في ذلك الوقت وهو بين أهله وأصدقائه،

شعر بشعور أقرب إلى الرعب حين تخيل أنه كان سيحيا حياة مختلفة تمامًا لو لم تكن مارشا قد أنقذته من الثلج منذ أربع سنوات فقط. ثم نظر إلى الفتى الذئبي، وأدرك أنه لم يعرف عائلته أبدًا... فلا شك أن له عائلة وأسرة.

«غدًا سأذهب وأبحث في سجلات جيش الشباب، فربما أجد شيئًا عن 409. من يدري؟».

ابتسمت چينا، فقد تذكرت شيئًا. أخرجت هدية صغيرة من جيبها، وقالت: «عيد ميلاد سعيد يا سِب. تأخرت قليلًا، لكننا كنا منشغلين بعض الشيء في الآونة الأخيرة».

«شكرًا چين، أنا أيضًا لدي شيء لك. عيد ميلاد سعيد».

«أشكرك يا سبتيموس، إنها جميلة».

«لكنك لم تريها بعد!».

فتحت چينا هديتها التي كانت تاجًا ورديًّا صغيرًا جدًّا مرصعًا بخرز من الزجاج وشرائط، وله حافة من الفراء. انفجرت چينا ضاحكة، وقالت: «إنها هدية سخيفة جدًّا يا سِب». ثم وضعت التاج على رأسها وربطت الشرائط تحت ذقنها، وقالت: «والآن أضبحت الملكة، افتح هديتك».

فتح سبتيموس هديته الملفوفة بورق أحمر، وأخرج مجموعة من أسنان الغول.

«هدية رائعة يا چين!» وضع سبتيموس الأسنان في فمه وسرعان ما انزلقت الأنياب، لتظهر فوق شفته السفلى. وفي ضوء الشموع كان سبتيموس يبدو كأنه غول حقيقي، لدرجة أن مارشا عندما أنهت محادثتها مع بيتل والتفتت لسبتيموس تسأله عن شيء ما، صرخت في رعب وفزع.

أمضى الغول والملكة باقي الليلة في العبث والمزاح أمام أكبر وأهم شخصيتين بالقلعة -الساحرة العظمى ورئيس كتبة النصوص الهرمسية. كانت چينا تشعر بسعادة لا توصف؛ فقد استعادت سبتيموس بشخصيته القديمة -وبينما سمعت انفجارًا جديدًا من الضحك وتقليدًا جديدًا لأصوات طيور النورس- عرفت أنها استعادت نكو أيضًا.

وفي الظلال راح شبحان يراقبان الجميع وهما يشعران بالسعادة والرضا.

وعندما طلب سبتيموس من ألثر أن ينضم إليهم قال ألثر: «أشكرك يا سبتيموس، ولكنني أفضل أن أجلس هنا بهدوء بصحبة أليس؛ فأنتم مزعجون حقًّا أيها الأحياء!».

وكانوا كذلك فعلًا، وظلوا هكذا طوال الليل.

وعند شروق الشمس انفتحت نوافذ قاعة الاحتفالات، وخرج المدعوون إلى الثلج، واتجهوا نحو رصيف الإنزال بالقصر. رآهم شبح وحيد، وتسلل بهدوء إلى السفينة التجارية التي كانت راسية

على رصيف الإنزال وتستعد للرحيل قبل أن يتسبب الصقيع العظيم في تجمد مياه النهر. ونزل شبح أولاف سنوريلسن، ودخل إلى القمرة المصنوعة من خشب الكرز والتي كان قد بناها لزوجته ألفرون منذ زمن بعيد. وجلس في انتظار وصول زوجته وابنته – فقد كان متأكدًا من مجيئهما – وابتسم، فأخيرًا عاد إلى موطنه.

أما سنوري ووالدتها فلم يرحلا مع باقي المدعوين؛ فكانتا ستبقيان حتى اليوم التالي. فقد جاءا لتوديع چيلي دچين الوداع الأخير. كانت چيلي دچين ترقد ساكنة مغطاة بالثلج في قارب الرحيل؛ استعدادًا لأن يجرفه التيار ويطفو متجهًا إلى البحر مع حركة الجَزْر.

وبينما كان بيتل وچينا يراقبان قارب الرحيل وهو ينجرف إلى النهر، وراية حريرية زرقاء ترفرف على السارية التفتت چينا لبيتل.

قالت له: «أراهن أنك تتمنى ألا يعود شبحها ويسكن دار المخطوطات».

ابتسم رئيس كتبة النصوص الهرمسية وقال: «ولكنني سأحصل على بعض السلام والهدوء أولًا، فأنت تعرفين أين ستكون لمدة عام وشهر».

ضحكت چينا: «نعم، بالطبع. ستكون في المكان الذي دخلت منه إلى حياتها الشبحية. كم ستحب مارشا هذا!».

ما حدث في المنطقة المظلمة وما بعد ذلك

ضحايا المنطقة المظلمة

جاء الإبطال العظيم الذي قامت به مارشا في وقته تمامًا؛ فثلاثة أيام وثلاث ليال هي المدة القصوى التي يستطيع معظم الناس أن يعيشوها في **غيبوبة الظلام**. وعندما استيقظ معظم أطفال القلعة كانوا على ما يرام، أما الكبار فكانوا يشعرون أنهم ليسوا بخير؛ فعندما استيقظوا كانوا يعانون من صداع رهيب وعطش شديد وآلام شديدة في أجسامهم من قمة الرأس إلى أخمص القدمين.

ظن الكثيرون أنهم كانوا في حفل صاخب الليلة السابقة، وأنهم لا يتذكرون عنه شيئًا. ولكن كان هناك آخرون لم يستيقظوا أبدًا من أسوأ حفل مر على القلعة.

وكان الأسوأ حظًّا والأشد تضررًا على الإطلاق أولئك الذين راحوا في **غيبوبة الظلام** أثناء وجودهم في مكان مفتوح.

فكثير منهم توفي متأثرًا بالبرد، وآخرون اختفوا تمامًا، وكانوا -أغلب الظن- قد تم اختطافهم من قبل تنين الظلام، فقد انتشرت بقع الدم في الأماكن المفتوحة بالقلعة. وهناك آخرون قضت عليهم المنطقة المظلمة وهم في لحظات خطرة. فأحدهم قد مات وهو يصعد السلم واثنان آخران وهما يحاولان الهرب من نافذة عالية، وخمسة أشخاص آخرون قد وقعوا في النار التي كانوا يشعلونها. وثلاثة آخرون لم يستيقظوا من الغيبوبة، وتم نقلهم إلى غرفة المرضى؛ ليتم فك السحر **الظلامي** وإنقاذهم.

كان هناك اسمان مألوفان محفوران على لوحتين تذكاريتين حول القلعة:

بيرتي بوت. ساحرة عادية. مختفية، ومن المرجح أنه تم التهامها.

أونا براكيت. مديرة منزل. وجدت متجمدة في أحد الأزقة.

ميزي سمولز وبينكي

كانت **المنطقة المظلمة** قد هاجمت ميزي سمولز وهي في بيت والدتها على طريق السحرة عندما كانوا يستعدون لتناول عشاء أطول ليلة التقليدي قبل أن يخرجوا لمشاهدة الأضواء. انفتح الباب بعنف، واقتحمت المنطقة المظلمة المكان. نجت ميزي ووالدتها لكن والدة ميزي ظلت مريضة لبعض الوقت.

وأول ما فعلته ميزي عندما أفاقت من الغيبوبة -وبعد أن اطمأنت على والدتها-أنها هرعت إلى القصر لتبحث عن قطها بينكي. وبالرغم من أن بينكي كان يبدو بخير فإن ميزي سرعان ما أدركت أن هناك شيئًا غريبًا بشأنه.

كان بينكي كباقي قطط القلعة، التي تأثرت كثيرًا **بالظلام**. فالقطط كانت كقطع الإسفنج التي امتصت بؤر **الظلام** العنيدة التي كانت تكمن في الأركان المظلمة والأماكن الخفية، حيث تحب القطط أن تذهب. لم يعد بينكي قطًّا منزليًّا أليفًا؛ فقد بدأ يزمجر ويبصق بل خربش ميزي عندما حاولت أن تربت عليه. كذلك لم يعد يتناول طعام القطط الذي

كانت تحضره له ميزي بكل حب. صار بينكي يشتهي الدماء، فأصبح يحب أكل الطيور والفئران. وما كان يريد بينكي تحقق بالفعل.

وبعد خمسة أيام من الإبطال العظيم، غادر بينكي القصر مع ميزي التي ذهبت لإشعال مشاعل طريق السحرة. كانت ميزي سعيدة برغبة قطها المفاجئة في أن يصاحبها وهو يتبعها في الطريق، لكنها كانت آخر مرة تراه فيها. سار بينكي في طريق السحرة، وتسلل على جسر القلعة المتحرك قبل رفعه بالليل، وذهب إلى الغابة لينضم إلى جماعة قطط الظلام التي تكونت مؤخرًا والتي كان يتزايد عدد أفرادها باطراد.

وفي خلال بضعة أسابيع لم يعد هناك أي قطط بالقلعة، الأمر الذي أسعد ستانلي كثيرًا!

ستانلي وأولاده

قضى ستانلي وأولاده الفترة المتبقية من المنطقة المظلمة في الممر الخارجي. وبينما كان ستانلي قلقًا بشأن چينا كان فلو ومو وبو وجو يستمتعون بوقتهم، ويتسابقون في الممر، ويلعبون لعبة التماثيل الحمقاء، وعندما زأر تنين الظلام تسمر الفأر الذي صنع أكثر التماثيل حماقة في مكانه طوال مدة الزئير فحسب.

وفور انتهاء المنطقة المظلمة، نظف ستانلي وأولاده مكتب الفئران، أو بالأحرى نظفه ستانلي، بينما انشغل أولاده في مشاجرة بالمقشات، ثم ذهبوا ليتسكعوا مع رفاقهم. لم يعترض ستانلي؛ فقد كان سعيدًا بعودة الأمور إلى نصابها وبسلامة فئرانه الصغار.

وسرعان ما اكتشف ستانلي أن مخاوفه بشأن تعيين موظفين بمكتب خدمة الفئران الرسل لم يكن لها أي أساس من الصحة؛ ففور انتشار الأنباء بين فئران الميناء بأن القلعة صارت مكانًا خاليًا من القطط، وجد ستانلي أن أمامه فرصة كبيرة للاختيار من عدد كبير من الموظفين من ذوي الكفاءة كما يطلق عليهم.

وبدأ مكتب خدمة الفئران الرسل في الازدهار مرة أخرى، حتى إنه حصل على مواسير جديدة للصرف.

إيفانيا جريب

كاد كاتب الحفظ والحماية والوقاية إيفانيا جريب ألا ينجو من **المنطقة المظلمة**. فقد حبس نفسه في خزانة الدخان، ولكن **المنطقة المظلمة** تسربت إلى داخلها وتمكنت من السيطرة عليه. وكان إيفانيا ضعيفًا؛ بسبب مواجهته **للظلام** مرتين من قبل: كانت المرة

الأولى عندما أصيب بلعنة الفئران الدائمة عندما كان في الرابعة عشرة من عمره، ومؤخرًا عندما التبسه أحد الأشياء.

وكان رئيس كتبة النصوص الهرمسية الجديد قد وجده مضغوطًا في خزانة الدخان وفمه الصغير الذي يشبه فم الفأر مفتوحًا، ويتدلى منه لسانه. ظن بيتل أنه قد مات، لكنه حرك ذيله فجأة ليكتشف بيتل أنه ما زال على قيد الحياة. انضم إيفانيا إلى سايرا وثلاث ضحايا آخرين للمنطقة المظلمة في غرفة فك السحر.

وكانت مارشا تأمل في أن تجد طريقة للإسراع من عملية فك السحر عن طريق القراءة الدقيقة المتأنية لفهرس الظلام؛ فغرفة فك السحر قد أصبحت مزدحمة بعض الشيء.

سايرا سايارا

نجت سايرا، ولكن بالكاد. كانت غرفة فك السحر مكانًا مغلقًا، وكانت تشبه حجرة التجميد أو الفريزر في الثلاجات، فعندما تنقطع الكهرباء تظل الأمور على ما يرام لبضع ساعات، بشرط ألا يُفتح الباب. ولكنها نجت بالكاد. فكان أحد الأشياء قد فتح باب غرفة الانتظار في نفس الوقت الذي كانت مارشا تقرأ فيها الكلمات

الأخيرة لتعويذة الإبطال العظيم. وفي اللحظة التي انتهت فيها مارشا استعاد السحر قوته، وطار الشيء عبر غرفة المرضى واصطدم بالجدار، واضطر الساحر المناوب أن يكشطه من على الحائط، ويحمله للخارج في عربة يدوية. وتم إعفاء روز من المساعدة.

جاء سبتيموس في وقت لاحق من ذلك اليوم لزيارة سايرا، بعد أن حصل على تقييم أسبوعه الظلامي من مارشا. وكانت غرفة المرضى مشغولة بإعداد المرضى الجدد بغرفة فك السحر. حشر سبتيموس نفسه مارًّا بأول شريك لسايرا في الحجرة -وهو صبي صغير لم يفق بعد من الغيبوبة - وتذكر آخر مرة زارها، وفجأة شعر بسعادة غامرة وارتياح شديد أن أسبوعه الظلامي قد انتهى، وأن كل شيء قد أصبح على ما يرام. وعندما أخبرها أنه قد عاد سالمًا -مع ألثر- ظن أنه قد رأى جفنيها يرتعشان فقط لجزء من الثانية.

لكن سرعان ما قامت روز والسحرة المناوبون-الذين كانوا يُدخلون مريضًا جديدًا- بطرد سبتيموس. لكنه لم يجد غضاضة في ذلك، وخرج وهو يتقافز ويبحث عن أي شخص يريد أن يشاركه معركة بكرات الثلج.

صوفي بارلي

في يوم افتتاح سوق التجار كانت صوفي بارلي قد وضعت الكشك الخاص بها لتوها عندما وجدت حولها خمس زبونات غريبات الشكل متشحات بالسواد. أخذت إحداهن قلادة جميلة كانت عبارة عن قلب بجناحين يتدلى منه حصان بحر، ثم راحت تحركها أمام عيني صوفي، وتؤرجحها للأمام وللخلف... للأمام وللخلف... للأمام وللخلف. وكان هذا هو آخر ما تتذكره صوفي.

وفيما بعد استيقظت صوفي في علية مستودع الهلاك، ووجدت نفسها مقيدة اليدين والرجلين، وظلت قابعة هناك في حين استولت الساحرات على كشكها في انتظار قدوم أميرتهن، كصياد ينتظر بجوار الطعم. وكانت دوريندا- التي كانت تطعم صوفي طعام العشاء كل مساء والذي كان يتكون من فئران مطبوخة أو صراصير مسلوقة- قد صادقت سجينتها، وبدأت تتسلل لتتحدث إليها. وتمكنت صوفي من إقناع دوريندا بحل وثاقها عندما جاءت المنطقة المظلمة.

ولكن بعكس الساحرات اللائي كن يستمتعن بالظلام، راحت صوفي في غيبوبة الظلام لكنها نجت، وعندما أفاقت من الغيبوبة، وجدت مستودع الهلاك خاويًا، فانتهزت الفرصة وهربت. وذهبت بعد ذلك إلى مقهى سالي مولن للشاي والجعة، وتناولت مشروب

الربيع المنعش مع شريحة كبيرة من كعكة الشعير، ثم ركبت أول سفينة، وأقسمت ألا تعود مرة أخرى إلى القلعة.

كانت چينا قلقة للغاية بشأن ما حدث لصوفي. وفي أسرع وقت ممكن، ذهبت إلى الميناء، واطمأنت على سلامة صوفي في ورشتها بجوار رصيف الصيادين. واشترت چينا زوجًا من الأقراط لتقدمه لسارة في عيد ميلادها، وقلادة على شكل حصان بحر لنفسها.

ماريسا لين

أما ماريسا فقد حبستها المنطقة المظلمة هي وإيجور ومات وماركوس في المغارة القوطية، فاضطروا للجوء إلى الحجرة الآمنة السرية الصغيرة الخاصة بإيجور. وبالرغم من أنه كان وقتًا عصيبًا بالنسبة لهم جميعًا، فإنه أعطى ماريسا الفرصة لتتأمل حياتها. فحديثها مع إيجور جعلها تدرك الطريق الخطر والسيئ الذي تسير به مع عصبة ساحرات الميناء.

وقررت أن تنقض عهودها مع الساحرات. وبعد أن اتخذت قرارها، عرض عليها إيجور وظيفة مساعدة في المغارة القوطية، الأمر الذي أسعد مات وماركوس كثيرًا. فكلاهما كان يحب ماريسا كثيرًا. لكن إيجور لم يكن يعرف أنه قد سبب لنفسه المتاعب...

سجلات جيش الشباب

تم رفض طلب سبتيموس بالاطلاع على سجلات جيش الشباب؛ لأنه قد وجد أهله، لكن بيتل قدم له يد المساعدة باستخدام سلطته التي تخول له دخول جميع الأماكن بالقصر. ذهب بيتل إلى مكتب سجلات جيش الشباب الكائن بمبنى صغير بالقرب من متجر أحذية تيري تارسال. كانت معظم السجلات متاحة للجميع بخلاف تلك الخاصة بالعائلات، فقد كانت خاصة وسرية ومتاحة فقط لمن يبحثون عن أسرهم أو من لهم سلطات واسعة تخول لهم ذلك.

طلب بيتل سجلات الجنود المرتزقة. راحت موظفة السجلات -التي لم تكن تصدق أن هذا الشاب الصغير هو رئيس كتبة النصوص الهرمسية- تراقبه مراقبة شديدة أثناء تقليبه أوراق السجلات، حتى وصل للصفحة المعنونة الأرقام من 400 حتى 499 (مشمولة). مر بإصبعه على الصفحة بالكامل حتى وصل لهذه القوائم:

409 ماندي ماروي. الحالة: تجنيد إجباري. أسرة خائنة.

410 ماركوس مارويك. الحالة: تجنيد إجباري. أسرة خائنة.

411 ماثيو مارويك. الحالة: تجنيد إجباري. أسرة خائنة.

412 ميرين ميريديث. الحالة: لقيط. الأم تنكر الطفل.

كانت الثلاثة الأسماء الأولى كما توقع بيتل؛ كان الفتى الذئبي واحدًا من ثلاثة توائم. ابتسم بيتل؛ فلم يتوقع أن يكون اسمه الحقيقي ماندي.

لكنه شعر بالفزع عندما رأى رقم 412 الذي كان رقم سبتيموس عندما كان في جيش الصغار. فبالتأكيد لم يكن سِب هو ميرين ميريديث في حقيقة الأمر. لكنه تذكر بعد ذلك ما قاله له سبتيموس في أمسية ممطرة في المطبخ الخلفي للمكتبة وهما يشربان قدحًا من المشروب الفوار...

«لقد رأيت ما حدث يا بيتل. كانت العمة زيلدا تنظر في البركة، ورأينا صورًا متحركة لما حدث. كان الأمر غريبًا... ومحزنًا أيضًا...رأيت القابلة وهي تخطفني من سارة -أعني أمي- عندما كنت رضيعًا لا يزيد عمري على بضع ساعات. وقالت لأمي: إنني قد مت. فقد كان دومدانيال يريدني أن أكون تلميذه؛ لأنني أنا الابن السابع للابن السابع. أخذتني القابلة إلى حضانة جيش الشباب، حيث كانت ممرضة دومدانيال ستأتي

لأخذي. ولكن عندما جاءت كانت في عجلة من أمرها ومرتبكة للغاية، فأخذت أول طفل رأته...ابن القابلة. أعتقد لأنها عندما وصلت رأت القابلة تحمله وتلاطفه. جن جنون القابلة وخاصة عندما منعها الحرس من مطاردتها لاستعادة ابنها».

تذكر بيتل قوله: «هذا جزاؤها على ما فعلت!».

«نعم أعتقد ذلك، لكنه أبشع ما يمكن أن يحدث لطفل رضيع. أعني أن القابلة بالطبع أخبرت الجميع أنني لست ابنها، لكنهم لم يصغوا لها... لم يصغوا لأي شيء. فبالنسبة لهم كنت أنا ابن القابلة التي هجرته فجأة. وهكذا دخلت إلى جيش الشباب. وأعتقد أن اسمي المدون في سجلات جيش الشباب هو اسم ابن القابلة، وهو أمر غريب حقًّا. لكن الأغرب أنني قابلت هذه القابلة فيما بعد... كانت هي صاحبة الاستراحة البشعة التي أخذتنا لها چين في الميناء. هذا ما اكتشفته العمة زيلدا وأخبرتني به».

أغلق بيتل السجل، وأعطاه للموظفة مع زوج من القفازات القطنية البيضاء كانت جعلته يرتديها. إذن فهذه القصة حقيقية، وميرين ميريديث هو ابن نيرس ميريديث...نيرسي.

سار بيتل على مهل، عائدًا إلى دار المخطوطات وهو يفكر في هذه الدقائق القليلة التي مر عليها أكثر من أربعة عشر عامًا، والتي أثرت في حياة الكثير من الناس. والآن استطاع أن يفهم رد مارشا عندما سألها عن الحكمة من السماح لميرين لأن يعيش حرًّا طليقًا. فقد قالت له: «كل إنسان يستحق فرصة ليعيش مع والدته يا بيتل». وفي ذلك الوقت استغرق الأمر وقتًا طويلًا ليستجمع بيتل شجاعته، ويطرح هذا السؤال على مارشا -وكان في دهشة من أمره عندما ردت عليه بطريقة مهذبة- ولذا لم يسألها عن معنى ردها. ولكنه الآن قد فهم.

سنوري وألفرون

كانت سنوري ووالدتها ألفرون قد ذهبتا إلى أطول ليلة، ولذا فاتتهما المنطقة المظلمة، وعادتا في صباح يوم الإبطال العظيم.

كانت سنوري في العام الماضي قد أنقذت سفينتها التجارية- أو بالأحرى سفينة والدتها- من بعض لصوص السفن الذين سرقوها من مرسى العزل. وعادت بالسفينة ألفرون إلى القلعة، حيث تم ترميمها في ساحة سفن چانيت مارتين.

لم تكن سنوري تشعر بالسعادة وهي تعيش في القصر مع آل هيب؛ فقد كانت تفتقد وطنها وبيتها، واندهشت عندما اكتشفت أنها تفتقد والدتها أيضًا.

كانت سنوري تشعر أنها هي ونكو قد قضيا وقتًا كافيًا معًا. قالت لنكو: «خمسمائة عام وقت طويل بالنسبة لأي شخص، وقد حان الوقت لكي يفعل كل منهما شيئًا جديدًا». لكن نكو لم يرد؛ فقد رد عليها وصول السفينة ألفرون سنوريلسن، لقد حان وقت العودة للوطن.

وهكذا أخذت سنوري ووالدتها السفينة، وخرجتا إلى البحر لتجربتها. أبلت السفينة بلاء حسنًا، وتم اتخاذ القرار بالعودة للوطن؛ أرض الليالي الطويلة. خشيت سنوري أن تخبر نكو؛ لأنها كانت واثقة أنه لن يتفهم موقفها، ولكنه أدهشها بأنه كان متفهمًا للغاية.

غادرت سنوري وأولر وألفرون في اليوم التالي لعيد منتصف الشتاء. وبينما هم يلوحون للمجموعة الصغيرة التي تجمعت على رصيف الإنزال بالقصر مودعين إياهم، كانت سنوري في دهشة

من أمرها عندما نزلت دموعها عند رؤية نكو يلوح لها وهم يبتعدون عن القصر، متجهين للمياه المندفعة وسط النهر.

ظلت سنوري تلوح حتى ابتعدت السفينة، واختفت خلف صخرة الغراب، ولم تعد ترى نكو، ثم نزلت إلى القمرة الجميلة التي كان والدها أولاف قد بناها بخشب شجر الكرز. وبينما جلست سنوري في القمرة تطل من بابها نحو والدتها الجالسة على الدفة شعرت بشعور لم تتوقعه؛ شعرت بسعادة تغمرها؛ فقد كانت عائدة لوطنها. وكل شيء سيكون على ما يرام.

وفي ذلك الوقت رأت سنوري شبح أولاف سنوريلسن يجلس على المقعد وسط الظلال في الناحية المقابلة وهو يبتسم لها.

همست سنوري: «أبي؟».

أومأ أولاف وهو سعيد وقال: «سنوري». وابتسم. فقد صاروا أسرة واحدة مرة أخرى.

وعلى رصيف الإنزال بالقصر، وقف نكو يحدق في السفينة الراحلة ألفرون عبر الثلوج المتساقطة بغزارة. وعندما اختفت السفينة عن الأنظار، شعر نكو أنه أخيرًا تخلص من حمل ثقيل على أكتافه، وأنه صار حرًّا.

الحجرة وراء الباب الأحمر الكبير

استقر سايلاس وسارة في الحجرة وراء الباب الأحمر الكبير مرة أخرى، وكانت سارة تذهب للقصر كل يوم لترى چينا، لكن القصر قد أصبح الآن بيت چينا، وليس بيتها.

وسرعان ما اكتسبت الحجرة وراء الباب الأحمر الكبير شكل البيت المأهول بالسكان مرة أخرى، وكانت سارة أحيانًا ما تشعر أنها تكاد لا تصدق أنها تركت هذا المكان يومًا.

نجا رعد من **المنطقة المظلمة**، وأقام في الإسطبلات خلف البيت الصغير في المنزلق الثعباني. نظفت سارة الحجرة من أعلاها إلى أسفلها، حتى أزالت كل آثار الحصان الذي قضى بها أسبوعًا كاملًا.

ولكن بالرغم من ذلك كانت سارة تشعر أحيانًا في الجو الرطب أنها تشم رائحة روث حصان. أما إيثيل فلم تكن على ما يرام بعد أن تعرضت **للمنطقة المظلمة**. كانت البطة قد بدأت حياتها بداية صعبة، والآن كانت متوترة لدرجة أنها لا تسمح لسارة أن تغيب عن

ناظريها. صنعت سارة للبطة حقيبة مزودة بفتحتين؛ لتضع رجليها فيهما، وكانت تحملها في كل مكان تذهب إليه.

كان سايلاس كثيرًا ما يتنحنح، مُظهرًا استياءه بشأن حقيبة البطة السخيفة، لكن سارة وسايلاس كانتا تغمرهما السعادة بعودتهما إلى بيتهما القديم، ولم تكونا لتسمحا لبطة في حقيبة أن تفسد عليهما سعادتهما.

آثار التنين

إن دم التنين لا يمكن محوه، وقد ترك الدم الذي كان يقطر من الجرح برأس لافظ اللهب طريقًا مرسومًا بالدماء عبر القلعة من البوابة الجنوبية وحتى برج السحرة. كانت بعض قطرات الدم قد سقطت على الأسطح، بينما رسم معظمها خطًّا متعرجًا عبر الأزقة الضيقة. وسرعان ما أصبح طريق دم التنين هو الطريق المفضل لأطفال القلعة والزائرين على حد سواء.

شُفي لافظ اللهب من جراحه، والآن قد أصبح تنينًا بالغًا وناضجًا بالفعل، وبدأ يهدأ قليلًا، فقط قليلًا.

نتائج الأسبوع الظلامي

نجح سبتيموس في أسبوعه الظلامي.
وبالأسفل ستجد جزءًا من ورقة وجدت مقطعة في سلة مهملات مارشا. ويليه التقرير الخاص بسبتيموس مصحوبًا بتعليقات مارشا.

لجنة السلامة ببرج السحرة

تقرير الصحة والسلامة الأساسي لمشروعات التلميذ. يجب أن:
يتم استكماله بواسطة الساحر المعلم.
مشروع التلميذ: **الأسبوع الظلامي**
اسم التلميذ: سبتيموس هيب
الساحر المعلم: مارشا أوفرستراند
منطقة العمل: **الردهات المظلمة**
تحليل المخاطر في مقابل المنافع ويقاس من 0 إلى 49 (حيث تكون 49 هي الحد الأقصى و0 الحد الأدنى)
المخاطر: 49++ ماذا كنت تتوقع؟
المنافع: 49++
هل تعتبر أن نسبة المخاطرة إلى الفائدة كانت مقبولة؟ بالطبع.
هل ستقوم بهذا التقييم بنفس الطريقة مرة أخرى؟ لن أفعل أبدًا، أشكرك.

ما الخدمات الصحية المقدمة؟ بحق السماء!

تقييم الأسبوع الظلامي للتلميذ الأعظم

المعلم: مارشا أوڤرستراند. الساحرة العظمى.

التلميذ: سبتيموس هيب. التلميذ الأعظم الأول

يقاس تقييم التلميذ من 0 إلى 7 (حيث 7 هي الحد الأقصى و0 هي الحد الأدنى).

ملاءمة المهمة الظلامية المختارة: 7

مناسبة للغاية

طريقة الدخول إلى الظلام: 6

سبتيموس، لقد خصمت درجة واحدة؛ لاستخدامك **تمويه الظلام** دون تصريح. أنا أعرف أنه لولاه لما نجوت ولكن بالرغم من ذلك أشعر أن القواعد لابد أن تحترم هنا.

المهارة السحرية: 7

إبطال النفي كان مثاليًّا. وقد استخدمت معرفتك القديمة بتعويذة **الطيران** بمهارة كبيرة، (ارجع لي لاحقًا؛ لأخبرك عن استخدام هذا تحت الإشراف من الآن فصاعدًا)، وكذلك فقد تمكنت من **التزامن** مع التنين. ماذا يسعني أن أقول؟

صنع القرار والمبادرة: 7

لقد استخدمت روح المبادرة لديك؛ لتقرر مكان الدخول إلى **الظلام** ولماذا. لقد استخدمت المنطق لتعرف طريقك عبر **الردهات المظلمة**. ممتاز

السلوك العام: 7

لقد كنت مهذبًا للغاية في تعاملك مع الشبح الصغير، وأبديت درجة عالية من حضور الذهن وسرعة البديهة عندما واجهت تيرتيوس فيوم. جيد جدًّا دون شك.

طريقة الخروج من **الظلام**:

جيد جدًّا

النجاح في المهمة **الظلامية**: 7

نجاح ساحق

تقييم المعلم لمدى ملاءمة التلميذ لإدراج متوازن ومسئول للظلام في دراساته المستقبلية: 8.

أعتبر هذا المرشح مناسبًا بدرجة كبيرة. وأحتفظ بالحق في منح الدرجة التي أختارها.

المجموع النهائي من 49: 49

نتيجة الأسبوع الظلامي: (أشطب ما لا ينطبق).

~~راسب: لا يسمح له بالإعادة~~

~~راسب: يسمح له بالإعادة~~

~~ضعيف~~

~~مقبول~~

~~جيد~~

ناجح بامتياز

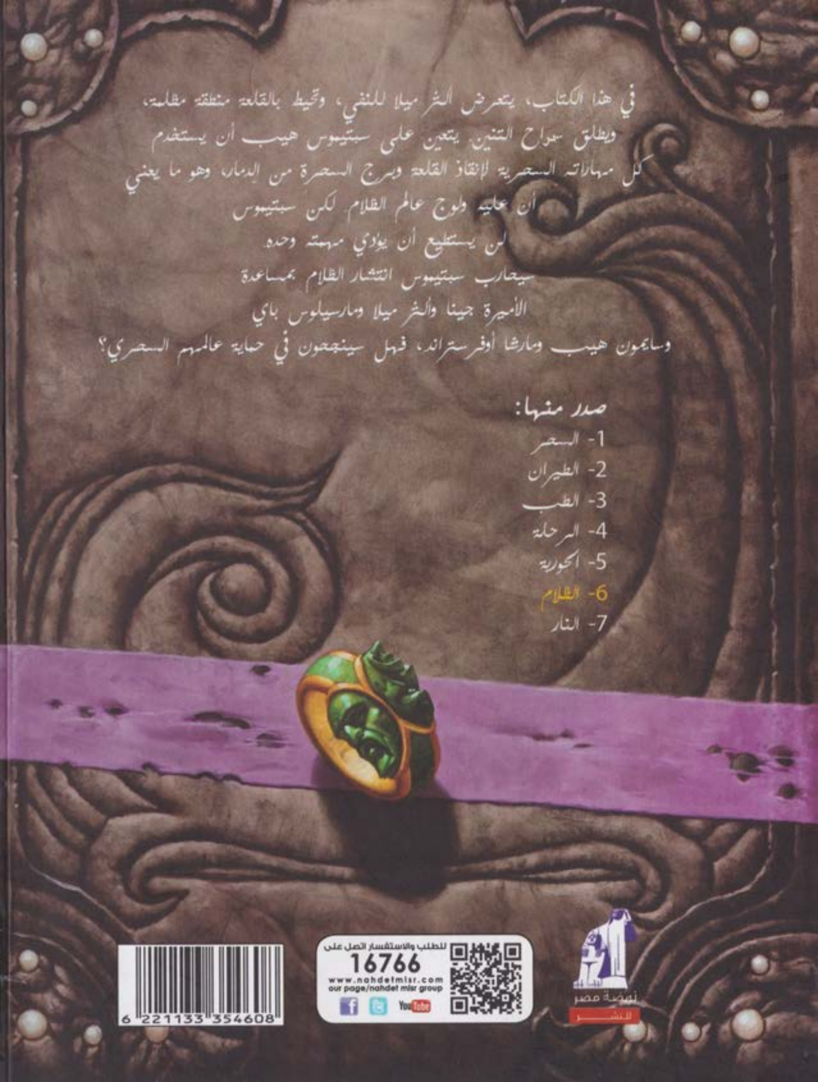
التوقيع: مارشا أوفرستراند

وبالنيابة عن ألثر ميلا. شكرًا لك يا سبتيموس.

يمكنك التواصل مع المؤلفة عبر الموقع الإلكتروني الخاص بها على الرابط التالي:

www.septimusheap.com





في هذا الكتاب، يتعرض الشر ميلا للنفي، وتحيط بالقلعة منطقة مظلمة،
ويطلق سراح التنين. يتعين على سبتيموس هيب أن يستخدم
كل مهاراته السحرية لإنقاذ القلعة وبرج السحرة من الدمار، وهو ما يعني
أن عليه ولوج عالم الظلام. لكن سبتيموس
لن يستطيع أن يؤدي مهمته وحده.
سيحارب سبتيموس انتشار الظلام بمساعدة
الأميرة جينا والشر ميلا ومارسيلوس باي
وسايمون هيب ومارشا أوفرستراند. فهل سينجحون في حماية عالمهم السحري؟
صدر منها:
1- السحر
2- الطيران
3- الطب
4- الرحلة
5- الحورية
6- الظلام
7- النار
للطلب والاستفسار اتصل على
16766
www.nahdetmisr.com
our page/nahdet misr group
You Tube
نهضة مصر
للنشر
6 221133 354608